المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



العدوة الأندلسية

منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الأسبان

(422هـ-867هـ/1030م-1462م)

دراسة سياسية حضارية

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

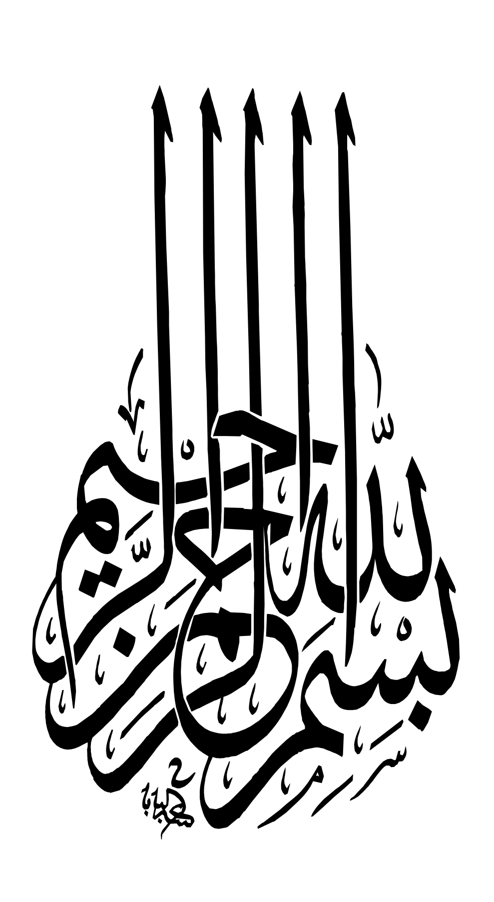
إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُّلمي

الرقم الجامعي (42570127)

إشراف الأستاذ الدكتور

سعد بن عبد الله البشري

1430هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الأسبان، دراسة تاريخية حضارية (422هـ – 867هـ).

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

تناولت هذه الرسالة موضوع العدوة الأندلسية من الجانب التاريخي والحضاري وذلك للفترة من عام 422هـ إلى 867هـ. وقد تكونت الرسالة من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وملاحق. تناول التمهيد دراسة مفهوم العدوة الأندلسية وجغرافيتها ، ودراسة للتاريخ السياسي للعدوة الأندلسية من الفتح إلى نهاية الخلافة الأموية . أما الباب الأول: فقد ناقش التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية، وهذا الباب مشتمل على ثلاثة فصول: الفصل الأول: اشتمل على التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية من ذ عصر ملوك الطوائف إلى نهاية عصر المرابطين . وهذا الفصل مكون من ثلاث مباحث : المبحث الأول: تناول العدوة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف. المبحث الثاني: ناقش اشتداد الحملات الصليبية وتطلع الأندلسيين لعون مسلمي المغرب. المبحث الثالث : تناول العدوة الأندلسية في عصر المرابطين.

أما الفصل الثاني: فقد اشتمل التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية في عصر الموحدين . وهذا الفصل مشتمل لمبحثين : المبحث الأول: ناقش أهمية السيطرة على العدوة الأندلسية من قبل الموحدين . المبحث الثاني: وقد تناول العدوة الأندلسية في عصر الموحدين.

أما الفصل الثالث: التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية منذ عصر بني الأحمر إلى سقوط مدنها في أيدي الأسبان . فهو مكون من ثلاث مباحث : المبحث الأول: ناقش العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين . المبحث الثاني: ناقش دور مدن العدوة في التعاون العسكري المشترك بين الطرفين. المبحث الثالث: وقد تناول مقاومة مدن العدوة الأندلسية للحملات الأسبانية حتى سقوطها.

أما عن الباب الثاني: المعنون بـ" أهم مظاهر الحضارة في العدوة الأندلسية " فهو مقسم إلى ثلاث فصول. الفصل الأول : ضم الأحوال العمرانية على أنماطها الدينية والمدنية والحربية . وشمل هذا الفصل أثراً لمسجد بالجزيرة الخضراء بذل الباحث جهداً لإيجاد وصف له في المصادر والمراجع، ولكن لم يجد إلى هذه اللحظة.

أما الفصل الثاني: فقد ناقش الأحوال الاقتصادية من خلال ثلاثة مباحث : المبحث الأول: الزراعة: وتُطرق به إلى ما كان بالعدوة الأندلسية من تنوع زراعي وحيواني، أسهم في إنعاش اقتصاد هذه المنطقة . المبحث الثاني: الصناعة: ناقش هذا المبحث جوانب مختلفة للصناعة في العدوة الأندلسية ، كما أبرز عدد من القطع الأثرية الموجود بأرضها . المبحث الثالث: التجارة: أجلى هذا المبحث دور العدوة الأندلسية التجاري على نطاق بلاد الأندلس والمغرب على السواء.

أما الفصل الثالث: الحياة العلمية في العدوة الأندلسية فهو مكون من خمس مباحث : المبحث الأول عن العلوم الشرعية ، والمبحث الثاني عن علوم اللغة والأدب ، والمبحث الثالث عن العلوم الإنسانية ، والمبحث الرابع عن العلوم العقلية . وكل هذه المبلحث ناقشت – كل على حده – تاريخ العلم بالعدوة الأندلسية وطرق تدريس العلم ورحلات علمائه وإنجازاتهم ، بالإضافة لتعداد لأهم علماء العلم بالعدوة الأندلسية . أما المبحث الخامس: فقد اشتمل العلاقات العلمية بين مدن العدوة الأندلسية ومدن العالم الإسلامي الأخرى، وما تم تبادله بينهم من خبرات وعلوم وإنجازات.

أما الخاتمة فقد ذكر فيها أهم نتائج الرسالة ومنها:

1 – أوضحت الدراسة أنَّ تناوب مدن العدوة الأندلسية الثلاث في تنويع خط سير الحملات الإسلامية للأندلس كان له أهميته أثناء المواجهات العسكرية.

2 – كشفت الدراسة أنَّ نصارى أسبانيا قد اعتبروا مدن العدوة الأندلسية خط الدفاع الأول عن الكيان الإسلامي بالأندلس.

3 – توصلت الدراسة لقطع أثريه لم ترد بالمراجع، تم استقائها من متاحف العدوة الأندلسية.

الطالب	المشرف على الرسالة	رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية	عميد كلية الشريعة
إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُّلمي	أ.د. سعد بن عبد الله البشري	أ.د.عبد الله بن حسين الشنبري	أ.د. سعود بن إبراهيم الشريم

The Summary of Message

The title of message is " Al–Adowah Al–Andalousiah " since the period of Al – Tawaif Kings to its fall Spanish. Historical Cultural study (422H– 867H). This message discusses the topic of " Al – Adowah Al – Andalousiah " Historical and Cultural sides since 422H to 768H. The message consists of introduction, two parts, conclusion, Supplements, sources. The introduction discusses about the concept of Al – Adowah Al – Andalousiah, its geography and study about political history for Al – Adowah Al – Andalousiah from the opening " the conquest " to the end of Al-Emawiah period. The First part discusses the political history for Al – Adowah Al – Andalousiah and this part also contains three chapters: The first chapter: contains the political history for Al – Adowah Al – Andalousiah since Al-Tauaaf kings period to the end of Al-murabtain period. This chapters consists of three studies: The first study: discusses Al – Adowah Al – Andalousiah in the period of Al-Tauaaf kings. The second study: discusses the violence of crusade and how Andalusian are looking for Morocco Muslims assistance in Morocco. The third study: discusses about Al – Adowah Al – Andalousiah in the period of Murabtain. The second chapter: contains the political history for Al – Adowah Al – Andalousiah in the period of Al-mowahdain. This chapter contains two studies. The first study: discusses the importance of domination Al – Adowah Al – Andalousiah by Al-mowahdain. The second study: discusses about Al – Adowah Al – Andalousiah in Al-mowahdain period.

The third chapter: is about the political history for Al – Adowah Al – Andalousiah since Bani Al-Ahmar and Bani Morain. The second study: discusses the role of Al – Adowah Al – Andalousiah cities in military cooperation between Parts. The third study: discusses about the struggle of Al – Adowah Al – Andalousiah cities against Spanish wars until they fall. The second part: its title is " The most important cultural marks in Al – Adowah Al – Andalousiah ". It divides into three chapters. The first chapter: contains structural situations and its religious, civilized, and military. It also contains a mark of mosque in the Algeciras which the author had studied hard to find description of it for it he does not find it Description.

The second chapter: discusses the economical situations through three sides: The first side: cultivation: it is discussed what Al – Adowah Al – Andalousiah had have various productions of animal and cultivation that contribute to increase its economy. The second study: industry: it discusses different Sides for industry in Al – Adowah Al – Andalousiah, it also appears a lot of relics Where exists in its land. The third study: commerce: it clarifies the commercial role of Al – Adowah Al – Andalousiah, in Al- Andalusia and as same as Morocco.

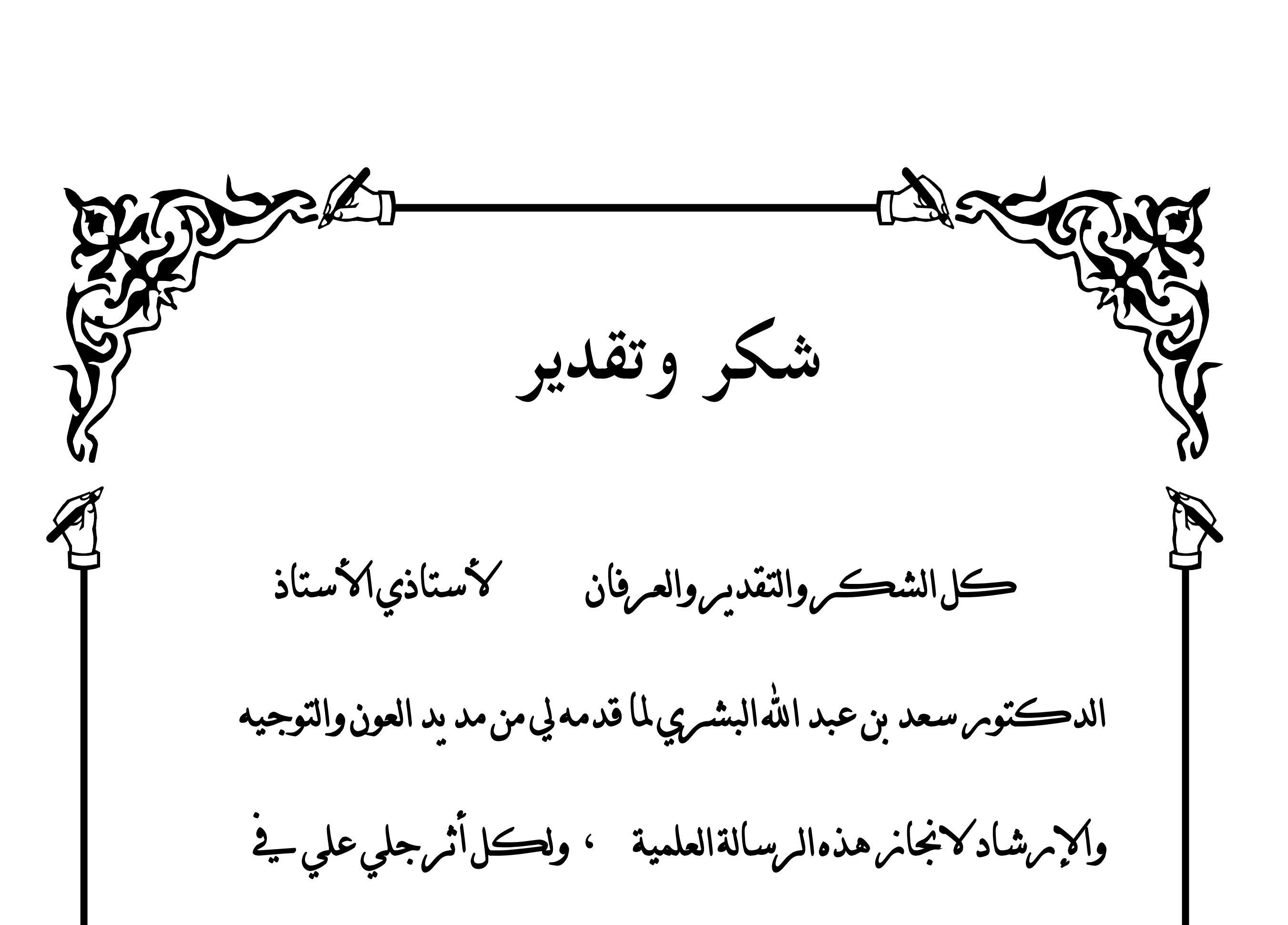
The third chapter: the scientific life in Al – Adowah Al – Andalousiah, it consists of five studies: the first study is about religious sciences, the second study is about language and literature sciences, the third study is about human sciences and the fourth study is about mental science. All of these studies discuss separately the history of science, the methods of teaching, scientists's travels and their achievements. In addition, it is mentioned the most important scientists of science in Al – Adowah Al – Andalousiah. The fifth study, contains the scientific relationship between Al – Adowah Al – Andalousiah and other Islamic world cities, and what they have exchangeable their experiences, sciences and accomplishments between them.

Finally: the conclusion contains the most important results of message:

- The study clarifies that how three cities of Al – Adowah Al – Andalousiah contribute to very the style of Islamic wars in Al-Andalusia which have a great value in military wars.

- The study discovers Spanish Christians consider that Al – Adowah Al – Andalousiah cities is the line of defense for Islamic world in Al-Andalusia.

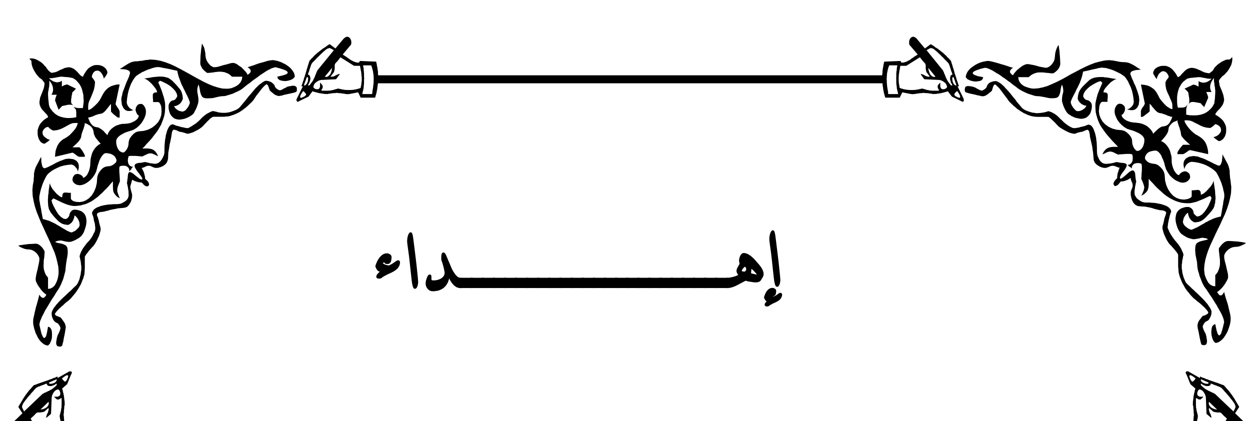
- It gets at relics which do not mention in sources but they were taken from Al – Adowah Al – Andalousiah museums.



شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله البشري لما قدمه لي من مد يد العون والتوجيه والإرشاد لانجاز هذه الرسالة العلمية ، ولكل أثر جلي علي في مسيرتي العلمية .

والشكر موصول لسعادة رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، وأساتذتي أعضاء هيئة التدريس ، ولكل من ساعدني لإخراج هذه الرسالة .



إهــــــــــداء

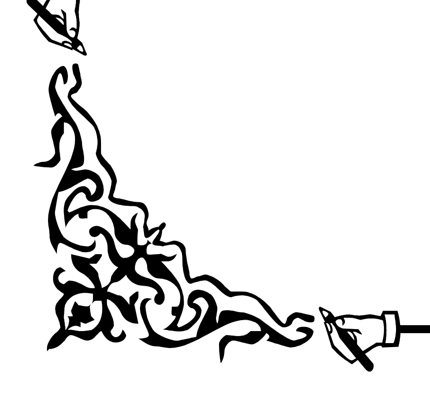
أهدى هذه الرسالة لوالدي العزيزين أطال الله – سبحانه وتعالى – في عمرهما على طاعته ، لكل اهتمام وتوجيه منهما لإكمال مسيرتي التعليمية ، ولكل عون وتحفيز وتشجيع ودعاء منهم لي ، لكي أكون ناجحاً في مسيرتي العلمية .

وادعوا الله أن يجزيهما خير الجزاء ويكتب هذه الرسالة باسمها في ميزان العلم النافع في الدنيا والآخرة .

كما أهديها لشريكة العمر لكل عون منها لي ، وصبر على عناء البحث والكتابة .

وإهدائي الأخير لفلذتي كبدي جمانة وخالد ، ولإخواني وأخواتي الكرام .

وأرجوا من الله عز وجل القبول والتوفيق .



المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه والصلاة والسلام على خير الخلق والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

للعدوة الأندلسية أهمية سياسية وحضارية، امتدت من العصور القديمة إلى يومنا هذا؛ بفضل موقعها الاستراتيجي، فهي باب الأندلس، ومنفذ مضيق جبل طارق، والمعبر الأفضل بين قارتي: أوربا، وأفريقيا.

وقد مثلت حقبة الإسلام بالعدوة الأندلسية مدة زمنية امتدت لأكثر من سبعة قرون، كانت بها العدوة الأندلسية عنصرًا مشاركًا في الأحداث السياسية بصورة يتضح من خلالها مدى الثقل الذي كان على عاتقها منذ بداية الفتح الإسلامي بأرضها إلى سقوط الكيان الإسلامي بالأندلس؛ وذلك بخروجها عن حكم المسلمين.

ولم تقتصر العدوة الأندلسية على الدور السياسي بل كانت إسهاماتها الحضارية تُعد صفحة مشرقة ضمن حضارة الأندلس؛ بإسهاماتها العمرانية، والاقتصادية، والعلمية.

ومن مثل هذه المشاركات والإسهامات كانت دراسة المدن ذات أهمية في الوصول لصورة مكتملة سياسيًا وحضاريًا لهذه المدن، ولهذا اهتم عدد من الباحثين بدراسة المدن سياسيًا وحضاريًا، ومن هذه الدراسات: «قرطبة في العصر الإسلامي» لأحمد فكري، و«إشبيلية في القرن الخامس» لصلاح خلص، و«شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس» لسحر السيد عبدالعزيز وغير ذلك من الدراسات.

أما موضوع البحث «العدوة الأندلسية في العصر الإسلامي»، فلم يكن لأحد الباحثين دراسة حوله، سوى أن هناك بعض الأبحاث التي كُتبتْ حول مدينتي جبل طارق والجزيرة الخضراء بصورة مقتضبة، كبحث كمال السيد أبو مصطفى المعنون بـ

«التـاريخ السياسي للجزيرة الخضراء في عصر الدولة الأموية ودويلات الطوائف »، وبحث لعبدالعزيز الرفاعي بعنوان «جبل طارق والعرب »، ومقالين لمحمد القاضي «جبل طارق لم يبق من عروبته غير اسمه»، و«الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم».

ولرغبة الباحث في إكمال تخصصه بتاريخ مدن الأندلس . تم اختيار العدوة الأندلسية بمدنها الثلاث محورًا لهذا البحث لعدة عوامل:

أولًا: ما للعـدوة الأندلسية من تـاريخ إسلامي كبير يجب إظهاره والكشف عنه.

ثانيًا: ندرة المعلومات وتفرقها في بطون المصادر.

ثالثًا: أهمية دراسة تاريخ المدن دراسة تاريخية حضارية دقيقة.

رابعًا: كون العدوة الأندلسية لبنة من لبنات التاريخ الأندلسي يحتم إظهار مكنونها.

وبالتشاور مع أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالله البشري أستاذ تاريخ الأندلس والمغرب بجامعة أم القرى، ومن كان له فضل علي بعد الله عز وجل في عشق تاريخ الأندلس منذ أول لقاء به بمرحلة البكالوريوس، وقع الاختيار على موضوع الرسالة «**العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الأسبان (442هـ ـ 867هـ/ 1030م ـ 1462م)**»، **دراسة سياسية حضارية**.

وللكتابة عن العدوة الأندلسية أخذ الباحث يبحث عن كل ما يتعلق بالعدوة الأندلسية في المصادر العربية وغير العربية بالمراكز السعودية، والمغربية، والأسبانية . كما كان له زيارة ميدانية للعدوة الأندلسية أكسبته شيئًا من المعلومات التي انفرد بها عن مراجع الأندلس بفضل الله عليه، فقد كانت الزيارة الميدانية لمدن العدوة الأندلسية الثلاث: جبل طارق، والجزيرة الخضراء، وطريف. وخاصة ما بها من متاحف قد أفضت لاكتشاف بعض الآثار الإسلامية التي لازالت حبيسة الخزائن ومنصات العرض.

أما عن خطة البحث التي اتبعها الباحث فهي تقوم على خطوات:

أولها : التمهيد للبحث على مبحثين:

أ - المبحث الأول: دراسة مفهوم العدوة الأندلسية وجغرافيتها. وبه يتضح مفهوم العدوة الأندلسية لغويًا وتاريخيًا؛ وذلك لإيضاح المقصود من أراضي العدوة الأندلسية. كما سيتم به إيضاح جغرافية العدوة الأندلسية التي يكون لمعرفتها أهمية كبيرة في اتضاح الصورة السياسية والحضارية للعدوة الأندلسية.

ب - المبحث الثاني: دراسة التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية من بداية الفتح إلى نهاية الخلافة الأموية . سيناقش بهذا القسم الأحوال السياسية بالعدوة الأندلسية منذ بداية الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة الأموية، مرورًا بعصر الولاة وعصر الإمارة الأموية.

وبعد التمهيد حسب خطة البحث يكون هناك بابان:

الباب الأول : التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية.

وقد قسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول : التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى نهاية عصر المرابطين.

- **المبحث الأول: العدوة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف.**

وهذا المبحث سوف يناقش حال العدوة الأندلسية في نهاية الخلافة الأموية، ودورها في الصراع الدائر بين أبناء الخلفاء. ثم يوضح كيف تحولت العدوة الأندلسية من الخضوع للحكم المركزي إلى خضوعها لبني حمود. وبهذا المبحث إيضاح لمدى استفادة بني حمود من أراضي العدوة الأندلسية في إقرار حكم لهم في ظل الصراع القائم بين ملوك الطوائف، والذي تمكن من خلاله بنو عباد آخر أيام بني حمود من فرض سيطرتهم على أراضي العدوة الأندلسية.

- **المبحث الثاني : اشتداد الحملات الصليبية وتطلع الأندلسيين لعون مسلمي المغرب.**

وقد ناقش هذا المبحث الحالة التي وصل إليها الأندلس بسبب تنازع ملوك الطوائف فيما بينهم، وتقديم أهوائهم وأغراضهم الشخصية على مصلحة الإسلام والمسلمين؛ مما كان له أثر بالغ وهو تركيز ممالك وإمارات نصارى أسبانيا ه جماتهم على مدن الأندلس . وأمام هذا الخذلان لم يجد ملوك الأندلس وشعبها حلًا لهم سوى الاستعانة بإخوانهم بالمغرب، ممثلين في دولة المرابطين . وبهذا المبحث يتضح دور العدوة الأندلسية في تمكين المرابطين من مساعدة إخوانهم المسلمين بالأندلس.

- **المبحث الثالث: العدوة الأندلسية في عصر المرابطين.**

أبرز هذا المبحث تحول العدوة الأندلسية في عصر المرابطين إلى قاعدة عسكرية، مكنت المرابطين من تحقيق مكاسب عسكرية ضد نصارى أسبانيا، كان منها المعركة الشهيرة «معركة الزلاقة». وبهذا المبحث يتجلى كون العدوة الأندلسية عاملًا رئيسًا في سيطرة المرابطين على الأندلس.

الفصل الثاني: التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية في عصر الموحدين.

- **المبحث الأول: أهمية السيطرة على العدوة الأندلسية من قبل الموحدين.**

فند هذا المبحث بعد وصفه لسيطرة الموحدين على العدوة الأندلسية، جوانب أهمية العدوة الأندلسية للموحد ين في عدة نقاط أهمها : الصراع الدائر مع المرابطين، وسيطرة الموحدين على الأندلس.

- **المبحث الثاني: العدوة الأندلسية في عصر الموحدين.**

تحدث هذا المبحث عن أحوال العدوة الأندلسية في ظل حكم الموحدين، ابتداءً من سيطرتهم عليها إلى إقامة مدينة جبل طارق كقاعدة موحدية عسكرية . ثم ما كان من صراع محتدم بين الموحدين ونصارى أسبانيا، نال من أراضي العدوة الأندلسية.

الفصل الثالث: التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية منذ عصر بني الأحمر إلى سقوط مدنها في أيدي الأسبان.

- **المبحث الأول: العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين.**

وصف هذا المبحث ماه ية العلاقة بين بني الأحمر حكام الأندلس، وبني مرين حكام المغرب. وكيف أدت تلك العلاقة حينما كانت في أقوى صورها إلى دحر نصارى أسبانيا وتكبيدهم خسائر فادحة. كما وصف هذا المبحث مدى تأثر المسلمين بالعدوة الأندلسية خاصة، والأندلس عامة، حين يدب الخلاف والنزاع بين بني الأحمر وبني مرين.

- **المبحث الثاني: دور مدن العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك بين الطرفين.**

أوضح هذا المبحث ما كان للعدوة الأندلسية من مهمة عظيمة في ربط التعاون العسكري المشترك بين طرفيه بني الأحمر بالأندلس، وبني مرين بالمغرب . فأظهر دورها كمعبر آمن للقوات الإسلامية، وكقاعدة أساس لمرابطة تلك القوات العسكرية سواءً كانت مغربية أو أندلسية . هذه الأدوار التي شعر المسلمون بأهميتها عندما تسقط إحدى مدن العدوة الأندلسية بيد نصارى أسبانيا.

- **المبحث الثالث: مقاومة مدن العدوة الأندلسية للحملات الأسبانية حتى سقوطها.**

تحدث المبحث الثالث لهذا الفصل عن تلك الحملات الصليبية التي تكالبت على مدن العدوة الأندلسية. ومدى مقاومة مدن العدوة الأندلسية لها إلى آخر رمق لأهلها الذي كان بسقوط آخر مدينة جبل طارق في عام 867هـ / 1462م بيد الجيش القشتالي.

الباب الثاني: أهم مظاهر الحضارة في العدوة الأندلسية.

قُسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول كالباب الأول. وهي:

الفصل الأول: الأحوال العمرانية.

- **المبحث الأول: العمارة الدينية.**

تحدث هذا المبحث عن العمارة الدينية بالعدوة الأندلسية التي كان المسجد العنصر الأول بها، ولهذا المبحث تفرد في إيراد مسجد بالجزيرة الخضراء لم تشر إليه المصادر والمراجع . كما أبرز بعض شواهد القبور التي كانت محفوظة بمتاحف العدوة الأندلسية .

- **المبحث الثاني: العمارة المدنية.**

احتوى هذا المبحث صور العمـارة المدنية بالعدوة الأندلسية، من بناء للمدن، إلى بناء عناصر العمارة المدنية. ثم كان للمبحث وصف لبعض القطع الأثرية المتواجدة بالعدوة الأندلسية.

- **المبحث الثالث: العمارة الحربية.**

ناقش هذا المبحث مدى أثر الحياة الحربية على العمارة بالعدوة الأندلسية، واصطباغها بطابع عسكري، تجلى في بناء مدنها ومعمارها الحربي الذي كان له عناية فائقة لكي يقف شامخًا أمام ضربات الآلات الحربية للقوات المهاجمة لتلك المدن.

الفصل الثاني: الأحوال الاقتصادية.

- **المبحث الأول: الزراعة.**

تنوع مقومات الزراعة، وما كانت تمتاز به أراضي العدوة الأندلسية من غطاء نباتي، وأبرز تلك النباتات، والثروة الحيوانية والسمكية وغير ذلك من معلومات تتعلق بالزراعة في العدوة الأندلسية تجلت كلها في هذا المبحث.

- **المبحث الثاني: الصناعة.**

ناقش هذا المبحث مقومات الصناعة بالعدوة الأندلسية، وأبرز صناعاتها المتنوعة، ثم كان له أن عرج إلى بعض القطع المصنوعة بالعدوة الأندلسية التي لازالت تحافظ على شيء كثير من شكلها الخارجي .

- **المبحث الثالث: التجارة.**

للعدوة الأندلسية أثر تجاري تجاوز حدود أرضها إلى الأندلس والمغرب، بما وهبها الله من موقع استراتيجي ومقومات تجارية انفردت بها عن سائر قريناتها، فكانت همزة وصل تجاري بين الأندلس والمغرب، وبها تشكل سوق تجاري لأغلب بضائع المناطق المجاورة . بهذه الإشارات تحدث هذا المبحث عن الأحوال التجارية بالعدوة الأندلسية بالإضافة لوصف بعض المسكوكات التي وُجدت بأرض العدوة الأندلسية.

الفصل الثالث: الحياة العلمية.

تكون هذا الفصل من خمسة مباحث. خصصت الأربعة الأولى منها كل مبحث لعلم من العلوم الآتية بالترتيب: العلوم الشرعية، وعلوم اللغة والأدب، والعلوم الإنسانية، والعلوم العقلية. وبهذه المباحث الأربعة تم مناقشة الحياة العلمية لكل علم من العلوم بذكر فروع العلم، وما صنف به من مصنفات، بالإضافة لإيراد قائمة لأبرز علماء كل علم ممن كان لهم إسهام علمي بالتدريس أو التصنيف أو الرحلات العلمية . وبعد هذه المباحث الأربعة يأتي المبحث الخامس الذي جُعل لإظهار صور العلاقة العلمية بين مدن العدوة الأندلسية والمدن الأخرى.

أما خاتمة البحث فقد اشتملت على ما توصل إليه الباحث من نتائج واكتشافات بفضل الله ومنته.

وأخيرًا فإنني أتقدم بوافر الشكر والتقدير لصاحب الفضل الأول بعد الله عز وجل أستاذي الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالله البشري لكل عناية وتوجيه ونصح بذله من أجل

أن يكون هذا البحث على أفضل صورة تفيد الدارسين والقارئين لتاريخ الأندلس وهو من كان يصقل كاتب هذا البحث منذ بلية كتابة رسالة الماجستير التي أشرف عليها، فأسأل الله له خير الجزاء، وأن يجعل جهده مما يُكتب في ميزان علمه وعمله النافع كما أتقدم بخالص الشكر لجامعة أم القرى التي أتاحت لي فرصة الالتحاق ببرنامج الدكتوراه في التاريخ الإسلامي. والشكر موصول لكافة أساتذتي بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور عبدالله بن سعيد الغامدي، والأستاذ الدكتور عبدالله بن حسين الشنبري. والشكر يمتد لكل من قدم لي يد العون لإنجاز هذا البحث

أدعوا الله أن يكون هذا البحث من العلم النافع في الدنيا والآخرة، ومن ا لبحوث التي تسهم في إظهار صورة الإسلام المشرقة. وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُّلمي

عرض لأهم المصادر والمراجع

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع العربية وغير العربية، ومجموعة من الأبحاث العلمية والمقالات.

ومن أهم هذه المصادر التي جمعت في قائمة المصادر والمراجع ما يلي:

- «**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**» للضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة (ت 599هـ): الكتاب من جزء واحد، وهو إكمال لما كتبه الحميدي في كتابه الجذوة. وقد قام الضبي بترتيب معجمه على حروف المعجم . وكانت إفادة هذا المصدر عند الحديث عن ملوك الطوائف، كما كان له فائدة في تراجم الرجال من شخصيات سياسية وعلمية.
- «**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**» لابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: يعتبر هذا المصدر من أهم مصادر تاريخ الأندلس والمغرب لإحتوائه على معلومات سياسية وعسكرية وافرة عن البلدين ، ويتكون البيان المغرب من أربعة أجزاء، استفيد من الثلاثة الأجزاء الأخيرة منها، وكانت جل الفائدة في المواضيع التي تتعلق بتاريخ ملوك الطوائف، والمرابطين، والموحدين.
- «**تاريخ ابن خلدون**» للعلامة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ): على الرغم من أن هذا المصنف كتب عن التاريخ الإسلامي العام، إلا أن له فضل في إبراز عدة جوانب تاريخية بالأندلس. استقي منه في عدة مباحث خاصة ما اتصل بالعلاقة بين بني مرين وبني الأحمر، ونهاية مدن العدوة الأندلسية.
- «**تاريخ افتتاح الأندلس**» لابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي : من أهم مصادر تاريخ صدر الإسلام بالأندلس، لابد لكل باحث في بداية تاريخ الإسلام بالأندلس من استقصاء المعلومات منه. ولهذا كان اسهام هذا المصدر عند تطرق البحث للأحداث السياسية خلال فترة الفتح الإسلامي، وعصر الولاة، وعصر الإمارة.
- «**الروض المعطار** » للحميري ، محمد بن عبدالله (توفي أواخر القرن التاسع الهجري): من أبرز مصنفات التعريف بالبلدان والأقطار والأماكن الأندلسية ، وعلى الرغم من أنه كتاب عمد مصنفه للإيجاز في ذكر المعلومات إلا أنه كان له

فائدة تجاوزت التراجم الجغرافية للمدن إلى وصف أحداث الفتح الإسلامي، وفوائد جمة أثرت الباب الحضاري بمعلومات مهمة ودقيقة.

- «**صلة الصلة**» لابن الزبير ، أحمد بن إبراهيم (ت 708هـ): من أهم مصادر رجال الأندلس، والحياة العلمية بها . وقد جمع هذا المصدر في خمسة أجزاء، كانت جميعها عبارة عن تراجم لشخصيات أندلسية وغير أندلسية . ولهذا كان الاعتماد عليه في تراجم علماء العدوة الأندلسية.

- «**عمدة الطبيب**» لأبي الخير الاشبيلي (القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي): كان لمصنفات الفلاحة والزراعة بالأندلس عناية فائقة من قبل علماء الأندلس ، وقد أوجد أبي الخير الاشب يلي لمصنفه هذا مكاناً ضمن تلك المصنفات؛ لما امتاز به من جمع وتحليل شمل أغلب نباتات الأندلس بما فيها نباتات العدوة الأندلسية، ولهذا كان للبحث اعتماد كبير عليه عند الحديث عن الزراعة بالعدوة الأندلسية.

- «**معجم البلدان**» للحموي ، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ): صنف ا لحموي هذا المعجم مرتباً على ترتيب الحروف الهجائية ، وقد جمع به عددًا ضخمًا من المدن، كان لها أثر كبير في تعريف المدن وما تحتويه ، كما ساهم في إثراء الأحوال الحضارية عمرانية كانت أو اقتصادية.

- مؤلفات المؤرخ ابن الخطيب لسان الدين السلماني (ت 776هـ/ 1374م): املتؤ ابن الخطيب بكونه مؤرخ مشارك بالأحداث ، وقد ربة مصنفاته عن ستين مصنفاً بين مطبوع، ومخطوط، ومفقود. ولهذا اعتمد البحث على أغلب مؤلفات ابن الخطيب، التي لا غنى لباحث في تاريخ الأندلس وحضارته عنها . ويأتي في مقدمة تلك المؤلفات : «الإحاطة في أخبار غرناطة »، و«أعمال الأعلام »، و«نفاضة الجراب» وغيرها.

أما المراجع التي اعتمد عليها البحث فأهمها:

- حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس. بذل كاتب الموسوعة جهداً مميزاً في لم شمل هذه الموسوعة التي احتوت الأحوال السياسية والحضارية للأندلس . فكان لها أثر عند الكتابة في كلا الأحوال السياسية والحضارية لهذا البحث.
- السجل العلمي لندوة الأندلس «قرون من التقلبات والعطاءات»: يعد السجل العلمي لندوة الأندلس من أبرز المصنفات التي احتوت في طياتها عدد من المقالات العلمية المختصة بتاريخ وحضارة الأندلس . ومن أبرز تلك المقالات التي استفاد منها البحث : (عبادة عبدالرحمن كحيلة : الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية . حميدة عمر هادفي : مساهمة رياضيي الأندلس في الحياة العلمية بإفريقية . إبراهيم أحمد الوافي : التفسير وعلوم القرآن بالغرب الإسلامي. حسن عبدالكريم الوراكلي: التراث الأندلسي ومسألة الوحدة).
- سعد بن عبدالله البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ، والحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس. بذل الكاتب جهداً مشكوراً في إبراز صورة الحياة العلمية بالأندلس خلال عصري الخلافة وملوك الطوائف رغم ندرة المعلومة، ووصف تلك العصور بعصور الصراع السياسي . ويعتبر هذين المرجعين من أوائل ما كتب عن الحياة العلمية في الأندلس.
- ليوبولدو تورِّس بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية . كتاب بالأسبانية ترجمه إليو دورو دي لابنيا، وقد تمكن به الكاتب من الوصول لبعض التفاصيل من وصف عدد من مدن الأندلس قبل الإسلام وبعده بشي ء من التفصيل ، يعينه في ذلك كونه من أبناء أسبانيا.

كما اعتمد البحث على عدة مقالات من أبرزها:

- أمين توفيق الطيبي : جبل طارق جبل الفتح معقل إسلامي عبر القرون

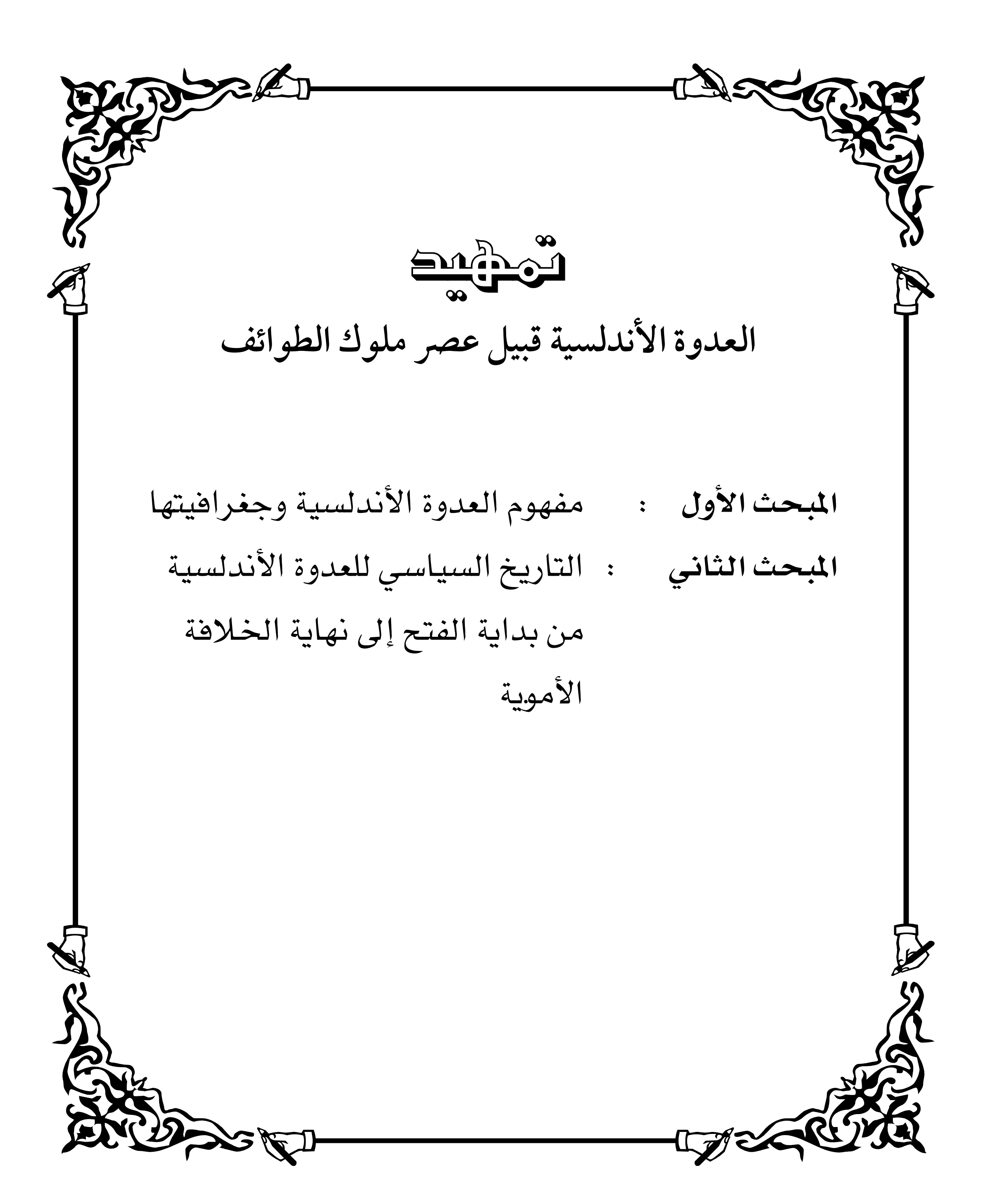
الوسطى.

- الدارة: جبل طارق في التاريخ.
- محمد باقر الحسيني: مدن الضرب على النقود الإسلامية.
- محمد القاضي: مدن إسلامية الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم.

وعند الحديث عن المصادر والمراجع لا يمكن أن يطوي البحث صفحاته إلا بعد الإشارة لكتاب Algeciras Andalusi: Catalogo de La Exposicion

وهو عبارة عن كتالوج باللغة الأسبانية احتوى كافة مقتنيات متحف الجزيرة الخضراء، فكان له أثر كبير على الجانب الحضاري، وخاصة الاقتصادي منه.





تمهيد

العدوة الأندلسية قبيل عصر ملوك الطوائف

المبحث الأول : مفهوم العدوة الأندلسية وجغرافيتها

المبحث الثاني : التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية من بداية الفتح إلى نهاية الخلافة الأموية

المبحث الأول

مفهوم العُدْوَة الأندلسية وجغرافيتها

❁ مفهوم العدوة الأندلسية لغويًا وتاريخيًا :

تُلفظ العُدْوَةُ على لفظين: العُدُوة بضم العين والدال، وبالعُدِوة بضم العين وكسر الدال[1]. والعدوة في اللغة ترجع لمصدر: عَدَّى فلان عن الأمر أي خلاّهُ وانصرف عنه، كما تأتي بمعنى تجاوزَ الشيءَ إلى غيره. ويقال عدَّى الرجلُ أو الشيء إلى الشاطي الآخر للنهر. وهي في اللغة جانب الوادي[2].

وكلمة العدوة وردت في قوله عز وجل : ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[3]، كما وردت في قول أفضل الخلق والمرسلين نبِّينا محمد ﷺ في حديث الطاعون : «**لو كانت لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان** ...»[4].

وتفسير الآية الكريمة هو: إنه في يوم الفرقان "معركة بدر" نزل المسلمون ﴿بِٱلْعُدْوَةِ

---

(1) الكلبي محمد بن أحمد جزي : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص66. ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الباز، ص194.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ص194. الكلبي: كتاب التسهيل، ج1، ص66. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص327. إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط، ج 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص589.

(3) سورة الأنفال، آية: 42.

(4) ابن الأثير: النهاية، ج3، ص194. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون من حديث ابن عباس في قصة خروج عمر إلى الشام. العسقلاني أحمد بن علي : فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ج1، تحقيق محب الدين الخطيب، ط3، المكتبة السلفية، القاهرة، 1407هـ/ 1986م، ص189.

ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي عدوة الوادي القريبة من يثرب[1]، ونزل المشركون ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ ﴾ أي بعدوة الوادي البعيدة عن يثرب إلى ناحية مكة المكرمة[2]. وفي الحديث الشريف وردت بمعنى جانب الوادي أيضًا[3].

أما من حيث المفهوم التاريخي للعدوة فقد شاع استخدامُه في تاريخ الأندلس والمغرب [4]. حيث استعمل الأندلسيون والمغاربة هذه اللفظ (العدوة الأندلسية) أو (العدوة المغربية) أو كليهما معًا[5]. وهنا قد أصاب كلا الطرفين إذا نظرنا إلى مضيق جبل طارق على أنه الوادي ـ مجازًا ـ والمغرب والأندلس طرفاه. ويؤكد هذا الأمر وصف العدوتين بلفظ آخر هو العدوة الشمالية أي الأندلسية، والعدوة الجنوبية أي المغربية [6] (انظر صورة 1).

وقد تكرر لفظ العدوة الأندلسية في الروايات التاريخية على صور عدة، فيقصد

---

(1) يثرب: مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح. انظر الحموي ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج5، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/ 1990م، ص493.

(2) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي: تفسير ابن كثير، ج2، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1404هـ/ 1984م، ص314.

(3) ابن الأثير: النهاية، ج3، ص194.

(4) الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 – 2، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ – 1997م، ص135. المراكشي أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، ج 1، تحقيق محمد بن شريفة، السفر الثامن، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م، ص213.

(5) المراكشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1406 هـ / 1985م، ص502.

(6) ابن خلدون عبدالرحمن : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 6، تحقيق خليل شحادة، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1401هـ/ 1981م، ص149.

بالعدوة الأندلسية الطرف الجنوبي من الأندلس [1]، وتارة يُقصد بالعدوة الأندلسية الأندلس عامة[2]، والأصح أن العدوة الأندلسية هي الطرف الساحلي الجنوبي للأندلس، وهذا بناءً على المعنى اللفظي للكلمة الذي يُقصد به طرف الوادي لا المنطقة التالية له[3].

وبهذا فالعدوة الأندلسية تتكون من ثلاث مدن هي : مدينة الجزيرة الخضراء (Algeciras)، ومدينة طريف (Tarifa)، ومدينة جبل طارق (Gibraltar) (انظر صورة 2).

ولكل مدينة من هذه المدن الثلاث موقف مع اسمها، فمدينة الجزيرة الخضراء بفتح الجيم وكسر الزاي المعجمة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة وهاء، وخضراء مؤنث أخضر[4]، كانت تعرف في العصر الروماني بـ (Julia Ioza)[5]، كما عُرفت في العصر الإسلامي بجزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية طارق بن زياد [6] الذي خلفها بها فنُسبت

(1) الناصري: الاستقصا، ج1 – 1، ص138. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص240. ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر القرطبي: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، ط 1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1415هـ – 1994م، ص77.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1– 2، ص262، ج1 – 3، ص53 – 54.

(3) يجب ملاحظة أن هنالك منطقة بالمغرب وتحديدًا بفاس تعرف بعدوة الأندلس. انظر شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، ص236.

(4) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة: تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م، ص172.

(5) كمال السيد أبو مصطفى: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص117.

(6) طارق بن زياد: (نحو 50 – 102 هـ): طارق بن عمرو، ويقال طارق بن زياد الليثي بالولاء، فاتح الأندلس، أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله . انظر الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص284. خير الدين الزركلي: الأعلام، مج 3، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تموز (يوليو) 1989م، ص217.

إليها[1]، ولكنها لم تحتفظ إلا باسمها الذي اشتهرت به الجزيرة الخضراء، وهنا يجب أن يُلاحظ أنها ليست بجزيرة وإنما سميت بذلك نسبة للجزيرة التي تقع أمامها[2]. أما مدينة طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون المثناة التحتية وفاء في الآخر [3]، وتعرف أيضًا بجزيرة طريف. وهي كالجزيرة الخضراء في هذه النسبة حيث تنسب إلى الجزيرة التي تقع أمامها[4] — فاسمها عربي خالص حيث تنسب إلى القائد طريف بن مالك الذي نزل بها في أول الفتح الإسلامي للأندلس[5]، وقد كان اسمها لاس بالوماس بالوماس (Las Palomas)[6]، كما كانت تُعرف في عهد الوندال بـ "طرادوكته"[7].

(1) الحميري محمد بن عبدالله: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م، ص73.

(2) مجهول: الأندلس وما فيها من بلاد – قطعة من نص أندلسي، تحقيق خالد حسن الجبالي، دار البشير، عمان، 2004م، ص66. المعسكري محمد بن الناصر: الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بنعمر، ط1، دار صنين للطباعة والنشر، ص293. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص160. الأنصاري: نخبة الدهر، ص243.

(3) القلقشندي أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص218.

(4) ابن سعيد علي بن موسى بن محمد : المغرب في حلى المغرب، ج 1، تحقيق شوقي ضيف، ط 2 منقحة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1964م، ص319. المقري: نفح الطيب، ج1، ص160.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص127. المعسكري: الحلل، ص293. الغساني محمد الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم نوري الجراح، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ص34 – 35.

(6) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص 10. عبدالعزيز الرفاعي : جبل طارق والعرب، ط 3، المكتبة الصغيرة، الرياض، 1393هـ/ 1973م، ص15. سحر عبدالمجيد مناور المجالي : تطور الجيش العربي في الأندلس، ط1، عمان، الأردن، 1417هـ/ 1996م، ص36.

(7) شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج 1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص36.

وأما مدينة جبل طارق التي تعددت مسمياتها قبل التاريخ الإسلامي وأثناءه، فقبل دخول المسلمين كان لجبل طارق عدة أسماء غير أن الاسم الأبرز منها هو الاسم الفينيقي (Mons Calpe) ويقصد به الجبل المجوف حيث كان يعلو هذا الجبل مغارة كبيرة ـ تعرف هذه المغارة اليوم بمغارة "القديس جورج"، وقد عرفت في ظل الحكم الأسباني بمغارة "القديس ميخائيل"[(1)]. أما في العصر الإسلامي فقد اكتسب جبل طارق اسمه هذا منذ نزول جيش القائد طارق بن زياد به في أول الفتح الإسلامي حيث نُسب إليه[(2)]، وظل كذلك رغم ورود أسماء أخرى له كالصخرة، وجبل الفتح ـ الاسم الذي أطلقه عليه الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي[(3)]، وأصبح اسمًا متداولًا في المصادر العربية[(4)]، لكن سرعان ما عاد يذكر باسمه الأول وكأنه لم يسمَّ بغيره، ولازال كما هو عليه إلى يومنا هذا حيث يُسمى (Gibraltar) ومعناه جبل طارق[(5)].

وقد شكل اسم جبل طارق نواة لاسم جديد للمضيق المجاور له الذي كان يعرف

---

(1) ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري: تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 13، 1965م – 1966م، مدريد، أسبانيا، ص46. عبدالعزيز الرفاعي : جبل طارق، ص8. محمد القاضي: جبل طارق لم يبق من عروبته غير اسمه، التاريخ العربي، العدد الخامس والعشرون، شتاء 1424هـ – 2003م، ص68. مصطفى جاهين : لمحة تاريخية عن بلاد الأندلس، مجلة الدارة، العدد الرابع، رجب – شعبان – رمضان 1409 هـ، ص203.

(2) ابن الخطيب لسان الدين: كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1426هـ/ 2006م، ص6. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص159 – 160.

(3) عبد المؤمن بن علي: هو عبدالمؤمن بن علي بن علوي الكومي، من مواليد ضيعة بتاجرا من بلاد تلمسان سنة 487هـ. عبدالواحد بن علي المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص169.

(4) الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج 20، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص372. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص8.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص75. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص8. جاهين: لمحة تاريخية، ص203.

بمعبرة هرقل حيث تحول اسمه إلى مضيق جبل طارق، ولم يقتصر على ذلك بل تمسك بمسماه كحال من سمي عليه رغم تسميته من قبل العرب بالمجاز والزقاق [1]. وه ذا المضيق هو الفاصل الوحيد بين العدوتين : "عدوة الأندلس، وعدوة المغرب "، لكنه فاصل ضعيف لا يُعتدُ به لقرب المسافة [2]، ويظهر مدى قرب هذه المسافة من خلال وصفه فيقول موسى بن نصير [3] عنه للخليفة الوليد بن عبد الملك [4]: «أنه ليس ببحر وإنما هو خليج يتبين للناظر ما وراءه»[5]، كما يذكر أن الذي ينظر من أحد طرفي العدوتين العدوتين فـأنه يستطيع رؤية العمران في الطرف الآخر، بل يستطيع رؤية بياض الثياب [6] (انظر صورة 3 ـ 4). وهذا كله يتأكد عند معرفة المسافة بين العدوتين : "الأندلسية والمغربية" حيث تبلغ في أدنى مستوى لها اثني عشر ميلًا بين مدينة طريف

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص83. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون : ج6، ص129. جاهين : لمحة تاريخية، ص203 – 204. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص9.

(2) سيظهر معنا في الجانب السياسي والحضاري مدى تأثر كلا العدوتين بالأحداث التي تحدث في الطرف الآخر مما سيؤكد قوة الاتصال بين العدوتين، وأن المضيق المذكور كان عامل تواصل وتقارب لا عامل انفصال وتنافر.

(3) موسى بن نصير: أبو عبدالرحمن، صاحب فتح الأندلس . وكان أمير إفريقية والمغرب وليها في سنة تسع وسبعين للهجرة. وهو من التابعين، توفي سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين للهجرة . انظر الضبي: بغية الملتمس، ص399.

(4) الوليد بن عبد الملك: الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي (48 – 96هـ) ولي بعد والده خلافة الدولة الأموية بالشام سنة 86هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير . وحكم الوليد تسع سنين وثمانية أشهر. انظر ابن الأثير علي بن محمد الجزري الشيباني: الكامل في التاريخ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ص644 وما يليها. الزركلي: الأعلام، مج 8، ص121.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص8.

(6) ابن الدلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م، ص118. سعد بن عبدالله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض، ط1، 1414هـ / 1993م، ص 341.

وقصر مصمودة[1] [2]. وفي أقصى حد لها ثمانية عشر ميلًا بين الجزيرة الخضراء وسبته [3]. وبالمقاييس الحديثة قُدرت المسافة بين العدوتين على أقل قدر بـ 14 كلم، وبأقصى قدر قدر بـ 37 كلم[5]، ويرد في القياسات الحديثة بعض الاختلاف في تحديد المسافة ويرى الباحث أن هذا عائد إلى اختلاف نقاط القياس.

ولقرب هذه المسافة عُدَّ طريق مضيق جبل طارق الطريق الأفضل للاتصال بين قارتي أفريقيا وأوروبا، كما تميزت مدن العدوة الأندلسية بهذه الميزة ـ حيث أنها تعد بداية الطريق إلى أوروبا، ونهاية الطريق الأوروبي إلى أفريقيا خاصة وأنها مدن متقاربة فيما بينها، فالمسافة بين مدينتي: "جبل طارق والجزيرة الخضراء" ستة أميال، وبين مدينتي :

---

(1) قصر مصمودة (Palacio Msamudp): حصن كبير بالمغرب على ساحل مضيق جبل طارق، بينه وبين طنجة عشرون ميلًا. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، 413.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص26. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص59 – 83. المقري : نفح الطيب، ج1، ص136. عبدالمحسن طه رمضان : الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001م، ص127.

(3) سبته (Ciudad de Ceuta): بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس من طرف مضيق جبل طارق المغربي. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص206.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص83. ابن سعيد علي بن موسى المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص138. الإدريسي أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله : كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/ 1989م، ج1، ص10، ج2، ص527. المراكشي: المعجب، ص286. المقري: نفح الطيب، ج 1، ص145. شكيب: الحلل السندسية، ج1، ص63. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة مدبولي، 1406هـ/ 1986م، ص485.

(5) عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص26 – 27. جاهين : لمحة تاريخية، ص 204. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ / 1996م، ص11. محمود شيت خطاب: الأندلس وما جاورها، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني والثالث، المجلد الثامن والثلاثون، بغداد، شوال 1407هـ/ 1987م، ص81. مجلة النقل والمواصلات: مضيق جبل طارق.. ملتقى الحضارات، مجلة النقل والمواصلات، العدد الأول، السنة الأولى، جمادى الآخرة 1419هـ – أكتوبر 1998م، ص33.

"الجزيرة الخضراء ومدينة طريف" ثمانية عشر ميلًا[1].

ولهذا توصف مدن العدوة الأندلسية بفاتحة الكتاب وبباب الوطن وبقاعدة الوصل بين الأندلس والمغرب[2]. وذلك لأنها تقع في أقصى جنوب الأندلس على مضيق جبل طارق مباشرة[3]، فهي مفتاح الأندلس وبابه وقاعدة الوصل بين العدوتين الأندلسية والمغربية. ودلالة أهمية موقع مدن العدوة الأندلسية أيضًا الإشارة إلى المسافة بينها وبين عدد من مدن الأندلس وخاصة الكبرى منها كقرطبة[4] وإشبيلية[5] وغيرهما[6].

---

(1) الحميري : الروض المعطار، ص 75 – 127. الإدريسي : ج1، ص10، ج2، ص539 – 540. خطاب : الأندلس، ص84.

(2) ابن الخطيب لسان الدين : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ – 2002م، ص82 – 83. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار عياض، ج4، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي وسعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت وعبد السلام هراس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/ 1939م، ص72 – 73. جاهين: لمحة تاريخية، ص203.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص539. المراكشي: المعجب، ص 13. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1969م، ص134. أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1984م، ص278.

(4) قرطبة (Cordova): قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها . انظر الحميري: الروض المعطار، ص153.

(5) إشبيلية (Sevilla): مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة ثمانون ميلًا، وهي مدينة قديمة . وهي حاضرة الدولة الأموية في الأندلس وتقع على نهر الوادي الكبير، وكانت من أعظم مراكز الحضارة الأندلسية . انظر الحميري : المصدر السابق، ص18.

(6) الحميري : المصدر السابق، ص 73. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص542 – 570. الحموي : معجم البلدان، ج 2، ص158. ابن الدلائي : ترصيع الأخبار، ص 119. المراكشي : المعجب، ص 298 – 299. العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج 4، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1424هـ – 2003م، ص237. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص332.

۞ جغرافية العدوة الأندلسية :

وعن جغرافية العدوة الأندلسية فإنها تمتاز بتنوع عناصرها الجغرافية، فيبرز بها عنصرُ المرتفعات وهو على صورتين:

أولًا: المرتفعات الجبلية ويتمثل في عدد من المرتفعات كجبل طارق، وجبل الثلج، وجبال الصوف، وجبل ريه[1].

ثانيًا : الهضاب والتلال وهي ظاهرة تمتد بصورة واضحة بين الجزيرة الخضراء ومدينة طريف، ويقل ارتفاع هذه الهضاب في هذا المكان كلما اتجهنا إلى مدينة طريف[2].

أما المنخفضات فيوجد بها عدد من الأودية : من أبرزها وادي لكة، ووادي نهر العسل، بالإضافة لعدد من الأودية الصغيرة يوجد أكثرها في المنطقة الواقعة بين الجزيرة الخضراء وطريف[3]. وهناك أيضًا بالإضافة للأودية عدد من الأنهار : منها نهر برباط،

---

(1) الزهري أبو عبدالله محمد بن أبو بكر: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص79 – 80 – 93. البكري أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب " المسالك والممالك "، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1387هـ / 1968م، ص84. ابن غالب محمد بن أيوب: قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج2، ربيع الأول 1375 هـ/ نوفمبر 1955م، جامعة الدول العربية، ص 307. ج. س. كولان : الأندلس، تعريب إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار ا لكتاب المصري، القاهرة، 1980م، ص75 – 76. بيرو طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1423هـ – 2002م، ص3. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص64 – 373. خطاب: الأندلس، ص113.

(2) محمد عبدالله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ / 1997م، ص278. محمد كمال: يوسف الأول، ص134.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص193. الزهري: كتاب الجغرافية، ص93. ابن الخطيب لسان الدين : الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 1، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ / 1973م، ص540. محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص278. محمد كمال: يوسف الأول، ص134.

ونهر وادي النساء، ونهر وادي العسل[1].

أما ساحل العدوة الأندلسية فيتميز هذا الساحل الرملي [2] بكثرة تعرجاته وتشققاته[3]، وأبرز وأكبر شق في هذا الساحل، هو الشق الذي يوجد عليه جبل طارق [4] (انظر صورة 5). وهذه التشققات قديمة تعود إلى العصور الجليدية، وتحديدًا في العصر الحجري القديم (Paleoletic) حيث كانت أراضي العدوة الأندلسية ملتصقة بأفريقيا، ثم حدث انفصال سببه يعود إلى زلازل بركانية أدت إلى هزات جيولوجية، نتج عنها انفصال الأرض، وحدوث هذه التشققات[5]. ويرى الباحث أن تلك الزلازل البركانية هي السبب في تكون عدد من الجزر التي تربض أمام ساحل العدوة الأندلسية، كالجزيرة التي أمام مدينة الجزيرة الخضراء، والجزيرتين اللتين أمام مدينة طريف[6].

وساحل العدوة الأندلسية هذا يشكل الحد الجنوبي للأندلس، والحد الشمالي لمضيق جبل طارق.

وبهذا يظهر جليًا مدى تنوع عناصر العدوة الأندلسية الجغرافية، وهو نفس الحال

---

(1) الحميري : الروض المعطار، ص 73 – 74. مجهول : الأندلس، ص 66. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539.

(2) المراكشي: المعجب، ص286.

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص286. شكيب: الحلل السندسية، ج1، ص30.

(4) لهذه الشقوق أثر واضح سيظهر بمشيئة الله عند الحديث في الجوانب العسكرية للعدوة الأندلسية وتحديدًا تلك التي تتعلق بالقتال البحري، كما سيبرز هذا الأثر في الأحوال الاقتصادية كدورها في تواجد دور صناعة السفن.

(5) عبادة عبدالرحمن رضا كحيلة : الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، ج2، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1417هـ / 1996م، ص433.

(6) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص166 – 188. الأنصاري : نخبة الدهر، ص 243. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج2، ص539. شكيب : الحلل السندسية، ج 1، ص25 – 27 – 30. أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، ص57.

بالنسبة لمدنها الثلاث، فمدينة جبل طارق تقع على شبه جزيرة تمتد في البحر لمسافة ستة أميال، وتعرف بطرف الفتح[1]، في أقصى جنوب الأندلس، ويتمثل الجبل بها منفردًا عن أي جبل آخر. وهو جبل كلسي جوراسي مستدير بصفة عامة، وهذه الاستدارة محاطة بالرمال من كافة الجوانب (انظر صورة 6). ويلاحظ بجبل طارق تواجد الكهوف وخاصة في أسفل الجبل[2]، ويرى الباحث أن هذ ه الكهوف عائدة إلى عوامل التعري ة الطبيعية، وتظهر هذه الظاهرة في أسفل الجبل بشكل واضح لأثر مياه البحر القوي في جانب التعريج الطبيعية.

وجبل طارق هو جبل شامخ اختلف في تحديد ارتفاعه بين 425م و429م و438م[3]، ويرى الباحث أن اقرب هذه الأرقام إلى الصحة هو 425م وذلك لوجود قياس لارتفاع جبل طارق أكثر دقة ينص على أن ارتفاع جبل طارق من الجنوب نحو 122م، ومن الوسط نحو 305م، ومن الشمال نحو 366م[4]. وهنا فإن قياس الارتفاع على أنه 425م يكون قريب للقياس في شمال هذا الجبل.

ويبلغ طول شبه الجزيرة التي يربض عليها جبل طارق 4.5كلم، أما عرضها فيبلغ 1.2كلم[5]، أي أن مساحة شبه الجزيرة تبلغ 5.4كلم2، وهذا يؤكد أن الرواية التي تذكر

---

(1) العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص235. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص212. المراكشي : المعجب، ص296. أحمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص304.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص121. ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص82 – 83. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص540. الطيبي: دراسات وبحوث، ص 278. محمد عنان : الآثار الأندلسية، ص 288. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص29.

Philip Dennis: Gibraltar, David & Charles, London, P 14.

(3) عبدالعزيز الرفاعي : جبل طارق ، ص29. الطيبي : دراسات وبحوث، ص 278. جاهين : لمحة تاريخية، ص203.

Philip Dennis: Gibraltar, P 12.

(4) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص288.

Philip Dennis: Gibraltar, P 7.

(5) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص 288. الطيبي : دراسات وبحوث، ص 278. عبدالعزيز الرفاعي : جبل

تذكر أن مساحة شبه الجزيرة التي يربض عليها جبل طارق هي ميلان مربعان [1] مجانبة للصحة.

وبجوار مدينة جبل طارق وعلى بعد ستة أميال من جهة الغرب تقع مدينة الج زيرة الخضراء[2]، تلك المدينة التي تتوسط مدن العدوة الأندلسية، وهي مدينة مشهورة تُعدُ فرضة مجاز جبل طارق، ذلك المجاز الذي تشرف عليه من على ربوتها القابعة عليها [3].

والجزيرة الخضراء ليست مجرد مدينة من مدن الأندلس، بل هي من أكبر مدنها تاريخيًا وحضاريًا، وعدة أيضًا كورة من كورها . وهذا كله رغم أنها من أقل بلاد الأندلس عرضًا، فعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. ويذكر أن عرضها ست وثلاثون درجة، وهو فرق بسيط، وطولها تسع درجات[4].

وتبعد مدينة الجزيرة الخضراء عن قرطبة قرابة 300كلم، وهي نهاية الأندلس من الجنوب، كما أنها نهاية نهر برباط وجبل الثلج[5].

وكما تجاور الجزيرة الخضراء جبل طارق من الغرب، فمدينة طريف تطابقها على

طارق، ص29. محمد لبيب البتنوني : رحلة الأندلس، ط 1. مطبعة الكشكول، 1927م، ص95. الدارة : جبل طارق في التاريخ، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الثانية عشر، محرم 1407هـ/ سبتمبر 1986م، ص204.

(1) الدارة: جبل طارق، ص204.

(2) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص540. أبو الفداء : تقويم البلدان، ص 66. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص159 – 160.

(3) البكري : جغرافية الأندلس، ص 117. مجهول : الأندلس، ص 66. البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج1، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1373 هـ / 1954م، ص332. الأنصاري : نخبة الدهر، ص 243. ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص32.

(4) المراكشي: المعجب، ص13. أبو الفداء: تقويم البلدان: ص31. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص213.

(5) مجهول : الأندلس، ص 66. ابن غالب : فرحة الأنفس، ص 307. البكري : جغرافية الأندلس، ص 84. خطاب: الأندلس، ص113. كولان: الأندلس، ص75 – 76. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص64.

نفس الحال. فهي جارتها من الغرب بمسافة تقدر بثمانية عشر ميلًا [1] أي ثلاثة أضعاف المسافة بين جبل طارق والجزيرة الخضراء.

وتقع مدينة طريف تحديدًا في جنوب الأندلس في آخر مضيق جبل طارق من ناحية بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) على لسان منبسط ممتد إلى ناحية المضيق. ويوجد أمامها بالقرب منها جزيرتان هما: جزيرة القنتير، وجزيرة طريف[2] (انظر صورة 7).

وإكمالًا لجغرافية العدوة الأندلسية يجب الإشارة إلى مناخها، وهو م ناخ البحر الأبيض المتوسط. ويوصف هذا المناخ بأنه حار جاف صيفًا، دافيء ممطر شتاءً. لكن هذا المناخ يتأثر بالتيارات الهوائية القادمة من المحيط الأطلسي[3].

وهذه الأحوال الجغرافية السابقة سيكون لها أثر بالغ على الأحوال السياسية، والأحوال الحضارية وخاصة العمرانية والاقتصادية منها، وهو ما سيظهر بمشيئة الله لاحقًا.

ويعود تاريخ الحياة البشرية في أرض العدوة الأندلسية إلى عصور قديمة جدًا، فهناك دلالات على تواجدها منذ عصر البلايستوسين، حيث عثر على بعض بقايا العظام والجماجم بجبل طارق تعود إلى ذلك العصر[4]. كما أن هناك رواية غير مثبتة تشير إلى أن

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص539.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص539. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 188. الزهري : كتاب الجغرافية، ص79 – 80. محمد كمال : يوسف الأول، ص 134. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص 373. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس 1967م و 1974م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ص132.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص121. هربرت جون فلير وَهارولد بيك : الأزمنة والأمكنة " الجزء العاشر من دهليز الزمان "، ترجمة محمد السيد غلاب، مؤسسة سجل العرب، 1962م، ص67. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص582. كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي " في عصر دولتي المرابطين والموحدين "، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ص88.

(4) هـ. فلير: الأزمنة والأمكنة، ص36.

Philip Dennis: Gibraltar, P 7.

لقاء نبي الله موسى مع الخضر عليهما السلام كان بأرض الجزيرة الخضراء[1].

ولكن هذا الأثر وتلك الدلالة لا تدل على وجود مدن العدوة الأندلسية بشكل جازم، ولكنها تعطي دلالة على التواجد البشري بأرضها[2]. وهناك إشارات تاريخية تفيد بأنه تم بناء مدينة الجزيرة الخضراء في العهد القوطي. ولكن الأكثر تأكيدًا هنا أن مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف[3] وجدها المسلمون عند دخولهم للأندلس[4]. ولكنهم لم يدعوها كما هي عليه بل ارتقى تاريخها في عهدهم حتى عدت تلك المدن الثلاث كورًا وأقاليمًا يتبعها عدد من المدن لفترات زمنية مختلفة[5]، وكذلك عناصر أساسية في الأحداث السياسية ضمن نطاق الدولة الإسلامية، ومحور ارتكاز للعلاقات الإسلامية النصرانية.



(1) الحميري: الروض المعطار، ص74. الزهري: كتاب الجغرافية، ص93.

(2) الحديث هنا بغض النظر عن طبيعة الأرض وشكلها في ذلك الزمن.

(3) سيتم مناقشة موضوع نشأة مدينة جبل طارق باستفاضة في الفصل الأول من الباب الثاني ضمن موضوع العمارة المدنية.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص 74 – 75. ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص 23. الزهري : كتاب الجغرافية، ص93. ابن الأثير : الكامل، ص 655. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص230. كولان : الأندلس، ص18. أحمد العبادي: صور من حياة الحرب، ص57.

(5) الحميري : الروض المعطار، ص 75. ابن غالب : فرحة الأنفس، ص 294. البكري : جغرافية الأندلس، ص64. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص536. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص166. المقري: نفح الطيب، ج1، ص167. شكيب أرسلان : الحلل السندسية، ج 1، ص268. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص255. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، ص543 – 574.

المبحث الثاني

التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية من الفتح إلى نهاية الخلافة الأموية

شكلت العدوتان : الأندلسية والمغربية باعتبارهما ضفتا المضيق الذي عُرف في التاريخ الإسلامي بمضيق جبل طارق منطقة إستراتيجية مهمة في تاريخ الصراع بين القوى الأوربية والمغربية منذ القدم، إذ كانت هدفًا ينشد من قبل القوى السياسية في كل زمن. ففي العصر الروماني اجتمعت العدوتان ضمن ولاية واحدة، هي ولاية (مرطانية الطنجية) (Mauritania Tingtana). وعندما وقع الصراع بين البيزنطيين والقوط كانت العدوة الأندلسية في قلب هذا الصراع. وهي أيضًا المعبر الذي تمكنَّ من خلاله الوندال الفرار من أمام القوط الغربيين حينما اشتد الصراع بينهما، وذلك في عام 429م[1] — ولازالت المنطقة أرض تنافس وصراع إلى يومنا الحاضر.

لكن العدوة الأندلسية انتظمت فيما بعد ضمن الحكم القوطي ولفترة زمنية، ما لبث أن انتثرت في أواخر أيام القوط. فعندما بدأ النصف الثاني من حكم غيطشة حاكم جزيرة أيبيريا اشتد ضده المعارضون، وخاصة عندما قام بتولية العهد إلى ابنه وقله؛ لأن ابنه كان صغير السن . وفي هذه الفترة تمكن المعارضون لغيطشة وعلى رأسهم قائده لذريق من الحصول على قرار من مجلس طليطلة[2] الديني يفتي بخلع غيطشة عن الحكم.

---

(1) شكيب أرسلان : الحلل السندسية، ج 1، ص32. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، 1962م، ص53. عبادة كحيلة : الخصوصية الأندلسية، ص 433. عبادة عبدالرحمن رضا كحيلة: المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ط 1، 1418هـ/ 1997م، ص159. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص146. ليوبولدو توريس بالباس : المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمه من الأسبانية إليو دورو دي لابنيا، ط 1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1423هـ/ 2003م، ص44.

(2) طليطلة (Toledo): مدينة بالأندلس، كانت دار الملك بالأندلس عندما دخلها طارق بن زياد . انظر

لكن حكم غيطشة انتهى دون خلعه حيث أنه تُوفي قبل تنفيذه . وأتى من بعده معا رضه لذريق الذي اخُتلف في كيفية وصوله للحكم بين من يرى أنه وُلِّيَ من قبل الأسبان أنفسهم، وهنالك من يرى أنه وصل للحكم بالقوة . ويرى الباحث أن كلا الرأيين صحيح حيث إن لذريق وُلي من قبل مؤيديه لكنه لم يصل لسدة الحكم إلا بعد منازعة مع مؤيدي الحكم السابق. فقد تسلمت زوجة غيطشة الحكم بعد وفاة زوجها كوصية على أبنائها الصغار[1] — وهذا أمر طبيعي يحدث كثيرًا كلما تم تغيير في منصب الحكم.

وعلى أية حال فقد آل عرش القوط إلى لذريق، ذلك العرش غير المنحصر ببلاد الأندلس بل يتجاوزه إلى بلاد المغرب، ويمثل القوط به يليان حاكم سبته والجزيرة الخضراء[2] في آن واحد[3]. وهو الحاكم الذي أعان المسلمين بصورة واضحة عند دخولهم الأندلس؛ بدافع تمثل في معارضته لحكم لذريق بشكل رئيس، يسانده عدد من الدوافع الثانوية من أبرزها اغتصاب لذريق لابنته[4]. وهنا يجب الإشارة والتأكيد على أن إعانة

الحميري: الروض المعطار، ص130. قام الباحث بإعداد رسالة الماجستير حول هذه المدينة وكانت بعنوان "تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي".

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص73. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين، ص 59. محمد أسعد طلس: عصر الاتساق " تاريخ بني أمية "، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1958م، ص233.

(2) ابن عبدالحكم عبدالرحمن بن عبدالله: فتوح أفريقيا والأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م، ص71 – 72. المراكشي: المعجب، ص17. النويري شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق مجموعة من الأساتذة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1980م – 1983م، ص45. ابن الأثير: الكامل، ص655. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج4، ص149.

(3) هذه المرة الثانية التي يظهر بها اجتماع حكم العدوتين أو جزء منهما في هذا البحث تحت حكم واحد ولكنها ليست الأخيرة حيث سيظهر ذلك بمشيئة الله في حكم كل من الأمويين وملوك الطوائف والمرابطين والموحدين وبني مرين وبني نصر.

(4) المراكشي: المعجب، ص17 – 18. النويري: نهاية الأرب، ج24، ص45. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص233. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253. ابن الأثير: الكامل، ص655.

Salma Khadra Jayyusi: The Legacy of Muslhm Spain, chief Manuela

يليان للمسلمين لم تكن بسبب ما حدث لابنته فقط، بل إن هذا الحدث على الصحيح هو مجرد محرك لعمل يليان لا الدافع الرئيس له كما هو بارز في عدد من الروايات التاريخية، ولكن يرى الباحث أن إيراد المؤرخين المسلمين لأمر ابنة يليان على أنه الدافع الرئيس لتعاون يليان عائد لعِظمِ هذا الأمر لديهم كمسلمين وعرب. ويتأكد هذا الرأي بمعرفة أن هناك اتصال قد تم بين أبناء غيطشة والمسلمين بطريق مباشر [(1)]، مما يفيد بأنّ المعارضين لحكم لذريق كانت لديهم نظرة للاستعانة بالمسلمين، ومن الأرجح أن يليان كان أبرز وسائل هذا الاتصال. ويرى الباحث أن هناك دافعًا قويًا لإعانة يليان للمسلمين على دخول الأندلس، والمتمثل في غضب يليان على حكم لذريق حيث إنه سُلب حكم مدينة الجزيرة الخضراء، ويتضح هذا من خلال ذكر المصادر أن يليان هو حاكم الجزيرة الخضراء لكنه قام بمهاجمتها ليظهر للمسلمين حسن نواياه فيها بعد [(2)]، مما يعطي دلالة على أنها لم تكن ضمن دائرة حكمه.

ومهما كان من الأسباب التي ذكرناها فقد كان الجهاد الإسلامي هو الهدف المنشود لقادة المسلمين وعامتهم، فعندما أمكنتهم الظروف لفتح الأندلس لم يتوانوا عن السعي للوصول إليه بعد شبه توقف في بلاد المغرب، وسيتجلى هذا الهدف من خلال سياق أحداث الفتح وتتابع أحداثه.

فما أن قام يليان بمراسلة طارق بن زياد الذي كانت تجمع بينهم علاقة جيدة أوجدها طارق بن زياد أثناء مجاورته ليليان حيث كان والي مدينة طنجة [(3)] المجاورة

Marin, E.J.BRILL, Leiden, 1994, P 6 – 7.

(1) السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص67. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م، ص26.

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص45. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253.

(3) طنجة (Tánger): بلدة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص49.

لمدينة سبته[1] حتى نمت فكرة فتح الأندلس . وهذا الاتصال لا يناقض الرأي الذي ينص على أن الاتصال تم بين يليان وموسى بن نصير، فطارق بن زياد يمثل موسى بن نصير ولا يتخذ أي قرار إلا بعلمه. فهو القائل «على رأسي أمير، وعلى الأمير أمير »[2].

وحتى عندما نرى أن الاتصال تم بشكل مباشر بين يليان وموسى بن نصير، فيرى الباحث أن هذا الاتصال تم بعد مرحلة أولية تمثلت في الاتصال بين طارق ويليان بحكم العلاقة بينهما وقرب المسافة أيضًا، وهو ما تم تأكيده بمكاتبة وجّهها طارق لمولاه موسى حول عرض يليان. وقد كان اتصال يليان بالمسلمين في آخر سنة 90هـ/ 708م[3]. ذلك العرض الذي أظهر به يليان عدة جوانب لإعانة المسلمين من السمع والطاعة لهم، ومساعدتهم في الدخول إلى الأندلس ووصفه لهم، والقيام بشن غارات على الأندلس لمصلحة المسلمين[4]. وهنا دفع هذا العرض موسى بن نصير إلى مراسلة الخليفة الوليد بن عبد الملك وإخباره بالأمر، فأشار عليه باختبارها بالسرايا والتأكد من أمر يليان، الذي يظهر أنه لم يتوان عن إظهار حسن نيته بتوجيه حملة عسكرية للعدوة الأندلسية وتحديدًا إلى الجزيرة الخضراء منها. وقد نتج عن هذه الحملة أن قام يليان بغارة سريعة لم تدم سوى أيام، قتل بها وحرق وسلب وغنم، ثم عاد بهذا إلى موسى بن نصير [5]. ويؤكد الباحث

---

(1) ابن عبدالحكم : فتوح أفريقيا والأندلس، ص 72. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 2، ص4 – 6. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص46 – 47.

Salma Khadra: The Legacy, P 7.

(2) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص74. ابن الأثير: الكامل، ص655.

(3) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص77. النويري: نهاية الأرب، ج24، ص45.

(4) ابن عبدالحكم : فتوح أفريقيا والأندلس، ص 72 – 73. الحميري : الروض المعطار، ص 8. القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص233. النويري: نهاية الأرب، ج24، ص45. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253.

Salma Khadra: The Legacy, P 7.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص8. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 45 – 46. المقري : نفح الطيب، ج1، ص253. عبدالمجيد تركي: قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي (نصوص ودراسات)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1988م، ص105.

الرأي القائل: بأن كل مساعدات يليان التي قدمت والتي ستقدم فيما بعد كانت ظنًا منه بأن المسلمين سوف يكتفون من الأندلس بالأموال والغنائم، ثم يرجعون إلى ديارهم[1].

وهنا يجب ملاحظة أن موسى بن نصير لم ينجرف خلف كل ما قدمه يليان، رغم استئناس المسلمين بذلك. فقد قام بإعداد سريّ بقيادة القائد طريف بن مالك (90هـ / 708م) بعد موافقة الخليفة الوليد بن عبد الملك، والذي أشار باختبار الأندلس بالسرايا أولًا[2].

وقد تكونت حملة طريف بن مالك من خمس مئة مقاتل، منهم أربع مئة راجل، ومئة فارس نقلت على أربع سفن ليليان، وهذا ه و العدد الأقرب للصواب، وليس كما يقال أنها مؤلفة من ألف مقاتل أو ثلاثة آلاف مقاتل لك ونها أعداد كبيرة على سري ة هدفها الاستطلاع واختبار المنطقة المتوجهة إليها. وكان انطلاق هذه الحملة من مدينة سبته إلى جزيرة لاس بالوماس وهي الجزيرة الموجودة أمام مدينة طريف، ثم إلى الموضع الذي عرف فيما بعد بمدينة طريف نسبة إلي طريف بن مالك [3].

---

(1) السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص67.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 127. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 45. النويري : نهاية الأرب، ج24، ص45. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253. محمد أسعد: عصر الاتساق، ص119 – 120.
Anwar Cheine: Muslim Spain Its History and Culture, The University of Minnesota, 1974, P 7.Salma Khadra: The Legacy, P 7.S.M.Imamuddin: A Political History of Muslim Spain, Najmah Sons, Pakistan, P 16.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص127. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 45. ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي: كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 2، تحقيق ومراجعة وتعليق ج . س. كولان وليفي بروفنسال وإحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1967م، ص5. ابن أبو دينار محمد بن أبو القاسم الرعيني : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ، ص36. المقري: نفح الطيب، ج 1، ص253. ابن الأثير : الكامل، ص 655. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص70. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص163. محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج 1 – 1، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ / 1997م، ص40. رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج1، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م،

وكان نزول طريف بن مالك وقواته بأرض الأنـدلس ميسرًا وسهلًا ـ خاصة وأنه ظل بها عدة أيام لاكتمال جنوده، وذلك لتعاون يليان معه، والذي يبدو أنه أعدّ أطرافًا أخرى بالعدوة الأندلسية؛ لتساعد على وصول حملة طريف بن مالك بسلام، والتي لا يستبعد أن يكون لأبناء غيطشة طرف بها. كما أنه يظهر من سياق الأحداث أن المكان الذي نزل به طريف كان عبارة عن بلدة صغيرة، مهملة من قِبل القوط أنفسهم . وهي البلدة التي اهتموا بها فيما بعد فعندما نزل القائد المسلم طارق بن زياد بالعدوة الأندلسية كان على مدينة طريف منهم حاكم يُدعى ألونصو دي قزمان [1]، مما يؤكد أن القوط اهتموا بها لدورها في عبور جيش المسلمين.

وقد قامت حملة طريف بن مالك بالمهمة المناطة بها على أكمل وجه، من استطلاع للمنطقة الجنوبية من الأندلس، وهي أراضي العدوة الأندلسية الممتدة من مدينة طريف إلى مدينة الجزيرة الخضراء، وهو الأمر الذي أمر به الخليفة الوليد بن عبد الملك . وتمثل هذا الاستطلاع بعدد من الهجمات والغارات ابتداءً من مدينة طريف إلى الجزيرة الخضراء، التي قام طريف بن مالك بمهاجمتها والحصول على غنائم وسبي منها . وقد امتازت هذه الحملة بالحيطة والحذر حيث كانت تسير بمحاذاة سـاحل العدوة الأندلسية لكي يسهل اتصالها بالمغرب عند تعرضها لأي هجوم من قبل القوط لا تقدر التصدي له، كما يظهر علي هذه الحملة ميزة الغارات السريعة المباغتة، ويتجلى ذلك من خلال عدم تعرضها لمعارك مع القوط [2]. وعادت هذه الحملة مكللة بالنجاح والغنائم والأموال

ص43.

(1) الغساني: رحلة الوزير، ص81. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص253. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط 3، دار الرشاد، القاهرة، 1420هـ / 1999م، ص269. حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص67.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص127. ابن الشباط محمد بن علي التوزري: قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 14، 1967م – 1968م، مدريد، أسبانيا، ص 139. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 45 – 46.

والسبي الذي لم يُرَ مثله من قبل، وذلك في رمضان من عام 91هـ/ 709م. وهنا يلاحظ أن الآراء التي ذكرت أن عبور طريف بن مالك إلى الأندلس كان في رمضان من عام 91هـ/ 709م قد جانبت الصواب[1].

ويرد عن طريف بن مالك في رواية منفردة أنه كان يوهم القوط بأنه يأكل أسراهم[2]، ويرى الباحث بأن هذا الأمر غير مستبعد حيث أن طريف خير من يعلم بما تحتاج له الحملة القادمة إلى الأندلس من زعزعة لثقة القوط في أنفسهم وزرع الرهبة في صدورهم.

ولحملة طريف بن مالك التي لم تدم سوى فترة زمنية قصيرة أثر على المسلمين من جهة، ويليان وأنصاره من جهة أخرى. فيرى الباحث أنها عززت الفكرة الموجودة لدى يليان بأن هدف المسلمين مقتصر على الغنائم والمكاسب، ولذلك يتجلى أمر استمراريته في إعانة المسلمين بعد هذه الحملة ـ كما سيظهر لاحقًا . كما لها أثر في تحفيز المسلمين للقتال بعد اكتشاف منطقة العدوة الأندلسية التي هي أول أرض من الأندلس تطؤها أقدام المسلمين فهي مفتاح الأندلس وبابه[3]. فبعودة طريف بن مالك إلى المغرب، واطلاع موسى بن نصير على ما حدث مع طريف قرر إرسال حملة عسكرية لفتح الأندلس (انظر خريطة 1) أسند قيادتها لطارق بن زياد. ولم تكن هذه الحملة متسرعة بل اختير لها وقت مناسب، وذلك عندما اتضح لموسى أن حاكم الأندلس لذريق قد انشغل

النويري : نهاية الأرب، ج 24، ص45. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 2، ص5. ابن الأثير : الكامل، ص655. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253. عبدالواحد ذنون طه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1982م، ص161 – 162.

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 2، ص5. النويري : نهاية الأرب، ج 24، ص45. ابن الأثير : الكامل، ص655. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص163.

(2) ابن الأثير: الكامل، ص655.

(3) انظر التمهيد الجغرافي ص22.

بحملة قادها الإفرنج ضد إقليم أراغون[1]، وقيل بثورة في شمال الأندلس[2]. بالإضافة لتمكن موسى بن نصير في هذه الفترة من تثبيت سيطرته على المغرب.

كما اختير المكان المناسب للعبور والاستقرار، فعبور طارق بن زياد كان عن طريق مدينة سبته، وذلك لأنها المكان الذي لا يتوقع القوط أن يهاجمهم منه أحد لتبعيتها لمملكتهم. أما مكان الاستقرار فكان جبل طارق، وقد تم اختيار جبل طارق مكانًا لترسو به السفن؛ لأنه لم يسبق أن هاجم من خلاله المسلمون الأندلس. فالجزيرة الخضراء هاجمها يليان لصالح المسلمين، كما هاجمها طريف بن مالك الذي عبر إليها عن طريق مدينة طريف ـ كما اتضح سابقًا[3]. وبالإضافة لهذا فمنطقة جبل طارق تعد منطقة صعبة تضاريسيًا قد تعيق المهاجم للأندلس عن تحقيق هدفه، ومن هنا يتضح أن منطقة جبل طارق هي المكان المناسب لعبور المسلمين فلا يتوقع من خلاله القوط أن يهاجمهم المسلمون، خاصة وأن هذا المكان يُعتبر منطقة شبه خالية من السكان كما سيتضح لاحقًا.

ولم يقتصر موسى بن نصير وطارق بن زياد عند الإعداد لعبورهم إلى العدوة الأندلسية على هذه الأمور، فهم يعلمون أن أعين القوط تُتابع ساحل العدوة الأندلسية لملاحظة أي تحرك إسلامي قادم من المغرب؛ لذلك كان عبور حملة طارق عن طريق سفن تجارية إسبانية، قام يليان بتأمينها وعددها أربع سفن، عبرت بحملة طارق فوجًا بعد فوج، ولأكثر من ليلتين، وكان طارق على آخر فوج منها[4]. وهذه الحالة مخالفة لما هو متعارف عليه بكون

---

(1) أراغون: اسم بلاد غرسيه بن شانجه تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، وهي بشمال شرق الأندلس . انظر الحميري: الروض المعطار، ص12.

(2) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص17. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج1، ص44.
Salma Khadra: The Legacy, P 8.Imamuddin: A Political History, P 17.

(3) ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 5، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 320. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج 1، ص43 – 44. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص17.
Salma Khadra: The Legacy, P 7.Imamuddin: A Political History, P 16 – 17. Philip Dennis: Gibraltar, P 32.

(4) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 46. ابن عبدالحكم : فتوح أفريقيا والأندلس، ص 72 – 73. ابن

قائد الجيش الإسلامي يتواجد دائمًا في أول جيشه، فتأخر طارق يعود هنا إلى تأمين عبور جيش المسلمين دون أن يقع في كمين يقطع طريق العودة دون اكتمال عبور الجيش خاصة وأن سبته لازالت مدينة قوطية ويرى الباحث أن استخدام سفن تجارية أسبانية لكي لا يتم لفت انتباه القوط لعملية العبور، خاصة وأن فرصة صد القوط للمسلمين وهم في المضيق تعتبر سهلة عليهم إذا قورنت بصدهم وهم على اليابس وعلى كلٍ يزداد الحال تأكيدًا على أن التخطيط لفتح الأندلس لم يكن عملية ارتجالية بل تمت بتخطيط دقيق جدًا، قلما يوجد في أحداث مشابهة وخاصة في ذلك الزمن[1].

وحملة طارق بن زياد هي الحملة التي لحقت بحملة طريف بن مالك إلى العدوة الأندلسية، ولم يكن بينهما حملة أخرى هاجمت أراضي العدوة الأندلسية. أما الحملة التي ذكرت بأنها وجهت إلى العدوة الأندلسية وتحديدًا إلى الجزيرة الخضراء بقيادة رجل من البربر يدعى أبو زرعة، فيظهر أن راويها التبس عليه الأمر، فأبو زرعة هي كنية طريف بن مالك[2].

وعند الحديث عن قصة عبور طارق لمضيق جبل طارق ترد قصتان ذات دلالة على تفاؤل المسلمين بحملة طارق - وهذا بغض النظر عن مصداقيتها مع ميل الباحث لمصداقية القصة الأولى - القصة الأولى هي رؤية طارق بن زياد للنبي ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف وتقلدوا القسي، فقال له النبي ﷺ: يا طارق تقدم لشأنك، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد. فرأى طارق النبي ﷺ وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه . وهذه الرؤيا رآها طارق عند عبوره لمضيق جبل طارق .

عذاري: البيان المغرب، ج2، ص6. المقري: نفح الطيب: ج1، ص231. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص72. عبادة كحيلة: المغرب، ص161. عبدالواحد ذنون طه: دراسات في التاريخ الأندلسي، نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة، ط1، 1987م، ص27.

Imamuddin: A Political History, P 16 – 17.

(1) السامرائي: تاريخ العرب، ص28.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص253.

والقصة الثانية حدثت فيما بعد وهي أن طارقًا قابل بالأندلس امرأة عجوز أخبرته بأن لها زوجًا عالمًا بالحوادث، وقد أخبرها بأن هناك أميرًا سيدخل بلادهم، وقد و صفه لها بأنه رجل ضخم على كتفه الأيسر شامةٌ عليها شعر . وكان هذا الوصف كله موجودًا في طارق بن زياد[1].

وقد اكتمل وصول حملة طارق بن زياد إلى جبل طارق من العدوة الأندلسية في يوم الاثنين الخامس من شهر رجب في عام 92هـ / 710م[2] باتفاق على تأريخ العام، واختلاف على الشهر حيث ذكر أنه كان في شهر شعبان [3]، والشهر الأول هو الأكثر تأكيدًا، وكان عبور طارق بسبعة آلاف مقاتل جُلهم من البربر وأقلهم الموالي والعرب[4].

وحينما نزل طارق بساحل جبل طارق انتقل إليه، وبدأ في إكمال الإعداد لمسيرة الفتح. فاستفتح أمره بإنشاء قاعدة عسكرية له يشرف من خلالها على مسيرة فتحه وتكون له الملجأ الآمن عند الحاجة لذلك . ولهذا اختار لها المكان الأنسب وهو جبل طارق، فأنشأ به حصنًا أحيط بسور حوله[5]، وبعد إتمامه لهذه القاعدة قام طارق بإرسال عدد من الحملات العسكرية، للقيام بدورين في آن واحد هما : استكشاف المنطقة وفرض

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص233. ابن الأثير : الكامل، ص 655. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص231.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص6. ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 2، تحقيق إحسان عباس، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1401هـ / 1980م، ص128. الناصري : الاستقصا، ج1 – 1، ص153. النويري: نهاية الأرب، ج 24، ص45. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 5، ص320. ابن الأثير: الكامل، ص655. محمد نايف العمايرة: مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، ط1، عمان، الأردن، 1420هـ/ 1999م، ص32.

Anwar Cheine: Muslim Spain, P 7.

(3) ابن الشباط: صلة السمط، ص406. المقري: نفح الطيب، ج1، ص231.

(4) السلمي عبد الملك بن حبيب: كتاب التاريخ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 1999م، ص124. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص233. المقري : نفح الطيب، ج1، ص231. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص17.

(5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص233. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص150.

السيطرة على الأماكن التي يصلون إليها. ومن أبرز هذه الحملات حملة بقيادة عبد الملك بن أبي عامر المعافري، توجهت من جبل طارق إلى جهة الشمال الغربي منه باتجاه حصن قرطاجنة[1]. وقد تمكنت هذه الحملة من السيطرة على هذا الحصن، وبقي بها عبد الملك المعافري حاميًا لها لتأمين خطوط المسلمين[2].

ثم بدأ طارق بن زياد بحملته الرئيسة وتوجه إلى ناحية الجزيرة الخضراء . وكان توجه طارق إلى الجزيرة الخضراء لعلمه بمدى أهمية العدوة الأندلسية في تأمين خطوط المسلمين داخل الأندلس، وأهميتها في عملية الارتباط المستمر بالمغرب الإسلامي. وهنا حدث المتوقع حيث هوجمت حملة طارق من قبل حامية قوطية يقودها قائد يدعى بنج ـ يسمى هذا القائد في المصادر الأسبانية بنشو أو بنثيو ـ غير أن هذه الحامية هزمت هزيمة ساحقة ولم ينج منها سوى قائدها [3]. ولم تكن هذه الحملة هي الحملة الوحيدة التي واجهها طارق قبل مواجهته لحاكم القوط لذريق، حيث واجه على مشارف الجزيرة الخضراء حامية أكبر من سابقتها يقودها تدمير القائد الموكل بالمنطقة الجنوبية من الأندلس ـ العدوة الأندلسية ـ من قبل لذريق، والذي كتب له بنزول المسلمين الأندلس دون علمه بمكان مقدمهم. وقد استمرت المعركة بين طارق وتدمير ثلاثة أيام، انتهت بانتصار طارق بن زياد، ودخول الجزيرة الخضراء تحت سيطرته [4]. وبهذا أصبحت

---

(1) قرطاجنة (Cartagena): تقع عند جبل طارق، وتعرف بقرطاجنة الجزيرة . انظر الحميري : الروض المعطار، ص151.

(2) السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص72 – 73. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 69. السامرائي : تاريخ العرب، ص31. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج1، ص44.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 2، ص8. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 73. حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص70. عبدالمحسن طه: الحروب الصليبية، ص154.

(4) ابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري: الإمامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1388هـ/ 1969م، ص74. الطرطوشي محمد بن الوليد الفهري : سراج الملوك، ج 2، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص692 – 693. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 1، ص41. عبدالواحد ذ نون :

أغلب أراضي العدوة الأندلسية في أيدي المسلمين. تلك الأراضي التي ظهر مدى أهميتها واهتمام القوط بها خاصة بعد حملة القائد طريف بن مالك، وذلك من خلال تواجد عدد من قادتهم كما ظهر سابقًا فتدمير يحكم مناطق الجزيرة الخضراء، وألونصو دي قزمان يحكم مدينة طريف.

وأمام هذه الانتصارات المتتابعة والنجاحات السابقة للحملات الإسلامية كان لزامًا على لذريق القدوم للوقوف على الأمر بنفسه. ويرى الباحث أن هذا القدوم لم يكن مستبعدًا من فكر القائد المسلم طارق بن زياد، لذلك قام بمراسلة قائده موسى بن نصير يخبره بما وصل إليه من ضم للجزيرة الخضراء وأعمالها إلى إقليم البحيرة، كما طلب منه المعونة والمساعدة لمواجهة جيش لذريق . وهنا كانت إعانة القائد المتيقن لمثل هذه الأحداث، حيث أرسل موسى إلى طارق خمسة آلاف مقاتل عن طريق سفن كان يعدها منذ أن أرسل طارقًا إلى الأندلس[1]، وبهذا أصبح عدد مقاتلي جيش طارق اثني عشر ألف مقاتلًا، يقود خيلها مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك . وهذا العدد يقابل أضعاف مضاعفة له، فجيش لذريق يتكون من مئة ألف مقاتل بهم أكثر من سبعين ألف فارس ـ قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[2]. ولكن بوادر نصر المسلمين كانت ظاهرة منذ البداية، فلذريق أوكل أمر ميمنة جيشه وميسرته إلى أبناء حاكم القوط السابق غيطشة الراغبين في استعادة حكمهم السابق، والذين كانوا يرون أن دور المسلمين لن يتجاوز الحصول على الغنائم والعودة إلى ديارهم، مما دفعهم إلى التخاذل والتهاون في القتال لصالح المسلمين. بالإضافة لقيام يليان باطلاع المسلمين على عورات القوط وأماكن ضعفهم ، ولطارق بن زياد الذي يظهر أنه لم يتوان عن

الفتح والاستقرار العربي، ص165.

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص257. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 75. عبدالواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي، ص162. عبدالواحد ذنون: نظرة عصرية، ص24.

(2) سورة محمد، آية: 7.

الاستفادة منها في المعركة. كما أن لذريق لم يقدر الخطر الذي يواجهه وهو ما ظهر عليه بمقدمه إلى ساحة المعركة متحليًا بالأموال والحلي، وقد أقام لذريق معسكره بقرية تعرف بـ "فيخير ذي لافرونتيرة vejer de la frontera"[1]. وعلى العكس من هذا ما قام به طارق بن زياد من الاستعداد المتقن للمعركة، فقد بدأ أمره باختيار المكان المناسب، حيث جعل منطقة المواجهة بينه وبين لذريق على جبهة واحدة، وذلك بجعل بحيرة الخندق[2] عن يمينه، وجبل سيرا دل رتين عن يساره، كما أنه لم يغفل أن يجعل الطريق بينه وبين الجزيرة الخضراء سالكًا وذلك كي يستطيع الاتصال بالمغرب تحت أي ظرف كان. كما تميز طارق بعدم تمييز نفسه عن جنده كي لا يصبح هدفًا يسهل الوصول إليه ـ كما حدث مع لذريق في هذه المعركة ـ بالإضافة إلى عدم ثباته في مكان واحد أثناء المعركة، ومشاركة جنده القتال وبث روح الصبر والعزيمة بينهم[3].

وقد كانت المعركة بين الطرفين والتي عرفت بمعركة وادي لكة[4] في اليوم السابع لربيع الأول من عام 92هـ/ 710م. وقد استمرت عدة أيام اختلف في عددها بين ثلاثة وثمانية أيام، ولكن نهايتها مع تعدد مواضع المعركة كانت واحدة، وهي انتصار المسلمين وهزيمة لذريق، وقد اختلف في مصير هذا الحاكم القوطي بين مقتله واختفائه لكن كلا

---

(1) ابن أبي دينار : المؤنس، ص 36. الدينوري: الإمامة والسياسة، ص 74. الطرطوشي : سراج الملوك، ج 2، ص692 – 693. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص257. عبدالواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي، ص162. عبدالواحد ذنون : نظرة عصرية، ص24. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 76. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط 14، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني – يناير 2000م، ص138.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 8.Salma Khadra: The Legacy, P 8.

(2) تُعرف هذه البحيرة اليوم باسم بحيرة لاخاندا. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص269.

(3) ابن الأزرق محمد الأندلسي : بدائع السلك في طبائع الملك، ج 1، تحقيق محمد عبدالكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ص 176. عبدالواحد ذنون : نظرة عصرية، ص17. محمد العمايرة : مراحل سقوط الثغور، ص32.

(4) وادي لكة: موضع من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبلي . انظر الحميري : الروض المعطار، ص193.

الرأيين ليس لديه دليل مؤكد، بعد هجمة متقنة قام بها طارق وعدد من جنوده على خيمة لذريق[1].

وبعد هذه المعركة عاد يليان إلى إبداء مساعدته لطارق بأن عليه الآن أن يتوجه إلى عاصمة القوط مدينة طليطلة، وأن يفرق جنوده على المدن الأخرى، وسيكون هو وأصحابه أدلاءً تحت إمرة طارق وقواده[2]. ويظهر لدينا هنا أن يليان كان يرغب في القضاء على حكم لذريق لا على شخص لذريق، مما يدعم الرأي السابق الذي يرى أن مساعدة يليان لم تكن بسبب اعتداء لذريق على ابنته فقط[3]. وهذا الأمر هو الذي تحقق، فقد قام طارق بإرسال حملاته إلى عدد من المدن، وتوجه هو إلى العاصمة طليطلة. ويلاحظ هنا أن العدوة الأندلسية بعد احتضانها لمعترك الفتح الإسلامي من بداية الحملات الاستطلاعية وسرايا الفتح، احتضنت أيضًا حملات الفتح بالأندلس. فلم تترك العدوة الأندلسية عندما توجهت الجيوش الإسلامية لإكمال مسيرة الفتح، حيث أبقى طارق مساعده عبد الملك بن عامر المعافري على مدينة الجزيرة الخضراء[4]. ومن هنا يرى الباحث أن استقرار الفتح فيما بعد عائد لثبات أمر قاعدته الجديد المتمثلة في أراضي العدوة الأندلسية.

وشكلت هذه التطورات السياسية السريعة ـ تم فتح منطقة العدوة الأندلسية في أقل من سنة ـ محركًا لقدوم القائد موسى بن نصير إلى الأندلس، وقد يكون قدوم موسى إلى الأندلس بطلب من طارق بن زياد نفسه الذي احتاج لمساعدته خاصة وأن عدد جنود

---

(1) ابن أبي دينار: المؤنس، ص 36. ابن الأزرق : بدائع السلك، ج 1، ص176. الدينوري : الإمامة والسياسة، ص74. الطرطوشي : سراج الملوك، ج 2، ص692 – 693. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص249. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص18. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص79 – 80.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 8.Salma Khadra: The Legacy, P 8.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص9.

(3) انظر صفحة 31 – 32.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص102.

جيش موسى كان كبيرًا كما سيظهر لاحقًا. وقد خرج موسى بن نصير من القير وان بعد أن أوكل أمرها إلى ابنه عبدالله في شهر رجب من عام 93هـ / 711م، ومعه وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر. وكان عبور موسى إلى الأندلس من مدينة طنجة باتجاه مدينة الجزيرة الخضراء التي وصل إليها في شهر رمضان من العام نفسه . وكما سُمي المكان الذي نزل به طارق بن زياد باسمه، كان الحال لمولاه موسى بن نصير حيث سُمى الموضع الذي رسا به مرسى موسى. وبالجزيرة الخضراء قابل موسى يليان الذي قدم له طلبه بالتوجه إلى طارق من غير الطريق الذي سلكه طارق بن زياد، والتقى القائدان بالقرب من مدينة طليطلة[1].

وبهذا بدأت الأندلس ومنها العدوة الأندلسية حكمًا إسلاميًا جديدًا يبدأ بما عُرِف في التاريخ الإسلامي بعصر الولاة في الأندلس ذلك العصر الذي لا تُورد فيه المصادر عن العدوة الأندلسية أيّة أحداث هامة سوى بعض الشذرات غير المكتملة[2]. وقد يعود هذا الأمر لبعد العدوة الأندلسية عن ميدان الفتح الإسلامي بشمال الأندلس، ولقربها من الحكم الإفريقي المشرف على الأندلس لفترات طويلة من هذا العصر مما اكسبها نوعًا من الاستقرار. ويرى الباحث أن كون مدينة طريف في هذه الفترة تعد مدينة صغيرة، بالإضافة لعدم تواجد مدينة جبل طارق كمدينة لها دور في الأحداث السياسية قد أثر سلبًا على ظهور العدوة الأندلسية على مسرح الأحداث في عصر الولاة بالأندلس، رغم الدور المشهود لمدن العدوة الأندلسية في الأحداث السياسية على مر الحقب التاريخية

---

(1) ابن عبدالحكم: فتوح أفريقيا والأندلس، ص 76. ابن أبي دينار : المؤنس، ص 36. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص49. النويري: نهاية الأرب، ج 24، ص49. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج 2، تحقيق بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ / 2003م، ص1118. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص150. ابن الأثير : الكامل، ص656. محمد العمايرة: مراحل سقوط الثغور، ص34. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص89.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 8 - 9.Salma Khadra: The Legacy, P 8 - 9.

(2) كمال السيد: بحوث، ص122.

وأول رواية للعدوة الأندلسية بعد الفتح الإسلامي هي الرواية التي أشارت إلى عبد الملك بن عامر المعافري، الذي كُلف بإدارة مدينة الجزيرة الخضراء منذ بداية الفتح الإسلامي وتحديدًا منذ حملة طارق بن زياد، فقام بها وساد أهلها[1].

وكانت الجزيرة الخضراء مركزًا مهمًا لتجمع قبائل العرب منذ بداية تاريخها الإسلامي، فقد احتضنت عددًا من قبائل العرب. ومن أبرز قبائل عدنان قبيلة كنانة، ومن قحطان قبائل خولان وبنو عذرة ولخم وجذام. كما احتضنت الجزيرة الخضراء أهل فلسطين [2]. وهنا يلاحظ أن الجزيرة الخضراء أصبحت مركزًا للعرب، مما أثر على أحوالها السياسية، فكانت عنصرًا أساسيًا في النزاعات العرقية بالأندلس.

فعن طريقها وجه عبد الملك بن قطن الفهري [3] والي الأندلس قوته في عام 122هـ/ 739م لدعم العرب في مدينة طنجة المغربية . ثم كانت الجزيرة الخضراء أحد أهم الأهداف التي ينشدها البربر في الأندلس عندما ثاروا تضامنًا مع إخوانهم بربر المغرب في عهد الوالي عبد الملك بن قطن. فقد سير البربر المجتمعون من كل من جليقية[4] وماردة[5] وقوريه[6] وطلبيرة[7] في ثورتهم هذه ضد العرب ثلاثة جيوش لكل واحد منها هدف

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص59. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص351.

(2) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص373 – 375. خالد بن عبدالكريم بن حمود البكر: النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، ط1، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1414هـ/ 1993م، ص48. محمد أسعد: عصر الاتساق، ص237 – 238.

(3) عبد الملك بن قطن بن عصمة الفهري: أمير الأندلس وليها سنة خمس عشر ومائة للهجرة . توفي مقتولًا سنة خمس وعشرين ومئة للهجرة. انظر الضبي: بغية الملتمس، ص333.

(4) جليقية (Galicia): ناحية قرب ساحل المحيط الأ طلسي من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب. انظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص183.

(5) ماردة (Merida): مدينة بالأندلس بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة . انظر الحموي : معجم البلدان، ج5، ص46.

(6) قوريه (Coria): مدينة من نواحي ماردة بالأندلس. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص468.

(7) طلبيرة (Talavera de la Reina): مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، قديمة البناء . انظر الحموي :

معين، وكانت الأهداف الثلاثة هي مدن قرطبة، وطليطلة، والجزيرة الخضراء . غير أن الهدف الثالث منها هو الأهم بالنسبة للبربر، وذ لك لإحداث تحالف مع بني جلدتهم بربر المغرب؛ ولأجل هذا اهتم به البربر، فكان هذا الجيش هو الأقوى بين الجيوش السابقة وأكثرها تنظيمًا[1].

وفي هذه الأثناء كان عبد الملك بن قطن قد عجز عن صد ثورة البربر مما دفعه إلى الاستعانة ببلج بن بشر القشيري[2] المتواجد بمدينة سبته، والمحاصر من قبل بربر المغرب بعد أن اشترط عليه مساعدته في القضاء على بربر الأندلس، وعدم البقاء بالأندلس أكثر من عام واحد في مقابل السماح له بالعبور إلى الأندلس، حيث إن بلج وجماعته الشاميين عانوا الشيء الكثير من أثر الحصار المفروض عليهم من قبل البربر. وقد تردد ابن قطن في السماح لبلج وجماعته من قبل، حيث أنه كان يظن بأن ثورة البربر ضد الشاميين وليست ضد العرب، ولكنه أُخبر من قبل العرب الفارين من نواحي اشترف، وليون[3] بأن الثورة ضد العرب كافة.

وما أن عبر بلج في عام 123هـ/ 740م حتى قام بالأمر المناط به، فب عدما عبر

معجم البلدان، ج4، ص43.

(1) مجهول: أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب ا للبناني، بيروت، 1401هـ/ 1981م، ص43. ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص31. محمد عنان : دولة الإسلام، ج1 – 1، ص123. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص33. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص281. ر. دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا، ج1، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ص 158. جييرمو غونزاليس بستو وَإنريكو غونزاليس كرافيوتو: ثورة البربر في شمال أفريقيا (122هـ/ 740م) وانعكاساتها على الأندلس، ترجمة عبدالله علي الزيدان، السجل العلمي لندوة الأندلس " قرون من التقلبات والعطاءات، ص449 – 450.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 12 - 13.

(2) بلج بن بشر القشيري: كان واليًا على طنجة، وانتقل إلى الأندلس بسبب تكاثر عساكر خوارج البربر عليه، توفي سنة خمس وستين ومائة للهجرة، وقيل أنه قتل. انظر الضبي: بغية الملتمس، ص212.

(3) ليون (León): قاعدة من قواعد قشتالة، وهي في أقصى شمال الأندلس. انظر الحميري: الروض المعطار، ص174.

للجزيرة الخضراء توجه مباشرة إلى قرطبة . وبدأ في إعداد جنده البالغ عددهم عشرة آلاف مقاتل ـ يشار إلى أن بلج قد هاجم مدينة الجزيرة الخضراء قبل عبوره، وتحديدًا دار صناعتها وحصل منها على عدد من المؤن والأسلحة والسفن.

وكانت وجهته الرئيسة هي القضاء على جيش البربر المتوجه إلى الجزيرة الخضراء لمنع تحالفهم مع بربر المغرب، وذلك للحد من خطورتهم التي قد يصعب القضاء عليها في حال حدوث هذا التحالف. وفعلًا نجح بلج في القضاء على ثورة البربر في أقل من عام، وكانت آخر معركة معهم هي معركة وادي سليط التي وقعت بالقرب من الجزيرة الخضراء في عام 124هـ/ 741م، وقد انتصر بها بلج على البربر[1].

لكن توافق عبد الملك وبلج لم يُكتب له الاستمرارية، وكان للجزيرة الخضراء دور في عدم استمرارية هذا التوافق. فبعدما انتهى دور بلج في القضاء على البربر طلب منه عبد الملك مغادرة الأندلس عن طريق سفن عبد الملك المتواجدة بالجزيرة الخضراء، غير أن بلج طلب أن يكون خروجه من الأندلس عن طريق شرق الأندلس من مدينة مرسية[2]، لكي يكون بعيدًا عن بربر المغرب، ويستطيع العبور بسلام . لكن عبد الملك رفض ذلك وتمسك برأيه بحجة أن ليس لديه سفن بمرسية ـ ويرى الباحث أن عبد الملك لم يزل متخوفًا من البربر، وقد كان يرجو من هذا العمل أن يتضح أمامه مدى استمرارية ثورة البربر قياسًا على صفة تعاملهم مع بلج عند انتقاله إلى المغرب ـ وهذا الأمر أغضب بلج من عبد الملك.

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص82. الضبي: بغية الملتمس، ص212. ابن عذاري : البيان المغرب، ج2، ص30 – 31. حسين مؤنس : موسوعة الأندلس، ج 1، ص33. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص202. السامرائي: تاريخ العرب، ص407. بستو: ثورة البربر، ص450. دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا، ج1، ص158.

Anwar Cheine: Muslim Spain, P 12 - 13.

(2) مرسية (Murcia): مدينة بجنوب شرق الأندلس من أعمال تدمير. انظر الحموي : معجم البلدان، ج 5، ص125.

وفي هذا الوقت تمكن رهائن الشاميين من الخروج من أسرهم بجزيرة أم حكيم بإعانة من بلج، وهم في أشد الغضب من عبد الملك لإساءة حاكم الجزيرة الخضراء لهم، وعدم إرسال الماء والطعام إليهم مما أدى لوفاة شريف دمشقي منهم، وقد كانوا يظنون أن هذا الفعل كان بتوجيه من عبد الملك نفسه.

وهنا اجتمعت الظروف ضد عبد الملك، فقام بلج ضده وأول القبض عليه وهو في قصر الحكم بقرطبة في ذي القعدة من عام 122هـ/ 740م. وانتهى أمر عبد الملك بقتله على رأيين رأى بأن بلج قتله وصلبه، وآخر بأن الرهائن الشاميين هم الذين قتلوه، ويميل الباحث للرأي الثاني بناءً على رغبة بلج في الحكم وحاجته لعدم الاصطدام بمعارضين له، وهو ما حدث، حيث تولى بلج الحكم بالأندلس في عام 124هـ/ 741م[1].

ومن خلال هذه الأحداث ظهر جليًا مدى أهمية الجزيرة الخضراء كمعبر للعدوتين الأندلسية والمغربية، وقاعدة مهمة للإشراف على العدوة المغربية من العدوة الأندلسية . فكانت محط اهتمام الولاة فيما بعد؛ ولهذا أقام بها الوالي الحسام بن ضرار الكلبي [2] جند فلسطين[3].

ولكن على الرغم من هذا إلا أن بُعد الجزيرة الخضراء عن العاصمة قرطبة جعلها هدفًا لأحد الثوار في عهد الوالي يوسف الفهري . فعندما ثار عامر بن عمرو العبدري ضد يوسف، استفاد من هذا البُعد. كما استغل تواجد القبائل اليمنية بكثرة في الجزيرة

---

(1) مجهول : أخبار مجموعة، ص 44 – 45. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 2، ص31. المقريزي تقي الدين : كتاب المقفى الكبير، ج 2، تحقيق محمد اليعلاوي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ / 1991م، ص494. ابن الأثير: الكامل، ص731. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 214 – 216. دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا، ج1، ص160.

(2) الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي أبو الخطار: ولي إمارة الأندلس في سنة مئة وخمس وعشرين للهجرة، من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي والي إفريقية. انظر ابن الأبار أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبو بكر القضاعي : الحلة السيراء، ج1، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص61.

(3) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص61.

الخضراء ـ كما أشرنا سابقًا لذلك ـ وبدأ في استمالتهم إليه بتذكيرهم بفعلة يوسف بهم يوم شقندة[1].

ولم تكن هذه الثورة بالثورة التي يُستهان بها، حيث إن صاحبها كَاتب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[2] يعرض عليه أن يد عو له بالأندلس ويحكمها باسمه، إذا بعث إليه مرسومًا بإمارتها. ووقفت الجزيرة الخضراء إلى صف أول ثائر بها.

وأمام هذه الثورة أعمل يوسف الفهري الحيلة تجاه هذا الثائر، فأمَّنه بشرط سكناه لمدينة قرطبة، ولكن ما أن تم ذلك حتى قام يوسف بإلقاء القبض على عامر وضرب عنقه. وبهذا انتهت هذه الثورة دون أن يرسل إليها يوسف الفهري جنديًا واحدًا[3].

وقد قامت الجزيرة الخضراء في عهد يوسف الفهري بدور كبير في التخفيف من معاناة أهل الأندلس مما وجدوه من الثورات والمجاعات وخاصة في الفترة من (131هـ ـ 136هـ/ 748م ـ 753م) وذلك بتسهيل عبور أهل الأندلس منها إلى بلاد المغرب[4].

وبهذا كانت الجزيرة الخضراء الميدان الوحيد للعدوة الأندلسية ضمن دائرة الأحداث السياسية في عصر الولاة.

وكما كانت العدوة الأندلسية البوابة الأولى للفاتحين المسلمين كانت بداية مؤسس حكم الإمارة الأموية بالأندلس عبدالرحمن الداخل الذي عبر إليها من بلاد المغرب [5]. إلا أن نقطة البداية هذه ورغم اهتمام الأمراء الأمويين بها، وخاصة في شأن تعيين الولاة

---

(1) شقندة (Segunda): قرية بعدوة نهر قرطبة، قبالة قصرها. انظر الحميري: الروض المعطار، ص104.

(2) أبو جعفر المنصور: أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، توفي سنة 158هـ. انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص83 وما يليها.

(3) المقري: نفح الطيب، ج3، ص26. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 ـ 1، ص135.

(4) مجهول: أخبار مجموعة، ص61 ـ 62. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص164.

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص86 ـ 87.

عليها، قد كانت ولفترات زمنية طويلة ومتعددة تسير في اتجاه معاكس لحكم الأمراء الأمويين؛ وذلك بتبعيتها وتزعمها لعدد من الثورات ضد الإمارة الأموية ـ كما سيظهر لاحقًا.

وقد تولى حكم الجزيرة الخضراء في عهد عبدالرحمن الداخل عدد من الحكام هم : عبدالله بن خالد، وعبد السلام بن بسيل، ورزق بن النعمان الغساني[1]، والرماحس بن عبدالعزيز الكناني[2] [3]. ولكن هؤلاء الحكام لم يذكر عنهم في أمر حكمهم للجزيرة الخضراء تفاصيل تذكر . ويرى الباحث أن هذا عائد لهدوء أحوالها في عهد كل من عبدالله بن خالد وعبد السلام بن بسيل، وانشغال المؤرخين بثورة رزق الغساني والرماحس الكناني عن ذكر أحوال الجزيرة الخضراء.

فقد ثار رزق بن النعمان في عام 143هـ / 760م معلنًا ر فضه لتنحية عبدالرحمن الداخل له عن حكم الجزيرة الخضراء، ورافضًا لدخول حاكم الجزيرة الخضراء المُعّينُ إليها. وقد يكون للقاسم بن يوسف الفهري الفار من عبدالرحمن الداخل دور في ذلك، حيث أنه توجه بعد فراره إلى الجزيرة الخضراء. وهنا تمكن رزق من جمع خلق كثير حوله، أغلبهم من القبائل اليمانية، وتوجه بهم إلى شذونة وتملكها، ثم توجه منها إلى إشبيلية وتمكن من دخولها. ولكن الحصار الذي ضربه عبدالرحمن الداخل عليها دفع أهلها إلى تسليم رزق لعبدالرحمن إعلانًا لولائهم له، فقام عبدالرحمن بقتل رزق [4]، وبهذا انتهت

---

(1) رزق بن النعمان الغساني: من أمراء الأندلس وكان على الجزيرة الخضراء، قتله عبدالرحمن الداخل لثورته في عام 143هـ/ 760م. انظر ابن الأثير: الكامل، ص804. الزركلي: الأعلام، مج 3، ص19.

(2) الرماحس بن عبدالعزيز بن الرماحس بن الرسارس بن السكران بن واقد بن وهيب من بني مالك بن كنانة، صاحب الشرطة في حكم الخليفة مروان بن محمد الأموي. انظر ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص189.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص371. ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص 120. عبدالواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي، ص263. البكر: النشاط الاقتصادي، ص39. كمال السيد: بحوث، ص149.

(4) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص120. ابن الأثير: الكامل، 804. النويري: نهاية الأرب، ج 23، ص339 – 340. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص54. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب،

هذه الثورة وعادت الجزيرة الخضراء إلى حكم عبدالرحمن الداخل.

ولكن هذه المدينة عادت للثورة مرة أخرى، وبطريقة ليست ببعيدة عن سابقتها، فقائد الثورة بها حاكمها المعين من قبل عبدالرحمن الداخل، ولكن هناك اختلاف في سبب الثورة. فقائد الثورة هذه المرة هو الرماحس بن عبدالعزيز الكناني صاحب الشرطة في خلافة مروان بن محمد الأموي. وكان قد قدم إلى الأندلس، فعينه عبدالرحمن الداخل واليًا على الجزيرة الخضراء وشذونة[1].

ويظهر أن قدوم الرماحس كان وفق تخطيط مسبق مع الخليفة العباسي محمد المهدي[2] لتقويض دعائم الحكم الأموي بالأندلس والقضاء عليه، فث ورة الرماحس وافقت عددًا من الثورات بالأندلس، بالإضافة إلى أن نهاية الرماحس كانت إلى جوار الخليفة العباسي.

وقد بدأت ثورة الرماحس في عام 163هـ/ 779م ولكنها لم تدم طويلًا، فما إن قضى عبدالرحمن الداخل على الثورات المصاحبة لهذه الثورة حتى باغت الرماحس واضطره للفرار إلى المغرب، ومن ثم توجه الرماحس إلى الخليفة العباسي المهدي.

ومباغتة الداخل للرماحس يظهر أنها كانت سريعة فعلًا حتى أن أحد المصادر وصف بأن الرماحس لم يكن لديه وقت لإكمال ثيابه . وكان قائد هذه المباغتة وزير عبدالرحمن الداخل عبدالله بن خالد، وكانت هذه المباغتة في عام 164هـ/ 780م[3].

ص301. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 1، ص160.

(1) شذونة (Medina Sidonia): مدينة بجنوب الأندلس تتصل نواحيها بنواحي مورور من أعمال الأندلس. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص373.

(2) محمد المهدي: محمد بن عبدالله بن محمد بن علي العباسي المهدي بالله (127هـ – 169هـ) من خلفاء الدولة العباسية، ولي بعد أبيه وبعهد منه سنة 158هـ وأقام بالخلافة عشر سنين وشهرًا، وتوفي سنة 169هـ. انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص400 وما يليها.

(3) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص 117 – 118. ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 189. المقري: نفح الطيب، ج3، ص48. محمد عنان: دولة الإسلام، ج 1 – 1، ص187. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين،

وبهذه الثورة يظهر لدينا أن ولاية عبدالله بن خالد للجزيرة الخضراء كانت على الأرجح بعد قضائه على هذه الثورة، وقد تكون كمكافأة له على عمله . وهنا فالفترة المتبقية والمتوقع كون ولاية عبد السلام بن بسيل بها هي: إما الفترة التي قبل ثورة رزق أو التي بين ثورته وثورة الرماحس. ويرى الباحث أن ولاية عبد السلام سبقت ولاية رزق لكون وصوله إلى الأندلس كان في بداية حكم عبدالرحمن الداخل الذي استعمله على الأرجح منذ وصوله على ولاية الجزيرة الخضراء.

ويلاحظ أن الجزيرة الخضراء والعدوة الأندلسية خلدتا إلى الاستقرار منذ انتهاء ثورة الرماحس إلى أواخر حكم محمد الأول بن عبدالرحمن الأوسط، ولم يشبها سوى حركة طائفية خرجت في عهد الحكم بن هشام (180هـ ـ 206هـ/ 796م ـ 821م) تدين برأي الخوارج وتدعو له، وتتبرأ من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن أتى بعده من الأئمة. لكن هذه الدعوة لم تدم طويلًا وقُضِي عليها في مهدها. وكان ذلك لدور أحد أبناء الجزيرة الخضراء ورئيسها وعين الحكم بها عباس بن ناصح الجزيري [1] الذي أبلغه بهذه الحركة ونصحه بالقضاء عليها قبل استفحالها . وفعلًا هذا ما حدث حيث قدم الحكم بن هشام بنفسه على رأس جيش وصل به إلى باب الجزيرة الخضراء دون علم أهلها، فحمل السيف على أكثر هؤلاء الخوارج ولم تقم لهم بعدها قائمة [2]. كما شابتها ثورة حبيب البرنسي التي يظهر أنها لم تتجاوز كونها ثورة عابرة بجبال الجزيرة الخضراء، حيث أنه ما إن وجه لها الخليفة عبدالرحمن الأوسط جيشه إلا وتمكن من تفريق جموع حبيب البرنسي، وقُتِل عدد كبير من رجاله، وكانت هذه الثورة والقضاء عليها في عام 236هـ/ 850م [3].

ص201 – 202. البكر: النشاط الاقتصادي، ص39.

(1) سيتم الترجمة له باستفاضة في فصل الحياة العلمية "علوم اللغة والأدب".

(2) ابن حيان حيان بن خلف القرطبي: السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1424هـ/ 2003م، ص232.

(3) المقري: نفح الطيب، ج2، ص217. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص231.

ورغم الاستقرار السابق إلا أن الجزيرة الخضراء يظهر عليها أنها أصبحت أرضًا خصبة للثورة ضد الحكم الأموي . ففي عام 265هـ / 878م ثار أهلها بسبب عنف حاكم كورة ريه[1] يحيى بن عبدالله بن يحيى في مطالبته ببقايا عشور متأخرة، مما دفع أهل كورة ريه وكورة الجزيرة الخضراء إلى إعلان الثورة بقيادة يحيى الجزيري، وقد كانت هذه الثورة قوية جدًا حيث لم ينجح التحالف المكون من يحيى بن عبدالله عامل كورة ريه وأخوه أحمد بن عبدالله عامل كورة الجزيرة الخضراء في القضاء عليها رغم نشوب عدة معارك معهم. ولم يُجدِ مع هذه الثورة أيضًا حملة عبدالله ابن حاكم الأندلس محمد الأول سنة 266هـ/ 879م، حتى مع معاونة الوزير هاشم بن عبدالعزيز له . حيث إن هذه الحملة عادت دون أن تحقق شيئًا، و يؤكد هذا بناء عبدالله بن محمد الأول عددًا من الحصون بالمنطقة الثائرة وإسكان المتمسكين بالطاعة بها[2].

ويرى الباحث أن هذه الثورة اكتسبت قوتها من أمرين : الأول: طبيعة التضاريس التي التجئوا لها وهي جبال الجزيرة الخضراء، والأخر : اقتناع الثوار وتمسكهم بفكرة الخروج عن الحكم المركزي، مما يعطي دلالة على أن سبب الثورة لم يكن لأول مرة.

وتلا هذه الثورات المتتابعة تلك الثورة التي اشتعلت في أغلب الأندلس بما فيه العدوة الأندلسية، مستفيدة وبشكل ملحوظ من أهمية موقع العدوة الأندلسية الاستراتيجي وخاصة الجزيرة الخضراء منها، لكونها الملجأ الآمن عند الحاجة للمؤن والأسلحة التي يسهل التزود بها عند الاتصال بالمغرب الإسلامي . وهذه الثورة هي إكمال لمسيرة الثورات السابقة الخانقة على الحكم الأموي، وكانت هذه الثورة الكبرى بين

---

(1) كورة ريه: كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص131.

(2) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص328. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 1، ص308. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص248. محمد بن إبراهيم أبا الخيل: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1416هـ/ 1995م، ص72.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 20.

كل الثورات السابقة، ألا وهي ثورة عمر بن حفصون والتي بدأت في عام 267هـ / 880م بجنوب الأندلس[1]. وقد تمكنت هذه الثورة من هزيمة والي ريه عامر بن عامر، مما دفع الأمير محمد الأول إلى عزله وتعيين عبدالعزيز بن عباس مكانه، وقد قام عبدالعزيز بمهادنة عمر بن حفصون الذي عاد لثورته بعد عزل عبدالعزيز بن عباس. فاضطر الأمير إلى إرسال الوزير هاشم بن عبدالعزيز سنة 270هـ / 883م، وتمكن هاشم من إنهاء هذه الفتنة والعودة بالثوار إلى قرطبة وإلحاقهم بالحشم ومنهم عمر بن حفصون.

ولكن عمر في نفس العام قام بالفرار من هاشم بن عبدالعزيز، ويبدو أن فرار عمر بن حفصون كان بسبب سوء معاملة الأمويين لغير العرب، وتمسكهم بالعصبية في أمور الدولة. وهنا تمثلت هذه الصفة في محمد بن وليد بن غانم صاحب المدينة بقرطبة الذي قام بإهانة ابن حفصون.

ولذلك أعلن ابن حفصون الثورة في حصنه القديم ببشتر[2] سنة 272هـ / 885م واجتمع لديه أتباعه القدامى، وهنا كانت الثورة أقوى من قبل حتى أنها ضمت المناطق الممتدة من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مرسية، فتملك عمر بن حفصون كورة ريه والجزيرة الخضراء وإلبيرة[3] وغيرها من كبار مدن الأندلس وحصونها.

وقد أبدت هذه الثورة قدرة كبيرة على مواجهة الضربات المتتالية، ابتداءً بحكم الأمير محمد الأول ـ كما سبق ـ وانتهاءً بالأمير عبدالرحمن الناصر. فالأمير المنذر بن محمد توفي وهو يحاصر حصن ببشتر، ولم يتمكن خليفته الأمير عبدالله بن محمد من إعادة جمع

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص125 – 126 – 127. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص233.

(2) ببشتر (Barbastro): حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلًا. انظر الحميري: الروض المعطار، ص37.

(3) إلبيرة (Elvira): كورة من كور الأندلس، تقع في جنوب الأندلس، وبينها وبين غرناطة ستة أميال. انظر الحميري: المصدر السابق، ص29.

الجيش الذي تفرق من بعد وفاته[1]. لكن الأمير عبدالله ما أن تولى الحكم حتى وجه حملة إلى جنوب الأندلس بعد أن ركز أمره أولًا على المناطق القريبة من مناطق الثورة، وتمكنت هذه الحملة من ضرب عدد من المدن والحصون كما نجحت في تكبيد عمر بن حفصون خسائر فادحة.

ولم يكتفِ الأمير عبدالله بهذه الحملة بل سار بنفسه على رأس حملة كانت وجهتها القاعدة الرئيسة لعمر بن حفصون حصن ببشتر. ورغم مهاجمة الأمير لمنطقة الحصن إلا أن ابن حفصون لم يخرج لمواجهته في البداية، حيث قام ابن حفصون بمهاجمة مؤخرة جيش الأمير عبدالله بعد انسحابه عن الحصن، ولكن الهزيمة كانت من نصيبه، وذلك في ربيع الأول من عام 278هـ/ 891م[2].

ولم تكن هذه الحملات هي نهاية المطاف بالنسبة للأمير عبدالله تجاه ابن حفصون، بل نحا الأمير منحى آخر بإسناده القيادة لابنه أبان على الحملتين التي وجهها لابن حفصون مما يعطي دلالة واضحة على أن الأمير كان يهدف إلى إكساب الحملات الموجهة لابن حفصون قوة إضافية بتوحيد قائدها.

ويظهر في هذه الحملات تركيزها على منطقة العدوة الأندلسية رغبة في إضعاف ابن حفصون بشكل كبير، الذي كان يعتمد على العدوة الأندلسية في عملية التزود بالمؤن والسلاح.

وقد كانت الحملة الأولى لأبان في عام 285هـ / 898م، وقد تكونت الحملة من مجموعة من جند الأندلس، ويساعد أبان في هذه الحملة القائد أحمد بن أبي عبدة . وقد

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص133. الونشريسي أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج10، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإ سلامية، المملكة المغربية، 1401هـ / 1981م، ص112. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص282.

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 4، ص39. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 249. محمد عنان : دولة الإسلام، ج1 – 1، ص325. محمد أبا الخيل: الأندلس، ص136.

تمكنت هذه الحملة من اختراق العدوة الأندلسية، مبتدئة باختراق الجزيرة الخضراء ومن بعدها الحصون الثائرة إلى أن وصلت لمدينة طريف، ثم عادت هذه الحملة إلى قرطبة. وفي عام 294هـ/ 906م عاود أبان الكرة مرة أخرى، فاحتل الجزيرة الخضراء في رجب من هذا العام وتوجه منها إلى حاضرة ريه وأحرق أرباضها، ومنها توجه بحملته إلى الساحل الجنوبي ثم عاد أدراجه إلى قرطبة[1]. وقد كانت حملات أبان هذه تستهدف إضعاف عمر بن حفصون دون مواجهته بشكل مباشر، مما أسهم في إبقاء ثورة ابن حفصون إلى فترة حكم الأمير عبدالرحمن الناصر.

وقد أكمل الناصر مسيرة من سبقه من الحكام في السعي للقضاء على ثورة عمر بن حفصون. وكانت أبرز حملات الناصر تلك الحملة التي خرج بها في شوال من عام 301هـ/ 913م. وكانت وجهة الناصر في هذه الحملة إلى كورة ريه، والجزيرة الخضراء. وقد التقى جيش الناصر بجيش ابن حفصون عند حصن طرش [2]، وكانت نهاية هذا اللقاء هزيمة ابن حفصون ومقتل عدد من جنده، ولكن الناصر رغم هذا النصر لم يتمكن من استعادة الحصن لمنعته، فرحل عنه إلى حصن لورة بالقرب من مدينة الجزيرة الخضراء. وما إن وصلت هذه الحملة إلى حصن لورة حتى وجدته قد خلا من جند ابن حفصون، حيث سبقها النذير إليها مما دفع جند ابن حفصون إلى الفرار، فدخل جند الناصر للحصن وأصابوا شيئًا من الغنائم. ويبدو أن هذا النذير قد وصل أيضًا للجزيرة الخضراء، فقد دخلها الناصر دون قتال في يوم الخميس الرابع من ذي القعدة سنة 301هـ/ 913م، وأقام بها لتنظيم شؤونها. وكان بها عدد من سفن عمر بن حفصون التي كان يقضي بها حوائجه من مؤن وسلاح وتجارة، فاستولى عليها عبدالرحمن الناصر

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص133 – 135. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 264. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 1، ص336.

(2) طرش (Requisito): ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى . انظر الحموي : معجم البلدان، ج 4، ص33.

كلها، حتى التي خرجت عن ساحلها وقام بإحراقها. ولأهمية ساحل الجزيرة الخضراء ـ الذي كان همزة وصل بين ابن حفصون والإمدادات الواصلة إليه من المغرب ـ قام الناصر بنقل السفن من مالقة[1] وإشبيلية وغيرها من المدن إلى ساحل الجزيرة الخضراء، كما قام بتزويدها بصنوف الأسلحة والعدد ومنها النفط وآلات حرب البحر، كما شكل الناصر بسواحل الأندلس دوريات بحرية تجوب سواحلها من الجزيرة الخضراء إلى مرسية لقطع الاتصال بين المغرب وابن حفصون.

ورغم كل ما حدث لابن حفصون إلا أن ثورته لم تنتهِ إلا بوفاته عام 303هـ / 915م[2]. ورغم وفاته أيضًا إلا أن أثر هذه الثورة لازال مستمرًا ببقاء عدد من الثوار المتحالفين مع ابن حفصون، وكان ابن الزيات أحد هؤلاء الحلفاء.

وقد اختار ابن الزيات لثورته الموضع الأهم لثورة ابن حفصون ألا وهي مدينة الجزيرة الخضراء. وأمام هذه الثورة قام عبدالرحمن الناصر بإرسال صاحب الشرطة القائد دري بن عبدالرحمن. وما إن وصل دري إلى الجزيرة الخضراء حتى فر ابن الزيات، لعلمه بأن حاله وإن طال لن يكون بأفضل من حليفه السابق ابن حفصون.

وقد تمكن دري من دخول الجزيرة الخضراء بعد أن جال في ناحية ابن الزيات ودوخها. ووقع في يد دري عدد من الأسرى منهم هابل قائد سابق لابن حفصون، وسبعة من النصارى كانوا قد قَدِموا لمد يد العون لابن الزيات في ثورته. ونقل كل هؤلاء

---

(1) مالقة (Malaga): مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريه، تقع بين الجزيرة الخضراء والمرية. انظر الحموي: المصدر السابق، ج5، ص52.

(2) ابن حيان القرطبي: المقتبس، ج 5، اعتنى بنشره ب. شالميتا، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م، ص86 – 87. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 31. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص282. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص377. السامرائي: تاريخ العرب، ص 159. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص 355 – 356. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص174.

Imamuddin: A Political History, P 130 - 148.

إلى قرطبة وقتلوا وصلبوا بها أسفل باب القصر في يوم الأحد السابع من رمضان من عام 315هـ/ 927م[1].

ولم يكن حال الثورة والعصيان هو الحال السائد بالنسبة للعدوة الأندلسية وخاصة قاعدتها الجزيرة الخضراء . فقد ساهمت الجزيرة الخضراء في دعم الجيوش الأموية ومساندتها، ومن ذلك أن الجزيرة الخضراء أرسلت عددًا من الجند قدر بمئتي وتسعين مقاتلًا ضمن الصائفة التي أرسلها الأمير محمد الأول إلى جليقية [2].

كما برز دورها في الدفاع عن الأندلس ضد حملات النورمانديين الموجهة للأندلس، خاصة وأنها كانت هدفًا مباشرًا لهم . ففي عام 245هـ / 859م هاجمت سفن النورمانديين السواحل الغربية للأندلس باسطول مكون من ثمانين سفينة، وكانت وجهتها مدينة إشبيلية، غير أن هذا الأسطول تراجع أمام الجيش الأندلسي بقيادة عيسى بن الحسن الحاجب. فتوجه الأسطول النورماندي بعد ذلك إلى سواحل مدينة الجزيرة الخضراء وقام بمهاجمتها ـ يرى الباحث أن انتقال النورمانديين من إشبيلية إلى الجزيرة الخضراء لم يكن بسلكهم لطريق البحر القريب من الساحل حيث كان انتقالهم عبر اتخاذ طريق بعيد عن الساحل لا يتمكن أهل الأندلس من رؤيتهم به ـ وتمكن من احتلالها واستباحت حاضرتها، كما قام النورمانديون بحرق مسجدها الجامع، وبعد هذا انسحب النورمانديون من الجزيرة الخضراء بسرعة كي لا يصطدموا بالقوات البرية الإسلامية التي علموا مقدار قوتها من خلال المواجهة السابقة . ولكنهم لم يبتعدوا كثيرًا حيث توجهوا إلى العدوة المغربية وهاجموا مدنها، ثم توجهوا منها إلى تدمير [3] بشرق الأندلس .

---

(1) ابن حيان : المقتبس، ج 5، ص213 – 214. محمد عبدالوهاب خلاف : تاريخ القضاء في الأندلس، ط 1، المؤسسة العربية الحديثة، مصر الجديدة، 1413هـ / 1992م، ص477. حسين مؤنس : تاريخ موسوعة الأندلس، ج1، ص308.

Anwar Cheine: Muslim Spain, P 33.

(2) محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 1، ص311. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص237.

(3) تدمير (Tudmer): كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة . انظر الحموي : معجم

وعند عودة النورمانديين في خط رجعتهم اصطدموا بالأسطول البحري الإسلامي الذي يقوده أميري البحر سبش بن شكوح وخشخاش البحري، واللذان تمكنا في البدء من التغلب على النورمانديين غير أن تكاثر سفن النورمانديين قلبت الكفة عليهم فانتصروا على المسلمين وقتل أمير البحر خشخاش البحري[(1)].

ولم يقتصر النورمانديون على هذه الهجمة تجاه الأندلس بل أعادوا الكرة مرة أخرى في عام 247هـ / 861م، وكانت هذه المرة وجهتهم بشكل مباشر مدينة الجزيرة الخضراء.

ولكن خبر هذه الحملة قد بلغ الأمير محمد الأول مما دفعه إلى الاستعداد لمواج هتها . فكتب أولًا إلى عمال المدن بأخذ الحيطة والحذر، ثم وجه ثلاثة جيوش إلى كل من الجزيرة الخضراء وإشبيلية وريه، وكان يقود جيش الجزيرة الخضراء كليب بن محمد بن ثعلبة . وقد كفى الله ـ عز وجل ـ المسلمين شر هؤلاء النورمانديين بإرسال عاصفة بحري ة عليهم أدت إلى إع طاب أربع عشرة سفينة من سفنهم الستين بالقرب من الجزيرة الخضراء، فعاد النورمانديون بسفنهم الناجية إلى ديارهم. وكتب مطرف بن نصير عامل الجزيرة الخضراء بذلك إلى الأمير محمد الأول[(2)].

البلدان، ج2، ص22.

(1) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص118 – 119. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 20. ابن الأثير : الكامل : ص991. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 1، ص296. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص163 – 164. خليل إبراهيم الكبيسي: غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية، المؤرخ العربي، ع 40، السنة الرابعة عشرة، 1409هـ / 1989م، ص151 – 152. نورة محمد التويجري : جهود حكام بني أمية في الأندلس في مواجهة الغزو النورماندي للدولة الإسلامية في الأندلس وما أسفرت عنه تلك الجهود من نتائج، التاريخ العربي، ع 24، خريف 1423هـ / 2002م، ص84 – 85. ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص134. عبدالرحمن علي الحجي: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ/ 2004م، ص212.

Anwar Cheine: Muslim Spain, P 20 - 21.

(2) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص 119. خليل الكبيسي : غزوات النورمانديين، ص 153. أحمد العبادي :

وقد شكل الموقع الاستراتيجي للعدوة الأندلسية هدفًا للقوى الدولية، فبالإضافة للخطر النورماندي كان هناك الخطر العبيدي، وكان الخطر العبيدي أكثر تهديدًا للحكم الأموي لقربه من الأندلس، وللاختلاف المذهبي بين الدولتين.

وقد كانت العلاقة بين العدوتين الأندلسية، والمغربية منذ بداية الحكم الأموي بالأندلس في حالة مد وجزر. فالأمويون يعلمون مدى حاجتهم للعدوة المغربية، فهي قاعدة دفاع أولى للأندلس، ومركز أساس للتزود بالمؤن والأسلحة والجند - ظهر هذا الأمر منذ بداية الفتح الإسلامي وفي عصر الولاة أيضًا، وقد أتضح هذا كما سبق عند الحديث عن ثورة البربر بالأندلس خلال حكم يوسف الفهري - كما أن سيطرة الأمويين على العدوة المغربية تفيدهم في قطع خط الإمدادات للثوار بالأندلس كما كان ظاهرًا في ثورة عمر بن حفصون.

وهذا الأمر دفع بالأمراء الأمويين إلى الاهتمام بالمغرب والسعي للسيطرة عليه . ولتحقيق هذا الهدف يجب أولًا السيطرة على العدوة الأندلسية لكونها المرتكز الذي سيتم من خلاله السيطرة على المغرب. وهذا ما حدث فعلًا، فقد قام عبدالرحمن الناصر في عام 302هـ/ 914م بتحصين الجزيرة الخضراء، وطريف وأشرف على ذلك بنفسه . كما اهتم الأمويون من قبله ببناء دور صناعة السفن حتى وصل عدد السفن في عهد عبدالرحمن الناصر إلى مئتي سفينة. ونالت الجزيرة الخضراء قصب السبق ضمن المدن التي أنشئت بها دور لصناعة السفن، وبرز الاهتمام بالأسطول البحري خاصة بعد هجمات النورمانديين . ولم يقتصر أمرهم على هذا بل اهتم الأمويون بتحصين مدن العدوة الأندلسية.

وقد تمكن عبدالرحمن الناصر من وضع يده على العدوة المغربية. ففي عام 314هـ /

تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص166. نورة التويجري: جهود حكام بن أمية، ص 87 – 88. عبدالرحمن الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص216.

Salma Khadra: The Legacy, P 27.

926م سيطر على مدينتي مليلة[1] وطنجة، ثم سيطر على مدينة سبته في عام 319هـ / 931م بعد إرسال حملة عسكرية بقيادة أحمد بن محمد بن إلياس ويونس بن سعيد، وقد امتازت هذه الحملة بكثرة المقاتلين البحريين بها ـ قُدِّر تعداد السفن بمئة وعشرين سفينة وعدد المقاتلين بسبعة آلاف مقاتل. وقد انطلقت هذه الحملة من مرسى الجزيرة الخضراء باتجاه مدينة سبته، وتمكنت من الانتصار على بني عصام ولاة الفاطميين على مدينة سبته، وكان على قيادة بني عصام محمد بن أبي العيش بن عمر بن إدريس، وتم ذلك في جمادى الأولى لعام 319هـ/ 931م[2].

ثم قام عبدالرحمن الناصر بتحصين هذه المدن ـ استخدم الناصر في تحصين مدينة سبته حجر الكذان (حجر كلسي) ـ وأمدها بالرجال والعتاد [3]، وبهذا أصبح مضيق

---

(1) مليلة (Ciudad de Melilla): مدينة بالمغرب قريبة من سبته على ساحل البحر . انظر الحموي : معجم البلدان، ج5، ص228.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص179 – 181. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 287 – 288. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص176. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص425. ليلي أحمد نجار: العلاقات بين المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1402هـ - 1403هـ / 1982م - 1983م، ص241 – 242. علي أحمد عبدالله القحطاني: الدولة العامرية في الأندلس، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1401هـ / 1981م، ص147 – 148. عياد المبروك عمار : البحرية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، الجماهيرية العربية الليبية، 1991م، ص4 – 6 – 7.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 23.Imamuddin: A Political History, P 350.

(3) ابن حيان: المقتبس، ج5، ص256. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص181. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 285 – 287. السامرائي : تاريخ العرب، ص 172 – 173. علي القحطاني : الدولة العامرية، ص152 – 153. حسن بن يحيى حسن الشوكاني : تجارة الأندلس في العصر الأموي، رسالة علمية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1420هـ، ص513. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1415هـ/ 1994م، ص372. محمد محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص 116 – 117 – 118. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص175. محمد صبري محمد الطيب الرهبيني : الأندلس (أسبانيا) العلاقات بين المغرب والأندلس،

جبل طارق تحت سيطرة عبدالرحمن الناصر كاملًا.

وكان لحزم الناصر وحكمة سياسته أثر في تطلع أهل المغرب إلى بسط سيادته على بلادهم. ففي عام 319هـ/ 931م أرسل أهل المغرب إلى الناصر طلبًا بأن يرسل لهم من يقوم على أمرهم كرهًا منهم لحكم الحسنيين . فما كان من الناصر إلا أن أرسل لهم صاحب الجزيرة الخضراء أمية بن إسحاق القرشي، الذي حكم سبته بالإضافة لحكمه السابق وبهذا جمع له الناصر أرض العدوتين[1].

ولم يكن تعيين الولاة بالمغرب مقتصرًا على هذا التعيين، فقد ولى الناصر على مدينة طنجة وأحوازها يعلى بن محمد اليفرني وذلك في عام 347هـ/ 958م[2]. وكان لهذا الود دور آخر في قبول بعض شيوخ البربر لدعوة الناصر في البعد عن دعوة عبيد الله المهدي[3].

ولم يقتصر اهتمام الأمويين بالمغرب لتواجد الدولة العبيدية بها، فقد استمر الاهتمام حتى بعد انتقال الدولة العبيدية إلى مصر، خاصة وأن زعماء زناتة وبقايا الأدارسة بالمغرب الأقصى طمعوا في الاستقلال بالحكم عن السلطة الأموية مستفيدين من نزوح الحكم العبيدي عن المغرب الأقصى. وقد غدت العدوة الأندلسية ضمن هذه الأحداث قاعدة أموية عسكرية رئيسة، يتم منها كل ما له علاقة بهذه المنطقة من تجمع الجيوش وتجهيزها وخروجها لوجهتها. ومن ذلك دورها الواضح في القضاء على ثورة حسن بن قنون الحسني، فمنها خرجت حملة الوزير محمد بن قاسم بن طلمس في يوم السبت التاسع عشر من شوال سنة 361هـ/ 971م إلى مدينة سبته، ومنها خرجت حملة الوزير غالب إلى قصر مصمودة في الحادي عشر من رمضان سنة 362هـ/ 972م.

ط1، مطبعة المحمودية، المملكة العربية السعودية، 1415هـ – 1994م، ص176.

(1) ابن حيان: المقتبس، ج5، ص255 – 288 – 289.

(2) ابن أبي زرع علي ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ / 1999م، ص108.

(3) ابن حيان: المقتبس، ج5، ص255.

ومنها أيضًا وصلت الإمدادات لغالب كمدد الوزير يحيى بن هاشم التجيبي الثغري في يوم الأربعاء الحادي عشر من ذي القعدة من هذا العام. ونتج عن هذا المدد المستمر أن أعلن حسن بن قنون رغبته في إعلان الطاعة، فنُقل إلى العاصمة قرطبة لدى الحكم المستنصر بالله، ولكن حال ابن قنون هذا تكرر مرة أخرى في عهد المنصور بن أبي عامر، وكان للجزيرة الخضراء دور مطابق لدورها السابق[1].

ولم يقتصر دور العدوة الأندلسية على ثورة ابن قنون، بل برز دورها أيضًا في إخماد ثورة بلكين بن زيري الصنهاجي، وزيري بن عطية المغراوي، وكلاهما ثار في فترة حكم المنصور بن أبي عامر الذي حول مسقط رأسه مدينة الجزيرة الخضراء إلى قاعدة عسكرية يشرف منها على المغرب، وخاصة مع عودة السيادة العبيدية إلى أرض المغرب. فقد أقام بها عند إرسال جيش بقيادة ابنه عبد الملك المظفر للقضاء على ثورة زيري بن عطية، ومنها كانت تخرج جيوشه إلى المغرب لفرض سيادته عليها[2]. وبهذا فقد تجاوزت الجزيرة الخضراء دور المعبر العسكري لفرض السيادة الأموية على المغرب إلى القاعدة العسكرية التي تتحكم في إدارة السيادة الأموية على المغرب خاصة مع اتخاذ الخليفة الحكم المستنصر بالله لسياسة الاستعانة بجند

---

(1) ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص79 ومايليها. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص112. مجهول: كتاب مفاخر البربر (ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي)، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية — الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996م، ص150 — 151. محمد خلاف : تاريخ القضاء، ص 482. محمد عنان : دولة الإسلام، ج1 — 2، ص495 — 496. محمد الشيخ: دولة الفرنجة، ص 127 — 128. علي القحطاني : الدولة العامرية، ص158 — 159.

(2) ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص199 — 203. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 131 — 132 — 133. مجهول : مفاخر البربر، ص 127 — 162 وما يليها . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص206 — 207. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 — 2، ص557. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص359. علي القحطاني: الدولة العامرية، ص155 وما يليها. محمد الرهبيني : الأندلس، ص 233. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص142.

المغرب في حروبه، وسير المنصور بن أبي عامر على خطاه في هذا المجال[1].

وتبع هذه الأحوال تغير في حال الجزيرة الخضراء وأرض العدوة الأندلسية بصفة عامة، وذلك في حقبة الصراع التي تبعت حكم المستنصر بالله . فقد أدلت الجزيرة الخضراء بدلوها مشاركة رفيقاتها مدن الأندلس في هذا الصراع، غير أن باعها كان أطول منهن، فقد شكلت العدوة الأندلسية ـ الجزيرة الخضراء ـ قاعدة لأحد أطراف الصراع مبتدئة بكونها قاعدة لسليمان المستعين ضد محمد بن هشام المهدي، ثم قاعدة لعلي بن حمود ومن بعده أخوه القاسم ضد الحكم المركزي.

وتعود أهمية العدوة الأندلسية لاسيما منها الجزيرة الخضراء في هذه الفترة إلى أمرين : أولهما: بُعدها عن عاصمة الدولة الأموية قرطبة، وثانيهما : الدور الذي كان يقوم به البربر في هذه الفترة.

فعندما قام المستعين بثورته ضد المهدي جعل من الجزيرة الخضراء قاعدة له يلجأ إليها ويتوجه منها لهدفه، كما أن اتخاذها قاعدة له يرجع لاعتماده على البربر[2] فكانت له قوة داعمة تحولت فيما بعد إلى أداة للقضاء على حكمه، فالقاسم بن حمود الذي قام بتعيينه حاكمًا للجزيرة الخضراء قرابة عام 400هـ/ 1009م تحالف مع أخيه علي بن حمود حاكم سبته ضد المستعين ـ كلاهما كانا من جند المستعين وولاته ـ وأعلنا خروجهما عليه في عام 404هـ/ 1013م.

وقد كانت هذه الثورة قاصمة الظهر للدولة الأموية، ونواة لقيام مملكة من ممالك الطوائف ألا وهي مملكة بني حمود. فنهاية حكم المستعين كانت على يد علي بن حمود ومن معه من البربر إذ قام بمهاجمة قرطبة وتمكن من دخولها، وقتل المستعين بها وذلك في عام

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص102. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص564. أحمد العبادي : صور من حياة الحرب، ص61.

(2) ابن مماتي أسعد بن المهذب بن أبي مليح : لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة، تحقيق نسيم مجلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، ص298. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص95. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص428. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص193 – 194. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص648 – 649. دوزي المسلمون في الأندلس، ج2، ص176.

407هـ/ 1016م[1].

وقد اهتمت أسرة بني حمود بالعدوة الأندلسية وخاصة قاعدتها الجزيرة الخضراء، لدرجة جعلت أفراد هذه الأسرة يتنافسون عليها كما حدث بين القاسم بن حمود وابن أخيه يحيى بن علي المعتلي[2]. ويعود هذا الاهتمام لحاجة هذه الأسرة لدعم بربر المغرب، فبسيطرتهم على الجزيرة الخضراء لا يكون هناك حائل يفصل بينهم وبين البربر[3].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى الدور المهم الذي اضطلع به ولاة العدوة الأندلسية وخاصة ولاة الجزيرة الخضراء في عصر الإمارة والخلافة. وهؤلاء الولاة هم: رزق بن النعمان الغساني، والرماحس بن عبدالعزيز الكناني، وعبدا لله بن خالد وكل هؤلاء تولوا إمارة الجزيرة الخضراء أثناء حكم الأمير عبدالرحمن الداخل . كما تولى إمارتها في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط كل من مطرف بن نصير عام 245هـ/ 859م، وإدريس بن عبيد الله، وإبراهيم بن خالد، وأحمد بن عبدالله [4]. أما في عهد الأمير عبدالله بن محمد فقد ولّي أمرها إبراهيم بن خالد، وحفصون البرنسي مشاركة مع موسى الزيات. كما قام الخليفة عبدالرحمن الناصر بتولية عدد من الولاة على الجزيرة الخضراء ـ كورة ومدينة ـ منهم: عبدالله بن إسحاق في عام 317هـ/ 929م ثم

---

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص 26. الحميدي فتوح بن عبدالله الأزدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السيوفي، ط1، دار الكتب العلمية، بير وت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص23. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص26 – 27. ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر : تاريخ ابن الوردي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م، ص317. ابن عذاري : البيان المغرب، ج3، ص115. المراكشي : المعجب، ص 48. ابن ا لخطيب : أعمال الأعلام، ص 119 – 128. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج2، ص111 – 198. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص133 – 134.

(2) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص318. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص200. المراكشي : المعجب، ص55. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص431 – 507 – 508. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون : ج4، ص197.

(3) سيتم التطرق للعدوة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف في الفصل الأول من الباب الأول.

(4) كان يحكم الجزيرة الخضراء في عام 265هـ/ 878م. انظر الصفحة 54.

عزل عنها عام 319هـ/ 931م بأمية بن إسحاق القرشي الذي بقي على إمارة الجزيرة الخضراء إلى عام 321هـ/ 933م. حيث أتى بعده محمد بن أصبغ والذي لم يدم حكمه كثيرًا حيث عزل في عام 322هـ/ 933م وعُين بدلًا عنه محمد بن داود. وبعد هذا الوالي شهدت ولاية الجزيرة الخضراء تحولًا ملحوظًا بتعيين أكثر من والٍ بها في آن واحد. وظهرت هذه الصورة مسبقًا خلال حكم الأمير عبدالله بن محمد، ففي عام 324هـ / 935م أوكل الخليفة عبدالرحمن الناصر إلى كل من عمر بن عبدالعزيز ومحمد بن أحمد أمر ولايتها. ويرى الباحث أن الناصر سرعان ما أحسّ أن واليين على الجزيرة الخضراء بالأمر الكثير، فعاد إلى أمر تعيين والٍ واحد فقط وكان أمرها لمحمد بن أحمد بن أبي عثمان في عام 327هـ/ 938م، وكلف الواليين السابقين أمر كورة ريه.

وممن ولي أمر الجزيرة الخضراء يحيى بن عبدالله بن حرملة التجيبي، ويحيى بن كثير بن وسلاس الليثي وكلا الواليين حكما الجزيرة في أواخر المئة الثانية للهجرة مع عدم وجود تحديد دقيق لفترة حكمهما. كما كان لبيت عبد الوهاب بن عباس بن ناصح الثقفي دور كبير في رئاسة مدينة الجزيرة الخضراء، ويرى الباحث أن هذه الأسرة قد أدارت أمور المدينة لفترات متكررة بدافع ذاتي، وقد يكون هذا أثناء فترات الأزمات، خاصة وأنه لم يرد تعيين لأحدهم من قِبل الحكم المركزي[1].

ويُلحظ في ولاية الجزيرة الخضراء أهمية ولايتها ومدى ما كانت تمثل لدى الحكام الأمويين، ويبدو هذا ظاهرًا من خلال تعيين أكثر من والٍ على أمرها لأكثر من مرة، بالإضافة إلى تتابع تبديل الولاة بشكل ملحوظ خاصة في فترة حكم الخليفة عبدالرحمن الناصر

---

(1) القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1387هـ/ 1967م، ج2، ص534، ج3، ص76. ابن حيان: المقتبس، ج 5، ص253 – 331 – 355 – 391 – 448. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص313 – 314. كمال السيد: بحوث، ص149. أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز إسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2004م، ص112.

ويتجلى في هذا المقام ما كان للعدوة الأندلسية من دور سياسي منذ بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية الحكم الأموي، كانت الصورة السائدة للعدوة الأندلسية أنها قاعدة عسكرية ساهمت في تدعيم حركة الفتح الإسلامي وإكمال مسيرة د عم الحكم المركزي بالأندلس بصفة عامة، فهي كما ذُكر سابقًا بوابة الأندلس ومفتاحه، ومنطقة إشراف مباشر على مضيق جبل طارق بمدنها الثلاث مع أفضلية ملحوظة لمدينة الجزيرة الخضراء. وهذه الأفضلية لا تعني الإقلال من شأن المدينتين الأخريين خاصة وأنهما عدتا من قواعد الأندلس الإسلامي.

ويرى الباحث أن عدم ورود ذكر جبل طارق وطريف بصورة مقاربة للجزيرة الخضراء عائد لعدة أمور منها:

أولًا: الغموض التاريخي بالنسبة للمدينتين في هذه الفترة، والذي يعود لصغر المدينتين مما افقدهما أن تكونا هدفًا منشودًا للقوى السياسية كما ظهر سابقًا.

ثانيًا: كون الجزيرة الخضراء قاعدة للعدوة الأندلسية دفع الرواة إلى تركيز النظر عليها. ثالثًا: صعوبة تضاريس جبل طارق جعلها هدفًا صعب المنال.

ولكن هذه الصورة ستتبدل في الحقب التاريخية القادمة، وتظهر صورة جبل طارق وطريف بصورة مغايرة عن صورتها في الحقبة السابقة[1].



---

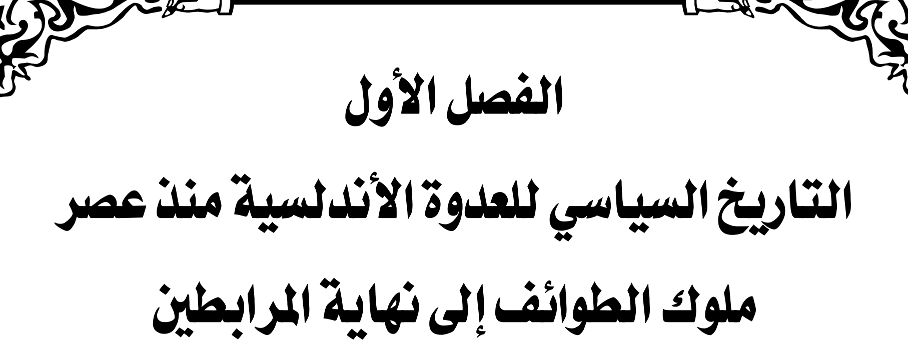
(1) لا يرى الباحث كما يظهر من خلال سرد الروايات التاريخية أن الجيوش الإسلامية كانت تمر بشكل سريع من خلال العدوة الأندلسية، خاصة وأنها تقوم بعبور منطقة بحرية يحتاج بعدها – أو قبلها – إلى إعادة الإعداد والتنظيم للقوات المقاتلة.



الفصل الأول التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى نهاية المرابطين

الفصل الثاني : التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية في عصر الموحدين

الفصل الثالث : التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية منذ عصر بني الأحمر إلى سقوط مدنها في أيدي الأسبان



الفصل الأول

التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى نهاية المرابطين

المبحث الأول: العدوة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف.

المبحث الثاني: اشتداد الحملات الصليبية وتطلع الأندلسيين لعون مسلمي المغرب.

المبحث الثالث: العدوة الأندلسية في عصر المرابطين

المبحث الأول

العدوة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف

تُعتبرُ حقبة ملوك الطوائف من أكثر الحقب الأندلسية تسارعًا في الأحداث السياسية؛ وذلك عائد لتحولها من حكم قطب إسلامي واحد إلى حكم أقطاب إسلامية متناثرة بالأندلس، تمثلها أسر سميت بملوك الطوائف، أخذت تتنافس فيما بينها على مختلف الأمور ابتداءً بالألقاب، وانتهاءً بالنفوذ والسلطان.

وقد وصل التمزق السياسي لدرجة تواجد ثلاث وعشرين دولة إسلامية بالأندلس (انظر خريطة 2)، بين إمارات كبيرة كإمارة إشبيلية وإمارة طليطلة ، وإمارات صغيرة يقتصر بعضها على حكم مدينة واحدة كإمارة دانية[1]، وإمارة البونت[2][3].

ومن أمراء الطوائف هؤلاء بنو عباد بإشبيلية وبنو جهور بقرطبة وبنو الأفطس ببطليوس[4] وبنو هود الجذاميون بسرقسطة[5] وبنو صمادح بالمرية[6] وبنو برزال

---

(1) دانية (Denia): مدينة بشرق الأندلس على البحر الأبيض المتوسط . انظر الحميري : الروض المعطار، ص76.

(2) البونت (Puntlandia): قريةٌ من أعمال بلنسية. انظر الحميري: المصدر السابق، ص56.

(3) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص83. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص 193. إبراهيم القادري بوتشيش : المغرب والأندلس في عصر المرابطين ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، نيسان (إبريل) 1993م، ص13.

(4) بطليوس (Badajoz): مدينة بغرب الأندلس . وقد بناها عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبدالله بن محمد الأموي. انظر الحميري: الروض المعطار، ص46.

(5) سرقسطة (Zaragoza): قاعدة من قواعد الأندلس، وتقع شمال شرق الأندلس. انظر الحميري : المصدر السابق، ص96.

(6) المرية (Almeria): مدينة محدثة بالأندلس، أمر ببنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر في عام 344هـ. وهي بجنوب شرق الأندلس. انظر الحميري: المصدر السابق، ص183.

بقرمونة[1] وبنو نـوح بمورور [2] وبنو ذو النو ن بطليطلة وبنو حمـود بمالقة والجزيرة الخضـراء وبنو زيـري بغرناطة[3] والصقـالبة بدانية والجزر الشرقية.. الخ[4].

وقد كان ظهور هؤلاء الأمراء منذ بداية القرن الخامس الهجري أي أنهم تواجدوا بالساحة السياسية مع تواجد الخلافة الأموية بها. تلك الخلافة التي لفظت أنفاسها نتيجة المطامع والتكالب على النفوذ الذي مزق وحدة الأندلس وقضى على هيبة الخلافة التي امتهن أمراء الطوائف صبغتها الشرعية بتعدد القائمين عليها . ومن ذلك تولي أربعة خلفاء للخلافة في زمن واحد هم محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء، وخلف الحصري بإشبيلية، ومحمد بن إدريس بمالقة، وإدريس بن يحيى بن علي بن حمود ببشتر في موضع لا يزيد عن ثلاثين فرسخًا في مثلها ـ 180كلم2 [5].

ولإحقاق الحق لم يسعَ كل أمراء الطوائف إلى الاستقلال بممالكهم، فبعضهم وجد نفسه واليًا لما بيده دون خليفة يقوم بأمره وأمر المسلمين ـ أعلن الوزير ا بن جهور إنهاء الخلافة في عام 422هـ/ 1030م[6] ـ وهنا اضطر لإدارة ولايته بنفسه.

وكان لتكالب ملوك وأمراء الطوائف على النفوذ والسلطة أثر في تحجيم عدد تلك

---

(1) قرمونة (Carmona): مدينة قديمة بشرق إشبيلية، وبينها وبين إستجة خمسة وأربعون ميلًا. انظر الحميري : المصـدر السابق، ص158

(2) مورور (Moroacuten): كورة متصلة بأحواز قرمونة. انظر الحميري: المصدر السابق، ص188.

(3) غرناطة (Granada): أقدم مدن كورة البيرة، وهي من أعمال الأندلس، ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص221.

(4) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 61 – 83. ابن بسام : الذخيرة، ج 2، ص714 – 715 – 716. المقري: نفح الطيب، ج 1، ص429 - 438 وما يليها . مهجة أمين الباشا : سقوط الأندلس، ط 1، شراع للـدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م، ص59 وما يليها.

(5) الحميدي: جذوة المقتبس، ص33. الضبي : بغية الملتمس، ص 36. المراكشي : المعجب، ص 71. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج2، ص97 – 98 – 208.

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص204. عبدالرحمن علي الحجي : تاريخ الأندلس، ط 5، دار القلم، دمشق، 1418هـ/ 1997م، ص323.

الممالك، فقد زال حكم بني حمود على يد بني زيري وبني عباد، كما ابتلع النصارى إمارة بني ذي النون بطليطلة وإمارات بلنسية[1] وشنترين [2] وأشبونة [3]، وهذا قبل أن يصل المرابطون للأندلس ويكملوا إنهاء حكم ملوك الطوائف بالأندلس، وذلك رغبة منهم في توحيد صف المسلمين أمام أعدائهم النصارى الذين لم يألوا جهدًا في القضاء على حكام الطوائف[4].

وهنا استحق ملوك الطوائف قول الشاعر أبي الحسن بن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلسٍ	أسماءُ معتمدٍ فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهر يحكي انتفاخًا صورة الأسد [5]

وقد كان هذا التمزق صورة لما كانت عليه أحوال الأسرة الأموية الحاكمة للأندلس. إذ عمد الثائر محمد بن هشام المهدي [6] إلى عزل الخليفة هشام بن الحكم [7] ليدخل في صراع مع سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله[8]، الذي وجد في البربر سندًا كبيرًا له ـ

---

(1) بلنسية (Valencia): مدينة سهلية بشرق الأندلس، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يومًا . انظر الحميري: الروض المعطار، ص47.

(2) شنترين (Santarem): مدينة بغرب الأندلس، معدودة من كور باجة . انظر الحميري : المصدر السابق، ص113.

(3) أشبونة (Lisboa): من كورة باجة المختلطة بها وهي بغربها وبغرب الأندلس أيضًا . انظر الحميري : المصدر السابق، ص16.

(4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص438. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص301، ج4، ص200 وما يليها. مهجة الباشا: سقوط الأندلس، ص59 وما يليها.

(5) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص83. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص144.

(6) محمد بن هشام المهدي: هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر، ثار ضد هشام بن الحكم في جمادى الآخرة من عام تسع وتسعين وثلاثمائة وخلعه عن الحكم . وقد تلقب بالمهدي، ولد سنة ست وستين وثلاثمائة وقتل عام أربعمائة للهجرة. انظر الضبي: بغية الملتمس، ص24 — 25.

(7) هشام بن الحكم بن عبدالرحمن الناضتولى الحكم وعمره عشرة أعوام وأشهر بعد والده، وقد قام بأمره محمد بن أبي عامر ومن بعده ابنه عبد الملك، قتل هشام سنة تسع وتسعين وثلاثطئة الضبي المصدر السابق، ص24.

(8) سليمان بن الحكم المستعين بالله: هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، دخل قرطبة سنة أربعمائة وتلقب بالمستعين بالله. ولد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة للهجرة وقتل سنة سبع وأربعمائة للهجرة .

هؤلاء البربر سيكون لهم دور مؤثر في هذا الصراع وهم الذين سيكوّنون فيها بعد عددًا من دويلات ملوك الطوائف وخاصة في جنوب الأندلس ـ فقد قام البربر بمبايعة سليمان المستعين بالله، وذلك لما لاقوه من سوء معاملة من قبل الحاكم محمد المهدي . وهنا توجّه هذا التحالف باحثًا عن مساعد له يساعده للوصول إلى هدفه سدة الحكم . فكانت الوجهة إلى طليطلة، وكان المساعد قومس قشتالة ابن الأذفونش الذي لم يتوان عن المساعدة التي ستؤدي في كافة الأحوال إلى إضعاف المسلمين وتمزيق صفوفهم.

ووصل هذا التحالف المكون من جند المستعين بالله، وجند النصارى إلى سفح جبل بشرق قرطبة يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الأول من عام 400هـ / 1009م، وكان لهم النصر على المهدي بعد يومين من وصولهم أي يوم السبت الثالث عشر، وقد قُتل عشرون ألف مقاتل من جيش المهدي في هذه المعركة ورغم وضوح المبالغة لكنه دليل على عظم الخسارة، وهنا تمكن المستعين بالله من دخول قرطبة والسيطرة عليها بعد خروج المهدي منها، وعلى أثر هذا النصر تولى سليمان المستعين بالله الحكم ودخل قصره في السادس عشر من شهر ربيع الأول[1]. غير أن المستعين بالله لم يهنأ بهذا الحكم إلا عدة أشهر، حيث إن المهدي جارى خصمه في الاستعانة بحليف نصراني، ووجد ضالته لدى قومس برشلونة[2] ريموند بوريل الثالث، الذي لم يتوان هو الآخر عن تقديم الإعانة للهدف الذي يشارك به قومس قشتالة بالإضافة لغنيمة خاصة تمثلت في التنازل له عن مدينة سالم[3]. وقد دبر هذا الأمر وأعده الفتى واضح العامري.

انظر الضبي: المصدر السابق، ص24 – 25 – 26.

(1) الضبي : المصدر السابق، ص 24. ابن بسام : الذخيرة، ج 1 – 1، ص43. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص428. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص352.

(2) برشلونة: مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلًا، وبرشلونة على البحر، وهي دار ملك للإفرنج. انظر : الحميري: الروض المعطار، ص42.

(3) مدينة سالم (Medinaceli): من أكبر مدن الأندلس، ألفاها طارق بن زياد عندما فتح الأندلس خرابًا فعمرت في الإسلام. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص194.

وكان لقاء المهدي وحلفائه النصارى بمدينة طليطلة، ومنها توجهوا لمدينة قرطبة لنزعها من يد المستعين بالله الذي قابلهم ع لى بُعدِ عشرين ميلًا منها في موضع يعرف بعقبة البقر، وكان جيش المهدي يقدر بتسعة وثلاثين ألف فارس، منهم تسعة آلاف فارس من النصارى. ورغم مقتل القائد أرمنجول أخو ريموند بوريل الثالث وعدد كبير من جنده إلا أن تحالف المهدي كان هو الغالب في نهاية المطاف. وتمكن من دخول قرطبة في شوال من عام 400هـ/ 1009م[1] بعد هزيمة المستعين بالله الذي تفرقت قواته، وفر إلى شاطبة[2]. أما جنود البربر فقد قاموا بالخروج بأولادهم وأموالهم من الزهراء[3] متوجهين إلى الجزيرة الخضراء.

ولكن هذه الفرقة لم تدم طويلًا حيث قام المستعين بالله بال لحاق بالبربر والاجتماع بهم لإعادة تنظيم تحالفهم السابق، فتم له ما أراد. وقد قام المستعين بالله مع حلفائه البربر بجعل جنوب الأندلس بما فيه العدوة الأندلسية ميدانًا فسيحًا للانتقام لهزيمتهم السابقة. ففي عام 401هـ/ 1010م قام المستعين بالله ومن معه من البربر بمهاجمة مدينة مالقة وقتل وسبى أهلها، ولم يغادرها المستعين بالله والبربر عنها إلا بمبلغ دفعه أهل مالقة لرده عنهم قدر بسبعين ألف دينار.

لكن المستعين بالله والبربر لم ينتهوا عند هذا الحد بل انتقلوا من مالقة إلى الجزيرة الخضراء، التي لم تكن بأقل حظًا من سابقتها، فقد تعرض أهلها للقتل والسبي، وجُمِع من سبي منهم بدار صناعتها[4].

---

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص25. المقري: نفح الطيب، ج1، ص428. ابن مماتي : لطائف الذخيرة، ص 298. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص353. عبادة كحيلة: المغرب، ص232.

(2) شاطبة (Jativa): مدينة بشرق قرطبة والأندلس، وهي مدينة كبيرة قديمة. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص351.

(3) الزهراء : مدينة في غربي قرطبة، بناها الخليفة عبدالرحمن الناصر، وبينها وبين قرطبة خمسة أميال . انظر الحميري: الروض المعطار، ص95.

(4) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص95 – 102. ابن مماتي : لطائف الذخيرة، ص 298. المقري : نفح

وهذه الأمور لم تكن خافيةً عن المهدي، فما إن أقام أمره بقرطبة حتى تابع المستعين بالله والبربر. وكان لقاؤه بهم عند وادي آره قرب مدينة مربلة [1]، غير أن هذا اللقاء لم يكن لصالحه حيث تمكن المستعين بالله والبربر من هزيمته وإجباره هو وحلفاؤه النصارى على العودة إلى قرطبة، وتكبيدهم خسارة كبيرة منها قتل ثلاثة آلاف من جند النصارى والحصول على عدد من الغنائم والأسلحة والخيل. وتورد بعض الروايات أن المستعين بالله والبربر لم ينتهوا عند هذا الحد بل قاموا بمتابعة المهدي إلى قرطبة لكنهم لم يقوموا بدخولها[2].

ويظهر من سياق الأحداث أن الجزيرة الخضراء قد استخدمها المستعين بالله مقرًا له قبل عودته لقرطبة، تلك العودة التي تمت في عام 403هـ / 1012م بعد معركة وقعت بينه وبين المهدي بجبل قنطش انتهت بانتصار المستعين بالله ودخوله قرطبة [3]. وابتداءً من هذا الحدث بدأت العدوة الأندلسية تتأثر بالخليفة الجديد الذي قام بتولية والٍ على الجزيرة الخضراء هو القاسم بن حمود [4]، وذلك عرفانًا منه لدور القاسم وأخيه علي قائدي فرقة المغاربة في دعمه أثناء صراعه على الحكم. وكما نال القاسم مكافأة المستعين

الطيب، ج1، ص428. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص193 – 194. السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين، ص 353 – 354. عبادة كحيلة : المغرب، ص 232. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج 2، ص176.

(1) مربلة (Marbella): مدينة بجنوب الأندلس، بالقرب من مرسى مالقة. انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص180.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص25. ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص93 – 102. ابن مماتي: لطائف الذخيرة، ص298. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 128. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص428. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص193 – 194. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 353 – 354. عبادة كحيلة: المغرب، ص232. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص176.

(3) ابن الأثير: الكامل، ص1348. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص133.

(4) هو القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر، من أبناء عمر بن ادريس . انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص196.

بالله فكذلك نالها أخوه علي وتمثلت في توليته مدينتي سبته وطنجة، أي أن الأخوين توليا السيادة على عدوتي الأندلس والمغرب[1].

وهنا لم يدر بخلد الخليفة المستعين بالله بأن الواليين السابقين سيخرجـان عن أمره، وأنهما سيعملان على ترسيخ نفوذهما في العدوتين. ففي عام 407هـ/ 1016م خرج علي بن حمود عن طاعة المستعين بالله، ويظهر أنه أخذ من خروج خيران العامري أحد أصحاب هشام المؤيد ضد المستعين بالله محفزًا له في البدء في تنفيذ فكرة الخروج عن حكم المستعين بالله ـ ويرى الباحث أن خروج علي بن حمود لم يكن لأمر قام به المستعين بالله بل لشعور علي وأصحابه البربر بأنهم أصحاب فضل على المستعين بالله، وأحق منه بما وصل إليه خاصة وأنه اعتمد عليهم بشكل كلي كما ظهر من خلال الأحداث السابقة، وقد كان كلا الخارجين عن الحكم على اتفاق مسبق فيما بينهما حيث اجتمعا مباشرة بعد إعلانه ما الخروج بمدينة مالقة[2].

وقد كان علي بن حمود يطمح من هذا الخروج للوصول إلى كرسي الخلافة، ذلك الطموح الذي تميز به عن غيره من الخارجين في تلك الفترة . وقد أعدَّ علي لهذا الأمر إعدادًا مسبقًا كي يتجنب أي اصطدام بينه وبين غيره، وخاصة مع أنصاره البربر يمنعه من الوصول إلى هدفه، ولذلك اجتمع مع زعيم الصنهاجيين بالأندلس زاوي بن زيري

---

(1) الحميدي : جذوة المقتبس، ص 23. الضبي : بغية الملتمس، ص 26. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص198. المراكشي: المعجب، ص48. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 119. ابن بسام : الذخيرة، ج 1 – 1، ص37 – 38. النويري: نهاية الأرب، ج23، ص429. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17، ص133 – 134. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص118. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص196. ابن الأثير : الكامل، ص1361. لويس سيكو دي لوثينا: الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، ترجمة عدنان محمد آل طعمة، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1992م، ص19.

Imamuddin: A Political History، P 233.

(2) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ص317. ابن بسام: الذخيرة، ج1 – 1، ص38. ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص120.

بغرناطة[1]. كما أن علي قام بإبراز وصية قدِمَ بها بعض الحسنيين المؤيدين له يظهر بها أن هشام المؤيد قد أوصى له بالخلافة، وهذا كي يضفي صبغة الشرعية على حركته . وكل هذه الخطوات لم يقدم عليها علي بن حمود إلا بعد مخاطبة أخيه القاسم بذلك ودفعه للخروج من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء.

وبعد هذا توجه علي بالفعل لقرطبة لانتزاع الحكم من المستعين بالله، فدخلها في الثاني والعشرين من محرم عام 407هـ / أول يوليو 1016م وهو اليوم الذي عُزل به المستعين بالله عن الخلافة. ولم يقتصر الأمر على هذا بل قام علي بقتل المستعين بالله وأخيه عبدالرحمن وأبيه الحكم، ثم أعلن علي بن حمود نفسه حاكمًا وتلقب بالناصر لدين الله، وله من العمر اثنان وخمسون عامًا[2].

ومنذ هذا التاريخ بدأ حكم بني حمود لقرطبة ذلك الحكم الذي لم يدم بها سوى سبع سنين عاد بعده لبني أمية سبع سنين أخرى، ثم كان لملوك الطوائف التناوب على حكمها ومنهم بنو حمود أنفسهم[3]. وقد شملت مملكة بني حمود بالإضافة لقرطبة كورتي مالقة والجزيرة الخضراء؛ تلك الكورتان اللتان لازمتا حكم بني حمود إلى نهاية عهدهم[4].

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص120. المراكشي: المعجب، ص77. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص413. السامرائي: تاريخ العرب، ص219.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص26 – 27. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص111. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 121. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1، ص412. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص413. السامرائي: تاريخ العرب، ص219 – 220.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص26 – 27. الضبي: بغية الملتمس، ص 27. ابن عذاري : البيان المغرب، ج3، ص115. ابن بسام: الذخيرة، ج1 – 1، ص41 – 42. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص111. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 121. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص195. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الم غرب، ج 1، ص399. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص 413. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص412. لويس لوثينا: الحموديون، ص22.

(4) يلاحظ غموض تاريخ بني حمود، وعدم وصول سوى شذرات من تاريخهم . وهذا ما يؤيده عدد من المؤرخين. انظر يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، ط 2،

وتعتبر منطقة جنوب الأندلس مجمع إمارات البربر في عصر الطوائف كإمارة بني يفرن في رندة[1]، وإمارة بني دمر في مورور، وإمارة بني خزرون في شذونة[2] وأركش[3]، وإمارة بني برزال في قرمونة[4]، وإمارة باديس بن حبوس بغرناطة.

ورغم كثرة هذه الإمارات البربرية إلا أن صمودها في زمن الصراع قد اختلف فيما بينها، كما أن بعضها سقط على يد إمارة بربرية، وبعضها الآخر سقط على يد إمارة عربية، وكان من أبرز هذه الإمارات العربية إمارة بني عباد التي بسطت نفوذها على عدد من هذه الإمارات ومنها إمارة بني حمود بالجزيرة الخضراء[5].

تلك الإمارة التي أرسى قواعدها ـ كما اتضح سابقًا ـ علي بن حمود كإمارة قوية لم يضعفها سوى نزاع بني حمود فيما بينهم. وقد كانت بداية ثورة علي بن حمود ضد الحكم المركزي في عام 404هـ/ 1013م بمدينة سبته. وكأي ثورة بدأ علي أمره بقتل قاضي سبته محمد بن عيسى والفقيه ابن يربوع كبير سبته وذلك لنقلهم أخباره إلى المستعين بالله[6].

وقد تمكن علي خلال عامين من كسب ثقة عدد من أمراء الثغور الجنوبية

مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1377هـ/ 1958م، ص29.

(1) رندة (Ronda): مدينة بجنوب الأندلس غرب مالقة. انظر الحميري: الروض المعطار، ص79.

(2) شذونة (Medina Sidonia): مدينة بجنوب الأندلس، وتجمع كورة شذونة بين خير البر والبحر. انظر الحميري: المصدر السابق، ص100.

(3) أركش (Arcos de la Frontera): حصن على وادي لكه جنوب الأندلس. انظر الحميري: المصدر السابق، ص14.

(4) قرمونة (Carmona): مدينة قديمة تقع جنوب الأندلس، إلى الشرق من إشبيلية. انظر الحميري: المصدر السابق، ص158.

(5) مهجة الباشا: سقوط الأندلس، ص61.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص115. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص121. لويس لوثينا: الحموديون، ص20.

للأندلس[1]. ويرى الباحث أن لأخيه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء دورًا كبيرًا في كسب هذه الثقة.

وهنا لم يتبقَ أمام علي سوى الانتقال إلى الأندلس لإكمال خطوات الوصول إلى سدة الحكم. فكان عبوره في أواخر عام 406هـ/ 1015م من سبته إلى الجزيرة الخضراء مقر أخيه القاسم، ومنها توجه علي إلى مالقة بصحبة عدد من أشياعه، وذلك لأن حاكمها عامر بن فتوح الفائقي أحد مؤيديه قد تنازل له عن حكم مدينته مالقة وسلمها له . فكانت مالقة منطلق علي إلى قرطبة، وهناك توصل علي إلى سدة الحكم بعد هزيمة المستعين بالله وقتله ـ كما أوضحنا سابقًا. وبهذا تحولت قرطبة إلى قاعدة أولى لحكم بني حمود[2].

وقد تمكن علي من إرساء حكمه الذي لم يشبه سوى شائبة واحدة تمثلت في خروج عدد من العبيد وبعض المغاربة ضده ومبايعتهم للمرتضى[3] أخي الخليفة السابق المهدي، غير أن هذه الثورة لم تدم طويلًا وذلك لاغتيال المرتضى[4].

ويلحظ عند الحديث عن فترة حكم علي قلة الروايات التي تصف سياسته في الحكم، وقد يعود هذا الأمر لقصر مدة حكمه حيث أنها لم تزد عن سنتين. وقد كان علي يقوم بأمر دولته من النظر في المظالم وإقامة الحدود بنفسه. كما أنه قام بتولية أخيه وأبنائه على المدن الخاضعة له، فأقام ابنيه إدريس على مالقة ويحيى على سبته، كما ولى أخاه القاسم مدينة إشبيلية [5]، التي أضيفت لحكمه السابق الجزيرة الخضراء . وقد أكسبت هذه

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص121. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص659.

(2) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص26 – 27. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 121. محمد عنان : دولة الإسلام، ج1 – 2، ص659. لويس لوثينا: الحموديون، ص20.

(3) المرتضى: هو عبدالرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبدالرحمن الناصر، قتل في عام ست وأربعمائة للهجرة . انظر الضبي:بغية الملتمس، ص27.

(4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص431.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص122 – 123 – 130. لويس لوثينا: الحموديون، ص21.

السياسة علياًً ثباتًا في سيطرته على دولته، ويرى الباحث أن هذه السياسة بالإضافة لدهائه في التعامل مع أنداده الأقوياء من معاصريه وتحوطه من توليتهم ما قد يكون فيه خطر عليه أكسبه استقرار دولته.

ورغم كل الحيطة والحذر الذي امتاز به علي بن حمود إلا أن نهايته كانت داخل قصره إذ قتله ثلاثة من حاشيته الصقالبة هم: منبج، ولبيب، وعجيب في الأول من شهر ذي القعدة سنة 408هـ/ 1017م[1]. ويرى الباحث أن اغتيال علي بن حمود لا يتجاوز كونه قضية بينه وبين صقالبته. وذلك عائد لعدة أمور: أولًا: حيطة علي تمنع وجود متآمرين ضده في داخل قصره. ثانيًا: عدم ظهور أي شخصية يمكن أن يكون لها دور في هذا الاغتيال. ثالثًا: تتابع حكم بني حمود بعد مقتل مؤسس دولتهم بصورة طبيعية.

فقد تولى أخوه القاسم بن حمود[2] الحكم بصورة مباشرة بعد وفاته بست ليال في اليوم السابع من شهر ذي القعدة عام 408هـ/ 1017م. وكان المأمون هو اللقب الذي تلقب به القاسم، وفعلًا أمن الناس مع المأمون حيث كان وادعًا هادئًا . غير أن هذا الأمان سرعان ما تبدد، فبعد أن تولي المأمون الخلافة بسنتين ثار ضده ابن أخيه يحيى بن علي.

لكن هذه الثورة كانت بعيدة عنه حيث كان يحيى بمدينة سبته . ومع هذا فقد اكسب المأمون هذا الثائر القوة بموقفه السلبي، حيث تخاذل عنه ولم يوجه إليه قوة عسكرية تردعه. مما دفعه في عام 410هـ/ 1019م للانتقال من سبته إلى مالقة [3]. وقد اختار

---

(1) الضبي : بغية الملتمس، ص 27. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص122. ابن بسام : الذخيرة، ج 1، ص89. المقري: نفح الطيب، ج1، ص431. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين، ص 359. لويس لوثينا : الحموديون، ص23.

(2) القاسم هو الأخ الأكبر لعلي، فهو يكبره بعشر سنوات. انظر الضبي : بغية الملتمس، ص 27. النويري : نهاية الأرب، ص23، ص432.

(3) الضبي: بغية الملتمس، ص27 – 28. ابن الوردي: تاريخ ا بن الوردي، ج 1، ص318. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص130. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص200. النويري : نهاية الأرب، ج 23،

يحيى مدينة مالقة منطقة عبور لعدة أمـور منها: أولًا: تواجد أخيه إدريس بها منذ حكم أبيهما. ثانيًا: لتواجد مناصرين له ممن كان لهم موقف إيجابي سابق مع والده علي بن حمود عندما ثار ضد الخليفة المستعين بالله . ثالثًا : تواجد محمد ابن عمه القاسم بالجزيرة الخضراء مما منعه من العبور منها ودفعه للابتعاد عنها إلى مالقة[1].

ولم تقف وداعة المأمون عند حدها السابق بل تركت يحيى يعد لأمره بمالقة لمدة عامين دون عوائق. وفي جمادى الأولى من عام 412هـ/ 1021م تمكن يحيى من دخول مدينة قرطبة دون قتال، وذلك لخروج عمه المأمون منها فارًا إلى إشبيلية، رغم علمه بخروج ابن أخيه يحيى إليه منذ شهر ربيع الأول. وهنا يرى الباحث أن وداعة المأ مون لم تكن وحدها السبب في تأخره عن ابن أخيه بل تخاذل من حوله عنه.

لكن هذا التخاذل عارضه القاضي ابن عباد[2] حاكم إشبيلية باستقباله للمأمون ومبايعته، رغم تواجد يحيى بن حمود بقرطبة وإعلان نفسه خليفة من بعد عمه المأمون وتلقبه بالمعتلي[3].

ص432. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 9، ص507 – 508. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص136. المقري: نفح الطيب، ج1، ص431. السيد عبدالعزيز سالم : بح وث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ / 1991 – 1992م، ص461. يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس، ص28.

(1) ابـن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص131. المقري: نفـح الطيب، ج1، ص431. السيـد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج2، ص461.

(2) القـاضي ابن عباد: هو محمد بن إسماعيـل بن عبـاد اللخمي . انظر ابن خلدون : تـاريخ ابن خلدون، ج 4، ص194.

(3) الضبي : بغية الملتمس، ص 27 – 28. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص132. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص200. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص318. الذهبي : تـاريخ الإسلام، ج 9، ص431 – 507 – 508. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17، ص136 – 137. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص431 – 432. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج 2، ص461. يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس، ص28 – 29.

وهنا بدأت الفرقة والانقسام بين أفراد أسرة بني حمود، ذلك الانقسام الذي لازمهم حتى سقوط حكمهم . ففي الثامن عشر من ذي القعدة عام 413هـ/ 1022م عاد المأمون إلى قرطبة بعد أن استعاد قوته بتكوين جيش من البربر توجه به إلى قرطبة، تمكن على أثره من استعادة حكمه السابق، بعد فرار ابن أخيه المعتلي إلى مالقة[1].

ويرى الباحث أن استعادة المأمون لحكمه السابق الذي كان بدعم مباشر من القاضي ابن عباد هدف من خلاله إلى تفكيك حكم بني حمود وزيادة الفرقة بينهم ليسهل عليه السيطرة على ما بيدهم فيما بعد، وهذا ما سيظهر ـ بمشيئة الله ـ عند الحديث عن سقوط حكم بني حمود بالجزيرة الخضراء[2].

ولم يكن المعتلي سهل المراس فقد توجه إلى مركزه الأندلسي مدينة مالقة، ومنها غيّر سياسته في القضاء على حكم عمه المأمون بالتدرج في الاستيلاء على ما يحكمه، ليسهل عليه فيما بعد انتزاع قاعدة الحكم مدينة قرطبة . وهنا كانت الضربة مؤلمة للمأمون بالاستيلاء على الجزيرة الخضراء في ذي القعدة من العام نفسه ـ 413هـ/ 1022م ـ وقد استغل المعتلي عدم تواجد واليها محمد بن القاسم، حيث كان إلى جوار والده يعينه على استعادة حكمه.

ويعتبر سقوط الجزيرة الخضراء في يد المعتلي ضربة مؤلمة للمأمون لكونها مركزًا مهمًا له، وقوة داعمة متى احتاج إليه لاتصاله بالمغرب الإسلامي المصدر الممون للقوة العسكرية، ويظهر اهتمام المأمون بالجزيرة الخضراء عند سيطرة المعتلي عليها حيث وجد بها امرأة المأمون وذخائره مما يدل على أنها كانت مرجعًا وحصنًا له عند أي ظرف

(1) الحميدي: جذوة المقتبس، ص25. الضبي: بغية الملتمس، ص28. ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، 133 – 134. المراكشي: المعجب، ص55. ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج 2، ص200. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص431. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص136. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص197. ابن الأثير: الكامل، ص1362.

(2) انظر الصفحة رقم 97 – 100.

يواجهه.

وكما ضم المعتلي الجزيرة الخضراء فكذلك ضم مدينة طنجة ـ القاعدة المغربية للمأمون ـ وذلك على يد أخيه إدريس حاكم سبته ـ وجه المعتلي أخاه إدريس لحكم سبته منذ خروجه منها عام 410هـ/ 1019م ـ كما بسط حكمه على مدن أخرى بالأندلس، وكل هذا تم في عدة أشهر[1]. وعلى النقيض كان حال عمه المأمون الذي كانت الأمور تسير ضده، فقد ثار ضده أهل قرطبة ونقضوا طاعته وأجبروه على الخروج منها، وبايعوا المستظهر[2] خليفة عليهم، كما صدوا المأمون عن قرطبة عندما حاصرها في العاشر من جمادى الأولى من عام 414هـ/ 1023م.

ولم يكن أهل قرطبة هم الوحيدون الذين صدوا المأمون، بل أهل إشبيلية أيضًا. فقد صدوه عنها عندما توجه إليهم، واخرجوا إليه ابنيه محمد والحسن، وقد كانا بها على ما يظهر منذ توجهه إليها في عام 412هـ/ 1021م.

وهنا كانت وجهة المأمون مدينة شريش، غير أن بقاءه بها لم يدم طويلًا حيث تمكن المعتلي من القبض عليه بها وإيداعه السجن بعد أن استولى على أغلب ما كان بيده من مدن وحصون. وبقي المأمون بالسجن إلى أن تولى الحكم إدريس بن علي ـ ابن أخيه ـ حيث قتل في سجنه خنقًا وذلك في عام 431هـ/ 1039م، ولـه من العمر ثمانون سنة .

---

(1) الحميدي : جذوة المقتبس، ص 25. الضبي : بغية الملتمس، ص 28. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص216. المراكشي: المعجب، ص55. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ص318. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص141. المقري: نفح الطيب، ج1، ص431. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص431. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص541 – 542. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص197. ابن الأثير : الكامل، ص 1363. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص664. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص18.

(2) المستظهر: هو عبدالرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر، بويع بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت لرمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة للهجرة . وقتل لثلاث بقين من ذي القعدة من عام أربع عشرة وأربعمائة للهجرة. انظر الضبي: بغية الملتمس، ص29.

وكما كانت الجزيرة الخضراء أقوى معاقله الشدائد إبان حياته فأنها ضمت رفاته بعد مماته خلال حكم ابنه محمد لها[1][2].

وبنهاية حكم المأمون كان لابن أخيه يحيى المعتلي ما أراد من الوصول لحكم بني حمود. وكما كان علي بن حمود كان ابنه يحيى المعتلي على شاكلته في التطلع إلى حكم يسيطر به على أكبر قدر من الأرض. فقد ضم كل ما كان بيد عمه المأمون كما اتضح سابقًا، ونازع جيرانه ملوك الطوائف حتى سلمت بعض المدائن والحصون له . كما عاد أهل قرطبة وبايعوه بالخلافة بعد عزلهم للخليفة المستكفي بالله [3]، فأرسل إليهم عبدالرحمن بن عطاف اليفرني أحد رجاله وأحد كبار رجال البر بر ليقوم بأمرهم، ثم توجه إليها ودخلها يوم الخميس السادس عشر من شهر رمضان المبارك لعام 416هـ / 1025م. وبقي أهل قرطبة على طاعته إلى عام 417هـ/ 1026م حيث خلعوا عامله ابن عطاف وأقاموا المعتمد[4] أخا الخليفة المرتضي خليفة عليهم[5].

وقد علا حكم يحيى المعتلي بين ملوك الطوائف بقوته وسعة أراضيه المشتملة على

---

(1) سيتم الإشارة إلى حكم محمد بن القاسم للجزيرة الخضراء بعد وفاة يحيى المعتلي. انظر الصفحة 90 – 91.

(2) الضبي : بغية الملتمس، ص 28. الحميدي : جذوة المقتبس، ص 26. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص134 – 135 – 144. المقري: نفح الطيب، ج 1، ص432. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 9، ص508. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص136 – 137 – 518. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص197. ابن الأثير: الكامل، ص1363. محمد عنان: دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص664. يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس، ص28.

Imamuddin: A Political History، P 233 – 234 .

(3) المستكفي بالله: محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن عبدالرحمن الناصر، تولى الخلافة في عام أربع عشرة وأربعمائة للهجرة، وقد استمر بها ستة عشر شهرًا. انظر الضبي: بغية الملتمس، ص29 – 30.

(4) المعتمد بالله: أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبدالرحمن الناصر، أخو المرتضي المذكور . بويع في شهر ربيع الأول سنة ثماني عشرة وأربعمائة للهجرة، وكانت نهايته كغيره من الخلفاء الخلع من الخلافة . انظر الضبي: المصدر السابق، ص31.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص143. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص542. ابن خلدون : ج4، ص197 – 198.

أبرز مدن الأندلس بما فيها مدن العدوة الأندلسية . ويرى الباحث أن المعتلي قد أوكل حكم الجزيرة الخضراء إلى مصعب بن عبدالله الأزدي[1] في هذه الفترة وذلك من خلال إيراد الروايات لتولي مصعب حكم الجزيرة الخضراء دون أن تحدد تأريخًا لذلك، في وقت تورد به أن مصعب كان حيًا قبل عام 440هـ / 1048م[2]، وهنا لا ترد فترة كانت بها الجزيرة الخضراء دون حاكم مثبت سوى هذه الفترة.

ولكن هذه الهمة العالية كانت سببًا في إيغار قلوب ملوك الطوائف عليه وخاصة جاريه ابن عباد ومحمد بن عبدالله البرزالي، حيث كانت نهايته على يديهما وذلك في الكمين الذي أقاماه له بظاهر مدينة قرمونة. فعندما توجه المعتلي لحماية معسكره بقرمونة الذي تعرض لهجوم من ابن عباد، سقط عن ظهر فرسه في كمين أُعد له بظاهر قرمونة، فقام محمد البرزالي بقتله وذلك في نهاية عام 426هـ/ 1034م[3].

وبمقتل المعتلي عاد جيشه إلى مالقة بقيادة وزيريه أحمد بن موسى بن بقنه ونجا الصقلبي. وكان لزامًا عليهما في هذه الحال أن يقيما حاكمًا على الدولة لضمان استمرارية استقرارها، فما أن وصلا إلى مالقة حتى راسلا أخاه إدريس بن علي بمدينة سبته واعلماه بالأمر، وأخبراه بأنهما سيبايعانه بالحكم على أن يقيم ابن أخيه حسن بن يحيى المعتلي واليًا على سبته، فتم الأمر على هذا. وقدم إدريس إلى مالقة وتولى أمر بني حمود من بعد أخيه المعتلي وتلقب بالمتأيد بالله. وقد بايعه أهل مالقة، وقدمت إليه الوفود لمبايعته ومنها وفد

---

(1) أبو بكر مصعب بن عبدالله بن محمد الازدي: أصله من قرطبة، أديب محدث إخباري، كان حيًا قبل الأربعين والأربعمائة للهجرة. انظر الضبي : بغية الملتمس، ص 412. ابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبدالملك : كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ج2، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1423هـ/ 2003م، ص486.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص412. ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص486.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص144 – 188 – 189. النباهي أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي : تأريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق الوضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، طبعه مصححه، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1400هـ / 1980م، ص90. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص137. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص198.

المرية وأعمالها، ورندة، والجزيرة الخضراء، كما بايعه حبوس بن ماكسن وحاشيته الصنهاجيين وذلك كله في منتصف شهر ذي الحجة من عام 427هـ/ 1035م[1]، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى قوة بني حمود وما كان لهم من دور في إقرار حكمهم، كما يرى الباحث أن لتقدير أهل الأندلس للعلويين دورًا آخر في هذا الشأن[2].

وفي شأن ولاية إدريس للعهد ترد رواية على أن ولاية العهد بعد يحيى المعتلي كانت لابنه حسن، غير أنه كان صغير السن يصعب عليه إدارة أمور الدولة، وهنا رأى وزراء المعتلي بأن من الأصلح للدولة أن يقام على شؤونها إدريس بن علي أخو يحيى المعتلي ـ حيث أنه الأقدر على إدارة شؤون الدولة ـ وأن يعين حسن بن يحيى المعتلي على مدينة سبته درءً لانتفاضته هو ومن يؤيده ضد عمه. وتعتبر هذه الرواية صحيحةً وذلك لأنه لو كانت ولاية العهد لإدريس لما عُرض عليه الحكم بشرط إقامة حسن على مدينة سبته[3].

وكما ذكرنا فقد وصف إدريس المتأيد بحسن السيرة في حكمه، فقد دان له ما كان بيد أخيه المعتلي من مدن وحصون، سوى خروج ابن عمه محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء.

ولإدريس المتأيد دور آخر تمثل في إبراز دولة بني حمود بالدولة القوية الفتية بين دول الطوائف، فقد قام بنصرة محمد بن عبدالله البرزالي عندما استنجد به من ابن عباد، وذلك بإرساله جيش بقيادة وزيره ابن بقنه. ويرى الباحث أن إدريس لم يتوجه لنصرة البرزالي

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص144. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 140. المقري : نفح الطيب، ج1، ص432. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص141 – 142. العمري : مسالك الأبصار، ج 24، ص75. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص198. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج 2، ص461. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص671. لويس سيكو: الحموديون، ص35.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص120.

(3) النباهي: تاريخ القضاة، ص90. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص216. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج17، ص141 – 142. العمري: مسالك الأبصار، ج24، ص75. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص671.

بنفسه حذرًا من أن يكون هذا الاستنجاد كمين له كما حدث مع أخيه يحيى المعتلي . تمكن على أثره من دحر جيش ابن عباد الذي يقوده إسماعيل ابن القاضي ابن عباد، وهزيمته وقتل قائده إسماعيل وحمل رأسه إلى إدريس المتأيد [1]. وقد أكسب هذا النصر إدريس ودولة بني حمود قوة إلى قوتهم خاصة وأنه تم نيله من بين أنياب ابن عباد أحد أكبر ملوك الطوائف بالأندلس[2]. ومما يؤكد هذا الحال عدم تعرض دولة بني حمود في عهد إدريس المتأيد ومن بعده لزمن ليس بالقصير لأية هجوم من قبل ملوك الطوائف.

غير أن إدريس لم يطل حكمه حيث توفي في يوم الاثنين السادس عشر من شهر محرم سنة 431هـ/ 1039م على أثر مرض ألمّ به، وذلك بعد يومين من وصول رأس إسماعيل ابن القاضي ابن عباد إليه، حيث وصل إليه وهو عليل ـ دفن إدريس بمدينة سبته . وقد أعقب إدريس عدد من الأبناء حكم منهم محمد المهدي ويحيى القائم وكلاهما تولى حكم دولة بني حمود[3] بمالقة وما يتبعها من مدن خاضعة لبني حمود ما عدا الجزيرة الخضراء التي استقل بحكمها محمد بن القاسم بن حمود بعد وفاة يحيى المعتلي . وكان وصوله لحكمها هذه المرة للمرة الثالثة، فقد تولى حكمها لأول مرة على عهد والده القاسم بن حمود، واستمر يحكمها إلى سقوطها في يد ابن عمه يحيى بن علي بن حمود . ويظهر أن فترة حكم محمد بن القاسم للخضراء قد تميزت بالاستقرار حيث أنها لم تتعرض لأي ه جوم، ولم تخرج منها أي حركة ثائرة على حاكمها وذلك إلى أن وضع يحيى المعتلي يده عليها.

ولم يكن محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء أثناء استيلاء يحيى المعتلي عليها، غير أنه

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص289. المقري: نفح الطيب، ج1، ص432. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص142. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ص29.

(2) يرى الباحث أن هزيمة ابن عباد في هذه المواجهة زادت من إصراره في القضاء على حكم بني حمود.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص192 – 289. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 140. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص432. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص142. العمري : مسالك الأبصار، ج 24، ص75. ابن الأثير: الكامل، ص1364.

قُبض عليه وسجن بمالقة فيما بعد مع والده وأخيه حسن[1].

ولكن محمدًا تمكن من الفرار من سجنه مع أخيه حسن، وتوجه بعد فراره إلى الجزيرة الخضراء وأقام نفسه حاكمًا عليها، لمدة غير معلومة يبدو أنها لم تكن بالمدة الطويلة، حيث قُبض عليه هو وأخوه حسن وسجنا بالجزيرة الخضراء أثناء حكم يحيى المعتلي، ويبدو أن وصول محمد لحكم الجزيرة الخضراء كان على غفلة من يحيى المعتلي الذي يظهر أنه لم يتوقع أن يكون فرار محمد سيدفعه للسعي لحكم الجزيرة الخضراء. ولكي لا يتكرر فرارهما أقام يحيى المعتلي عليهما حارسًا خاصًا يُدعى أبو الحجاج البربري[2]. وبهذا عادت الجزيرة الخضراء لحكم يحيى المعتلي مرة أخرى، لازمت بها الجزيرة الخضراء صف الطاعة ليحيى المعتلي مدة حكمه (414هـ ـ 426هـ/ 1023م ـ 1034م).

ولكن بعد موت يحيى المعتلي انقسمت مملكة بني حمود إلى قسمين: قسم بمالقة، وقسم آخر بالجزيرة الخضراء. وقد كان قسم مالقة لسلالة علي بن حمود. أما قسم الجزيرة الخضراء فقد بدأه وقام بأمره محمد بن القاسم وابنه القاسم من بعده. وكانت عودة محمد بن القاسم لحكم الجزيرة الخضراء للمرة الثالثة بعد وفاة يحيى المعتلي، إذ قام أبو الحجاج البربري الحارس الموكل بمحمد وأخيه حسن عند علمه بوفاة المعتلي بإخراج محمد وحسن ابني القاسم من السجن وتقديمهما للسودان والمغاربة من أهل الجزيرة الخضراء على أنهما سيداهما، ومن ثم قام بمبايعة محمد حاكمًا عليهم، فتبعه المغاربة والسودان خاصة في مبايعة محمد وذلك للود الذي كان يجمعهم بأبيه القاسم بن حمود[3].

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص435. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص199.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص435. القلقشندي أحمد بن عبدالله: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج 1، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1964م، ص352. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص199.

(3) الحميدي: جذوة المقتبس، ص30 – 31. الضبي: بغية الملتمس، ص33. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص130. المراكشي : المعجب، ص 67. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص205. الذهبي : سير أعلام

ويرى الباحث أن هذه المبايعة تمت في الفترة التي امتدت من وفاة المعتلي إلى و صول إدريس المتأيد للحكم، وكان دافع أبي الحجاج على تنصيب محمد بن القاسم حاكمًا لعلمه بأن الحسن بن يحيى المعتلي كان صغير السن لا يصلح للحكم.

ومما يرجح تحديد هذه الفترة عدم توجه إدريس المتأيد بعد توليه للحكم إلى الجزيرة الخضراء لاستعادتها وذلك لكون محمد بن القاسم قد أقام أمره بها حينما كان إدريس يُقرُّ أمره بمالقة. أما عن الوفد الذي توجه لمبايعة إدريس والقادم من الجزيرة الخضراء فيرى الباحث أنه وفد مكون ممن كانوا على طاعة يحيى المعتلي وفي خدمته، ولا يمثلون أغلب أهل الجزيرة الخضراء، ويتأكد هذا بعدم حدوث ثورة دا خلية ضد محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء أثناء حكمه لها.

ورغم تولي محمد بن القاسم للجزيرة الخضراء وخروجه عن حكم بني حمود بإقامته لحكم مستقل عنهم إلا أنه لم يتسمَ بالخلافة.

وقد كان أخوه حسن معينًا له في شؤون حكمه لفترة من الزمن، ابتعد بعدها عن الحياة السياسية نهائيًا وتنسك وتوجه لمكة المكرمة لأداء فريضة الحج وبرفقته أخته فاطمة أرملة يحيى المعتلي [1]، وبهذا الخبر انتهت أخباره . ويرى الباحث أن ابتعاد حسن بن القاسم عن الحكم كان بعد عام 434هـ/ 1042م إذ كان حسن بالجزيرة الخضراء إلى جوار أخيه عندما قدم إليها الوزير نجا الصقلبي [2].

وقد كان انقسام الحموديين سببًا لمقتل أحد رجالهم وحاكمهم السابق القاسم بن

النبلاء، ج17، ص142. ابن الأثير: الكامل، ص1364. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص675 – 676. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ص29. لويس سيكو: الحموديون، ص50.

(1) الحميدي: جذوة المقتبس، ص31. الضبي: بغية الملتمس، ص 33. المراكشي : المعجب، ص 67. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج2، 205 – 206. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص50. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص142. ابن الأثير: الكامل، ص1364.

(2) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص291. العمري : مسالك الأبصار، ج 24، ص78. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص58.

حمود حيث ظن به ابن أخيه إدريس المتأيد سوءًا فقتله[1]، إما خوفًا من أن يعود للحكم مرة أخرى ـ خاصة بعد حكم ابنه محمد للجزيرة الخضراء ـ مما سيضعف احتمالات بقائه على رأس أسرة بني حمود، أو لظنه بأنه كان وراء قيام ابنه محمد بالجزيرة الخضراء . ويُعتبر بقاء القاسم بن حمود لمن هو في موضع إدريس المتأيد عاملًا قويًا وداعمًا لمنافسه محمد بن القاسم[2].

وهنا كان على إدريس المتأيد الخلاص من عمه لضمان بقائه على حكم بني حمود، وقد تم ذلك في عام 431هـ/ 1039م[3]، حيث قتل القاسم وأُرسل جثمانه إلى أبنائه بالجزيرة الخضراء فدفن بها[4].

ولم يكن لهذا الحدث أثر على الطرفين ـ إدريس ومحمد ـ حيث بقيا متجاورين كلًا على حكمه، دون وقوع صدام بينهما. وقد لازم هذا الهدوء الجزيرة الخضراء على النقيض من قرينتها مالقة والتي انبث بها صراعٌ بين أبناء الأسرة الحاكمة ـ كان يصب في مصلحة حاكم الجزيرة الخضراء محمد بن القاسم كما سيتضح لاحقًا[5].

فلما أن تولى يحيى القائم ابن إدريس المتأيد الحكم يوم الاثنين السادس عشر لمحرم من عام 431هـ/ 1039م حتى ثار ضده الحسن المستنصر بن يحيى المعتلي منازعًا له على الحكم، وذلك لضعف يحيى القائم الذي وصل للحكم بدعم ومساعدة وزير أبيه أبي جعفر بن أبي موسى.

---

(1) الحميدي: جذوة المقتبس، ص26. ابن الأثير: الكامل، ص1363. لويس سيكو: الحموديون، ص36.

(2) وقد يكون قتل إدريس لعمه القاسم كان بمثابة إنذار لمحمد ابن القاسم للعودة إلى حكم إدريس بعد مراسلات بينهما، غير أن هذا الرأي لا يوجد ما يدعمه ويؤكده.

(3) الضبي: بغية الملتمس، ص28. الحميدي: جذوة المقتبس، ص26. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص508. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص518. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص664.

(4) سبق الإشارة إلى مقتل القاسم بن حمود في الصفحة رقم 86.

(5) انظر الصفحة رقم 97 – 98.

ويتضح هذا الضعف من عدم محافظة يحيى القائم[1] على كرسي الحكم لأكثر من أربعة أشهر، فقد سلبه الحسن المستنصر منه بعد حصار أجبره على أن يخلع نفسه ويبايع للحسن المستنصر بالخلافة وألاَّ ينازعه إياه فيما بعد، وذلك في جمادى الأولى من السنة نفسها[2].

وقد كان داء الصراع قد توغل فعلًا بين أبناء الأسرة الحاكمة حتى وصل لدرجة وقوعه بين الإخوة أنفسهم، فما أن بدأ الحسن المستنصر حكمه حتى اعتقل أخاه إدريس وسجنه بالقصر على أثر وشاية وصلت إلى مسامعه عن أخيه إدريس . وكما ألزم الحسن المستنصر أخاه إدريس القصر التزم هو بالبقاء بمالقة حتى قتل مسمومًا بها في عام 434هـ/ 1042م[3]. وتعطي هذه النهاية صورة عن الأجواء التي كان يقيم بها بنو حمود بمالقة من فُرقة وتناحر وإن لم تظهر من خلال الروايات.

ومما يزيد الصورة وضوحًا أن أمر بني حمود بمالقة بعد مقتل الحسن المستنصر قد أوكل لابن له صغير السن متواجد بمدينة سبته، في الوقت الذي لا زال به إدريس بن يحيى تحت الإقامة الإلزامية بالقصر، والتي زاد من تشديدها أبو الفوز نجا الصقلبي أحد وزراء الحسن المستنصر والموكل بابنه. ولخلو ساحة حكم بني حمود من رجل يقوم بها، طمح الوزير نجا في أن يقيم حكمًا خاصًا به بعد أن يسقط حكم بني حمود. وقد بدأ فعلًا بذلك حيث صارح البربر بنيته في نزع الحكم من يد بني حمود لصالحه، وأنه حين يتم له الحكم سيحسن إليهم ويقربهم إليه، فلم يجد البربر بدًا من مساعدة نجا على الرغم من عدم رغبتهم به.

ولم يقف نجا عند هذا الحد بل كون جيشًا من المغاربة توجه به إلى الجزيرة الخضراء

---

(1) توفي يحيى القائم في ربيع الآخر من عام 434هـ/ 1042م ولم تقم له قائمة منذ عزله. انظر العمري : مسالك الأبصار، ج24، ص76.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص192. المقري: نفح الطيب، ج1، ص432. العمري: مسالك الأبصار، ج24، ص75 – 76.

(3) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص216 – 289 – 290. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 140 – 141. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص18.

للقضاء على حكم محمد بن القاسم والاستيلاء عليها . ويرى الباحث أن هذه المرحلة تمت بعد أن أتم نجا وضع يده على مالقة أي أنه رفع يد بني حمود عن حكمها . وهذا ما حدث فعلًا فقد أوكل نجا قبل خروجه عن مالقة أحد رجاله والمعروف بالسطيفي عليها لحين عودته من الجزيرة الخضراء[1].

وبتوجه نجا إلى الجزيرة الخضراء بدأ نجمه بالأفول، فبعد أيام من حصاره للجزيرة الخضراء وجد أن جنده قد فتروا عن نصرته، فما كان له إلا أن يعود لمالقة، وبها يعيد تنظيم أوراقه، خاصة ورقة مناصريه حيث إنه يلزم عليه أن يعتمد على الصقالبة لا على البربر، كما أنه بدأ يفكر في التخلص من بعض البربر الذين يشكلون خطرًا عليه ويبدو أن هذا الأمر لم يخفَ عن جنده البربر الذين لم يكن ولاؤهم له خالصًا، ولذلك قاموا بقتله أثناء عودته إلى مالقة، وتولى قتله عبيد للقاسم بن حمود ليلًا وهو في خبائه بقرية فرت بعون[2].

وتورد الروايات أن عودة نجا عن الجزيرة الخضراء كان لدور سبيعة زوجة المأمون بن حمود ـ أم محمد بن القاسم ـ حيث خرجت إليه ولامته على فعلته بقولها «يا أبا الفوز أتقطع مواليك وتكشفهم عن البلاد ما هذا بحسن»[3]. فعاد عن الجزيرة الخضراء إلى مالقة حياءً منها. ويرى الباحث أن عودة نجا لمالقة كانت للسبب الأول أصلًا وإن تم السبب الثاني

ونتيجة لهذه الفوضى السياسية ظهر سائس جديد لها لم يكن أحد أبناء بني حمود ولا أحد وزرائهم، وإنما كان هذا السائس متمثلًا في عامة الناس . فما أن علموا بمقتل نجا إلا

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص291. العمري : مسالك الأبصار، ج 24، ص78. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص58.

(2) الضبي : بغية الملتمس، ص 34. الحميدي : جذوة المقتبس، ص 31. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص216 – 291. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص140 – 141. النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص 90 – 91. ابن حزم : رسائل ابن حزم، ج 2، ص206. العمري : مسالك الأبصار، ج 24، ص78. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص199. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص18 – 58.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص216 – 217. ابن الخطيب: أعمال الأعلا م، ص140 – 141. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص18.

وثاروا ضد السطيفي ووثبوا عليه وفصلوا رأسه عن جسده وضموه إلى رأس نجا فنصبا معًا بالمدينة. ثم قامت العامة بإخراج إدريس بن يحيى من سجنه ومبايعته . وذلك يوم الخميس سادس أحدي شهري جمادى من عام 434هـ/ 1042م، وقد اتخذ إدريس لقب العالي لنفسه، وتبع مبايعة أهل مالقة له مبايعة غرناطة وقرمونة وما بينهما[1].

وكما أشرنا مسبقًا كان الولاء للعلويين، وتاريخ بني حمود الأول منقذًا لهم من سقوط دولتهم، حيث دفعا العامة إلى إعادة إقامة أحدهم على الحكم. لكنها عودة لم تطل فِرقَّة إدريس العالي وقلة عقله وتقريبه للسفهاء وسوء التدبير[2] أكدت لمبايعيه بأن ثقتهم لم تكن للشخص المناسب، وهذا ما دفعهم إلى البحث عن بديل له، فكان ميلهم إلى حاكم الجزيرة الخضراء محمد بن القاسم.

وقد أدى فقدان إدريس العالي ثقة مبايعيه بمالقة إلى انتهاز محمد بن إدريس بن علي بن حمود الموقف لصالحه وإعلان نفسه حاكمًا. ويظهر أن هذا كان بدعم من بعض ممن لم يكونوا على ولاء مع إدريس العالي. وإكمالًا لداء الصراع المستشري بين بني حمود بمالقة عُزل إدريس العالي وتولى محمد بن إدريس الحكم، واتخذ لقب المهدي من بين الألقاب . وقد أساء محمد المهدي التعامل مع رعيته خاصة البربر منهم حيث أعمل السيف في رقابهم، فكانت نهايته الأكيدة قتله مسمومًا[3].

ولم يكن وصول محمد المهدي بمبايعة عامة أهل مالقة بل كان هناك من لا يزال على بيعة إدريس العالي، وهم الذين بايعوا ابنه محمدًا والمتلقب بالمستعلي بالحكم من بعده في فترة مزامنة لتواجد محمد المهدي بالحكم. ويعتبر محمد المستعلي آخر حاكم حمودي بمالقة.

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص291. المراكشي : المعجب، ص 71. النباهي : تاريخ قضاة الأندلس، ص90 – 91. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص657. العمري : مسالك الأبصار، ج 24، ص78. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص58.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص657.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص217 – 218 – 292. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص19.

فقد تُوج عدم رضا البربر عن حكمه وحكم من سبقه بخلعه عن الحكم بعدما تمكن باديس بن حبوس صاحب غرناطة من دخول مالقة والاستيلاء عليها وإسقاط حكم بني حمود بها وذلك في عام 449هـ/ 1057م[1]. وهنا كان خروج باديس بن حبوس عن ولائه لبني حمود لأول مرة بعدما كان يظهر صور الولاء لبني حمود وإن كان ولاءً اسميًا، وذلك على ما يظهر لرؤيته بأنه أكفاء منهم بالحكم وهو ما كان فعلًا أمرًا واقعيًا قياسًا على أحوال بني حمود بمالقة في أواخر أيامهم.

ولم يكن ولاء باديس بن حبوس لبني حمود بمالقة بل كان لبني حمود كافة . فعندما أساء إدريس العالي ثقة مبايعيه ومنهم باديس كان هذا دافعًا لهم للبحث عمن يكون أكفأُ منه بهذه المنزلة، فكان محمد بن القاسم حاكم الجزيرة الخضراء هو خيارهم . ولذلك جمع باديس أمراء البربر ومنهم إسحاق بن محمد بن عبدالله البرزالي حاكم قرمونة، ومحمد بن نوح الدمري حاكم مورور، وابن الأفطس صاحب بطليوس، وفتح الله بن يحيى من أمراء ولبة الغرب، وعبدون بن جزرون حاكم أركش وتوجه بهم لمحمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء وبايعوه بالخلافة، ولقب بالمهدي كنظيره حاكم مالقة وذلك في عام 439هـ/ 1047م[2].

ويرى الباحث أن اجتماع أمراء البربر واندفاعهم للبحث عن قيادة توحدهم هو انعكاس لحال الفرقة التي كانت سائدة بينهم ، والتي حولت الأندلس إلى أشلاء متفرقة[3]. والدليل على ذلك أنه ما أن بويع محمد بن القاسم بالخلافة حتى بدأ في محاولة

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص218. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص142.
Imamuddin: A Political History، P 235.

(2) الحميدي: جذوة المقتبس، ص33. ابن الفرضي : بغية الملتمس، ص 36. المراكشي : المعجب، ص 71. ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج2، ص208. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص303. ابن عذاري : البيان المغرب، ج3، ص229 – 230. لويس سيكو: الحموديون، ص45 – 46 – 50.

(3) بمبايعة محمد بن القاسم بالخلافة اكتمل عدد الخلفاء بالأندلس إلى أربعة خلفاء هم: محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء، وخلف الحصري بإشبيلية، ومحمد بن إدريس بمالقة، وإدريس بن يحيى بن علي بن حمود ببشتر . انظر الحميدي: جذوة المقتبس، ص33. ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص244. ابن حزم: رسائل ابن حزم،

فرض سيطرته على من حوله ممن لم يبايعوه. وكانت له وجهتان: الأولى إلى المعتضد ابن عباد بإشبيلية ـ 439هـ/ 1047م ـ لكن محاولة إخضاع ابن عباد با ءت بالفشل [1]. فكانت الوجهة الثانية إلى مالقة لإخضاع محمد المهدي. ولم تكن هذه الوجهة بأفضل من سابقتها، فنتيجة لحصار طويل لمالقة كانت بوادره تنبئ بعدم استطاعة محمد بن القاسم من إخضاع مالقة، انسحب أمراء البربر عنه، فعاد إلى الجزيرة الخضراء . ولم يتوقف خذلان أمراء البربر تجاهه عند هذا الحد بل قام باديس بإعادة أواصر الألفة والمحبة بينه وبين محمد المهدي صاحب مالقة، مبديًا وفاءه له.

وقد أدت هذه الأحداث إلى وفاة محمد بن القاسم بعد عودته إلى الجزيرة الخضراء بأيام غمًا مما حدث له، وبهذا امتد حكمه اثنى عشر عامًا من عا م 427هـ/ 1035م إلى عام 439هـ/ 1047م [2]، ساد خلالها الجزيرة الخضراء وما حولها وتمكن بهذه الفترة من إبقاء منطقة حكمه [3] بعيدة عن الصراع السائد بالأندلس.

وقد أكمل المسيرة من بعده ابنه القاسم الملقب بالواثق بالله الذي جنب بلاده ويلات الحرب والصراع السائد بين ملوك الطوائف بالأندلس بإتباعه لسياسة أبيه الأولى من عدم التدخل في الصراع الكائن بالأندلس، بل وصل به الأمر إلى عدم التسمي بالخلافة لكي يخرج من دائرة الصراع الواقع على اسمها [4].

ج2، ص97 – 98. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص143.

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص230. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص142.

(2) الحميدي: جذوة المقتبس، ص33. ابن الفرضي: بغية الملتمس، ص 36. المراكشي: المعج ب، ص71. ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج2، ص208. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، كانون الأول/ ديسمبر 1998م، ص110. لويس سيكو: الحموديون، ص46 – 47 – 50 – 51.

(3) يرى الباحث أن جزءًا كبيرًا من أراضي العدوة الأندلسية كانت خاضعة لمحمد بن القاسم.

(4) الحميدي: جذوة المقتبس، ص33. ابن الفرضي: بغية الملتمس، ص 36. ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج 2، ص208. ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 50 – 51. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17، ص657 – 658.

فشهد عهده استقرارًا بالجزيرة الخضراء طوال مدة حكمه، ولم يقطع هذا الاستقرار إلا رغبة المعتضد[1] بن عباد التوسعية، فقد كان صاحب طموح توسعي كبير حيث أنه قبل أن يتوجه إلى الجزيرة الخضراء استولى على أراضي عدد ليس بالقليل من أراضي أمراء غرب الأندلس[2].

وبعدما أنهى الشيخ ابن جهور الصراع الواقع بينه وبين المظفر ابن الأفطس في ربيع الأول من عام 443هـ/ 1051م، وجه ابن عباد وجهته التوسعية إلى الجزيرة الخضراء، وجعل نصب عينيه إمارة بني حمود الكائنة بها لصغر حجمها وقلة جندها ، ولقوته البحرية التي ترجح كفة الغلبة له عليها [3]، بالإضافة لتفرد حاكمها بنفسه خاصة بعد سقوط حكم بني حمود بمالقة على يد باديس بن حبوس . وقد أحكم المعتضد خطته للسيطرة على الجزيرة الخضراء. فوجه قائد جيشه ووزيره عبدالله بن سلام إلى تشديد الحصار على الجزيرة الخضراء من جهتي البر والبحر.

ولم يكن أمام الواثق بالله سوى التحصن بمدينته، وخاصة عندما رفض سوجات ـ يذكر أيضًا باسم سكوت ـ البرغواطي[4] حاكم سبته أن يمد له يد العون بعد أن طلبها منه وكذلك الحال بالنسبة لحلفاء الواثق بالله الأندلسيين . غير أن هذا التحصن لم يدم طويلًا لنقص المؤن، فكان الصلح بين الواثق بالله وعبدالله بن سلام على أن يخرج الواثق

---

(1) المعتضد بالله: أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، حاكم إشبيلية. انظر المراكشي: المعجب، ص72.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص213 – 231. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص16. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص61.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص213 – 231. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 156. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص16.

(4) سكوت البرغواطي: مولى ليحيى بن علي بن حمود اشتراه من سبي برغواطه وهو دون البلوغ، وقد ولاه سبته عندما انتقل إلى الأندلس، وبقي بها حاكمًا إلى سقوط حكم بني حمود. انظر ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، 200. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص35.

بالله من الجزيرة الخضراء بسلام إلى أي جهة شاء وكان ذلك في عام 446هـ / 1054م ـ تورد روايات تاريخية بأن هذه الأحداث تمت في عام 451هـ/ 1059م وبعضها يوردها في عام 461هـ / 1068م غير أن التاريخ الأول هو الأكثر إيرادًا بالنسبة للروايات التاريخية[1]. وبهذا انتهى حكم آخر حاكم حمودي للجزيرة الخضراء، الذي رغب في قصد مدينة سبته ثم عدل عنها لتوجسه سوءًا من حاكمها، ولذلك توجه الواثق بالله القاسم بن محمد بن القاسم إلى المرية لـدى صاحبها المعتصم بن صمادح[2]، وبقي بها إلى أن توفي في عام 450هـ/ 1058م[3].

وبحكم المعتضد بن عباد للجزيرة الخضراء وسيطرته على أراضي العدوة الأندلسية، اعتلى شأن العدوة الأندلسية سياسيًا، حيث تحولت إلى ثغر جنوبي لمملكة من أكبر ممالك الطوائف مملكة بني عباد.

ولهذه الصفة اهتم بها المعتضد وخلفاؤه من بعده بشكل ملحوظ، ومن ذلك توجيه واليه على الجزيرة الخضراء ـ هناك إشارة منفردة تذكر بأن أبو الحسن بن المشاط كان يحكم الجزيرة الخضراء في هذه الفترة[4] ــ إلى تحصين جبل طارق وإقامة العيون به

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص213 – 218 – 231 – 242 – 243 – 294. المراكشي : المعجب، ص72. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 142. القلقشندي : مآثر الأنافة، ج 1، ص352. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 17، ص144. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 1 – 2، ص47 – 48 – 676. الجيوسي : الحضارة العربية، ج1، ص110 . شريفة محمد دحماني: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأن دلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م، ص225.

(2) المعتصم بن صمادح: هو محمد بن معن بن صمادح، لقب بالمعتصم بالله، وهو صاحب المرية، توفي في ربيع الأول سنة 484هـ/ 1091م. انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص190 – 191.

(3) المقري : نفح الطيب، ج 1، ص435. القلقشند ي: مآثر الأنافة، ج 1، ص352. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص199 . السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج2، ص462.

(4) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص823.

حفاظًا عليه[1]، خاصة مع تنامي قوة المرابطين بالمغرب الإسلامي . ويظهر هذا التوجيه عدة أمور:

- استمرارية كون الجزيرة الخضراء في ظل حكم بني عباد قاعدة للعدوة الأندلسية وما حولها.
- ظهور جبل طارق على الساحة السياسية بعد فترة غموض طويلة.
- يتضح أن جبل طارق لم يكن محصنًا من قبل مما ينفي كونه مدينة قبل هذا الحدث.
- بداية دور جبل طارق كقاعدة عسكرية في منطقة العدوة الأندلسية بجوار الجزيرة الخضراء.

ويظهر اهتمام المعتضد بالعدوة الأن دلسية ومتابعة أمورها وحرصه عليها عندما تمكن من تأكيد سيطرته عليها قبل أن يصل إليها ابنه إسماعيل الذي خرج عن طاعته في إحدى الليالي، وتوجه من ليلته إليها لوضع يده عليها معلنًا خروجه عن حكم والده وذلك في عام 449هـ/ 1057م[2]، وقد كان تمكن المعتضد عن طريق أعوان يظهر أنه أقامهم بالعدوة الأندلسية على هيئة حامية عسكرية.

وكما اهتم المعتضد بالعدوة الأندلسية خلفهُ ابنه محمد المعتمد على الله في هذا الاهتمام، فما أن قام على الحكم حتى عين ابنه يزيد الراضي بالله واليًا على كورة الجزيرة الخضراء، مما يؤكد حرصه على أراضي العدوة الأندلسية وخاصة الجزيرة الخضراء منها.

ولتقوية هذه الكورة وهذا الثغر على حد سواء قام المعتمد على الله بزيادة مساحتها

---

(1) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص52. ابن بسام : الذخيرة، ج 2، ص34. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص155. الطاهري: الفلاحة والعمران، ص61 – 126. الطيبي: دراسات وبحوث، ص296.
Imamuddin: A Political History، P 252.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص246 – 247.

بإضافة عدد من المدن لها ومنها مدينة رندة[1]، كي تكتسب قوة إضافية بزيادة عدد جندها ومصادرها الاقتصادية التي ستحتاجها لزيادة قوتها العسكرية من تحصينات برية وأساطيل بحرية.

وبهذا اكتسبت العدوة الأندلسية صفة الاستقرار رغم صدامات بني عباد المستمرة مع جيرانهم المسلمين والنصارى. ويرى الباحث أنه مما زاد من استقرار العدوة الأندلسية قوة بني عباد بالنظر إلى القوى الإسلامية بالأندلس، بالإضافة لبعدها عن وسط الأندلس محور النزاع بين ملوك الطوائف، كما كان لبعد العدوة الأندلسية عن شمال الأندلس مقر حكام قشتالة وليون وغيرهما من حكام النصارى دور في هذا الاستقرار.

وكان ملوك النصارى في هذه الفترة قد بدؤوا حركة استيلاء على أراضي الأندلس التي عمي عنها ملوك الطوائف بانشغالهم بالسيطرة على أراضي بعضهم البعض بصورة أفقدتهم التمييز بين إخوانهم وأعدائهم. بل كانوا يستعينون بأعدائهم على إخوانهم، ومن ذلك استعانة المأمون بن ذي النون[2] حاكم طليطلة بفرناندو الأول ملك قشتالة ضد ابن هود، وتحالف غرناطة مع ألفونسو السادس ضد إشبيلية في عام 446هـ/ 1054م، والأسوأ من ذلك لجوء ملوك الطوائف لدفع الإتاوة لحكام النصارى كي يأمنوا في ديارهم، ومن ذلك دفع المعتضد بالله الإتاوة لفرناندو الأول بشكل دوري كل عام[3].

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص70. ابن خاقان الفتح بن محمد الاشبيلي: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تقديم محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، 1386هـ/ 1966م، ص35 – 36. الطاهري: الفلاحة والعمران، ص 61. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص249 – 250. أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م، ص133.

(2) المأمون بن ذي النون: هو يحيى بن إسماعيل بن ذي النون حاكم طليطلة، توفي بقرطبة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة 467هـ/ 1074م، وأتى من بعده حفيده يحيى القادر. انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص177 – 178.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص238 – 239 – 278 وما يليها. الأمير عبدالله بن بلقين بن باديس: مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب "التبيان"، تحقيق ليفي بروفنسال، دار

ولم يزل هذا العشى عن أعين ملوك الطوائف إلا بعدما غرقوا في دمائهم التي سكبوها بأيديهم وأيدي النصارى، حيث وجدوا أنهم قد أنهكوا أنفسهم في قتال مستديم كان يصب في صالح ملوك النصارى، وخاصة بعدما قام ألفونسو السادس بحملته الشهيرة التي اخترق بها بلاد الأندلس من أقصى ثغورها الشمالية إلى عدوتها عند مدينة طريف، وقد خرب بها عدة نواحي منها نواحي إشبيلية[(1)].

وقد كانت هذه الحملة نتيجة تشدد ألفونسو السادس في تعامله مع ملوك الطوائف بالأندلس. ومن صور هذا التشدد رفض ابن شاليب اليهودي سفير ألفونسو السادس إلى المعتمد المبالغ المالية التي سلمها أبو بكر محمد بن أحمد بن زيدون وزير المعتمد كإتاوة لملك قشتالة بداعي أنها أموال من عيار زائف[(2)]. ويرى الباحث أن قيام ابن شاليب بهذا التصرف كان بتوجيه من ألفونسو السادس الذي كان يبحث عن أي مأخذ على المعتمد حليف والده فرناندو الأول لكي يهاجم بلاده.

وهنا كانت إفاقة المعتمد بن عباد وتبصره لنوايا ألفونسو السادس وهي الإفا قة التي شاركه بها حكام الأندلس وعامته. ونتج عن ذلك اجتماع لبحث الحال الذي وصلت إليه الأندلس. وقد أقيم هذا الاجتماع بطلب من المعتمد الذي وجه إلى جاريه حاكم بطليوس عمر المتوكل ابن الأفطس[(3)] وحاكم غرناطة عبدالله بن حبوس[(1)] نداءً بذلك،

المعارف، مصر، 1955م، ص71 – 73 – 75. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج 1، ص352. محمد عنان : دولة الإسلام، ج2، ص72 – 73. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص384 – 385.

(1) الحميري: الروض المعطار، ص85. المقري: نفح الطيب، ج4، ص358. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248. خليل إبراهيم السامرائي : علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1985م، ص76 – 77. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص393 – 394. محمد أسعد: عصر الاتساق، ص251.

(2) خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص75 – 76 – 77. رجب محمد: العلاقات بين الأندلس، ص 389 – 390.

(3) عمر المتوكل: عمر بن محمد المظفر ابن الأفطس، تلقب بالمتوكل على الله، وتوفي سنة 488هـ/ 1095م انظر

وتم الاجتماع بإشبيلية يمثله قضاة البلدان الثلاث، فوصل من بطليوس القاضي أبي إسحاق بن مقانا، ومن غرناطة القاضي القليعي، ومن إشبيلية القاضي أبو بكر بن أدهم والوزير ابن زيدون. وخلص هذا الاجتماع في أن الحل هو الاستعانة بإخوانهم المرابطين، فتوجه ممثلو هذا الاجتماع كوفد إلى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بالمغرب طالبين منه العون، وقد كان هذا الوفد يحمل معه خطابًا من ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين[2].

وكان عبور هذا الوفد عن طريق الجزيرة الخضراء التي كانت أيضًا منطقة عبور المعتمد بن عباد لطلب عون يوسف بن تاشفين فيما بعد. وقد كانت هذه المفاوضات مع يوسف بن تاشفين ليس على أمر الجهاد المشترك ضد النصارى وإنما كان محور المفاوضات العدوة الأندلسية. فالمرابطون كانوا يرون أن تكون قاعدة انطلاقهم بالأندلس مدينة الجزيرة الخضراء ـ وذلك نزولًا عند نصيحة وزير ابن تاشفين عبدالرحمن بن أسبط ـ في وقت كان ابن عباد يطلب أن يكون هذا الدور لجبل طارق. وقد انتهت هذه المفاوضات إلى اختيار الجزيرة الخضراء كقاعدة لنزول قوات المرابطين بها[3]. وكان أول العابرين إليها

ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص185 – 186.

(1) عبدالله بن بلقين: عبدالله بن بلقين بن باديس بن حبوس، لقب بالمظفر بالله والناصر لدين الله . تنازل عن الحكم ليوسف بن تاشفين يوم الأحد العاشر من شهر رجب سنة 483هـ/ 1090م. انظر ابن الخطيب : المصدر السابق، ص233 – 235 – 236.

(2) لم يقتصر طلب العون من يوسف ابن تاشفين من هؤلاء المجتمعين بل طُلب من علماء الأندلس وعامته، وإنما كان هذا الوفد هو الوفد صاحب الصفة الرسمية بين طلبات المعونة . المقري : نفح الطيب، ج 4، ص360. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص99 – 100. الحميري: الروض المعطار، ص85 – 86. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص83 – 84. ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص239. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص159. الأمير عبدالله: التبيان، ص102 – 103. مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/ 1979م، ص44 ـ 50. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 10، ص608 – 609. الأمير عبدالله : التبيان، ص 101 – 102. القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص249. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248 – 439. محمد أسعد : عصر الاتساق، ص251.

القائد داود بن عائشة بفرقة من الفرسان[1].

وعن دخول يوسف بن تاشفين للجزيرة الخضراء تورد الروايات بأن ه ذا الأمر لم يتم بموافقة المعتمد بن عباد، وأن ابن تاشفين دخلها عنوة. لكن هذه الصورة قد هولت من قبل رواتها خاصة وأنه من المعروف أن المعتمد قد أعان بأساطيله ابن تاشفين عندما أراد الاستيلاء على سبته من يد سواجات البرغواطي عند إعداد أمره لدخول الأندلس في ربيع الآخر من عام 479هـ/ 1086م، بالإضافة لمساهمة تلك الأساطيل في نقل جند المرابطين إلى الجزيرة الخضراء عندما بدأت في عبورها إلى الأندلس[2].

أما بالنسبة لإرسال الراضي بالله ابن المعتمد ـ حاكم الجزيرة الخضراء ـ لأبيه برسالة يخبره بمحاصرة ابن تاشفين للجزيرة الخضراء، فذاك يظهر بأنه عائد للراضي بالله نفسه حيث أنه لم يكن يعلم بأن عليه تسليم المدينة للمرابطين. كما أن موقف المعتمد تجاه هذه الرسالة يؤكد عدم معارضته لنزول المرابطين بالجزيرة الخضراء حيث وجه ابنه بتسليم المدينة لابن تاشفين والخروج منها إلى مدينة رندة[3]. وهذا لا يعني أيضًا أن المعتمد عندما سلم الجزيرة الخضراء للمرابطين كان راضيًا كل الرضا، فهي قاعدة من قواعده التي لم ينسَ أمرها وطلب نيابة عنها غرناطة من ابن تاشفين عندما استولى عليها كبديل لها وذلك في عام 483هـ/ 1090م[4].

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 184. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 2، ص319. غازي سعيد جرادة : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المرابطي بالمغرب، رسالة دكتوراء، إشراف محمد حجي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991م – 1992م، ص71.

(2) هنالك رواية منفردة تذكر أن المعتمد بن عباد قد كتب عقدًا بالجزيرة الخضراء إلى ابن تاشفين بناءً على طلبه . مجهول: الحلل الموشية، ص50.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص70 – 99 – 100. الحميري : الروض المعطار، ص 87. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 245 – 246. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص246 – 247. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص201 – 202. بروكلمان : تاريخ الشعوب، ص320.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص118.

وبانضواء الجزيرة الخضراء تحت أمر ابن تاشفين يكون أول حكم لقوى إسلامية مغربية لأراضي أندلسية بعدما كان الأمر معاكسًا لذلك من قبل، حيث وقعت أراضي مغربية تحت حكم قوى إسلامية أندلسية كما حدث في عهد عبدالرحمن الناصر وبني حمود وهذا من باب ضرب المثل لا الحصر.

ومن الجزيرة الخضراء[1] انتقل ابن تاش فين بجيش مكون من سبعة آلاف فارس وعدد غير محدد من الراجلة، ومن انضوى تحت رايته متوجهًا لقتال ألفونسو السادس وكان خروج الجيوش من الجزيرة الخضراء على صورة أفواج متتابعة فوج تلو فوج ثم كان اللقاء بين ابن تاشفين وملوك الطوائف من جهة، وألفونسو السادس من جهة أخرى في موضع يعرف بالزلاقة[2]، يوم الجمعة الثاني عشر من رجب من عام 479هـ/ 1086م[3].

وعندما كان اجتماع المسلمين لإعلاء كلمة الله كان النصر لهم رغم أن عددهم أقل من عدد جيش ألفونسو السادس المقدر بأربعين ألف مقاتل والمكون من جند قشتالة، ونبرة، وليون، وبرشلونة .. قال تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

وبنهاية المعركة عاد كل قائد إلى دياره، فعاد ألفونسو السادس مثقلًا بهزيمته وجراحه إلى طليطلة، وعاد ابن عباد إلى إشبيلية، كما عاد ابن تاشفين ظافرًا إلى المغرب

---

(1) قام أهل الجزيرة الخضراء بدور كبير تجاه جيش ابن تاشفين من فتح البلد لهم وإعداد سوق به كافة الأقوات والحاجات. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص99 – 100. الحميري: الروض المعطار، ص87. المقري: نفح الطيب، ج4، ص360.

(2) الزلاقة: بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الأندلس. انظر الحميري: الروض المعطار، ص83.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص84 وما يليها. ابن الأبار : الحلة السيراء، ج2، ص100 – 101. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص87. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص246. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص608 – 609. المقري: نفح الطيب، ج4، ص246 – 362. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص28 – 29. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص320.

(4) سورة البقرة، آية: 249.

عن طريق الجزيرة الخضراء [1] التي لم يعدها لحكم بني عباد، وإن كان بقائها لا يعني انضواءها لحكمه بالصفة المعهودة، حيث أبقى بها حامية عسكرية لا غير.

وقد كان ابن تاشفين يهدف من إبقائها تحت يده أن تكون قاعدة ثابتة له بالأندلس يسهل العبور إليها متى شاء ذلك، خاصة وهو يعلم أن حال ملوك الطوائف لم يصلح بعد، وعدوهم مترصد بهم لإسقاطهم متى ما لاحت له الفرصة.

وبالفعل سهلت الجزيرة الخضراء لابن تاشفين عبوره الثاني للأندلس في عام 481هـ/ 1088م وذلك لرغبته في مهاجمة ألفونسو السادس الذي قام ببناء حصن لييط كقاعدة له كي يهاجم منها أراضي المسلمين.

لكن هذا العبور لم يكن كسابقه حيث عاد ابن تاشفين للمغرب دون أن يحقق شيئًا يذكر بسبب تفرق ملوك الطوائف وتنافسهم . وكان هذا الحال دافعًا له للتفكير في القضاء على ملوك الطوائف وتوحيد كلمة المسلمين تحت رايته . فكان عبوره الثالث في عام 483هـ/ 1090م من الجزيرة الخضراء لهدفه الذي ينشده [2]، وكان من أمر المرابطين بالأندلس ما سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى [3].

ويرى الباحث أن ترك يوسف بن تاشفين للجزيرة الخضراء دون أن يحدث بها شيئًا عائدًا لحسن تصرفه، فهو أحرص بألا يكون ضمن إطار صورة الحكام المتنافسين أصحاب الأطماع الشخصية، تلك الصورة الراسخة في أذهان الأندلسيين ومنهم أهل الجزيرة الخضراء. وذلك كله لحرصه على تأييدهم له في فترة كان لعامة الناس دور بارز

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص85 – 86 – 100 – 101. ابن الأثير: الكامل، ص1501.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 94. ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص175. ابن بسام : الذ خيرة، ج1، ص716، ج2، ص189 وما يليها . ابن الخطيب : الإحاطة، ج 2، ص118. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص246 – 247. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص439. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 192ـ 193. رجب محمد : العلاقات بين الأندلس، ص 395 – 396 – 403 – 404. عياد المبروك : البحرية في عهد الموحدين، ص15.

(3) انظر المبحث الثالث من هذا الفصل.

في الأحداث السياسية ببلدانهم كدور أهل الجزيرة الخضراء عند وصول يوسف بن تاشفين بجيشه إلى مدينتهم.

ومن خلال هذه الحقبة السابقة يلحظ على العدوة الأندلسية استمرارية تزعم الجزيرة الخضراء لمدنها الثلاث، في وقت لم يبرز به جبل طارق إلا في أواخر هذه الحقبة عندما خُيّر بينه وبين الجزيرة الخضراء كمعبر للمرابطين، وكذلك الحال لطريف التي ورد اسمها كموضع مجاور لأقصى ما بلغته حملة للفونسو السادس عند اختراقه الأندلس من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه.

ويعود عدم ورود اسم مدن العدوة الأندلسية ضمن الروايات التاريخية بشكل مقارب لقريناتها مدن الأندلس الأخرى لاستقرارها سياسيًا، فيما كانت مدن الأندلس تتأرجح بين حاكم وآخر، ومهاجم ومدافع وهذا يعود لتميز حكامها من بني حمود بقدر من الإجلال من قبل حكام الأندلس الأخريين الذين كانوا يتحرجون من مهاجمة أراضيهم لعودة أصلهم إلى النسب العلوي الشريف، وقد استمر هذا الاستقرار بالعدوة الأندلسية حتى عندما دب النزاع بين بني حمود أنفسهم، حيث لم تتعرض العدوة الأندلسية لصدام عسكري، فعندما دخل يحيى بن علي بن حمود الجزيرة الخضراء لم يكن بها حاكمها محمد بن القاسم فكان دخوله ميسرًا لها وعندما خرج بها محمد بن القاسم في محاولته الثالثة كان ذلك بدعم من أهل الجزيرة الخضراء ودون مواجهة مع أحد من بني حمود

كما يعود استقرار العدوة الأندلسية إلى بعدها عن رحى الصراع الدائر مع ملوك النصارى وملوك الطوائف أنفسهم . وهنا يتأكد أن العدوة الأندلسية بقيت من عام 406هـ/ 1015م إلى سقوطها بيد بني عباد على حال الاستقرار الذي استمر تحت ظل حكم بني عباد ومن بعده تحت نظر يوسف بن تاشفين.

ولقد زاد شأن قاعدة العدوة الأندلسية في هذه الحقبة فغدت قاعدة كورة تشتمل على مدن لا تقل عنها باعًا تاريخيًا كمدينة رندة، وبجوار هذا كانت تشرف بصفة ما على مدن العدوة المغربية عندما اجتمعت العدوتان تحت حكم بني حمود، ذلك الاجتماع

المتلازم، والذي سيظهر واضحًا من خلال فصول البحث التالية[1].

❁ ❁ ❁

---

(1) عند العودة إلى فصول هذه الرسالة العلمية يبرز مبحث بالفصل الثالث من الباب الأول جعل من العلاقة بين العدوتين محورًا أساس له، وهو المبحث المعنون بـ «دور مدن العدوة في التعاون المشترك بين الطرفين».

المبحث الثاني
اشتداد الحملات الصليبية وتطلع الأندلسيين لعون مسلمي المغرب

تحول الأندلس في حقبة ملوك الطوائف إلى أشلاء متناثرة متنافرة وصلت لدرجة تقارب ستًا وعشرين دولة إسلامية بالأندلس، يحكمها عدد من الأمراء العرب وكبار الموالي والبربر، بعد أن كانت الأندلس كاملة تُحكم من قِبل حاكم واحد في ظل عصر الولاة وعصري الإمارة والخلافة الأموية.

وقد كانت أحوال هؤلاء الأمراء على حال واحد من النزاع والتنافس الذي وصل بهم إلى درجة تفشي صفتي الحقد والضغينة فيما بينهم، وهو ما يتضح بشكل جلي لقارئ تاريخ حقبة الطوائف بالأندلس(1).

ومن هذا كانت أحوال المسلمين هي المحرك الأساس لحملات الصليبيين، وذلك كلما لاحت لهم الفرصة، على أن أحوال المسلمين أيضًا هي التي تقدر مدى اشتداد هذه الحملات الصليبية ضدهم. فعندما تلوح الفرصة في وقت يكون به المسلمون على حال من القوة والتماسك نجد أن محاولات الصليبيين لا تتعمق داخل الأراضي الإسلامية بل يقتصر أمرها على تلك المدن المجاورة لحدود الممالك والإمارات الصليبية بل تقتصر أحيانًا على الثغور كمدينة سمورة(2) وشلمنقة. أما عندما تلوح الفرصة في لحظة ضعف الحكم الإسلامي نجد أن الصليبيين يقومون بأقصى ما لديهم من قوة ضد المسلمين كتلك الحملة التي اخترق بها ألفونسو السادس الأندلس من أقصى شماله إلى أقصى

---

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص78 – 79. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 144 – 244. فراد محمد أزرقي: القوى المغربية في الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 104. محمد رجب : العلاقات بين الأندلس الإسلامية، ص320.

(2) سمورة (Zamora): مدينة محدثة بشمال الأندلس بينها وبين المحيط الأطلسي ستون ميلًا . انظر الحميري : الروض المعطار، ص98 – 99.

جنوبه عند عدوته الأندلسية [1] — ومما كان يدعم اشتداد الحملات الصليبية على الأندلس معرفة الصليبيين بمداخل ومخارج المدن الأندلسية من خلال تعايش النصارى السلمي مع المسلمين[2].

وبداية الحملات الصليبية ضد المسلمين بالأندلس سبقت حكم ملوك الطوائف بزمن طويـل، على عكس ما يظهر بأنها كانت مع مرحلة الضعف لدى ملوك الطوائف . حيث نجد أن عدد من المدن الإسلامية قد سقطت منذ وقت مبكر، فمدينة سمورة سقطت بيد الصليبيين في عام 129هـ/ 746م، كما أن العام التالي لهذا العام ـ 130هـ / 747م ـ شـهد سقوط ثلاث مدن إسـلامية بيدهم هي شـقوبية[3] وشـلمنقة وبنبلونة [4]، ثم تبعها عـدد من المـدن كأسترقة، ولك[5][6].

وهذا كله كما أشرنا مسبقًا بسبب أحوال المسلمين، فيرى الباحث أن فترة سقوط هذه المدن كانت في فترة ضعف للمسلمين، حيث أن تتابع الولاة بشكل مستمر ومتتابع ضمن عصر الولاة، بالإضافة للنزاعات العرقية بين العدنانية والقحطانية من جهة،

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص85. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 181 – 182. الناصري : الاستقصا، ج1 – 2، ص32. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص358. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. خليـل السامرائي: عـلاقات المرابطين، ص 76 – 77. الحجي : التـاريخ الأندلسي، ص 393 – 394. محمد أسعد: عصر الاتساق، ص251. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص27.

(2) أبو بكر ابن العربي : كتاب شواهد الجلة، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996م، ص300.

(3) شقوبية (Segovia): ليست بمدينة إنما هي قرى كثيرة متجاورة متلاصقة، وتقع إلى شمال مدينة طليطلة . انظر الحميري: الروض المعطار، ص104.

(4) بنبلونة (Pampalona): مدينة بشمال الأندلس، بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلًا . انظر الحميري: المصدر السابق، ص55.

(5) لك: مدينة بشمال الأندلس من أعمال فحص البلوط. انظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص26.

(6) مجهول: أخبار مجموعة، ص73. المقري: نفح الطيب، ج1، ص330. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص230. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص270. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص27.

والعرب والبربر من جهة أخرى، وكون الدولة الأموية في آخر أيامها كل ذلك دفع الصليبيين لحملاتهم السابقة في فترة مبكرة.

غير أن هذه الحملات لاقت فيها بعد قوة إسلامية دفعتها عن الأندلس، فقد أخر تماسك المسلمين وقوتهم ضمن عصري الإمارة والخلافة الأموية حركة التوسع الصليبي تأخيرًا لم يمنعها من القيام ببعض المحاولات، كمحاولات شانجة الأول بن غرسيه في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، ومحاولة ردمير الثالث بقوة صليبية صدها المنصور بن أبي عامر قرب مدينة بلد الوليد سنة 371هـ/ 981م، ومحاولة أردون الثاني سنة302هـ/ 914م والتي كللها بالنجاح حين تمكن على أثرها من الاستيلاء على مدينة يابرة[1][2].

لكن النجاح الحقيقي لاقاه خلفاؤهم الصليبيون عندما أذ ن لهم ملوك الطوائف بذلك ـ عندما حولوا بلاد الأندلس إلى أجزاء متناحرة متنافرة ـ وهي الحقبة التي اشتد بها الصليبيون قولًا وفعلًا.

ففي خطاب الصليبيين لملوك الطوائف يلحظ عدم خلوه من التهديد والوعيد خاصة عند عدم تلبية ملوك الطوائف لمطالبهم والتي كان منها طلب تسليم المدن والحصون. ومن ذلك خطاب ألفونسو السادس للمتوكل بن الأفطس مطالبًا إياه بتسليم عدد من الحصون والقلاع ومقدار من الأموال، وخير واصف لهذا الخطاب هو المتوكل نفسه حيث قال: «وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير وأحكام العزيز القدير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ثم يفرق، ويلدد بجنوده الوافرة وأحواله المتظافرة...». ويتضح مدى لهجة خطاب ألفونسو السادس في انعكاسه على مقولة المتوكل . وخطاب ألفونسو السادس هذا من عدة خطابات أخرى نحا بعضها منحى آخر بعيد عن

---

(1) يابرة (Evora): مدينة بغرب الأندلس من إقليم باجة، ينتهي عندها حدود إقليم باجة . انظر الحميري : الروض المعطار، ص197.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 2، ص172. السيد عبدالعزيز : تاريخ المسلمين ص 289. الحجي : التاريخ الأندلسي، ص274 – 275.

خطابات التهديد والوعيد ألا وهي تلك الخطابات التي تقلل من قدر ملوك الطوائف وتستخف بهم، كخطاب ألفونسو السادس ـ زعيم الحركة الصليبية ـ للمعتمد بن عباد الذي طالبه به أن يهيئ الأمر لولادة امرأته القُمطِيجَة بجامع قرطبة[1].

ويرادف هذا التشدد اللفظي تشدد فعلي كان يدعمه وبشكل قوي كنيسة روما خاصة، وكنائس النصارى عامة[2]. فقادة الصليبيين عندما رغبوا في تشديد حملاتهم الصليبية ضد المسلمين طرقوا أبواب الباباوات والقساوسة وخاصة بابا روما . فكان لهم الدعم الديني بدفع كافة النصارى لمقاتلة مسلمي الأندلس والانضواء تحت قيادة حكام شمال أسبانيا، والدعم الاقتصادي الذي مثلته المساعدات المادية من كنيسة روما مباشرة، وإطلاق يد ملوك أسبانيا النصرانية في موارد الكنائس الواقعة في المناطق التي كانت تابعة للمسلمين . بل تجاوز الأمر ذلك إلى تجهيز الباباوات للجند وإرسالهم للمساعدة في القضاء على مسلمي الأندلس، ومن ذلك ما قام به البابا أوربان الثاني سنة 482هـ / 1089م من إرسال عدد من جند جنوب فرنسا لمساعدة الأسبان ضد المسلمين[3] — فهي حقًا حرب صليبية ضد الإسلام.

ويرى الباحث أن التشدد الفعلي هو ذلك العدد الكبير من الحملات الصليبية التي وجهت ضد مسلمي الأندلس دون أن تردعها طبيعة التضاريس الجبلية ولا أحوال المناخ.

وكان ملوك نصارى شمال أسبانيا قد اتخذوا سياسة مهاجمة أراضي الأندلس بصورة منفردة عن بعضهم بعضًا متى كان لأحدهم فرصة مهاجمتها، ومجتمعين متى كانت

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص84. ابن عذاري: البيان المغرب، ج 3، ص239. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص358. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص336 – 393. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص75 — 76.

(2) روما: تعرف أيضًا برومية وهي مدينة رئاسة الروم، وبها يسكن البابا أكبر رجال الديانة النصرانية، وتقع اليوم بدولة إيطاليا. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص113.

(3) رجب محمد: العلاقات بين الأندلس، ص326 وما يليها.

الحاجة لذلك ـ لم يقتصر اتحاد الصليبيين على المناطق المجاورة لأسبانيا فقط بل وصل الاتحاد لمدى أوسع من ذلك، فعندما أراد ألفونسو السادس مهاجمة مدينة بلنسية سنة 481هـ/ 1088م طلب دعم جنوه وبيزا البحري[1]. ومن تلك الحملات حملة تكونت من أربعين ألف مقاتل أغلبهم من النورمانديين والفرنسيين تحت قيادة قائد يدعى " جيوم " ـ يعرف هذا القائد في المصادر العربية بالبيطين وبألبيطش ـ توجهت في بادئ أمرها إلى مدينة وشقة [2] لكنهم لم يستطيعوا السيطرة عليها، فتوجهوا منها إلى مدينة بربشتر[3]، وضربوا عليها حصارًا دام أربعين يومًا تمكنوا بنهاية يومه الأربعين من دخول المدينة والسيطرة عليها، وقتل رجالها وأسر ذراريهم ونسائهم وذلك في عام 456هـ / 1063م[4].

وكل ما سبق عائد لفرقة ملوك الطوائف ونزاعاتهم، تلك الفرقة التي عندما التأمت تمكن أطرافها من استعادة مدينتهم، وذلك عندما أعان ابن عباد أخاه ابن هود بجيش يقوده معاذ بن أبي قرة لطلبه ذلك، فتمكن ابن هود من استعادة مدينة بربشتر في مدة لم تزد عن تسعة أشهر من سقوطها[5].

لكن عودة ملوك الطوائف لسابق عهدهم وإصرار الصليبيين على إكمال حركتهم توجت جهود قادة الصليبيين بالاستيلاء على عدد من المدن الإسلامية، فقد سقطت

---

(1) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص92 – 93.

(2) وشقة (Huesca): مدينة بشمال الأندلس، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلًا . انظر الحميري : الروض المعطار، ص194.

(3) بربشتر (Barbastro): مدينة بشمال شرق الأندلس، من بلاد بربطانية، وهي من أمهات الثغور . انظر الحميري: المصدر السابق، ص39 – 40.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص40 – 41. ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص225 وما يليها. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص232. الحجي : التاريخ الأندلسي، ص 360 – 361. رجب محمد : العلاقات بين الأندلس، ص328.

(5) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص67. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص361 وما يليها.

بيدهم مدينة قلمريه[1] سنة 456هـ/ 1063م، ومدينة بربشتر سنة 457هـ/ 1064م، ومدينة مجريط[2] سنة 476هـ/ 1083م، وكذلك مدينة وشقة ومدينة قلهرة[3] ومدينة شنتمريه[4] التي استولى عليها فرديناند بن شانجة . هذا بالإضافة لتلك الحصون التي سقطت بيدهم أو وهبها لهم ملوك الطوائف دون أدنى جهد، ومن حصون الصنف الأول حصن شيرون وعدد كبير من حصون مملكة بني الأفطس بغرب الأندلس التي استولى عليها شانجة الكبير وابنه فرديناند، أما حصون الهبة فمنها حصن سريه، وحصن قوريه، وحصن قنالش، وكل هذه الحصون هبة للفونسو السادس من أحد ملوك الطوائف ألا وهو القادر بن ذي النون حاكم مملكة طليطلة[5]. وهي السياسة التي اتخذها القادر وأمثاله من ملوك الطوائف لاسترضاء ملوك النصارى، أو لطلب دعمهم ضد بعضهم بعضًا، أو لإبقائهم على ما بيدهم من الأرض، وقد تكون هذه الأسباب مجتمعة هدفًا منشودًا لملوك الطوائف.

وبهذا كان الأندلس لقمة سائغة لملوك النصارى يصولون ويجولون به كما شاؤوا . وعند إمعان النظر بما قام به ألفونسو السادس يظهر واضحًا إصرار ه على انهاء الوجود الإسلامي بالأندلس. ومما قام به تلك الحملة الكبيرة التي أرسل منها عددًا من السرايا

---

(1) قلمريه (Coimbra): مدينة بغرب الأندلس، من مدن البرتغال، بينها وبين المحيط الأطلسي اثنا عشر ميلًا . انظر الحميري: الروض المعطار، ص164.

(2) مجريط (Madrid): مدينة بناها الأمير محمد بن عبدالرحمن، وهي بقرب مدينة طليطلة . ويطلق علي ها حاليًا اسم مدريد. انظر الحميري: المصدر السابق، ص179 – 180.

(3) قلهرة (Qherp): مدينة بشرق الأندلس، وهي من أعمال تطيلة . انظر الحموي : معجم البلدان، ج 4، ص446.

(4) شنتمريه (Maria Santa): مدينة من مدن أكشونبة، وهي على المحيط الأطلسي، من جنوب غرب الأندلس. انظر الحميري: الروض المعطار، ص114 – 115.

(5) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص69 – 70 – 77. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص238 – 239. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص184. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص232. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص27 – 65 – 69 – 85.

لمهاجمة باجة [1]، ولبلة [2]، وإشبيلية لتخريبها وإحراقها عند عدم القدرة على السيطرة عليها، ثم توجه هو ببقية الحملة في هجمة اخترق بها الأندلس من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه وتحديدًا إلى جوار مدينة طريف[3].

ولم يكن ما يقوم به ألفونسو السادس مجرد تهديد ورغبة في زرع الرعب لدى المسلمين، فهو من أسقط مركز الأندلس وموسطته مدينة طليطلة سنة 478هـ/ 1085م بعد حصار طويل المدى قارب السبع سنوات هَدَفَ من خلاله السيطرة عليها بأقل جهد ممكن بعد استخلاص جميع خيراتها، وهو ما كان له . ولم يكن هذا هو ثمرة أبرز قواد الحملات الصليبية فحسب بل تمكن من السيطرة على جميع ما كان بيد بني ذي النون وذلك «.. ثمانون منبرًا سوى البُنيات[4] والقرى المعمورات» فقد حاز المنطقة الممتدة من وادي الحجارة [5] إلى طلبيرة ومن فحص اللج إلى شنتمريه الشرق . وزاد ألفونسو السادس من تشديد حملاته بإطلاق يد قائده القمبيطور بأراضي الممالك الإسلامية، فاندفع القمبيطور يتجول ببلاد الأندلس فارضًا أمره على حكام المسلمين بفرض إتاوات سنوية كبيرة عليهم، وممن رضخ لذلك أبي مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين حاكم

(1) باجة (Béja): مدينة بغرب الأندلس من أقدم مدن الأندلس، بناها القياصرة، وسماها باسمها القيصر يُوليوش، ويقصد به الصُّلحُ، وتبعد باجة عن قرطبة 300كلم. انظر الحميري: الروض المعطار، ص36.

(2) لبلة (Neibla): مدينة بغرب الأندلس، تبعد عن المحيط الأطلسي ستة أميال . انظر الحميري : المصدر السابق، ص168 – 169.

(3) الحميري: المصدر السابق ، ص85. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 71. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص358. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248. خليل السامرائي : علاقات المرابطين، ص 76 – 77. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص393 – 394. محمد أسعد: عصر الاتساق، ص251.

(4) البُنيات: هي المدن الصغيرة، فقد كانت المدن الكبيرة تسمى أمهات. انظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص81.

(5) وادي الحجارة (Guadelajara): مدينة بوسط الأندلس، بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلًا . انظر الحميري: الروض المعطار، ص193.

شنتمريه الشرق، وأبي عيسى بن لبون حاكم مربيطر[1].

ولم يكتفِ ألفونسو السادس بما قام به وما يقوم به قائده القمبيطور، فأراد إتباع سرقسطة بطليطلة، ولذلك أقام عليها حصارًا مشددًا لم يثنيه عنها إلا الإعداد لمواجهة يوسف بن تاشفين الذي عبر إليه سنة 479هـ/ 1086م[2].

ومن معركة الزلاقة وما بعدها يتأكد مدى اشتداد الحملات الصليبية، فالقوة الصليبية المقاتلة بالزلاقة تشكلت من جنود يمثلون كافة الممالك والإمارات الأسبانية وغير الأسبانية، كما أنه بعد هزيمة الصليبيين في هذه المعركة انهالت حملاتهم الصليبية على بلاد الأندلس كردة فعل لهزيمتهم هدفوا من خلالها إلى الإعجال في القضاء على الحكم الإسلامي بالأندلس قبل أن تتحد كلمة المسلمين بالأندلس، وقبل أن يتخذ المرابطون موقعهم بها.

فهاجم غرسيه المرية، والقمبيطور شاطبة، والفانت[3] لورقة[4]، والبرهانس[5] مرسية، كما شنت الغارات ضد بلنسية ودانية. ولهذه الحملات ابتنى ألفونسو السادس حصن لييط[6].

---

(1) مربيطر (Sagunto Murviedro): حصن بالقرب من طرطوشة، وهو بشرق الأندلس. انظر الحميري: المصدر السابق، ص180.

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص79 – 81 – 85. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص167 – 168. ابن بسام: الذخيرة، ج 3، ص73– 74. الناصري: الاستقصا، ج 1– 2، ص34. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص335 – 356 – 357 – 371.

(3) الفانت: لا يوجد اسم قائد نصراني بهذا الاسم، لكن هذا الاسم قد يعود لتعريب الكلمة الأسبانية Infante وهي تعني ابن الملك. انظر ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص95، حاشية 1.

(4) لورقة (Lorca): مدينة بشرق الأندلس، وهي من أعمال تدمير. انظر الحميري: الروض المعطار، ص171.

(5) البرهانس: ويعرف في المصادر العربية أيضًا بالبارهانش، وهو قائد أسباني من قواد ألفونسو السادس يدعى Alvar Hanez، ويذكر أنه أخو القمبيطور. انظر ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص80، حاشية 3.

(6) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص175. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 90 – 94 – 95. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص233.

ولم يكن تشدد الصليبيين ضد المسلمين هو مجرد تلك الحملات الموجهة للأندلس وما يسبقها من فرض الإتاوات، بل كان تشددهم أعظم من ذلك حيث تجاوز المدن إلى سكان المدن، فطالهم الأسر والتعذيب والامتهان، فقد كان المسلم يباع بخبز، أو قدح خمر، أو رطل سمك، بل وصل الأمر إلى ما يندى له الجبين ويصعب أن يوصف في هذا المقام[1].

ومما سبق أخذت الأنظار الأندلسية تبحث عن ملاذ تأوي إليه ينقذها مما كانت فيه من كرب وذل وهوان. فكانت بلاد المغرب مقصد هذه الأنظار[2]، ويرى الباحث أن ذلك عائد لعدة جوانب: أولها: كون المغرب أقرب منطقة إسلامية لبلاد الأندلس وأسهلها اتصالًا، فلا يفصل بينهما سوى مضيق جبل طارق الذي لا يتجاوز طوله 14 كلم. ثانيها: الارتباط المشترك (الديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي) بين سكان المغرب وسكان الأندلس، وأوضح هذه الصور اشتراك الأندلسيين ضمن جيوش المرابطين. ثالثها: قوة حكم المرابطين سياسيًا وعسكريًا، فهو الحكم الذي كان يُخيف به ملوك الطوائف نصارى أسبانيا. رابعها: وهو ما يظهر من خلال الأحداث كون المرابطين وحاكمهم يوسف بن تاشفين على متابعة لكل ما يحدث بالأندلس، ويظهر ذلك من رد ابن تاشفين للمعتمد بن عباد عندما قابله بموضع بليطة[3] يستصرخه لنجدة الأندلس، فكان رد ابن تاشفين: «أن عد لبلادك فإني على أثرك». وهذا الرد يؤكد متابعة ابن تاشفين لأحوال الأندلس وإعداده لأمر ما تجاهها، خاصة وأن استصراخ أهل الأندلس سبق استصراخ حكامهم. كما تتأكد هذه المتابعة من خلال توجه ابن تاشفين بعد عبوره للأندلس بشكل مباشر لمعسكر ألفونسو السادس[4].

---

(1) للتوسع في هذا الموضوع انظر ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص97 – 98.

(2) كتب ابن الخطيب رسالة في حاجة الأندلس إلى بر العدوة المغربية، انظر الملاحق، ص 382.

(3) بليطة (Blaitp): موضع بالمغرب، يبعد عن سبته مسافة ثلاث مراحل. انظرالناصري: الاستقصا، ج 1 – 2، ص34.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص85 – 86. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 85. الناصري: الاستقصا،

وعلى كُلٍ فالصلات بين المغرب والأندلس كانت قديمة، فكلا الطرفين مصدر أما ن للآخر ومنطقة اتصال مشترك في كافة المناهل، وكلاهما يجني أثر ما يحدث في الطرف الآخر، ولذلك كان من الأهمية أن يكون الأندلس والمغرب على وفاق دائم خاصة مع تربص القوى النصرانية، كما أنه حريٌ بأهل المنطقتين إصلاح ما يطرأ من فتنة أو نزاع بينهما[1].

ولذلك عندما حل بالأندلس ما حل به خاطب أهل الأندلس إخوانهم أهل المغرب، واصفين ما حل بهم ومستصرخيهم بالله لنصرتهم على أعدائهم الصليبيين. ويمكن تحديد مصدر خطابات الأندلس للمغرب بمصدرين : المصدر الأول : يتمثل في حكام الأندلس. والمصدر الثاني: يتمثل في أهل الأندلس علمائهم ومشايخهم خاصة.

وعن خطابات حكام الأندلس فقد هلت على ابن تاشفين عندما زال عشاهم عن أعينهم وذلك بعد سقوط مدينة طليطلة بيد ألفونسو السادس سنة 478هـ/ 1085م. وقد كانت أبرز هذه الخطابات خطاب المعتمد بن عباد الذي تضمن طلب نصرة ابن تاشفين، ثم إيراد توضيح لأحوال الأندلس وما بها من كرب نتج عن عدم تعاون ملوك الطوائف وفرقتهم، وقد كان خطاب المعتمد هذا في غرة جماد الأولى سنة 479هـ / 1086م. كما كان هنالك خطاب من المتوكل على الله بن الأفطس. وكذلك اشترك ملوك الطوائف في خطاب واحد كالخطاب الذي أُرسل بعد اتفاق المعتمد بن عباد وعبدالله ابن حبوس والمتوكل عمر بن الأفطس على طلب النجدة من إخوانهم مسلمي المغرب[2].

ويظهر أن خطابات ملوك الطوائف رغم أهميتها لم تبلغ درجة التأثير الذي أحدثته

ج1 – 2، ص34. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص360. محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17، ط3، أفريقيا الشرق، 1998م، ص43. فراد أزرقي: القوى المغربية، ص104.

(1) المقري: نفح الطيب، ج4، ص438 – 439. محمد الرهبيني: الأندلس، ص26.

(2) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص83. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 159. مجهول : الحلل الموشية، ص44 – 45 – 50. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. شريفة محمد : العلاقات السياسية، ص273– 274.

خطابات شعوبهم الذين كانوا أكثر منهم إحساسًا بخطر الصليبيين، ومن هذه الخطابات خطاب أرسله أبو بكر محمد بن أدهم بعد اجتماع عدد من المشايخ والعلماء لديه واتفاقهم على مكاتبة يوسف بن تاشفين يطالبونه أن يعبر إلى الأندلس لنجدتها مما حل بها . ولم تتوقف هذه الخطابات بمجرد عبور يوسف بن تاشفين الأول إلى الأندلس بل تتابعت فيما بعد لعدة مرات[1].

ويرى الباحث أن خطابات المشايخ والعلماء كانت في غالبها بدافع ذاتي منهم بعيدًا كل البعد عن حكامهم، غير أن هذا لا يعني كون بعضها أرسل بعلم الحكام، أو حتى بتوجيه منهم وذلك لاستمالة المرابطين وتعجيل نجدتهم ومساعدتهم ضد الصليبيين، كما هو حال خطاب محمد بن أدهم الذي أخبر المعتمد بن عباد بما كان به [2]، ولا يستبعد علم المعتمد بهذا الاجتماع من قبل عقده.

وقد لاقت هذه الخطابات كل الاهتمام من قبل المرابطين ابتداءً باستقبال حامليها بالعدوة المغربية وانتهاءً بما أبدوه من ضروب العون والنجدة والحمية الدينية . ومنها موقف يوسف بن تاشفين حاكم المغرب وهو القائل في رده على خطاب المعتمد بن عباد: «فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك من الشرع وكتاب الله تعالى...»[3].

ومقولة ابن تاشفين هذه تؤكد أن الدافع الديني في نصرة مسلمي المغرب هو الدافع الأقوى بين كافة الدوافع. فهم يجتمعون مع إخوانهم مسلمي الأندلس في أخوة الدين، ويتفقون معهم أيضًا في التصدي للعدو المشترك (الصليبيين) الذي كان يهدد الوجود

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص99 – 100. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 192. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص608. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص99 – 100. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص608. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص337 وما يليها.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص50.

الإسلامي في الأندلس.

وكما كان للباباوات والقساوسة دور كبير في تسيير الحملات الصليبية ضد المسلمين بالأندلس، كان لعلماء ومشايخ الأندلس دور مماثل في شحذ همم مسلمي المغرب لنصرة إخوانهم مسلمي الأندلس، وحث مسلمي الأندلس على الوحدة والتضامن واجتماعهم على كلمة واحده تعينهم للخروج مما هم فيه. ومن أبرز علماء ومشايخ الأندلس الذين كان لهم دور في هذا الشأن أبو بكر محمد بن أدهم، وأبو إسحاق بن مقانا، والقاضي القليعي، وأبو محمد بن العربي، وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي . وقد تجسد دور هؤلاء العلماء في تكوين النواة الأولى لوحدة مسلمي الأندلس في عصر الطوائف، كما كان لهم الدور الأول في استصراخ مسلمي المغرب قادةً وأفرادًا لمساعدة إخوانهم بالأندلس من عدوان الصليبيين[1].

ويري الباحث أن الدافع الذاتي لتحرك علماء ومشايخ الأندلس هو انعكاس لموقف حكامهم السلبي تجاه الصليبيين، وعدم حفظهم للأمانة التي أوكلت إليهم، ومن ذلك عدم تجاوبهم مع دعوة أبي الوليد الباجي الذي كان يتجول بينهم داعيًا إياهم للاجتماع تحت راية واحدة. وهذا لا ينفي كما أشرنا سابقًا كون بعض ملوك الطوائف قد وجه من حوله من العلماء والمشايخ لاستصراخ مسلمي المغرب، لكن قيامهم بهذا العمل كان كمرحلة تالية لما قام به العلماء والمشايخ ونتيجة حتمية لما أصبحوا عليه.

ولم يقتصر دور العلماء والمشايخ على من هم بالأندلس فقد شاركهم الدور بصورة تكاملية إخوانهم علماء ومشايخ المغرب، وذلك بإيصال الصورة لحاكم بلادهم يوسف بن تاشفين وتحفيزه لأمر الجهاد بالمشورة له وإصدار الفتيا التي تعينه على إعانة إخوانه الأندلسيين، ومنها فتوى إباحة الجهاد بالأندلس ضد الصليبيين، وفتوى تجيز استيلاء

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص98 – 99 – 100. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 83. النويري : نهاية الأرب، ج 23، ص455. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 10، ص608. بروكلمان : تاريخ الشعوب، ص320. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص126. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص337 وما يليها.

يوسف بن تاشفين على مدينة سبته، ثم بعد ذلك كانت الفتوى التي تهدف لخلاص الأندلس من صراع ملوكه ألا وهي الفتوى التي تجيز محاربة ابن تاشفين لملوك الطوائف والصليبيين على السواء. ولم يقف أمر الفتيا عند هذا الحد بل طُلب من العالم الجليل الإمام أبي حامد بن محمد الطو سي الغزالي (1) فتوى وخطاب شرعي لجهاد يوسف بن تاشفين ضد ملوك الطوائف والصليبيين كفتوى محايدة(2).

وقد استفاد يوسف بن تاشفين من موقف هؤلاء العلماء والمشايخ فلم يكن يقدمُ على أمر إلا بعد إن يسبقه بمشورتهم والأخذ برأيهم لعلمه (3) بأن هذه المشورة ستعزز من إحكام أمره باتباع المسلمين له وطاعتهم لأوامره، ومن ضمنهم ملوك الطوائف الذين رأوا بعد سقوط طليطلة واتضاح هدف الصليبيين أن لا خيار لهم سوى الاستنجاد بإخوانهم مسلمي المغرب.

وكان استنجاد حكام الأندلس بالمرابطين على صورتين : أحدهما فردية، والأخرى جماعية . وقد امتازت ك لا الصورتين بالاتصال الجدّي مع المرابطين . وأول من قام بالاستنجاد بالمرابطين من ملوك الطوائف هو المتوكل بن الأفطس، وذلك بسبب استهداف الصليبيين لأراضي مملكته في عام 474هـ/ 1081م. ثم تبعه في ذلك كل من المعتمد بن عباد وعبدالله بن حبوس . ثم تبع هذه الصورة الفردية استنجاد جماعي تمثل في المعتمد بن عباد وعبدالله بن حبوس والمتوكل ابن الأفطس، حيث اجتمعت كلمتهم على

---

(1) هو العلامة محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، إمام فقيه متك لم، له عدد من الكتب منها كتاب "المقاصد"، توفي بطوس صبيحة يوم الاثنين التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة 505هـ . انظر ابن الصلاح تقي الدين عثمان الشهرزوري: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1413هـ/ 1992م، ص265 وما يليها.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص98 – 99 – 100. أبو بكر بن العربي : شواهد الجلة، ص 299. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص249. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص135 – 136. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص181 – 182. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج 3، ص131. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص337 وما يليها.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص99 – 100. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص135 – 136.

الاستعانة بيوسف بن تاشفين. وهذا هو الحق الذي كان لزامًا عليهم أن يقوموا به من قبل أن تسقط مدينة طليطلة، ويلتزموا به بعد ذلك، لكنهم عادوا كما سيظهر لاحقًا إلى ما كانوا عليه من تخاذل واستنجاد بأعدائهم الصليبيين.

ولم يقتصر بعض ملوك الطوائف بطلب الاستنجاد وإرسال الرسل بل عبر أحدهم بنفسه لهذه الغاية وهو المعتمد بن عباد طالبًا نصرة إخوانه مسلمي المغرب، وذلك لأكثر من مرة، كانت أولها قبل عبور يوسف بن تاشفين الأول للأندلس سنة 479هـ / 1086م، والثانية بعد بناء ألفونسو السادس لحصن لييط سنة 481هـ/ 1088م[1].

وعلى أي أمر كان فقد كان توافق أهل الأندلس حكامًا وشعبًا على الاستنجاد بيوسف بن تاشفين لما كان عليه هو ورجاله من إيمان وقوة وبسالة وحمية دينية لنصرة إخوانهم في الأندلس وصد خطر النصارى الذي كاد أن يعصف بالمسلمين في الأندلس، وبلا شك كان للدافع الديني أثره البالغ في تحرك المرابطين لنجدة مسلمي الأندلس والاستجابة لصريخهم.

وقد بدأ يوسف بن تاشفين حملته العسكرية لنصرة الأندلسيين من الحملات الصليبية بإقامة قاعدتين عسكريتين له بالعدوة المغربية والعدوة الأندلسية. وكانت سبته قاعدة المرابطين بالعدوة المغربية بعد أن انتزعها المعز بن يوسف بن تاشفين من يد صاحبها سقوت البرغواطي، وذلك بمساعدة المعتمد بن عباد الذي وجه أسطولًا بحريًا من إشبيلية لمساعدة جيش يوسف بن تاشفين في السيطرة على مدينة سبته[2].

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص99 – 100. الحميري: الروض المعطار، ص 86. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص83 – 84. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 159 – 246. مجهول : الحلل الموشية، ص 44 – 45 – 50. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص34 – 51. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 192. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248. شريفة محمد: العلاقات السياسية، ص 274. خليل السامرائي : علاقات المرابطين، ص148 – 149.

Salma Khadra: The Legacy، P 62.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 87. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص34. المقري : نفح الطيب، ج 4،

ثم كانت مدينة الجزيرة الخضراء إحدى مدن المعتمد بن عباد بالعدوة الأندلسية ثاني قواعد يوسف بن تاشفين، فقد أشار عبدالرحمن بن أسباط ومالك بن وهيب وزيرا ابن تاشفين عليه باتخاذ الجزيرة الخضراء قاعدة له قبل عبوره إلى الأندلس وقبل أن يحكم ابن تاشفين سيطرته على الجزيرة الخضراء أحكم سيطرته على مضيق جبل طارق الحد الفاصل بين العدوتين المغربية والأندلسية . ثم خاطب المعتمد بن عباد بمنحه الجزيرة الخضراء كمركز انطلاق لحملته العسكرية ببلاد الأندلس، على أن يكتب له عقدًا بذلك[1]. وفي هذا الموقف سبق عقل المعتمد هو اه وعاطفته وعارض كل من حول ه من معاونيه حتى ابنه عبدالله الرشيد، وقال مقولته الشهيرة مخاطبًا ابنه الرشيد«أي بني، والله لا يسمع عني أبدًا أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، حرز الجمال والله عندي خير من حرز الخنازير».

وإثر هذا الموقف بعث المعتمد بعقد الجزيرة الخضراء إلى ابن تاشفين[2]، في وقت كان به ابن تاشفين يعد العدة للعبور إلى الأندلس، فقد وجه نداءً للقادة وأعيان الجند ووجوه

ص360. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص201 – 202.

(1) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص70 – 99 – 100. الحميري : الروض المعطار، ص 85 – 86. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 83 – 84. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 3، ص239. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 159 – 246. الأمير عبدالله : التبيان، ص 102 – 103. مجهول : الحلل الموشية، ص50. الأمير عبدالله: التبيان، ص101 – 102. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص249. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248 – 439. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص238. عياد المبروك عمار : البحرية في عهد الموحدين، ص 15. غازي جرادة : الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 71. كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص78.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص85. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص34. مجهول: الحلل الموشية، ص 44 – 45 – 50. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. خليل السامرائي : علاقات المرابطين، ص135 – 136. رشيد العفاقي: جبل طارق في العصر الإسلامي مقصد العلماء والأدباء، مجلة الفيصل، ع 314، شعبان 1423هـ/ أكتوبر – نوفمبر 2002م، ص37.

Anwar Cheine: Muslim Spain، P 72.

قبائل البربر للقدوم إليه بسبته لتلبية نداء الجهاد في سبيل الله ضد الصليبيين بالأندلس، فاجتمع لديه نحو سبعة آلاف فارس وعدد كثير من الراجلة.

ومن القاعدة الأولى سبته بدأ يوسف بن تاشفين في إجازة جيشه إلى القاعدة الثانية الجزيرة الخضراء في مجموعات متتابعة على رأس كل مجموعة قائد، وكان أولها بقيادة داود بن عائشة، وآخرها بقيادة يوسف ين تاشفين قبل ظهر يوم الخميس منتصف ربيع الأول من عام 479هـ/ 30 تموز من عام 1086م[1].

وبوصول ابن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء بدأ تهيئتها كقاعدة فعلية له، فبنى أسوارها، ورمم ما تشعث من أبراجها، وأقام عليها خندقًا، ثم زودها بالمؤن والأسلحة . ولأهمية الجزيرة الخضراء لابن تاشفين أقام بها قوة عسكرية منتقاة من رجاله كحامية ثابتة بالمدينة[2].

وبقدوم يوسف بن تاشفين وجيشه إلى الجزيرة الخضراء قدم إليه ملوك الطوائف كلٌ بجنده. فكان التعاون المشترك بين مسلمي المغرب ومسلمي الأندلس تحت قيادة يوسف بن تاشفين، وبهذا الجمع توجه يوسف لمحاربة ألفونسو السادس أكثر زعماء الصليبيين خطرًا على بلاد الأندلس، والذي كان محاصرًا لمدينة سرقسطة عند عبور يوسف للأندلس[3].

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص99 – 100. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 84 – 85. المراكشي : المعجب، ص117. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص34 – 35. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 183. مجهول: الحلل الموشية، ص50 – 51. النويري: نهاية الأرب، ج 23، ص455. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص28 – 29. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 10، ص608. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. محمد عنان: دولة الإسلام، ج2، ص19 - 30. العمايرة: مراحل سقوط، ص180.
Anwar Cheine: Muslim Spain، P 72 - 73.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 87. مجهول : الحلل الموشية، ص 51. الذهبي : تاريخ الأندلس، ج 10، ص610.

Anwar Cheine: Muslim Spain، P 72 - 73.

(3) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص85 – 86. المراكشي: المعجب، ص117. الناصري : الاستقصا، ج 1 –

وكما اجتمع حكام الأندلس تحت راية يوسف بن تاشفين، اجتمع نصارى أوربا تحت راية ألفونسو السادس بعدد لم يقل عن أربعين ألف مقاتل [1]. وكل هذه الأعداد لعلم الطرفين بأهمية هذا اللقاء في الصراع الدائر بين القوى الإسلامية والقوى النصرانية بالأندلس، حيث سيرجح المنتصر كفة أتباعه في مجال تواجده السياسي بالأندلس. ولهذا أيضًا لم ينتظر كلا الطرفين قدوم الآخر إليه، فتوجه يوسف بمن معه إلى إشبيلية ثم منها إلى موضع الزلاقة[2]، وكذلك تحرك ألفونسو السادس بقوته إلى بلاد الأندلس باتجاه الزلاقة وذلك رغبة منه في أن تكون الموقعة بأرض المسلمين كي يأمن على بلاده في حال الهزيمة، ولكي يكون الموضع من صالحه في حال انتصاره على المسلمين لإكمال إغارته على بلادهم.

وعندما وصل الفريقان قرب موضع الزلاقة ـ كان بين المعسكرين مسافة ثلاثة أميال ـ أراد ألفونسو السادس إعمال الحيلة والخديعة على المسلمين، فأرسل إلى المعتمد بن عباد يوم الخميس من أول رجب خطابًا يقول فيه: «بأن غدًا يوم الجمعة وهو عيدكم، وبعده الأحد وهو عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت»[3]. وهذه الحيلة ظاهرة المكنون حيث كان ألفونسو السادس يهدف من خلالها إلى مباغتة المسلمين يوم الجمعة.

وقد أخبر المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين بمكنون هذه الرسالة لأخذ الحيطة والحذر. وفعلًا حدث ما توقعه المعتمد، فقد قدم إليه جواسيسه ليلة الجمعة يخبرونه

2، ص34 – 35. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص183. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص135.

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 88. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 86. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص87. مجهول: الحلل الموشية، ص 51. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص362. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص248. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص320.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص90. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص87. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص183. عبدالله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج2، ط2، دار الثقافة، ص407 – 408.

بتحرك الصليبيين لمهاجمة المسلمين، فأعد قوته وأشعر ابن تاشفين بذلك، فكان اللقاء بموضع الزلاقة ـ تسمى هذه الموقعة في المصادر الأسبانية (ساكرالياس) ـ يوم الجمعة في العشر الأولى من شهر رجب عام 479هـ/ 1086م، وقد بدأت المعركة أول النهار بصدام بين المعتمد بن عباد وألفونسو السادس أثخن كل منهما الآخر، في وقت لم يصل به يوسف بن تاشفين إلى ساحة المعركة. ورغم عدم وصول ابن تاشفين إلى ساحة القتال إلا أن المعتمد لم تنثني عزيمته بل اشتد إصرارًا على القتال حتى أنه عُقرت من تحته ثلاثة أفراس وأصيب عدة إصابات في أنحاء جسده، وبينما هو على هذه الحال إذ بفرقة من جيش المرابطين يقودها داود بن عائشة تدخل إلى ساحة القتال، ثم يتبعها ابن تاشفين بكافة جنده. فكانت الدائرة على ألفونسو السادس ونال هزيمة ساحقة لم تبقِ من جيشه سوى عدد يسير قُدر بخمسمائة فارس التجأ بهم إلى جبل منيع، ثم غادره عندما جنح الليل منهزمًا إلى مدينة طليطلة [1]. وهذه النهاية هي نهاية طبيعية متى ما كان المسلمون تحت راية واحدة وعلى قلب واحد [2].

ومن موضع الزلاقة أرسل يوسف بن تاشفين الرسل لأراضي المسلمين بالأندلس والمغرب على السواء، ينقلون لهم البشرى بانتصار المسلمين على الصليبيين ـ قام يوسف

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 91 وما يليها. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص100 – 101. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص87. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص246. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص188. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 10، ص608 – 609. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص246 – 362. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص28 – 29، ج7، ص117. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص248. أشباخ: تاريخ الأندلس، ص 86. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص 320. كنون: النبوغ المغربي، ج2، ص407 – 408 – 409. علي أحمد: ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها، مجلة التاريخ العربي، ع 21، 1422هـ/ 2002م، ص171.
Salma Khadra: The Legacy، P 62.

(2) أثرت المصادر والمراجع موقعة الزلاقة حقها من المعلومات لذا ابتعد الباحث عن تفاصيل المعركة لعدم الاستطراد في موضوعها، وللازدياد عن موقعة الزلاقة انظر ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، وأشباخ: تاريخ الأندلس.

بن تاشفين في نهاية المعركة بتوزيع الغنائم على أهل الأندلس[1]. ورغم كون هذا الانتصار قد هيأ الفرصة للمسلمين لمتابعة القتال ضد الصليبيين إلا أن ذلك لم يحدث لعودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب، فما أن فرغ يوسف من موقعة الزلاقة حتى ورد إليه خبر وفاة ابنه أبي بكر نائبه على المغرب، فكان لزامًا عليه أن يترك ما بيده ويعود إلى المغرب لإقرار حكمه. وقد كانت وجهته من الزلاقة إلى إشبيلية فالجزيرة الخضراء، وتذكر بعض المصادر أن ابن تاشفين أقام بظاهر إشبيلية ثلاثة أيام ثم انتقل إلى الجزيرة الخضراء، ومنها إلى سبته فمراكش[2].

وظاهر الأمر أن عودة يوسف إلى المغرب كانت بعد تركه لعدد ليس باليسير من جيشه بالأندلس، وهو الذي أقام قبل ذلك حامية ثابتة بالجزيرة الخضراء تحت قيادة قريبه بُلجين[3].

وقد كلفت عودة يوسف بن تاشفين للمغرب شيئًا من الوقت لحين استدعاء أهل الأندلس له مرة أخرى، حيث عاد الصليبيون إلى ما كانوا عليه من قتال للمسلمين . فرغم هزيمة الصليبيين بالزلاقة إلا أن الإصرار الصليبي لازال قائمًا لاكتساح الأندلس وإزالة الحكم الإسلامي منها . ولأجل هذا أقام قائد الصليبيين با لأندلس ألفونسو السادس حصن لييط بشرق الأندلس قاعدةً يهاجم منها أراضي المسلمين بجوار قاعدته الأولى مدينة طليطلة، وهنا كان تركيز ألفونسو السادس على منطقة شرق الأندلس بشكل خاص مع عدم إهماله لمهاجمة أراضي الأندلس الأخرى، فقد هوجمت مرسية وإشبيلية وسرقسطة وبلنسية وغيرها من مدن وحواضر الأندلس. وكان يدعم ألفونسو السادس في حملاته هذه جند من المحاربين الفرنسيين والنورمانديين وغيرهم من جند

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص116. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 189. أشباخ : تاريخ الأندلس، ص88. كنون: النبوغ المغربي، ج2، ص407.

(2) مراكش (Marrakech): من أكبر مدن المغرب، تقع في غرب بلاد المغرب الأقصى، بناها يوسف بن تاشفين في عام 470هـ. انظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص111.

(3) الذهبي: تاريخ الأندلس، ج10، ص610. ابن الأثير: الكامل، ص1501.

الصليبيين، وذلك كله بدعم من الكنيسة النصرانية لمساعدة نصارى أسبانيا في قتالهم ضد المسلمين[1]، في وقت عاد فيه حكام الطوائف إلى ما كا نوا عليه قبل موقعة الزلاقة من فُرقةٍ وتنازع تمنعهم من أن يتحدوا تحت راية أحدهم ولو في قتالهم ضد أعدائهم الصليبيين على أقل تقدير. وعلى هذا الحال لم يكن هناك حل لهجمات الصليبيين سوى الحل السابق وهو الاستنجاد بمسلمي المغرب، وهذا ما وعاه عقلاء الأندلس وسيروا لأجله الرسل والخطابات ليوسف بن تاشفين، ومن ضمنهم المعتمد بن عباد الذي عبر إلى المغرب لمقابلة ابن تاشفين، فالتقاه بوادي سبو، وشكا له أحوال الأندلس ودعاه للعبور إليها لنجدتها من هجمات الصليبيين[2].

فكان على يوسف بن تاشفين إجابة نداء إخوانه مسلمي الأندلس . ففي عام 481هـ/ 1088م عبر ابن تاشفين من مدينة قصر المجاز إلى قاعدته بالعدوة الأندلسية الجزيرة الخضراء، ومنها أخذ يعد عدته لقتال ألفونسو السادس . ويظهر أن أغلب قوة ابن تاشفين في هذه المرة كانت بالجزيرة الخضراء ممن أقامهم بها، فلا يظهر من خلال المصادر الإشارة لقوات ليوسف حال عبوره للمرة الثانية على العكس من المرة الأولى . ومن الجزيرة الخضراء خاطب ابن تاشفين ملوك الطوائف بأن الموعد بينهم حصن لييط، وقد سبق ابن عباد ملوك الطوائف في الانضمام ليوسف حيث استقبله بالجزيرة الخضراء عند عبوره بألف دابة تحمل الميرة[3].

وفي ربيع الأول من هذا العام تحرك ابن تاشفين بقواته من الجزيرة الخضراء باتجاه

---

(1) الأمير عبدالله : التبيان، ص 108. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 192. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص197. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص148 – 149.

(2) الأمير عبدالله : التبيان، ص 108. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 192 – 193. خليل السامرائي : علاقات المرابطين، ص148 – 149.

(3) الأمير عبدالله: التبيان، ص108. مجهول: الحلل الموشية، ص68. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 192 – 193. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص51. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص139.

مالقة دافعًا حاكمها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس [1] إلى التحرك معه باتجاه حصن لييط، وقرب حصن لييط وافى ملوك الطوائف يوسف بن تاشفين على الموعد الذي أشار إليه، ومنهم المعتمد بن عباد وعبدالله بن بلقين حاكم غرناطة والمعتصم بن صمادح حاكم المرية وابن رشيق حاكم مرسية الذي ساهمت مدينته مرسية في تزويد هذه القوات بآلات الحرب[2].

وبهذا التحالف ضرب ابن تاشفين الحصار على حصن لييط الذي تواجد به ألفونسو السادس بقوة تُقدر بثلاث عشرة ألف مقاتل م نهم ألف فارس . ورغم تشديد ابن تاشفين وملوك الطوائف الحصار على حصن لييط وقطع المؤن عنه إلا أن ذلك لم يجدِ في الوصول إلى الحصن والسيطرة عليه . ويعود عدم نجاح الحصار إلى تفكك القوات الإسلامية من داخلها، وهو ما دفع ابن تاشفين لرفع الحصار عن حصن لييط والعودة إلى المغرب بعد مروره بالمرية ثم الجزيرة الخضراء [3]. وقد كانت عودة ابن تاشفين إلى بلاده بهذه الصورة حرصًا منه على عدم حدوث هزيمة للمسلمين توهن عزيمتهم وتكسر شوكتهم بعد انتصارهم بالزلاقة، خاصة وأن فُرقة ملوك الطوائف وتحاسدهم فيما بينهم قد اتضحت أمام عيني ابن تاشفين، وهو ما تؤكده المصادر بعودته إلى المغرب وقد تغير رأيه في ملوك الطوائف. كما أن تحاسد ملوك الطوائف وصل بهم لمدى دفعهم للتشكيك في ابن تاشفين بأنه يرغب في السيطرة على الأندلس لصالحه، وهو ما اتضح له

---

(1) تميم بن بلقين بن باديس: ولاه باديس على مالقة وقد كان صغيرًا فأوكله إلى أحد شيوخ صنهاجة إلى أن بلغ، فاستبد بحكمها حتى أخرجه منها يوسف بن تاشفين إلى بلاد السوس، توفي بمراكش عام 488هـ/ 1095م. انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص236.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص68. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص192 – 193. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص51. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص139.

(3) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 247. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 2، ص337. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص139.

وكان دافعًا آخر للعودة إلى بلاده[1].

ورغم هذا لم يبتعد ابن تاشفين كثيرًا عن الأندلس فلا زال واجبه الديني يدفعه لنصرة إخوانه المسلمين بالأندلس على أي صفة كانت. وقد كانت هذه الصفة بأن تفرد يوسف بن تاشفين بقوةٍ توجه بها إلى الأندلس راغبًا في أن يسيطر على أراضي الأندلس كي يتفرغ فيما بعد لقتال الصليبيين بعيدًا عن تحاسد ملوك الطوائف وتنازعهم.

وكان عبور يوسف إلى الأندلس في عام 483هـ/ 1090م بعدما استغرق مدة زمنية كافية للإعداد لهذه المهمة، حيث أنه خرج من الأندلس متغيرًا على حكامها في عام 481هـ/ 1088م. وقد بدأ يوسف مهمته بالأندلس بالسيطرة على العدوة الأندلسية حيث ضم مدينة طريف إلى حكمه بجوار جارتها مدينة الجزيرة الخضراء، وكان ذلك بصورة ميسَّرة[2].

ويرى الباحث أن ذلك تم بدعم ومساندة من أهل طريف نفسها، وهم الذين استاؤوا كبقية سكان مدن الأندلس من حكامهم وأقبلوا على الانضواء تحت حكم المرابطين كما فعل سكان مدينة إشبيلية. كما يرى الباحث أن للقوة التي أبقاها ابن تاشفين بالجزيرة الخضراء دورًا آخرًا في التمهيد لضم مدينة طريف، وبث فكرة الانضواء تحت حكم المرابطين.

وشهد شوال من عام 483هـ/ 1090م النداء باسم يوسف بن تاشفين بمدينة طريف إعلانًا بانضمامها لحكم ابن تاشفين.

ورغم موافاة المعتمد بن عباد لابن تاشفين بالجزيرة الخضراء عند عبوره، إلا أن ابن تاشفين لازال راغبًا في إزالة حكم الطوائف من الأندلس لعلمه بمدى سوء سريرة

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص143. الأمير عبدالله: التبيان، ص 145 – 146. المقري: نفح الطيب، ج4، ص246.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص143. المراكشي: المعجب، ص123. الذهبي: تاريخ الأندلس، ج 10، ص610. محمد عنان: دولة الإسلام، ج2، ص337.

Salma Khadra: The Legacy، P 63.

حكامها، وإضاعتهم لبلاد الأندلس. فإليه شكا المستنصر بالله تميم بن بلقين حاكم مالقة أخاه عبدالله بن بلقين حاكم غرناطة، وبين يديه اختلف المعتمد بن عباد وعبدالله بن بلقين[1]، فكان الأصلح للأندلس ولابن تاشفين إزالة هؤلاء الحكام وإنهاء حكمهم.

وقد رغب ابن تاشفين الإسراع في إجهازه على حكم الطوائف، ولذلك وجه قواته لمدن الأندلس للإسراع في ذلك. وقاد ابن تاشفين حملة توجه بها إلى غرناطة، فكان له دخولها والسيطرة عليها والقبض على حاكمها عبدالله بن بلقين يوم الأحد الثالث عشر من رجب لعام 483هـ/ 1090م. وتأكيدًا للاستمرارية حكام الطوائف في تنافسهم وتحاسدهم، فلأنه ما أن فرغ ابن تاشفين من السيطرة على غرناطة حتى قدم إليه المعتمد بن عباد مظهرًا ولاءه ومباركًا ما تحقق لابن تاشفين، وراغبًا في أن يمنح مدينة غرناطة عوضًا عن الجزيرة الخضراء، لكنه لم يجد من ابن تاشفين سوى الإعراض الذي وجده هو وأمثاله من حكام الطوائف حين تكون حاجاتهم فيما تشتهيه أهواؤهم[2].

وكابن بلقين كانت نهاية ابن عباد، فقد أرسل يوسف بن تاشفين قائده سير بن أبي بكر إلى إشبيلية سنة 484هـ/ 1091م. ورغم مخاطبة المعتمد للصليبيين لنصرته إلا أن يوسف قد أرسل قوة تمكنت من هزيمة جيش الصليبيين قبل أن يصل لإشبيلية. وأمام هزيمة جيش الصليبيين وثورة أهل إشبيلية ضد المعتمد، لم يجد المعتمد بدًا من الاستسلام، فنقل هو وأبناؤه وبناته ونساؤه إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى مدينة أغمات[3]،

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص143. الأمير عبدالله: التبيان، ص 106 – 107 – 145 – 146. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص163. مجهول: الحلل الموشية، ص71.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص143. ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص118. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص249. الذهبي: تاريخ الأندلس، ج10، ص610.

(3) أغمات (Ogmat): مدينة بالمغرب على سفح جبل بالقرب من مراكش، بينها وبين المحيط الأطلسي أربعة مراحل. انظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص266 – 267.

حيث بقي بها إلى أن مات في شوال سنة 488هـ/ 1095م[1].

وأكمل يوسف مسيرة ضم الأندلس بالسيطرة على بلنسية ومالقة وبطليوس، بل بالسيطرة على كامل الأندلس ما عدا مدينة سرقسطة التي استعان حاكمها المستعين بن هود بالقوى الصليبية[2].

ولإتمام هذه المهمة أصبح يوسف بن تاشفين تارة بالأندلس وتارة بالمغرب، يساعده حال وجوده بالمغرب أحد أبنائه أو قادته، ومن ذلك عبور حملة يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة 493هـ/ 1099م إلى الأندلس بمساعدة القائد محمد بن الحاج والقائد سير بن أبي بكر[3].

وقد أعقب يوسف بن تاشفين سيطرته على الأندلس بمخاطبة الخليفة العباسي المستظهر[4] الذي عقد لـه على المغرب والأندلس، وكتب لـه عهدًا بذلك وأرسله إليه[5].

ولم يقتصر اهتمام المرابطين بالأندلس على يوسف بن تاشفين - توفي عام 500هـ / 1106م - بل اهتم بها أبناؤه من بعده، فخليفته ابنه علي بن يوسف عبر إليها لتفقدها وسد خللها، ولم يعد عنها إلا بعد إقامة أخيه أبي الطاهر تميم على غرناطة، وأبي عبدالله

---

(1) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص66. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 163. المعسكري : الحلل، ص361. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص249.
Salma Khadra: The Legacy، P 63.

(2) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 104. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص247. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص249. القلقشندي : مآثر الأنافة، ج 2، ص24. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص250.

(3) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص109. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص249. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص250.

(4) المستظهر: الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن عبدالله، بويع بالخلافة بعد أبيه في محرم سنة 487هـ. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص593.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص249. القلقشندي: مآثر الأنا فة، ج 2، ص24. كنون : النبوغ المغربي، ج1، ص61.

محمد بن أبي بكر اللمتوني على قرطبة[1].

وختامًا فإن اشتداد الحملات الصليبية و تطلع الأندلسيين لعون مسلمي المغرب يظهر مدى دور العدوة الأندلسية في تمكين المرابطين من مساعدة إخوانهم بالأندلس، فهي أبرز عوامل نجاح المرابطين بالأندلس بموقعها الاستراتيجي الذي اكسبهم سرعة الاتصال والعبور، ومكن لهم سهولة التموين والنجدات وبالتالي فإن العدوتين الأندلسية والمغربية أسهمتا في مد عمر الإسلام في الأندلس وأخرت زوال دولته لعدة قرون، لكونها مرجع ثابت لهم متى ما أرادوا العودة إليه.



(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص48. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج5، ص249. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص133.

المبحث الثالث

العدوة الأندلسية في عصر المرابطين

تعتبر دولة المرابطين من أبرز دول المغرب الإسلامي سياسيًا، وحضاريًا، رغم قصر عمرها التاريخي نسبيًا (449هـ ـ 541هـ / 1057م ـ 1146م). ورغم ذلك لازال تاريخ قيامها بحاجة إلى دراسة وتوضيح. ويرى الباحث أن ذلك عائدًا لتدوين تاريخها في فترة زمنية لاحقة، شابتها تأثيرات الأغراض والأهواء، بالإضافة لكون هذه الدولة تأسست في بدايتها على قوم صحراويين لم يهتموا بتدوين تاريخهم، فقد صبوا اهتمامهم على جانب القتال.

يقترن فجر المرابطين بما عرف برباط[1] عبدالله بن ياسين[2]، فالمرابطون لم تخرج حركتهم عن دافع سياسي مُعدّ مسبقًا، بل هم تجمع تشكل داخل هذا الرباط، فنبع عنه نواة دولة المرابطين.

وتعود قصة رباط عبدالله بن ياسين إلى رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي ـ زعيم قبيلة جدالة[3] ـ الذي التقى بالفقيه أبي عمران الفاسي الغفجومي ـ شيخ المذهب المالكي بالقيروان[4]، فقد طلب يحيى بن إبراهيم من أبي عمران أن يندب معه من يعلم قومه ويفقههم في الدين، فكان رأي أبي عمران أن يتجه يحيى إلى تلميذ لأبي عمران ببلاد

---

(1) الرباط (Rabat): يعود أصل الرباط في اللغة إلى(رَبَطَ) أي واظب على الأمر ولازمه انظر إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج1، ص323. والرباط اسم للخيل التي ترابط في سبيل الله عز وجل انظر الكلبي: كتاب التسهيل، مج 1، ص68. ومن هذا الرباط كانت تسمية المرابطين باسمهم سواءً لنسبتهم إليه، أو لمرابطتهم به

(2) عبدالله بن ياسين: عبدالله بن ياسين الجزولي ، فقيه دولة المرابطين، قتل في معركة مع قبيلة برغواطة سنة 451هـ/ 1059م. انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص150.

(3) جدالة: جدالة هي إحدى بطون قبيلة صنهاجة البربرية – أكبر قبائل المغرب. ومن بطون صنهاجة بالإضافة لجدالة لمتونة ومسوفة. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص201 – 202.

(4) القيروان (Kairuán): مدينة من مدن إفريقية، بناها عقبة بن نافع، وقد اكتمل بناؤها في عام 55هـ. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص476 – 477.

السوس يدعى وجاج بن زولو اللمطي. وعندما وصل يحيى إلى وجاج أرسل معه أحد تلاميذه وهو عبدالله بن ياسين الجزولي ليفقه قوم يحيى في الدين[1].

وهنا كانت نواة قيام رباط عبدالله بن ياسين، فما أن وصل ابن ياسين لديار جدالة حتى أوجد له موضعًا يُعلم فيه الناس، فكان رباط عبدالله بن ياسين، هذا الرباط الذي أصبح مقصد كل من يرغب التفقه في الدين، حتى كان لدى ابن ياسين بعد زمنٍ ألف طالب للعلم[2].

وبهذا العدد وبمساعدة يحيى بن إبراهيم انتقل ابن ياسين بحركته الإصلاحية من مرحلة الدعوة بالحسنى إلى مرحلة انتقالية أخرى تمثلت في قتال القبائل المجاورة لإصلاح أحوالها.

لكن مع بداية هذه المرحلة واجهت هذه الدعوة الإصلاحية عقبات كادت أن تقضي عليها، ومنها اشتداد المعارضين لهذه الدعوة ورغبتهم في القضاء عليها، وعلى صاحبها ابن ياسين، كما زاد الحال سوءًا بوفاة يحيى بن إبراهيم مصدر الأمان لهذه الدعوة. وهنا لم يكن هناك حل أمام ابن ياسين سوى البحث عن ملجأ آخر يتمكن خلاله من إكمال مسيرته[3].

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص7 – 8. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص243. الناصري: الاستقصا، ج2، ص6 – 7. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص242 – 243. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 154 – 155 – 156. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص 183 - 214. أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعارف، ص270 – 271.

Anwar Cheine: Muslim Spain، P 70.Salma Khadra: The Legacy، P 60- 61. Imamuddin: A Political History، P 259.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص8. الناصري: الاستقصا، ج 2، ص7 - 8. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص243. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 158. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص185. حياة عبود العامودي: الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع 13، السنة السابعة، محرم 1427هـ/ يناير 2006م، ص138.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص8 - 9. الناصري: الاستقصا، ج2، ص9 - 10. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص243. ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص158 - 159. العبادي في تاريخ المغرب، ص273.

ولارتداد بعض أفراد قبيلة جدالة عن ابن ياسين ارتأى أن يتوجه إلى منافستها قبيلة لمتونة؛ لطاعتها له بالإضافة إلى قوتهم التي كانت آخذة في الازدياد وبلمتونة وزعيمها يحيى بن عمر اللمتوني أكمل عبدالله بن ياسين مرحلته الثانية من دعوته فتمكن من ضم قبائل مسوفة، وجدالة، ولمطة، وغيرها من قبائل صنهاجة إلى رايته ولم يتم كل هذا إلا بعد أن أبلى عبدالله بن ياسين وقبيلة لمتونة بلاءً حسنًا، فقدت به هذه الأخيرة زعيمها يحيى بن عمر، فقد قتل يحيى أثناء محاربة قبيلة زناتة بالقرب من مدينة سجلماسة[1] عام 447هـ/ 1055م[2].

ورغم وفاة يحيى بن عمر إلا أن هذه الدعوة قد اكتسبت قوة أرست دعائمها خاصة لدى أتباعها من القبائل الصنهاجية. وإكمالًا لدور يحيى بن عمر أتم أخوه وخليفته أبو بكر بن عمر هذا الدور، ففي عهده أتم المرابطون السيطرة على بلاد السوس كاملة وذلك في عام 448هـ/ 1056م، وبنهاية عام 449هـ/ 1057م استرد أبو بكر واحات درعة[3] بفضل جهود قائده يوسف بن تاشفين[4]، وفي هذا العام أيضًا استولى أبو بكر على مدينة أغمات، وجعلها عاصمة لدولته ـ يعتبر هذا الحدث بداية قيام دولة المرابطين ككيان سياسي. ومن عاصمته كثف أبو بكر هجماته على قبيلة برغواطة وقبيلة غمارة . ومن ذلك توجهه إليهم بجيشين : أحدهما بقيادته ويرافقه به عبدالله بن ياسين ووجهته برغواطة، والآخر بقيادة يوسف بن تاشفين ووجهته غمارة.

---

(1) سجلماسة (Sgelmasp): مدينة في جنوب المغرب، بينها وبين مدينة فاس عشرة أيام. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص217.

(2) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص9 وما يليها . الناصري : الاستقصا، ج 2، ص11 – 12 – 13. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص244. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 160 وما يليها . العبادي : في تاريخ المغرب، ص274 – 275. حياة العامودي: الحياة الاجتماعية، ص137 وما يليها.

(3) درعة (Escudo): مدينة صغيرة بجنوب غرب بلاد المغرب، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ . انظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص513.

(4) يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترجوت الحميري الصنهاجي، ولد ببلاد الصحراء عام 400هـ/ 1009م، وكنيته أبو يعقوب . انظر ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص46. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص172 – 174.

ورغم أن كلتا الحملتين تكللت بالنجاح، إلا أن دولة المرابطين فقدت مرشدها الديني عبدالله بن ياسين في معركة بالقرب من وادي كريفلة سنة 450هـ/ 1058م. وبوفاة عبدالله بن ياسين حاز أبو بكر بن عمر القيادة الدينية لدولة المرابطين والقيادة السياسية أيضًا، فكان قائد الدولة ومرشدها الديني.

وعن حملة يوسف بن تاشفين فقد تمكنت من السيطرة على مناطق شاسعة من أراضي غمارة ابتداءً بمدينة فاس[1] وانتهاءً بمدينة طنجة[2].

ومنذ هذه الحملات أخذ نجم يوسف بن تاسفين في التصاعد؛ حتى كانت له النيابة على الحكم عندما توجه أبو بكر بن عمر غرة ربيع الآخر سنة 463هـ/ 1070م لإنهاء النزاع الذي وقع بين قبيلتي لمتونة ومسوفة[3].

ومن منصب النيابة اهتم يوسف بشؤون الدولة، فضم بلاد المغرب الأوسط لحكم المرابطين، وزاد من قوة الأسطول المرابطي بمضيق جبل طارق، وأكمل بناء مدينة مراكش وأقام بها دارًا للسُكة وعددًا من الدواوين.

وقد قادت هذه الأعمال يوسف بن تاشفين لإعطاء نفسه الحق في السيطرة على حكم المرابطين لنفسه، فما أن عاد أبو بكر بن عمر سنة 465هـ/ 1072م حتى وجد يوسف قد استأثر بالحكم، فما كان منه إلا أن عاد للصحراء لقتال من ليسوا على المذهب الصحيح

---

(1) فاس (Fez): مدينة بشمال المغرب، كانت تضم عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين . انظر الحموي : معجم البلدان، ج4، ص261.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص243، ج4، ص14 وما يليها. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص244. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص169 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج 2، ص13 وما يليها . العبادي: في تاريخ المغرب، ص275.

Anwar Cheine: Muslim Spain، P 71.Salma Khadra: The Legacy، P 61. Imamuddin: A Political History، P 259.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص21. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص245. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 175. الناصري : الاستقصا، ج 2، ص20. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص188. العبادي: في تاريخ المغرب، ص301.

إلى أن استشهد في إحدى المعارك ببلاد السودان سنة 480هـ/ 1087م[1].

أما يوسف فقد تمكن من مقامه هذا من إخضاع سائر قبائل المغرب، وفرض سيطرته على كافة المدن، حتى كانت دولته تقوم على حدود واسعة تمتد من جزائر بني مزغنة إلى طنجة ثم إلى آخر بلاد السوس الأقصى انتهاءً بجبل الذهب من بلاد السودان[2]. وكل هذه المساحة الشاسعة والتي كان أغلبها بيد يوسف بن تاشفين؛ تدل على مدى قوة ابن تاشفين وحنكته السياسية، خاصة إذا علمنا أنه تمكن من ضم كل من بهذه المناطق تحت رايته رغم تناحرهم وتفرقهم، وفي فترة زمنية قصيرة.

وقد اتخذ ابن تاشفين في إدارة هذه الدولة المترامية الأطراف سياسية الاعتماد على الأبناء والخاصة من الرجال، ففي عام 467هـ / 1074م ولى يوسف بن تاشفين قائده سيري بن أبي بكر مدائن مكناسة[3] وبلاد مكلاته وبلاد فازاز، كما ولى عمر بن سليمان مدينة فاس وأحوازها، كما ولى داوود بن عائشة على سجلماسة ودرعة، وأوكل ابن تاشفين إلى ابنه تميم ولاية مدينتي أغمات، ومراكش، وبلاد السوس، وسائر بلاد المصامدة، وبلاد تادلة، وبلاد تامسنا[4].

ويرى الباحث أن يوسف بن تاشفين فرغ نفسه لسياسة الدولة الخارجية بعدما أوكل إدارتها الداخلية إلى معاونيه، كما ظهر من تقسيمه لدولته إلى مناطق إدارية موكلة كلُ واحدة منها إلى والٍ لها.

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص23 – 24 . ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص245. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص175 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج2، ص22. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص190 – 191. العبادي: في تاريخ المغرب، ص305.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص245. الناصري: الاستقصا، ج2، ص27 وما يليها . ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص173 – 175 وما يليها. حياة العامودي: الحياة الاجتماعية، ص140.

(3) مكناسة (Mcnasp): مدينة بالمغرب، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق . انظر الحموي : معجم البلدان، ج5، ص210.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص180.

وبهذا تمكن يوسف من الارتقاء بدولته في فترة كان يصعب بها أن تُقام دولة بهذا التنظيم ببلاد المغرب؛ وذلك لتناحر قبائلها وتنازعهم في ظل صعوبة تضاريسها.

وكل هذه الأحداث لم تكن غائبة عن أهل الأندلس، فالمعتضد بن عباد الجار المجاور لبلاد المغرب تناقش مع أحد وزرائه حول تطور أحوال المرابطين بالمغرب ومدى تهديدهم لبلاده بالأندلس، خاصة العدوة الأندلسية منها. وقد خلُص هذا النقاش إلى أن أصدر المعتضد توجيهًا لواليه على الجزيرة الخضراء بتحصين جبل طارق وإقامة حاميات عليه؛ وذلك خوفًا من أن يسقط بيد المرابطين[1]، وهو إلى هذا الوقت لم تكتمل به مدينة جبل طارق بصورتها المكتملة. ومتابعة حكام الأندلس للمغرب وخاصة من يحكم منهم العدوة الأندلسية ليس بالأمر المستبعد لقربها من بلادهم، ولخ ضوع أجزاء من مناطق شمال المغرب للحكم الأندلسي ابتداءً بالخليفة عبدالرحمن الناصر وانتهاءً بحكم بني حمود[2].

وقد كان لقيام دولة المرابطين وما وصلت إليه صدى واسعًا في بلاد الأندلس، وهو ما كان مدعاة لأن يستنجد أهل الأندلس بالمرابطين لخلاصهم مما هم به . ومنذ هذ ه اللحظة بدأت العدوة الأندلسية المشاركة بصورة أساس في مساعدة المرابطين لأهل الأندلس، تلك المشاركة التي قادت المرابطين لضم العدوة الأندلسية إلى حكمهم ابتداءً بمدينة الجزيرة الخضراء وانتهاءً بمدينة طريف[3] (انظر خريطة 3).

ويرى الباحث أن بداية مشاركة العدوة الأندلسية كانت عندما بدأ يوسف بن تاشفين بشراء الأسلحة والعبيد من بلاد الأندلس [4]، فالعدوة الأندلسية هي المنطقة

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص52. ابن بسام: الذخيرة، ج2، ص34.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص26. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 119. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص181.

(3) الأمير عبدالله : التبيان، ص 101. مجهول : الحلل الموشية، ص 51. شريفة محمد : العلاقات السياسية، ص274.

(4) الحلل الموشية، ص24 – 25.

الأسلم والأقرب لإيصال هذه الأسلحة لجيوش المرابطين.

ثم كانت المرحلة التالية، وهي وصول المرابطين للعدوة الأندلسية؛ وذلك عندما طلب يوسف بن تاشفين من المعتمد بن عباد أن يمنحه الجزيرة الخضراء بإقرار خطي منه؛ وذلك لكي يتخذها المرابطون قاعدة لهم أثناء محاربتهم للصليبيين [1]. وكان اختيار المرابطين للجزيرة الخضراء؛ لكونها أكبر مدن العدوة الأندلسية التي تمتاز بإمكانية الاتصال المباشر بأرض المغرب، كما أن الجزيرة الخضراء تعتبر من ناحية التحصين أفضل موضع بالعدوة الأندلسية. ولم يكن اختيار المرابطين للجزيرة الخضراء بصفة ارتجالية من قِبل حاكم الدولة يوسف بن تاشفين، بل كان ذلك بمشورة من عبدالرحمن بن أسباط، ومالك بن وهيب وزيري ابن تاشفين. وقد نال المرابطون الجزيرة الخضراء بخطاب من المعتمد بن عباد، الذي قام بنقل ابنه الراضي عنها إلى مدينة رندة . وهنا كانت الجزيرة الخضراء تحت التصرف الكامل للمرابطين، وهو ما كان يعلم به أهل المدينة أنفسهم، وأبدوا لأجله صور معبرة تؤكد سعادتهم بقدوم المرابطين إلى مدينتهم، ومعلنين في آن واحد ولاءهم وطاعتهم للمرابطين.

وكما أشير له في المبحث السابق [2] بينما كانت المراسلات تتم بين أهل الأندلس ويوسف بن تاشفين، كان هذا الأخير يقوم بإكمال سيطرته على مناطق شمال المغرب الأقصى، وتحديدًا أراضي سكوت البرغواطي . وما أن أتم يوسف بن تاشفين ذلك وبدعم من قوى أندلسية أرسلها المعتمد بن عباد من مدن العدوة الأندلسية، حتى أخذ ابن تاشفين في إعداد العدة للعبور إلى الأندلس لنجدة أهلها والتصدي للصليبيين.

وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول من عام 479هـ/ 1086م بدأ يوسف بن تاشفين بإجازة جيوشه إلى رباط المرابطين الأندلسي مدينة الجزيرة الخضراء معلنًا بداية

---

(1) الأمير عبدالله: التبيان، ص102 – 103. مجهول: الحلل الموشية، ص50.

(2) انظر الصفحة رقم 104 – 105.

جهاده للصليبيين[1]. وبهذا سبقت الجزيرة الخضراء مدن العدوة الأندلسية في الخضوع لحكم المرابطين بل سبقت أيضًا مدن الأندلس كافة بفترة زمنية ليست بالقليلة.

وقد حظيت الجزيرة الخضراء بعناية خاصة من قِبل المرابطين، بدئت ببناء أسوار ها وترميم ما تشعث من أبراجها، وذلك لما تعرضت لـه في زمن بني حمود وبني عباد ـ علمًا بأنه لم يذكر في زمن بني عباد أي إشارة لترميم أسوار الجزيرة الخضراء أو قلاعها ـ كما أحاط المرابطون الجزيرة الخضراء بخندق يحيط بها[2].

وكل هذا تم في بضعة أشهر؛ وهذا يؤكد دع م أهل الجزيرة الخضراء ومساعدتهم للمرابطين في تلك الأعمال، وهم الذين أقاموا من تلقاء أنفسهم استقبالًا حافلًا لمقدم يوسف بن تاشفين والمرابطين أعدوا به سوقًا خاصًا لهم، جعلوا به أنواع المشروبات والأطعمة وما يحتاجه الجند من حاجات[3].

ويرى الباحث أن إنجازات المرابطين بالجزيرة الخضراء تؤكد رغبة ابن تاشفين في إبقاء الجزيرة الخضراء تحت حكمه بعد انتهائه من مهمته التي قدم من أجلها . فالإنجازات التي قام بها تتجاوز كونها إعداد للمدينة كي تكون معبرًا آمنًا للمرابطين حين يرغبون في العودة إلى ديارهم، ولو كان يوسف يهدف لجعل الجزيرة الخضراء معبرًا فقط لاكتفى بأسوار المدينة الموجودة خاصة وأن أسطوله البحري يتواجد بكثافة في مضيق جبل طارق ولديه القدرة على نقل جيشه في أقل من يوم، كما حدث عند قدومه[4].

---

(1) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 90 – 91. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص133. المراكشي : المعجب، ص117. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص246. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 7، ص117. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص34. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 183 – 184. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص131. غازي جرادة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص71.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص51 – 52. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج1، ص352.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص87. ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص133.

(4) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص90. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص420.

وبالإضافة لما سبق إقامته يظهر أن يوسف بن تاشفين اتخذ له ولكبار قادته مقرًا بالمدينة، كان يقيم به ويستقبل من يقدم إليه من ملوك الطوائف، وهو المقر الذي أبقى به رجاله بقيادة قريبه بلجين عند عودته للمغرب بعد موقعة الزلاقة.

وبتواجد ابن تاشفين بالجزيرة الخضراء كانت مجمعًا لكافة ملوك الطوائف وهو ما لم يكن لغيرها من قبلُ ومن بعد. وبهذه الجموع الغفيرة خرج يوسف بن تاشفين لمحاربة الصليبيين بعدما وثق أمر قاعدته الأندلسية - الجزيرة الخضراء - بشحنها بالأطعمة والأسلحة، وإقامة نخبة من جنده بها على صورة وضعها لهم. ومن الجزيرة الخضراء بدأت الجيوش الإسلامية بقيادة يوسف بن تاشفين تحركها باتجاه جيوش الصليبيين بقيادة ألفونسو السادس، فكان اللقاء في أول شهر رجب من عام 479هـ/ 1086م بموضع الزلاقة، ذلك اللقاء الذي تمخض عنه الانتصار الكبير الذي حققه المسلمون على الصليبيين في الموقعة التي عرفت بموقعة الزلاقة[1].

وما أن انتهت هذه المعركة حتى وصل إلى يوسف بن تاشفين خبر وفاة ابنه ونائبه بالمغرب أبي بكر بن يوسف. فعاد ابن تاشفين إلى المغرب، لكنه قبل عودته بقي فترة من الزمن بالجزيرة الخضراء يحكم أمره بها قبل خروجه من الأندلس، ومن ذلك إقامة قريبه بلجين بالجزيرة الخضراء بعد أن وجهه بأمور محدده[2] — لم تورد المصادر ماهيتها. وهنا يتأكد رأي الباحث بأن أعمال ابن تاشفين بالجزيرة الخضراء حال نزوله بها كان لرغبته في التمسك بالمدينة لصالحه.

ويرى الباحث أن تواجد بلجين بالجزيرة الخضراء قد تجاوز كونه قائدًا لحامية

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 87. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 91. مجهول: الحلل الموشية، ص51. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 7، ص117. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص246. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 2، ص34 – 35. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 183 – 184. عمر أحمد: ظهور حركة الاسترداد، ص171.

Imamuddin: A Political History، P 260.

(2) الذهبي: تاريخ الأندلس، ج10، ص610. ابن الأثير: الكامل، ص1501.

للمرابطين بالمدينة، خاصة وأنه مع تواجده لم يرد اسم لشخص آخر أوكلت إليه مهام بالجزيرة الخضراء، وهنا كانت الجزيرة الخضراء موكلة لبلجين إيكالًا قد يتجاوز حدودها كمدينة.

وقد تمكن بلجين من ضبط الجزيرة الخضراء وإقرار الأمن بها مدة عامين، منذ خروج يوسف بن تاشفين من بلاد الأندلس في عام 479هـ/ 1086م إلى عام 481هـ / 1088م عندما عاد إليها ابن تاشفين مرة أخرى، في وقت كانت به الأندلس لا تزال تعاني من هجمات الصليبيين على مدنها . وهذا ما أعاد ابن تاشفين مرة أخرى إلى الأندلس.

فعندما اشتدت هجمات ألفونسو السادس ومن يشاركه من قادة الجيوش الصليبية على المدن الإسلامية، رأى المعتمد بن عباد أنه لا رادع لهذا العدوان سوى المرابطين في ظل تخاذل ملوك الطوائف . ولأجل هذا عبر المعتمد بن عباد بنفسه إلى المغرب للاستنجاد بيوسف بن تاشفين وشكوى حال المسلمين إليه . وقد كان اللقاء بين الحاكمين بوادي سبو من بلاد المغرب، وتمخض عنه وعد من ابن تاشفين بالعبور إلى الأندلس لقتال الصليبيين ونصرة الإسلام والمسلمين[1].

وفي أول عام 481هـ / 1088م عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مستقرًا بقاعدته الجزيرة الخضراء[2]. ويلحظ في عبور يوسف بن تاشفين هذه المرة عدم إشارة المصادر إلى كيفية هذا العبور وإلى عدد قوات المرابطين حال العب ور. وينبئ عدم هذا الوصف إلى عبور ابن تاشفين بعدد ليس بالكثير من الجند سهل عملية العبور، مما أزهد المؤرخين في وصفه. وقد يكون ذلك لاعتماد ابن تاشفين في هذه الحملة على قواته التي أبقاها بالجزيرة الخضراء.

لم يطل يوسف بن تاشفين البقاء بالجزيرة الخضراء، فقد انفصل عنها في شهر ربيع

---

(1) الأمير عبدالله: التبيان، ص108. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص192.

(2) الأمير عبدالله: التبيان، ص108. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص192 – 193.

الأول من عام 481هـ/ 1088م بعدما خاطب ملوك الطوائف بأن الموعد بينه وبينهم حصن لييط قاعدة ألفونسو السادس بشرق الأندلس . وعلى صورة مخالفة للاجتماع السابق لمعركة الزلاقة، كان خروج ملوك الطوائف كلًا من مقره، بالإضافة لعدم خروجهم جميعًا. فابن صمادح اعتذر عن المشاركة بداعي كبر سنه، وأرسل ابنه نيابة عنه، ويظهر أن هذا الاعتذار كان لتخوف ابن صمادح من نهاية هذه المبادرة، وهو ما يؤكده الأمير عبدالله بن بلقين[1].

وعلى كلٍ فقد كان هذا الاجتماع بداية الفرقة بين ابن تاشفين وملوك الطوائف . فبينما كان الحصار مضروبًا على حصن لييط، إذ وصل إلى يوسف بن تاشفين أخبارٌ أوغرت صدره على ملوك الطوائف. فقد كانوا يشككون في نوايا يوسف بن تاشفين التي قادته للقدوم إلى بلاد الأندلس، كما أن تنافسهم فيما بينهم كان ظاهرًا له رغم أنهم كانوا في حال يجب أن يكونوا فيه في أبعد ما يمكن من التنافس والشحناء فيما بينهم . ودفعت هذه الأحوال يوسف بن تاشفين إلى رفع الحصار عن حصن لييط والعودة بجيشه إلى قاعدته الأندلسية الجزيرة الخضراء ومنها إلى بلاد المغرب[2].

ويرى الباحث أن يوسف بن تاشفين لم يعد إلى المغرب إلا بعد أن شدد قبضته على الجزيرة الخضراء، وذلك لتغير الأحوال السياسية إلى وضع يدفع ابن تاشفين إلى أخذ الحيطة والحذر، خاصة وأن عدد من ملوك الطوائف عندما رأى تغير يوسف بن تاشفين عليهم أخذ يعيد العلاقة السابقة مع نصارى شمال أسبانيا للاحتماء بهم . ورغم ذلك لم يستبق الأحداث بدفع أي قوات إضافية تحت يد قريبه بلجين الذي لم يرد عنه شيء يشير إلى إزالته عن إدارة الجزيرة الخضراء أو وفاته.

ولفترة مقاربة للفترة السابقة بقي يوسف بن تاشفين بالمغرب، ثم عاد مرة أخرى إلى

---

(1) الأمير عبدالله: التبيان، ص104 – 108. مجهول: الحلل الموشية، ص68. أبو بكر بن العربي : شواهد الجلة، ص300. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص192 – 193. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص51.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص143. الأمير عبدالله: التبيان، ص102.

الأندلس بهدف مخالف لهدفه السابق، حيث عقد العزم على إسقاط حكم ملوك الطوائف والسيطرة على الأندلس.

شهد عام 483هـ/ 1090م العبور الثالث ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس [1]. وبهذا العبور كان يوسف بن تاشفين يدرك مدى أهمية العدوة الأندلسية بالنسبة له، وتحديدًا في حال رغبته الإجهاز على حكم ملوك الطوائف. ولذلك بدأ أمره بالسيطرة على مدينة طريف، ففي شوال من هذا العام اقتحمت قوات المرابطين مدينة طريف واحكموا أمرهم بها، ونادوا باسم يوسف بن تاشفين على منابرها، وذلك كله بصورة سريعة ودون أي مقدمات توضح رغبة ابن تاشفين في ضم المدينة، مما أعانه فعلًا في ضم المدينة بهذه الصورة الميسرة [2].

ومن أرض العدوة الأندلسية انطلقت جيوش المرابطين لتحقق غايتها بالسيطرة على الأندلس. ولم يقصر يوسف بن تاشفين قيادة هذه الجيوش على نفسه بل أوكل أمر قيادتها لعدد من قادته، وذلك ليتمكن بأقل وقت من السيطرة على مدن الأندلس وحصونه. ومن أبرز قادة المرابطين الذين اعتمد عليهم ابن تاشفين في هذه المهمة سير بن أبي بكر.

وقد شهد عام 483هـ/ 1090م سيطرة يوسف بن تاشفين على عدد من المدن والحصون من أبرزها مدينة غرناطة ـ يوم الأحد الثالث عشر من رجب ـ والمرية. ثم تتابعت مدن الأندلس، ومن ذلك سقوط قرطبة في عام 484هـ/ 1091م، وإشبيلية في رجب من نفس العام، كما سقطت بطليوس في عام 487هـ/ آذار (مارس) 1094م كآخر درة نظمت في عقد المرابطين بالأندلس، فبها سيطر المرابطون على كامل الأندلس

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص143. الأمير عبدالله: التبيان، ص 145 – 146 – 152 – 153. أبو بكر بن العربي: شواهد الجلة، ص300. مجهول: الحلل الموشية، ص71. المقري: نفح الطيب، ج4، ص246.

(2) المراكشي: المعجب، ص 123. الذهبي: تاريخ الأندلس، ج 10، ص610. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص165.

ماعدا مدينة سرقسطة التي لجأ حاكمها المستعين بن هود إلى نصارى أسبانيا[1].

كل هذه المكاسب المرابطية تؤكد دور العدوة الأندلسية الداعم لهذه الحملات، فمنها وإليها كانت جيوش المرابطين تنطلق وتعود مزودة بالأسلحة والمؤن . ومنها كان عدد من ملوك الطوائف المنفيين يتجهون إلى منفاهم ببلاد المغرب، فالمعتمد بن عباد عبر منها إلى المغرب ثم إلى منفاه مدينة أغمات، وعبدالله بن بلقين وأخوه تميم كانت العدوة الأندلسية آخر عهد لهم بالأندلس حيث تم نفيهم إلى بلاد السوس الأقصى[2].

كل هذه الأحداث ويوسف بن تاشفين بين قائد للحملات أو متابع لها من الجزيرة الخضراء للإشراف على كل ما يتعلق بالقضاء على حكم ملوك الطوائف.

ويرى الباحث أن الجزيرة الخضراء كانت تضيف ليوسف بن تاشفين قدرة الإشراف على بلاد المغرب وبلاد الأندلس في آن واحد، وذلك لتوسطها أراضي المغرب والأندلس، وهو ما يتأكد ببقاء يوسف بن تاشفين بها لفترات تمتد بين عدة أشهر إلى قرابة السنة، في وقت كان به يعتمد اعتمادًا كليًا في أغلب حملاته على قادته، كيحيى بن أبي بكر. ورغم أن هذه الحملات كانت موجهة لملوك الطوائف إلا أنها لم تقتصر عليهم، حيث كانت تمزج بين قتال ملوك الطوائف والصليبيين ممن قدموا الدعم لملوك الطوائف؛ كي يضمنوا بقاء الأندلس كما كان عليه من فرقة وتناحر.

وهذا ما لم يكن لهم فقد احتوى يوسف بن تاشفين أراضي الأندلس ـ ما عدا مدينة سرقسطة ـ وأضفى عليها صبغة خاصة به، ابتدأها بتحويل الأندلس إلى ولاية عباسية . فما أن أتم ابن تاشفين أمره بالأندلس حتى خاطب الخليفة العباسي المستظهر يطلب

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص66. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 2، ص118. القلقشندي : مآثر الأنافة، ج2، ص24. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص249. الذهبي : تاريخ الأندلس، ج 10، ص610. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص240 – 250. المعسكري: الحلل، ص360 – 361.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص66. الأمير عبدالله: التبيان، ص 160. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص240. المقري: نفح الطيب، ج4، ص217. ابن الأثير: الكامل، ص1509 – 1510. ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص149. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص169 – 170.

مبايعته على ما بيده، فكان له ذلك[1]. وهذا التصرف من ابن تاشفين رغم فرض سيطرته على بلاد المغرب والأندلس؛ كان ليزيد من إضفاء صبغة الشرعية على حكمه.

وبالأندلس تزداد شخصية يوسف بن تاشفين القيادية اتضاحًا، فبعد أن أتم حملاته العسكرية ضد ملوك الطوائف لم يدع الأندلس دون تنظيم إداري، فقد أقام على كل إقليم منها واليًا، كأبي الحسن علي بن الحاج على غرناطة، ويحيى بن علي المسوفي على استجة. كما أقام في وقت مزامن واليًا على كافة الأندلس هو ابنه علي في عام 497هـ / 1103م. ذلك العام الذي شهد ضبط يوسف بن تاشفين للأندلس وتقديم عمال للنظر في أشغال التحرك بها[2].

وبانتهاء ابن تاشفين في عام 497هـ/ 1103م من هذه الأعمال عاد إلى بلاد المغرب دون أن يدير ظهره للأندلس، فما أن وصل إلى المغرب حتى أمر واليه على غرناطة علي بن الحاج للتوجه لمدينة بلنسية لمنازلة الصليبيين، وقد وصل هذا الخطاب إلى ابن الحاج وهو على مقربة من الجزيرة الخضراء[3]. وهنا يتأكد الدور الأساس للعدوة الأندلسية في هذه الحقبة الذي تجاوز القائد الأول لدولة المرابطين إلى كافة قادة جيوش المرابطين.

وبنهاية عام 497هـ/ 1103م بدأ المرض يعتلي كاهل ذلك القائد الجليل يوسف بن تاشفين بعدما أقر حكمه بالأندلس ودفع الصليبيين عنها، بعبوره إليها بحملاته لأربع مرات مؤرخة ـ أعوام 479هـ / 1086م، و481هـ / 1088م، و483هـ / 1090م، و497هـ/ 1103م ـ يجاورها عدد آخر من الحملات بقيادة عدد من قادة المرابطين أُرخ منها حملة ليحيى بن أبي بكر بن يوسف سنة 493هـ/ 711م[4].

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص249. القلقشندي : مآثر الأنافة، ج 2، ص24. المعسكري : الحلل، ص361. كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص61.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص205. ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص44.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص44.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص116 – 143. أبو بكر ابن العربي: شواهد الجلة، ص 300. المراكشي : المعجب، ص117 — 123. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص240 – 250. ابن أبي زرع : الأنيس

ويرى الباحث أن عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس يتجاوز عدد تلك الحملات التي قادها، فالفترة الممتدة من عام 483هـ/ 1090م إلى عام 496هـ/ 1102م ـ مثلًا ـ لا يكاد يذكر ليوسف بن تاشفين بها عبور إلى الأندلس بحملات عسكرية أو دونها في وقت كانت الأحوال بالأندلس في أمس الحاجة لتواجده بها.

وخاتمة هذه السيرة الجهادية كانت في يوم الاثنين مستهل شهر محرم سنة 500هـ / 1106م بوفاة يوسف بن تاشفين بعدما دامت العلاقة بينه وبين الأندلس لمدة واحد وعشرين عامًا[1]، كانت العدوة الأندلسية بها بوابة المرابطين للأندلس وقاعدة أساس لهم وتحديدًا الجزيرة الخضراء منها؛ لانطلاق المرابطين إلى أهدافهم المنشودة.

ويتجاوز دور العدوة الأندلسية ما يظهر من مجرد كونها محطة عبور إلى الأندلس، فعند إمعان النظر بها على أقل تقدير، نجد أن جيوش المرابطين بعد عبورها لمضيق جبل طارق تحتاج إلى إعادة تنظيم وتزود ببعض الحاجات، فهي لتوها قد عبرت مضيق جبل طارق بالسفن التي توجب بعد ركوبها إعادة تنظيم الجيوش البرية.

وقد شهدت العدوة الأندلسية خلال حكم يوسف بن تاشفين تنظيمًا إداريًا متقنًا يتجلى في استقرار العدوة الأندلسية في وقت قد ينجم عن مرور الحملات بهذه الصورة المكثفة ألوان من الفوضى، كما شهدت المدينة ازدهارًا عمرانيًا خاصة في جانب العمارة الحربية[2]، بالإضافة لانتعاشة اقتصادية جراء ما يصل إلى المدينة من غنائم ومكاسب أثناء القتال[3].

المطرب، ص192. خليل السامرائي: علاقات المرابطين، ص158.

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص247. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص250. ابن الأثير: الكامل، ص1571.

(2) سيتم بمشيئة الله الحديث بشكل أكثر تفصيلًا عن العمارة الحربية بالعدوة الأندلسية في مبحث العمارة الحربية من الفصل الأول بالباب الثاني من هذا البحث.

(3) سيتم بمشيئة الله الحديث عن أثر الأحوال العسكرية على الأحوال الاقتصادية في المبحث الثاني من الباب الثاني بهذا البحث.

ورغم كل ما تحقق بالجزيرة الخضراء خاصة والعدوة الأندلسية عامة في ظل حكم يوسف بن تاشفين إلا أن ذلك كان أقصى ما قام به المرابطون بالعدوة الأندلسية خلال حكمهم للأندلس، فخلفاء ابن تاشفين رغم اهتمامهم بالعدوة الأندلسية إلا أنهم اكتفوا بما قام به ابن تاشفين.

فعلي بن يوسف بن تاشفين عبر إلى العدوة الأندلسية في عام 500هـ/ 1106م بجيوش المرابطين لإقرار حكمه على الأندلس، وأقام بالجزيرة الخضراء، وبها قدم إليه قضاة الأندلس وفقهاؤها وزعماؤها ورؤساؤها وأدباؤها وشعراؤها، وذلك لتأكيد مبايعتهم له في حفل مدح به الشعراء أمير المسلمين علي بن يوسف. وبقاعدة المرابطين ـ الجزيرة الخضراء ـ لم يقم علي بن يوسف سوى بقضاء حاجة من قدم إليه من ذوي الحاجات، بالإضافة لاختياره لعدد من الولاة وتنصيبهم على عدد من المدن، ومن ذلك تولية أخيه أبي الطاهر تميم مدينة غرناطة، وتولية أبي عبدالله محمد بن أبي بكر اللمتوني مدينة قرطبة. وما أن قضى علي بن يوسف بالجزيرة الخضراء ما كان يعزم إليه حتى عاد أدراجه إلى المغرب عن طريق سبته[1].

ولم يكن هذا العبور هو الوحيد لعلي بن يوسف بجيوشه، فقد أعاد الكرة إلى الأندلس مرات متعددة منها واحدةٌ في عام 515هـ/ 1121م عند عبوره عن طريق الجزيرة الخضراء للقضاء على ثورة أهل قرطبة.

ولما للعدوة الأندلسية من أهمية للمرابطين، فقد عرج علي بن يوسف بعد أن استتب له الأمر بقرطبة على مدينة طريف للنظر في أحوالها، وبها كان لقاءه بأخيه تميم حاكم غرناطة[2]، مما يؤكد أهمية العدوة الأندلسية للمرابطين واهتمامهم بها.

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص48. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 247. مجهول : الحلل الموشية، ص85. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص249. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص250 – 251. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص133.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص66. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص247.

وبهذه المتابعة استقرت العدوة الأندلسية إلى نهاية حكم المرابطين بالأندلس، رغم ما حدث داخل بيت الحكم من خلاف، ذلك الخلاف الذي أضاف للجزيرة الخضراء من العدوة الأندلسية دورًا آخر إلى جانب أدوراها السابقة، حيث استخدمها على بن يوسف منفى لعدد من أمراء المرابطين أولهم ابنه أبا بكر، الذي غضب من تجاهل والده له في عدم تعيينه وليًا للعهد رغم أنه أكبر أبنائه. فقد أقام علي بن يوسف أول أمره بتولية ابنه سير وليًا للعهد في يوم الجمعة 14 جمادى الأولى سنة 522هـ/ 15 يونيه 1128م، وأبقاه على ذلك إلى أن توفي سير في عام 533هـ/ 1138م. ثم ولى من بعده ابنه الآخر تاشفين، وخوفًا من أن يحدث أبو بكر أمرًا بالحكم وجه علي بسجن ابنه أبا بكر بالجزيرة الخضراء في عام 536هـ/ 1141م. ولم يطل أبو بكر بالسجن حيث توفي لمرض ألم به عند نقله إلى السجن[1].

وقد شارك أبو بكر هذا السجن يحيى بن أبي بكر بن يوسف عندما كان واليًا على مدينة فاس ورفض مبايعة عمه علي بن يوسف في عام 500هـ/ 1106م، وقد كانت نهايته بعد أحداث طوال أن سُجن بالجزيرة الخضراء إلى أن تُوفي بسجنه[2].

ولم تمهل المنية أيضًا أمير المسلمين علي بن يوسف سوى عام واحد من بعد سجن ابنه أبي بكر، حيث كان يعاني من مرض ألم به[3]. ورغم كل ما كان يواجهه علي بن يوسف من ساحة قتال شاسعة مع نصارى شمال أسبانيا، وتهديد من قِبل الم وحدين بالمغرب، ومشاكل داخلية إلا أنه استطاع أن يحافظ على استقرار العدوة الأندلسية، ولم يُذكر عنها

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص101. عصمت عبداللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص181 – 182. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص162 – 163. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 7 – 8، 1959م – 1960م، مدريد، أسبانيا، ص132 – 133 – 138.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص62.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص101. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج2، ص43. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص251. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص162.

سوى شكوى أهل الجزيرة الخضراء من حال قاضيهم ابن عبدالخالق، فكان لهم أن ردّ علي بن يوسف أمرهم إلى قاضي سبته ابن منصور للنظر فيه [1]. ومع هذا فالأحوال العامة للمرابطين كانت تتجه لسقوط كيان المرابطين . فالموحدين قد استأثروا بالمغرب، وأهل الأندلس قد انزعجوا من عودة نصارى أسبانيا لمهاجمة مدنهم في وقت ضعف به المرابطون عن دورهم، ذلك الضعف الذي أعاد الأندلس لسابق عهده أيام ملوك الطوائف، فقام عبدالرحمن بن عياض بشرق الأ ندلس، وقام ابن همشك [2] بجيان [3] وأعمالها وذلك من باب ضرب المثل لا الحصر، أي أن مدن الأندلس قد عادت لحال الفُرقة فيما بينها[4].

ولم يغير هذا الحال تولية تاشفين بن علي الحكم سنة 537هـ/ 1142م، رغم مبايعة أهل المغرب والأندلس له[5]. فكان توليه للحكم بداية نهاية المرابطين بالعدوة الأندلسية، ففي عام 539هـ/ 1144م دخلت جيوش الموحدين العدوة الأندلسية وسيطروا على مدنها طريف والجزيرة الخضراء ثم موضع جبل طارق . ولكن الصراع على العدوة الأندلسية لم ينتهِ بين المرابطين والموحدين بهذا الحدث، فقد تمكن أحد ولاة المرابطين، وهو يحيى بن غانية[6] من استعادة الجزيرة الخضراء في عام 541هـ/ 1146م، ولم يقتصر

---

(1) المراكشي: المعجب، ص173. الونشريسي: المعيار المعرب، ج 10، ص115. القلقشندي : مآثر الأنافة، ج 2، ص43. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص251 – 252.

(2) ابن همشك: إبراهيم بن أحمد بن همشك – يقصد بهمشك مقطوع الأذن – أمير مغربي، كان على جيان، وقد توفي بمكناسة سنة 572هـ/ 1176م. انظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص258 وما يليها . ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص260 وما يليها.

(3) جيان (Jaen): من مدن جنوب الأندلس، وهي ذات قرى كثير ة يزيد عددها عن ثلاثة آلاف قري ة. انظر الحميري: الروض المعطار، ص70.

(4) المراكشي: المعجب، ص177 – 178.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص247 – 248. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج2، ص43. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج20، ص371 – 372. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص251 – 252.

(6) يحيى بن علي بن يوسف المسوفي: غانية هي أمه وهي من قريبات يوسف بن تاشفين وقد اشتهر بها. ظل مواليًا

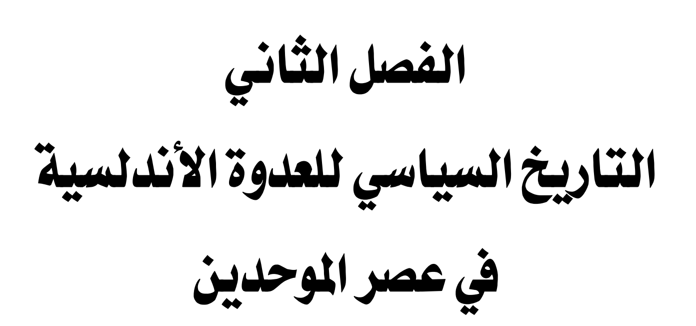
أمره على ذلك بل وجه منها يحيى بن أبي بكر الصحراوي واليًا لمدينة سبته بطلب من القاضي عياض الذي عبر إليه طالبًا منه توجيه والٍ على مدينة سبته . وهنا يظهر أن سلطة الجزيرة الخضراء زمن المرابطين تجاوزت العدوة الأندلسية إلى العدوة المغربية؛ غير أنها لم تبقى طويلاً بيد ابن غانية حيث استولى عليها الموحدون مرة أخرى[1].

وختامًا يتجلى مما سبق أن فترة حكم يوسف بن تاشفين للعدوة الأندلسية هي فترة النضوج السياسي للمرابطين بها، فخلال حكم يوسف كانت ا لعدوة الأندلسية قاعدة المرابطين بالأندلس، وملتقى ملوك الطوائف بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، كذلك بايع فيها أهل الأندلس علي بن يوسف، كما كانت معبرًا أساسًا لعدد كبير من الحملات العسكرية، أدت خلاله العدوة الأندلسية دورها كاملًا في إعانة المرابطين لأهل الأند لس أولًا، ومن ثم مساعدة المرابطين في السيطرة على الأندلس.



للمرابطين زمن الموحدين إلى أن توفي، وكانت وفاته بغرناطة. انظر ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص205 وما يليها. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص253 – 254. الزركلي: الأعلام، ج8، ص158 – 159.

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص38. ابن عذاري: البيان المغرب،قسم الموحدين، ص 32 – 33 – 38. المراكشي : المعجب، ص 179. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص311 – 313. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 242 – 243 – 345. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط2، دار الشروق، عمان، 1997م، ص24.



الفصل الثاني
التاريخ السياسي للعدوة الأندلسية
في عصر الموحدين

المبحث الأول أهمية السيطرة على العدوة الأندلسية من قبل الموحدين.

المبحث الثاني : العدوة الأندلسية في عصر الموحدين.

المبحث الأول
أهمية السيطرة على العدوة الأندلسية
من قبل الموحدين

يعود الدور الأساس لقيام دولة الموحدين إلى المهدي محمد بن تومرت[1]. فقد تدرج ابن تومرت من طالب للعلم بالمغرب والأندلس والمشرق الإسلامي إلى داعية مستاء من الحال الذي وصل إليه العالم الإسلامي بمشرقه ومغربه . ثم ارتقى به الحال للسعي لإقامة دولة يتمكن من خلالها تطبيق أهدافه الإصلاحية.

وتعود قصة محمد بن تومرت إلى أواخر القرن الخامس الهجري، حيث خرج ابن تومرت في طلب العلم من المغرب إلى الأندلس ثم إلى مصر والمشرق الإسلامي، وببلاد المشرق بدأت فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتبلور في ذهن ابن تومرت بما اكتسبه من رحلته العلمية، فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولكن أسلوب ابن تومرت المتشدد في دعوته؛ أدى لنفيه من أكثر من بلد واحد[2].

فعاد ابن تومرت إلى إفريقية ثم إلى المغرب بعدما كرر محاولته بإفريقية ونال ما ناله في سابقاتها. وبالمغرب استقر ابن تومرت بمدينة فاس وذلك سنة 510هـ/ 1116م، ثم كانت مراكش مركزه الثاني بالمغرب . وقد امتاز ابن تومرت في ترحاله هذا ببنائه للمساجد، وإلقاء الدروس في كل موضع ينزل به، مما حاز به عددًا ليس باليسير من طلاب العلم. ولكن هذا التوهَّج دفع فقهاء مراكش لدفع حاكمهم علي بن يوسف ـ

(1) محمد بن تومرت: هو محمد بن عبدالله بن تومرت، من مواليد ضيعة إيجلى أنْ وارْغن – إيجليز – من بلاد السوس، وينتسب ابن تومرت إلى قبيلة هرغة. انظر المراكشي: المعجب، ص155.

(2) المراكشي:المصدر السابق، ص155 وما يليها. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص683 وما يليها.

ثاني حكام المرابطين ـ إلى إخراج ابن تومرت من مراكش[1].

وانتهى به الترحال إلى موطنه، حيث عاد في عام 515هـ/ 1121م إلى مسقط رأسه جبل إيجليز ببلاد السوس، وبه تحصن ابن تومرت إلى عام 518هـ/ 1124م خوفًا من المرابطين. وبتلك السنوات الثلاث أخذ ابن تومرت في جمع الأنصار لتقوية دعوته، يعينه في ذلك تلميذه القادم معه من بلاد إفريقية عبدالمؤمن بن علي؛ الذي اتصف بنزاهة النفس، وعلو الهمة[2].

وفي عام 518هـ/ 1124م بَدأ الموحدون ـ هذا الاسم أطلقه ابن تومرت على مؤيديه لاتصافهم كما يرى بتوحيد يميزهم عن غيرهم، ولكي يميزهم أيضًا عن المرابطين ـ في تطبيق دعوتهم الإصلاحية بطريقة عملية، ولأجل هذا انتقل ابن تومرت بمؤيديه من جبل إيجليز إلى حصن تينمل[3]، وبه أعلن مؤيدوه مبايعته حاكمًا عليهم إعلانًا لبدء دولة الموحدين. وهنا بدأت مرحلة الصراع بين الموحدين والمرابطين، التي كانت بدايتها مناوشات من قِبل الموحدين، ارتقت لمحاربة القبائل الموالية للمرابطين، ومن ثمَّ قتال المرابطين أنفسهم[4].

ورغم محاولات الموحدين للنيل من حكم المرابطين إلا أنهم لم ينالوا شيئًا مما كانوا يأملون به، وكانت خاتمة المحاولات في عهد ابن تومرت معركة البحيرة بالقرب من مراكش. ففي عام 524هـ/ 1129م أرسل ابن تومرت قائده عبدالمؤمن بن علي على رأس جيش يقدر بأربعين ألف مقاتل للسيطرة على مدينة مراكش، ورغم ضخامة جيش الموحدين إلا أن المرابطين تمكنوا من صده خارج مدينة مراكش في الموضع المعروف

---

(1) المراكشي: المعجب، ص157 وما يليها. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص683 وما يليها.

(2) المراكشي: المعجب، ص 157 – 165 – 172. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص303. السيد عبدالعزي: تاريخ المغرب، ص683 وما يليها.

(3) حصن تينمل: (تِينُ مَلَّل) الميم مفتوحة واللام الأولى مشددة مفتوحة، هي جبال بالمغرب، بها قرى ومزارع للبربر، تقع بين أول المغرب ومدينة مراكش. انظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص80.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص15. المراكشي: المعجب، ص165 وما يليها.

بالبحيرة، بل زادوا ذلك بتكبيد الموحدين خسارة كبيرة بمقتل عدد كبير من جندهم . وتبع هزيمة الموحدين هزيمة أخرى بوفاة قائدهم الروحي محمد بن تومرت في شهر رمضان سنة 524هـ/ أغسطس 1130م أي بعد هزيمتهم السابقة ببضعة أشهر[1].

ولانتهاز الفرصة جرد المرابطون جيشًا بقيادة إبراهيم بن تاغيشت سنة 525هـ / 1131م، توجه به للموحدين للقضاء عليهم. لكن الموحدين بقيادة عبدالمؤمن بن علي خليفة ابن تومرت، تمكنوا من صد المرابطين، بل الحصول على قدر كبير من الغنائم والمكاسب . كان أولها استعادة الموحدين لقوتهم السابقة تحت ظل حاكمهم الجديد عبدالمؤمن بن علي[2].

وقد أدى هذا الانتصار إلى انضواء عدد من القبائل إلى راية الموحدين كقبيلة المصامدة، مما حفز عبدالمؤمن إلى تسيير الجيوش للسيطرة على بلاد المغرب والقضاء على حكم المرابطين، وهو ما حدث بالفعل في عام 526هـ/ 1132م حيث وجه عبدالمؤمن عددًا من الجيوش لعدد من المدن، وسار هو بنفسه على رأس جيش إلى مراكش، لم يتمكن من خلاله من تحقيق هدفه الرئيس بالسيطرة على مراكش رغم سيطرته على حصن درعة، وحصن هزرجه، وبلاد جلاده[3].

وزاد من تمكين الموحدين ببلاد المغرب، ما حدث داخل دولة المرابطين من نزاعات على الحكم منذ وفاة علي بن يوسف سنة 537هـ/ 1142م، فاستولى عبدالمؤمن بن علي سنة 539هـ/ 1144م على تلمسان ووهران، كما استولى على فاس في عام 540هـ / إبريل 1146م، ثم كانت نهاية المرابطين باستيلاء عبدالمؤمن على مراكش في الثامن عشر من شوال عام 541هـ / أربع وعشرين من مارس 1147م بعد حصار لها دام تسعة

---

(1) المراكشي: المعجب، ص165 – 166. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص683 وما يليها.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص85. أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص44 — 45.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص16 وما يليها. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص239. أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص45.

أشهر[1].

ورغم قضاء الموحدين على حكم المرابطين إلا أنهم احتاجوا بعض الوقت لإخضاع بعض المدن والقبائل التي أعلن بعضها العصيان كقبيلة دك الة، وكمدينة مرسية التي أعلنت العصيان بقيادة القاضي محمد بن عياض[2] بعد مبايعتها للموحدين، وقد بايع ابن عياض يحيى بن غانية القائم بأمر الجزيرة الخضراء باسم المرابطين[3].

وهنا يظهر أن الأندلس لم تكن بمنأى عن الصراع القائم بين الموحدين والمرابطين، فقد كانت ساحة أخرى للصراع القائم بينهما، إلى أن آل أمرها كسابقتها للموحدين، فكبرى مدن الأندلس إشبيلية، وغرناطة، ومالقة، وقادس[4] خضعت جميعها لحكم الموحدين قبل نهاية عام 549هـ/ 1154م[5].

لم تتم سيطرة الموحدين على الأندلس إلا بعد أن وضعوا أيديهم على مفتاح الأندلس العدوة الأندلسية . ففي عام 539هـ/ 1144م أرسل عبدالمؤمن بن علي جيشًا إلى الأندلس بقيادة الشيخ أبي عمران موسى بن سعيد يقدر بعشرة آلاف فارس لإخضاعها؛ بعد تعدد الوفود الأندلسية المطالبة بعبور الموحدين إلى الأندلس؛ للحفاظ على أحوالها العامة من الفرقة والتناحر، ومن خطر النصارى. ولم يتكبد جيش الموحدين

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص17 – 22 وما يليها . المراكشي : المعجب، ص 173. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص244. مجهول: الحلل الموشية. ص132 – 133 – 135. السيد عبدالعزيز : تاريخ المغرب، ص697 وما يليها.

(2) القاضي محمد بن عياض: محمد بن عياض بن موسى اليحصبي السبتي، قاض كأبيه، دخل الأندلس وتوفي بغرناطة سنة 575هـ/ 1179م. انظر الزركلي: الأعلام، ج6، ص321.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص32 – 38. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص313. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص701.

(4) قادس (Cadiz): تقع في جنوب الأندلس، طولها اثنا عشر ميلًا . وهي اليوم الإقليم الإداري الذي يشمل العدوة الأندلسية. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص330.

(5) المراكشي: المعجب، ص179 – 180. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 20، ص371 – 372. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج12، ص146. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص389 – 390.

أي عناءٍ لضم مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف؛ لتمكين أهل المدينتين لجيش الموحدين من دخول مدينتهم[1].

ويرى الباحث أن ما قام به أهل مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف هو انعكاس لسوء الأحوال التي كان يواجهها سكان مدن الأندلس آخر أيام المرابطين بالأندلس، ورغبة في أن يكونوا تحت ظل حكم قوي يبعدهم عن ويلات الحروب والفتن.

ومن العدوة الأندلسية انطلقت جيوش الموحدين لإكمال ضمها لمدن الأندلس، فكانت شريش[2] أول تلك المدن حيث نزعت من يد حاكمها أبي الغمر ابن عزون.

ورغم سيطرة الموحدين على العدوة الأندلسية إلا أنهم لم يعوا مدى أهمية العدوة الأندلسية بعد؛ لإتمام ضمهم لبلاد الأندلس، وهو ما اتضح بسقوط الجزيرة الخضراء وطريف في يد يحيى بن غانية ـ أحد الموالين لحكم المرابطين ـ سنة 541هـ/ 1146م[3].

ويرى الباحث أن مما أسهم في سقوط مدن العدوة الأندلسية في يد يحيى بن غانية هو انشغال الموحدين في صراعهم بجبهتين ـ المغرب والأندلس ـ لكل واحدة منهما ظروف خاصة توجب التعامل معها بطريقة مخالفة للأخرى، بالإضافة لعدم إقامة أحد كبار رجال الموحدين بها.

وقد تجاوز يحيى بن غانية حد الثورة بالعدوة الأندلسية إلى توجيه الولاة، فما أن قام ابن غانية بالعدوة الأندلسية حتى عبر إليه القاضي محمد بن عياض من سبته بعد إعلان ثورتها على الموحدين راغبًا في أن يوجه معه واليًا على سبته، فكان يحيى بن أبي بكر

---

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص38. المراكشي: المعجب، ص179. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص244 –371 –372. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص242 –243 –345. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 –1، ص326. زرهوني نور الدين: الطب والخدمات الطبية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص48.

(2) شريش (Jerez de la Frontera): مدينة من إقليم شذونة، تقع بجنوب الأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلًا، وهي على مقربة من البحر. انظر الحميري: الروض المعطار، ص102.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص35 – 38. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص313. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص242.

الصحراوي والى سبته المنتدب من قِبَل ابن غانية[1].

وأدى هذا التجاوز إلى إثارة حفيظة عبدالمؤمن بن علي؛ مما دفعه إلى إرسال جيش بقيادة أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي يساعده ابن قسي[2]. تمكنا من خلاله من السيطرة على الجزيرة الخضراء وطريف. وما أن أتمت هذه الحملة تثبيت أمرها بالعدوة الأندلسية الذي يظهر أنه لم يكن بالأمر العسير حتى توجهت إلى داخل الأندلس لإتمام سيطرة الموحدين على ما بقي من الأندلس، واستعادت المناطق التي كانت تحت حكم الموحدين. وعلى هذا الحال استمر الموحدون في جهودهم لإخضاع الأندلس إلى عام 549هـ / 1154م عندما أتموا سيطرتهم على مدن الأندلس بإخضاع مدينة غرناطة[3].

ولما لمسه الموحدون خلال هذه الأحداث من أهمية للعدوة الأندلسية زادوا عقدها بمدينة ثالثة تمثلت في مدينة جبل طارق سنة 555هـ / 1159م، ففي هذا العام عبر عبدالمؤمن بن علي إلى الأندلس عن طريق جبل طارق وبه أمر بإقامة مدينة تكون قاعدة خالصة للموحدين ومعبرًا ثالثًا للأندلس، وتم ذلك خلال مدة لم تتجاوز السنة الواحدة[4][1].

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص32 – 38. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص313. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص701.

(2) ابن قسي : أحمد بن الحسين بن قسي، أبو القاسم، هو رومي الأصل من بادية شلب . كان أول الثائرين بالأندلس عندما دب الضعف بدولة المرابطين. قتل في جمادى الأولى من سنة 546هـ/ 1151م. انظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص197 وما بعدها.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص199. ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبدالملك بن محمد الباجي : المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبدالهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص24. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 12، ص146. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج1، ص389 – 390. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص702 وما بعدها. يوسف علي العريني : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ط 1، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1416هـ/ 1995م، ص4 – 5.

(4) سيتم بمشيئة الله التطرق لبناء مدينة جبل طارق بصورة تفصيلية في المبحث الثاني من الفصل الأول للباب الثاني من هذا البحث.

وتعود أهمية السيطرة على العدوة الأندلسية من قبل الموحدين إلى عدة جوانب هي:

أولاً: أهمية العدوة الأندلسية بالنسبة للصراع القائم مع المرابطين:

تعود هذه الأهمية إلى محوريين هما:

المحور الأول: مساهمة العدوة الأندلسية حين سيطر عليها الموحدون في القضاء على المرابطين بفصل حكمهم من وسطه، مما سيحول دون وصول الإمدادات لأحد طرفي دولة المرابطين، سواءً الأندلس لبقاء حكم المرابطين بها أو إلى المغرب كإمداد لمركز دولة المرابطين ـ مراكش ـ لاستمرارية بقاء حكم المرابطين.

المحور الثاني: سيطرة الموحدين على العدوة الأندلسية تأمن لهم حماية أراضي المغرب من أي هجوم للمرابطين يكون مصدره الأندلس، قد يكلف أمر مقاومته الموحدين الكثير من الجهد والزمن.

وتتأكد هذه الأهمية من خلال سعي الموحدين للسيطرة على العدوة الأندلسية قبل إسقاطهم لحكم المرابطين . ففي عام 539هـ/ 1144م دخلت جيوش الموحدين إلى الجزيرة الخضراء، كما استولت على مدينة طريف، وذلك قبل إسقاط حكم المرابطين بثلاث سنوات . ومما يزيد تأكيد توجه الموحدين إلى هذا الهدف، وأن سيطرتهم على العدوة الأندلسية كان لأجله، رغم وفود الأندلس التي قدمت لطلب عون الموحدين، كون جيوش الموحدين لم تبذل بالأندلس ذلك الجهد الذي يشير إلى أن عبور الموحدين في هذا الوقت كان لأجل تخليص أهل الأندلس مما هم به، كما أن صراع الموحدين مع المرابطين الذي ما زالت رحاه تدور بالمغرب دفع الموحدين لتركيز قوتهم في الصراع القائم بالمغرب، وعدم انشغالهم بمواضع أخرى قد يؤدي الانشغال بها إلى إسقاط حكم

(1) المراكشي: المعجب، ص179. ابن صاحب: المن، ص 84. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص146. ابن الأثير: الكامل، ص1722. السامرائي: تاريخ العرب، ص286. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص 705 ــ 706.

الموحدين في مهده؛ بسبب تشتت قوتهم بين مكان وآخر[1].

ومما يزيد من تأكيد أهمية العدوة الأندلسية في الصراع القائم بين الموحدين والمرابطين؛ صراعهم على العدوة الأندلسية نفسها. فبعد فترة قصيرة عاد حكم المرابطين إلى العدوة الأندلسية؛ بسيطرة ابن غانية عليها بعد طرده لحاميات الموحدين منها. مما دفع عبدالمؤمن بن علي إلى إرسال جيش سنة 541هـ/ 1146م بقيادة براز المسوفي هدفه استعادة السيطرة على العدوة الأندلسية، وهو ما كان للموحدين.

وميزان أهمية العدوة الأندلسية في هذا الصراع مبايعة عدد كبير من أهل الأندلس للموحدين بعد سيطرتهم عليها[2].

ثانيًا: تتطلب الأحداث السياسية المتتابعة بالأندلس من الموحدين وجود قاعدة تمتاز بالحصانة، والاتصال المباشر بالمغرب. فمواجهة ثوار الأندلس كعلي بن عيسى بن ميمون بقادس، وأبو الغمر بن عزون بشريش، وأخيل بن إدريس الرندي[3] برندة، وابن قسي بشلب[4]، وابن مردنيش[5] وغيرهم، ومواجهة هجمات النصارى المستمرة على جهات مختلفة من الأندلس[6]؛ كل ذلك يتطلب خط عبور آمن متواصل لقوات الموحدين

---

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص 38. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 12، ص146. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص242 – 243.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص32 – 38. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص313.

(3) أخيل بن إدريس الرندي: أبو القاسم، كاتب، كتب أول أمره للمرابطين، ثم استكتبه أبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين في إمارته، وعندما دخل ابن غانية قرطبة واخرج ابن حمدين منها، لحق أخيل برندة وضبطها لنفسه. انظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص241.

(4) شلب (Silves): مدينة بجنوب غرب الأندلس، وهي قاعدة إقليم أكشونبة. انظر الحميري: الروض المعطار، ص106.

(5) ابن مردنيش: محمد بن سعد بن محمد الجذامي، أبو عبدالله، ملك شرق الأندلس، واتسع نطاق إمارته، حارب الموحدين واستعان بالنصارى ضدهم، توفي سنة 567هـ/ 1171م مسمومًا. انظر الزركلي: الأعلام، ج 6، ص137.

(6) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص241 – 242. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 76 –

تمكنهم من متابعة أي حدث بالأندلس بطريقة سلسة.

ولأهمية هذه القاعدة أقام عبدالمؤمن بن علي ابنه أبا سعيد واليًا على الجزيرة الخضراء[1]. وتعود أهمية العدوة الأندلسية لكونها في الأصل قاعدتين : الجزيرة الخضراء وطريف، أضاف إليها عبدالمؤمن قاعدة ثالثة من ناحية الشرق سنة 555هـ/ 1159م هي مدينة جبل طارق. ولكل قاعدة من هذه القواعد مشاركتها الظاهرة، فمن ذلك خروج جيش الموحدين سنة 556هـ/ 1160م بأمر عبدالمؤمن من جبل طارق برسم الجهاد، وتجمع جيوش الموحدين لمدة شهرين بمدينة طريف عندما أمر الناصر بعبور الجيوش من المغرب إلى الأندلس سنة 607هـ/ 1210م لمواجهة ألفونسو في غزوة العقاب، وليس هذا فحسب بل كانت الجزيرة الخضراء في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي مركزًا لتجنيد الرقيق كجند للموحدين مختصين بالأعمال البحرية.

وقد تجاوزت هذه القواعد دورها بالأندلس إلى دور آخر لا يقل أهمية، بمساهمتها في سيطرة الموحدين على السواحل الشمالية لإفريقية، وذلك بمساهمة أساطيلها البحرية في الخروج ضمن قوات الموحدين[2].

كما أكسبت العدوة الأندلسية الموحدين حرية العبور للأندلس بصورة استفاد منها الموحدون أيُّما استفادة، وظهر هذا مليًا أثناء الصراع مع النصارى . فرغم تعرض مدن العدوة الأندلسية لهجوم وحصار النصارى إلا أن مدن العدوة الأندلسية الأخرى مكنت

---

77. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص318. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 242 – 256. جمعة شيخة : الفتن والحروب وأثارها في الشعر الأندلسي، ج 1، ط1، المطبعة المغاربية للنشر والإشهار، تونس 1414هـ/ 1994م، ص216. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص326.

(1) ابن الأثير: الكامل، ص1704. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص345 – 346.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 107. المراكشي : المعجب، ص 179. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص220. ابن صاحب : المن، ص 84. ابن الأثير : الكامل، ص 1722. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص308. عبدالآله بنمليح: الرق في بلاد الأندلس والمغرب، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004م، ص357.

الموحدين من العبور إلى الأندلس عن طريقها. علمًا بأن النصارى قد علموا مدى أهمية العدوة الأندلسية للموحدين في جانب الصراع معهم؛ ولذلك ركزوا هجماتهم عليها، ومن ذلك: غارة القمط نونه سنة 565هـ/ 1169م على الجزيرة الخضراء، تلك الغارة التي قتل بها وأسر عددًا من المسلمين. ومن ذلك أيضًا ما قام به النصارى سنة 578هـ / 1182م من مهاجمة لرندة والجزيرة الخضراء وإحراق زروعها(1).

كما أدت العدوة الأندلسية دور المعبر الموجه؛ إن رغب الموحدون العبور إلى شرق الأندلس كان معبرهم مدينة جبل طارق، وإن رغبوا في الاتجاه لغرب الأندلس كانت وجهتهم من مدينة طريف، وموسطة العدوة الأندلسية الجزيرة الخضراء للمناطق التي تتوسط الأندلس في أغلب الأحوال(2).

وهنا اكتسبت العدوة الأندلسية أهمية أخرى بالإضافة لجوانب الأهمية السابقة واللاحقة.

ثالثاً: العدوة الأندلسية عنصر سياسي وعسكري مهم لاستمرارية دولة الموحدين ككيان سياسي. لذلك سيطر عليها الموحدون منذ وقت مبكر، كما جعلوا منها قاعدة عسكرية لهم تُوجت ببناء مدينة جبل طارق سنة 555هـ/ 1159م.

لم تكن العدوة الأندلسية مجرد قاعدة عسكرية كباقي قواعد الموح دين، بل كانت قاعدة إستراتيجية لهم؛ يؤكد ذلك إقامتهم لعدد كبير من العبيد كجنود دائمين بالجزيرة الخضراء في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وإيكال أمر ولاية العدوة الأندلسية إلى أبناء عبدالمؤمن بن علي، وهي التي لم يقتصر دورها كقاعدة عسكرية على أراضي الأندلس بل أسهمت بأساطيلها في سيطرة الموحدين على السواحل الشمالية

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 110 – 146. ابن صاحب : المن، ص 310. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص98.

(2) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 93 – 94. ابن صاحب : المن، ص 92. مجهول : الحلل الموشية، ص155.

لإفريقية زمن عبدالمؤمن بن علي ـ كما أشرنا سابقًا[1].

كما أضفى هذا التميز العسكري للعدوة الأندلسية تميزًا سياسيًا للموحدين بسيطرتهم على مساحة شملت بلاد الأندلس إلى جوار بلاد المغرب وبلاد إف ريقية . كما أكسبت الموحدين قوة سياسية عسكرية أثناء صراعهم مع القوى النصرانية.

ويرى الباحث أن سيطرة الموحدين على العدوة الأندلسية خاصة والأندلس عامة قد أكسبت تاريخ الموحدين السياسي رونقًا لم يكن ليصلوا إليه دونها؛ فبالأندلس كانت تلك الاجتماعات السياسية بين حكام الموحدين وقادة وشيوخ الأندلس، ومنها كان اتصال الموحدين بالقوى النصرانية، ومن العدوة الأندلسية كان فرض الموحدين لحكمهم على الأندلس بعد مدة زمنية امتدت إلى عام 580هـ/ 1184م[2].

رابعًا : للعدوة الأندلسية أهمية بالغة كي يحقق الموحدون دورهم الذي خلفوا المرابطين عليه؛ المتمثل في جمع شمل الأندلس، وعدم تمكين الثائرين من إعادتها لسابق عهدها زمن الطوائف. فمنذ بداية ضعف المرابطين بدأت الأندلس تتهادى لحالها السابق زمن الطوائف، فبعض ولاة المدن وبعض القادة استقل بما بيديه معلنًا قيام حكم مستقل عن الحكم المركزي، كابن قسي بشلب، وابن مردنيش بشرق الأندلس، وغيرهم الكثير.

وما تم في يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة 580هـ/ 1184م من إعلان يعقوب المنصور أمام شيوخ الموحدين والعرب والوفود القادمة من كل بلد وصرح بانتهاء الحرب بالأندلس، وذلك بعد مبايعة أقاليمها ومدنه ا؛ وهذا دليل يؤكد رغبة الموحدين في جمع شمل الأندلس. وقد كان حال الأندلس الذي لم يسر أهلها بما أصابها من فرقة وهوان، وهجمات للنصارى قد دفع عقلاء الأندلس للتوجه إلى الموحدين بالمغرب وطلب عونهم رغم تواجد دولة المرابطين. ويعود هذا اللجوء السريع

---

(1) المراكشي: المعجب، ص179 – 180. ابن صاحب: المن، ص84. ابن الأثير : الكامل، ص 1704 – 1722. عبدالآله بنمليح: الرق، ص357. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص345 – 346.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص171.

من أهل الأندلس للموحدين لما عايشوه فعليًا من ضعف لحكم المرابطين، وسعي حثيث من قِبل النصارى لوضع يدهم على أكبر قدر ممكن من أراضي الأندلس قبل قيام حكم إسلامي قوي بالأندلس. وتتجلى حاجة الأندلسيين فعلًا من خلال صور عدة، مثَّل عقلاء الأندلس صورة منها بعبورهم إلى المغرب فرادى وجماعات لطلب مساعدة الموحدين، بل عبروا للمغرب لمبايعة الموحدين على السمع والطاعة، كوفد عام 542هـ/ 1147م، ووفد عام 546هـ/ 1151م[1].

أما الصورة الأخرى فيمثلها عدد من ثوار الأندلس الذين عادوا للصواب بمبايعة الموحدين لعلمهم بمدى أهمية اجتماع كلمة المسلمين في وقت لازال به النصارى ملازمين للأندلس، ومن هؤلاء الثوار ابن قسي[2].

وقد ألزمت هذه الصور الموحدين مساعدة إخوانهم المسلمين بالأندلس، تلك المساعدة التي تحتم على الموحدين وضع يدهم أولًا على العدوة الأندلسية لتكون قاعدةً تنطلق منها جيوشهم لتعمل على توحيد الأندلس. كما كان للعدوة الأندلسية دور آخر في هذا الشأن تمثل في كونها قاعدة اجتماع التوافق الموحدي الأندلسي لأكثر من مرة، كاجتماع وفد الأندلس مع عبدالمؤمن بن علي سنة 556هـ/ 1160م، واجتماع شيوخ إشبيلية مع أبي يعقوب بن عبدالمؤمن في السابع والعشرين من رمضان سنة 566هـ/ 1170م، واجتماع قواد الأندلس وفقهاؤها وصلحاؤها مع محمد الناصر يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 607هـ/ 1210م[3].

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص77 – 171. المراكشي: المعجب، ص 179 – 180. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 20، ص371 – 372. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج 1، ص389 – 390. زرهوني نور الدين: الطب والخدمات الطبية، ص48. محمد عنان: دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص131 – 132.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 2، ص199. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 55. ابن صاحب: المن، ص24. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص244.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 69 – 70 – 118. المراكشي: المعجب، ص 179 – 180.

خامسًا : **موقف العدوة الأندلسية الداعم لإكمال مسيرة الجهاد الإسلامي ضد نصارى أسبانيا، وحماية الأندلس من هجماتهم.**

لقد استلم الموحدون راية الجهاد الإسلامي بالأندلس بعد سقوط دولة المرابطين، فكان لزامًا عليهم أن يخوضوا ساحة القتال مع النصارى الذين أخذت حملاتهم تتوالى بصورة مكثفة على الأندلس رغبةً في إنهاء الوجود الإسلامي بها . وهذا ما لا يوافق مذهب الموحدين الداعي لنصرة الدين الإسلامي بجزيرة الأندلس وقمع الكفار عنها[1]. ولكي يحقق الموحدون مذهبهم هذا لا بد لهم من الاستعانة بالعدوة الأندلسية لتحقيق ما يطمحون إليه، فمنها تعبر جيوشهم لمواجهة نصارى أسبانيا، وبها تجتمع قوات الموحدين لتكمل مسيرها مجتمعة إلى قتال النصارى، بعد أن يعاد تنظيمها وتموينها بالعدوة الأندلسية، وهو ما يظهر من بقائها لفترة ما بالعدوة الأندلسية . ومن تلك الحملات عدة حملات تمت في عهد عبدالمؤمن بن علي ـ منها حملة في عام 554هـ / 1159م وحملة في عام 565هـ / 1169م ـ وحملة يعقوب المنصور سنة 587هـ / 1191م، بالإضافة لحملته التي خاض بها موقعة الأرك سنة 591هـ/ 1194م[2].

ويرى الباحث أن العدوة الأندلسية ومن خلال مدنها الثلاث قد أدت دورًا في تحديد خط سير حملات الموحدين أثناء توجهها لمقاتلة النصارى، فتارة يبدأ خط سيرها من الجزيرة الخضراء، وتارة من مدينة طريف، وأخرى من جبل طارق، وكان لهذا أهميته

ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص265. ابن صاحب: المن، ص 92. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص318. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 362 – 308. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص141 – 220. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 2، ص67.

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 40 – 41. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج 1، ص389 – 390. السامرائي: تاريخ العرب، ص286.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 204 – 205 – 218. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 20، ص371 – 372. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 292 – 293. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص149 – 181 – 187. ليلي نجار : المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، ج 1، رسالة دكتوراء، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1409هـ/ 1989م، ص178 – 179.

أثناء المواجهات العسكرية.

ويؤكد أهمية العدوة الأندلسية في هذا الجانب النصارى أنفسهم، حيث أخذت حملاتهم بعد فترة من صدامهم مع الموحدين تتجه بصورة مباشرة إلى أراضي العدوة الأندلسية لدورها الأساس في دعم الموحدين ضمن دائرة الجهاد الإسلامي بالأندلس، ومن تلك ا لحملات حملة القمط نونه سنة 565هـ/ 1169م، وحملة القومس شان منوس المعروف بالأحدب سنة 568هـ/ 1172م[1].

ولم يقف استهداف النصارى للعدوة الأندلسية عند هذا الحد، فعندما ضاقت بهم سُبل السيطرة على العدوة الأندلسية من بلاد الأندلس، وجهوا حملاتهم إلى الساحل المغربي المقابل، فهاجم الجنويون مدينة سبته لأكثر من مرة[2] للسيطرة عليها وإنهاء دور العدوة الأندلسية التي كانت تقدمه للموحدين بقطع الموحدين عنها، في وقت يسعى به الجنويون إلى السيطرة على ممر مضيق جبل طارق لمصالح اقتصادية لهم[3].

وختام أهمية السيطرة على العدوة ا لأندلسية من قبل الموحدين كون هذه الأهمية نابعة من قرب العدوة الأندلسية وحصانتها وسهولة الوصول إليها دون عائق يُذكر، وإيصالها جيوش الموحدين للأندلس باتجاهات ثلاث . وسيظهر أثر هذه الأهمية في المبحث التالي «العدوة الأندلسية في عصر الموحدين» إن شاء الله.



---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 110 –124 –125. ابن صاحب : المن، ص310 – 428. محمد عنان: دولة الإسلام، ج 2–، ص87 – 88.

(2) أول هجمات الجنويون على سبته كانت سنة 636هـ، لكن حاكمها الحاج أبو العباس اليانشتي تمكن من صدهم . انظر ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 350. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص286.

(3) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 350. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص286.

المبحث الثاني

العدوة الأندلسية في عصر الموحدين

يمثل الموحدون الحقبة السادسة للتاريخ السياسي للعدوة الأندلسية ضمن سلسلة التاريخ السياسي الإسلامي بالأندلس (انظر خريطة 4)، وقد انعكس أثر الحقب السابقة ابتداءً بحقبة الولاة إلى حقبة المرابطين على تمرس العدوة الأندلسية السياسي، مما ظهر من خلال دورها في دعم الموحدين أثناء مسيرتهم السياسية بالأندلس والمغرب الذي كانت تقف به بثبات أمام ذلك العدد الكبير من حملات الموحدين كمعبر وحيد للأندلس، وأمام هجمات النصارى الموجهة بشكل مباشر للسيطرة عليها.

قبل الإشارة إلى العدوة الأندلسية في حقبة الموحدين لابد من الإشارة إلى أحوال الأندلس التي كانت سببًا رئيسًا في قدوم الموحدين إليها. ففي أواخر حكم المرابطين بدأ الضعف يدب في جسد دولتهم؛ مما نتج عنه استقلال عدد من المدن الأندلسية عن حكمهم بيد بعض الثوار، وسقوط عدد آخر منها بيد النصارى في وقت ضعفت به قوة المرابطون عما كانوا عليه من قوة تحمي مدن الأندلس من هجمات النصارى وعبث العابثين من الثوار[1].

وهنا رأى أهل الأندلس أن يلجؤوا إلى تلك القوة الناشئة بالمغرب التي أخذت تؤكد وجودها على الساحة السياسية، بل بدأت تهدد كيان المرابطين . ومن هذه اللحظة أخذت العدوة الأندلسية تظهر على ساحة دولة الموحدين، فمنها عبر المستغيثون من أهل الأندلس للموحدين، ومنهم من عبر منها بالإضافة لصفته السابقة كمُبايع للموحدين

(1) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص241 – 242. ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 76 – 77. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص318. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 20، ص244 – 371 – 372. زرهوني نورالدين: الطب والخدمات الطبية، ص48.

على السمع والطاعة[1].

وقد أدت هذه الوفود المتتابعة لجذب انتباه عبدالمؤمن بن علي للأندلس إلى جوار المغرب في وقت يُعد مبكرًا بالنسبة للموحدين للانشغال بأرض أخرى غير المغرب . ولكن عبدالمؤمن وجد أنه مضطر لخوض غمار القتال بالأندلس عاجلًا أم آجلًا، فلذلك عجل به؛ لعدة أمور تخص قتاله مع المرابطين أهمها: سيطرة الموحدين على أي جزء من الأندلس في هذا الوقت يسهم في زيادة قوة الموحدين وهوان المرابطين، بالإضافة إلى تفكيك قوى المرابطين بإجبارهم على خوض القتال ضد الموحدين بساحتين متباعدتين شيئًا ما، مما سيدفع كل طرف من دولة المرابطين ـ بالمغرب والأندلس ـ إلى الدفاع عما لديه.

ولكي يحقق الموحدون ما يرغبون به، لابد لهم أولًا من وضع يدهم على العدوة الأندلسية؛ كأي قوة مغربية ترغب في السيطرة على الأندلس. ولهذا وجه عبدالمؤمن قائده أبا حفص عمر إينتي سنة 539هـ/ 1144م على رأس جيش توجه به إلى مدينة طريف ودخلها أول شهر ذي الحجة برضى أهلها . ودفع ضم الموحدين لمدينة طريف أهل الجزيرة الخضراء إلى مراسلة الموحدين ودعوتهم لضم مدينتهم، فكان دخول الموحدين إليها يوم النحر العاشر من شهر ذي الحجة، أي أنه لم يفصل بين ضم الموحدين لمدينتي العدوة الأندلسية سوى بضعة أيام، وبذلك سيطر الموحدون على العدوة الأندلسية بعد هروب المرابطين عنها إلى إشبيلية[2].

وتورد بعض الروايات أن سيطرة الموحدين الأولى على العدوة الأندلسية كانت بقيادة القائد موسى بن سعيد، وهذه الروايات جانبت الصواب، فحملة موسى بن

---

(1) المراكشي : المعجب، ص 179. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 20، ص244. زرهوني نورالدين : الطب والخدمات الطبية، ص48.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص38. المراكشي: المعجب، ص179. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 20، ص371 – 372. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص146. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص242 – 243 – 345.

سعيد تلت حملة عمر إينتي كما تذكر الروايات التاريخية أن أول بلد سيطرت عليه هو مدينة شريش، وهي مدينة تلي العدوة الأندلسية جغرافيًا، وهذا ما تشير إليه بعض تلك الروايات[1].

وبسيطرة الموحدين على العدوة الأندلسية بدأت أحداث الموحدين السياسية تنقسم بين المغرب والأندلس . فلم يتوقف الموحدون عند ح د العدوة الأندلسية رغم عدم إسقاطهم لحكم المرابطين . ومن ذلك حملة أبي عمران موسى بن سعيد التي قدرت بعشرة آلاف فارس، تمكن قائدها من السيطرة على مدينة شريش صلحًا بعد خروج حاكمها أبي الغمر بن عزون عنها[2].

لكن اتساع قاعدة صراع الموحدين ـ المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس ـ في وقت لازال به الموحدون يسعون لتمكين دولتهم على ما وقع تحت يدها؛ أدى لخروج بعض ما وقع تحت يدهم، ومن أهم ذلك خروج العدوة الأندلسية عن حكمهم بسيطرة أحد رجال المرابطين عليها وهو يحيى بن علي بن غانية في عام 540هـ/ 1145م[3].

ويرى الباحث أن خروج العدوة الأندلسية بهذه السرعة عن حكم الموحدين يعود لعدم إبقاء أحد رجال الدولة المشهود لهم بالحنكة والدراية على أمرها، بالإضافة لعدم وجود حاميات كافية لإقرار حكم الموحدين بها وحمايتها من أي هجوم خارجي، يدعم ذلك تكالب الثوار على الموحدين الذين كان بعضهم يتلقى الدعم من النصارى بهدف زيادة فرقة المسلمين وتناحرهم.

ونتيجة لما لمسه الموحدون من أهمية للعدوة الأندلسية تحرك عبدالمؤمن بن علي بسرعة لاسترجاعها، فأرسل حملة بقيادة أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي إلى العدوة الأندلسية، دعمه بابن قسي مساعدًا له، وهو الثائر القادم من الأندلس بمحض إرادته

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص242 – 243. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص326.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص242. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص326.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص38. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص313.

للانضواء تحت راية الموحدين في ربيع الآخر سنة 540هـ/ 1145م.

ورغم كل هذا الإعداد إلا أن استعادة الموحدين للعدوة الأندلسية لم يكن بالأمر السهل؛ فقوة الثائر ابن غانية قد استفحلت حيث أصبح يسيطر على عدد ليس باليسير من مدن الأندلس منها قاعدة الأندلس مدينة قرطبة، يدعمه في ذلك قوات نصرانية. فلم ينل الموحدون من العدوة الأندلسية سوى مدينة طريف في محرم من عام 541هـ/ يونيه 1146م، أما الجزيرة الخضراء فقد احتاج الموحدون لبعض الوقت لاستعادتها[1].

ويظهر أن سيطرة الموحدين على مدينة الجزيرة الخضراء هذه المرة لم تكن كالمرة السابقة، خاصة وأن الأحوال قد تكالبت على الموحدين بتتابع الثوار وخروج عدد من المدن عن سيطرتهم كما أشير إليه مسبقًا. فابن مردنيش ـ من باب ضرب المثل لا الحصر ـ الثائر بشرق الأندلس سيطر علي جيان بطاعة واليها محمد بن علي الكومي له، كما سيطر على قرمونة، ونازل قرطبة وحارب واليها ابن بكيت وهزمه وقتله . وقد تمادى أثر هذا الثائر إلى أبعد من ذلك، فما أن بدأ عبدالمؤمن بإرسال الجيوش لإخماد ثورته حتى بدأ ألفونسو الأول ملك البرتغال ـ المعروف بابن الرنق ـ باستغلال هذا الانشغال، وهاجم أقصى غرب الأ ندلس سنة 542هـ/ 1147م، فهاجم أشبونة واقتحمها، كما هاجم شنترين ثم باجة وبطليوس[2].

كل هذا كان له أثر في تأخير استعادة الموحدين للجزيرة الخضراء، لكن الأثر المباشر هو إعلان أهل مدينة سبته الثورة على الموحدين بإحراق البرج الذي كانت به الحامية الموحدية ثم قتل جندها وصلبهم . ولم يقتصر أهل سبته على ما قاموا به بل أشركوا الجزيرة الخضراء في ثورتهم بخروج وفد منهم يرأسه القاضي ابن عياض إلى الجزيرة الخضراء مقر ابن غانية؛ لكي يرسل معهم من يقوم بأمرهم، في صورة تظهر بها سبته

---

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص38. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص199. ابن صاحب: المن، ص24.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 40. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص318. عبادة كحيلة: المغرب، ص259.

تابعة للجزيرة الخضراء. وكان لأهل سبته طلبهم، حيث أرسل ابن غانية يحيى بن أبي بكر الصحراوي واليًا على سبته[1].

ومن خلال سير الأحداث يظهر أن حال العدوة الأندلسية استمر على ما هو عليه إلى عام 546هـ/ 1511م، العام المشهود بالنسبة للموحدين الذي تمكنوا به من السيطرة على الجزيرة الخضراء، وقادس، وإشبيلية، وقرطبة، ومالقة، ويلحظ هنا أن عام 546هـ/ 1511م شهد سيطرة الموحدين على جنوب الأندلس ما عدا مدينة غرناطة التي سلم صاحبها للموحدين في عام 549هـ/ 1154م[2].

ولقد شهد هذا العام إعادة تنظيم عبدالمؤمن بن علي لأمور دولته الإدارية كنتيجة حتمية لما عاناه أثناء استعادة مدن الأندلس، فبدأ أمره بتعيين أبنائه على مدن الأندلس، وجمع منها لابنه أبي سعيد عثمان مدينتي الجزيرة الخضراء، ومالقة، بالإضافة لمدينة سبته[3].

ويرى الباحث أن عبدالمؤمن جمع هذه المدن الثلاث تحت يد ابنه عثمان؛ لكي يُحكم أمر العدوتين الأندلسية والمغربية ـ طريف تابعة للجزيرة الخضراء، وطنجة تابعة لسبته في أغلب الأحوال ـ وهي الركن الأساس في دولة يمتد بساطها على المغرب والأندلس، خاصة وأن عبدالمؤمن هو من مارس أهمية العدوة الأندلسية لفرض سيطرته على الأندلس والمغرب، ولسرعة انتقاله للأندلس التي لازال يواجه بها بعض ال ثائرين بالإضافة للقوى النصرانية[4] المتحفزة لأدنى فرصة للانقضاض على الأندلس . وقد زاد عبدالمؤمن بن علي هذا الشريط الساحلي الأندلسي لابنه عثمان بإضافة مدينة غرناطة له

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص32. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص313.

(2) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 55. ابن الأثير : الكامل، ص 1707. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج1، ص389.

(3) ابن الأثير: الكامل، ص1704 – 1707. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 1، ص339.

(4) يجاور الموحدين بالاندلس من النصارى مملكة البرتغال غربًا، ومملكة قشتالة وليون شمالًا، ومملكتا أراغون وقطلونية في الشمال الشرق. انظر السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص389.

فيما بعد.

ففي عام 550هـ / 1155م خاطب ميمون بن يدر اللمتوني والي المرابطين على غرناطة عبدالمؤمن بن علي راغبًا في الانضواء تحت راية الموحدين. فما كان من عبدالمؤمن إلا أن ندب ابنه عثمان وجعله واليًا عليها يصحبه لذلك صاحب الأسطول بسبته عبدالله بن سليمان، فوصل إليها عثمان بن عبدالمؤمن قادمًا من الجزيرة الخضراء واستلمها من ميمون على أوفى بر وإكرام، ثم اتخذها قاعدة له بعد أن كانت مالقة مقرًا له.

ولم يدع عبدالمؤمن أمر هذه المدن الكبرى والمهمة تحت إمرة ابنه عثمان يصرفها كيفما أراد، بل وجه معه منذ بداية توليته عددًا من رجال الدولة وزراء له هم : محمد بن سليمان، وسعيد بن ميمون الصنهاجي، والكاتب الفقيه أبو الحكم بن هرودس، والعالم أبو بكر بن طفيل[1].

وقد تجاوز اهتمام عبدالمؤمن بن علي بالعدوة الأندلسية الجانب التنظيمي الإداري بإقامة قاعدة عسكرية موحدية خالصة هي مدينة جبل الفتح [2] التي أقيمت على جبل طارق. ففي عام 555هـ/ 1160م صدر أمر عبدالمؤمن بإقامة مدينة بجبل طارق لتكون قاعدة للموحدين، على أن يتم إنجازها على وجه السرعة [3]؛ تحسبًا لأي هجوم قد تتعرض له العدوة الأندلسية[4].

ويرى الباحث أن الدافع العسكري هو المحرك الأساس لاختيار موضع جبل طارق لبناء قاعدة عسكرية للموحدين بالأندلس؛ لتميزها بسهولة اتصالها بالمغرب، وو قوعها

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 55. ابن الأثير : الكامل، ص 1707. محمد عنان : دولة الإسلام، ج3 – 1، ص339 – 345 – 346.

(2) جبل الفتح (Gibraltar): أطلق الموحدون مسمى جبل الفتح على هذه المدينة . انظر المراكشي : المعجب، ص179. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص372.

(3) المراكشي : المعجب، ص 179 – 180. ابن صاحب : المن، ص 84. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 20، ص371 – 372. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص146. السامرائي: تاريخ العرب، ص286.

(4) انظر الباب الثاني، الفصل الأول، الأحوال العمرانية.

على سفح جبل يزيد من حصانتها التي تتمتع بها، فهي لا تتصل ببر الأندلس سوى من جهة الشمال ذات الطبيعة الجغرافية الوعرة.

وفي أقل من عام تم إنجاز قاعدة عسكرية بالعدوة الأندلسية، ستساهم برفقة قريناتها مدن العدوة الأندلسية في الذود عن حمى الإسلام بالأندلس.

وكانت بداية إسهام هذه القاعدة العسكرية الجديدة منذ نهاية بنائها حيث انتقل إليها عبدالمؤمن في ذي القعدة من عام 555هـ/ يناير 1160م، وأقام بها عدة اجتماعات للنظر في أحوال الأندلس وأمور القتال مع النصارى[1].

ويرى الباحث أن ما يؤكد إقامة مثل هذه الاجتماعات التي لم تشر إليها المصادر بقاء عبدالمؤمن لفترة زمنية تجاوزت الشهر ونصفه دون القيام بعمل يذكر سوى توجيهه إلى تحصين عدد من المدن والحصون بالأندلس، كما أن أول قوة خرجت من جبل الفتح مؤرخة بعام 556هـ/ 1160م. أما الإشارة إلى أن هذه الفترة الزمنية قد قضيت في احتفالات[2] الموحدين بحضور عبدالمؤمن إلى جبل الفتح أو إنجاز بناء جبل الفتح، فهذا أمر ينافي الصواب لعدة أوجه: أولًا: إن الأحوال العامة لا تسمح بإقامة احتفالات لمدة طويلة. ثانيًا: أمر عبدالمؤمن لمن حضر للاحتفال إلى العودة لأوطانهم بعد عشرين يومًا . ثالثًا: حضور عدد من الولاة وكبار القادة ممن هم أبعد عن إضاعة الوقت في هذه الاحتفالات، في وقت لازال به النصارى يرسلون جيوشهم للاستيلاء على ما تناله أيديهم من مدن وحصون المسلمين[3].

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص69. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص265. ابن صاحب : المن، ص92. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص318. ابن الأثير : الكامل، ص 1722. الناصري : الاستقصا، ج1 – 2، ص141. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص262 – 263.

Salma Khadra: The Legacy، P 71.

(2) للاحتفال بمقدم عبدالمؤمن وبناء مدينة جبل الفتح أثر حضارى سيتم مناقشته في عدد من المواضع بالباب الحضارى من هذا البحث إن شاء الله.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 69 – 70. المراكشي : المعجب، ص 179 – 180. الذهبي :

كما يرى الباحث أن هذه الفترة هي الفترة الأنسب والأمثل التي استغلها الموحدون للإعداد لقتال ال نصارى، فبعد هذه الاجتماعات جُلب الرقيق إلى العدوة الأندلسية كجنود في الأعمال البحرية، وبانتهائها أرسلت الحملات ضد النصارى والبقية الباقية من شراذم الثوار المتعاونين مع النصارى[1].

وقد احتوت هذه الاجتماعات نخبة من رجال الدولة من الموحدين كأبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن وجملة من ولاة مدن الأندلس، وعدد من القضاة والعلماء كأبي بكر الغافقي، وأبي بكر بن الجد وغيرهم . وكان فاتحة نتاج هذه الاجتماعات إرسال جيش في عام 556هـ/ 1160م قدر بثمانية عشر ألف فارس إلى بلاد النصارى، يقود الأندلسيين به ابن صناديد والبقية تحت قيادة ابن الشرقي، فكان حصاد أول ثمار ذلك الإعداد المسبق انتصار الموحدين على النصارى بفحص بلقون.

وبهذا النصر واستقرار الأحوال عاد عبدالمؤمن من العدوة الأندلسية " جبل الفتح " إلى مراكش تاركًا قوات الموحدين بجبل الفتح حيث عاد للمغرب قبل عودة جيش الموحدين من فحص بلقون، وهذه القوات كانت تحت تصرف حاكم مالقة والجزيرة الخضراء وغرناطة أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن لدعم قوة الموحدين بالأندلس[2].

وقد امتدت ثمار هذا الإعداد إلى نهاية حكم عبدالمؤمن، ففي عام 557هـ / 1161م ورد خبر محاصرة النصارى لمدينة غرناطة يدعمهم في ذلك ا لثائر ابن همشك، وهذا الحادث يعرف بحادث مرج الرقاد . ولصد هذه الهجمة كان للعدوة الأندلسية دور معهود، في استقبال جيش الموحدين ـ بقيادة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ـ العابر

سير أعلام النبلاء، ج20، ص371 – 372. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص146. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص318. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص141.

(1) عبدالآله بنمليح: الرق، ص357.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 69 – 70. مجهول : الحلل الموشية، ص 155. ابن الأثير : الكامل، ص1722.

من المغرب بقرابة عشرين ألف فارس بمدينة الجزيرة الخضراء، والمساهمة في الجيش ومساندته حتى خرج عنها، ثم انضم إليه جيش مالقة بقيادة واليها أبي سعيد، وقد تكللت الموقعة بانتصار الموحدين واحتفاظهم بمدينة غرناطة[1].

وبنهاية هذه الموقعة أيضًا، كانت نهاية الأحداث بالعدوة الأندلسية في عهد عبدالمؤمن بن علي، فقد أسلم روحه إلى بارئها ليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة 558هـ/ 1162م إثر مرض كان يعاني منه[2]. وخلف عبدالمؤمن على الحكم ابنه أبو يعقوب يوسف الذي جعله على وليًا للعهد قُبيل وفاته، إثر عزله لابنه محمد عنها.

ويظهر أن هذا التغيير قد أعقب خلافًا بين أبناء عبدالمؤمن تزعمه أبو سعيد حاكم جنوب الأندلس، طال أمده إلى عام 560هـ/ 1164م، لكن الخلاف لم يتجاوز على ما يظهر خلاف محتوى من قِبل هؤلاء الإخوة، انتهى بصلح عقد بين أبي سعيد وأخيه أبي حفص عمر، كنائب عن الخليفة يوسف؛ بعد أن تم إرضاء أبي سعيد.

وكان الطرفان قد اتفقا على أن يكون اجتماعهما بالعدوة الأندلسية، بجبل الفتح منها. وقد تحرك أبو حفص لهذا الاجتماع من مراكش، في ربيع الأول سنة 560هـ / 1164م، يصحب معه جملة من أعيان الموحدين، كإسحاق ابن جامع، ويوسف بن وانودين، وأبي يحيى بن أبي حفص، وعدد من أعيان الأندلس، كابن الفخار والي لبله وأبي محمد سدراي بن وزير[3]. وبهذا المسير يرى الباحث أن الاجتماع بجبل الفتح لم يتجاوز شهر ربيع الآخر.

ويعكس اجتماع الموحدين بالعدوة الأندلسية ـ جبل الفتح ـ ثقتهم بأمان هذا المكان حتى فيما بينهم، ولهذا استمر حفل الصلح بجبل الفتح مدة خمسة عشر يومًا، عاد بعدها

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص76. ابن صاحب: المن، ص130 – 131.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص79 – 159. ابن صاحب: المن، ص155.

(3) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 84 – 85. ابن صاحب : المن، ص 11 – 154 – 181 – 182. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 2، ص12.

أبو حفص إلى المغرب[1].

لكن أبا حفص كر راجعًا بعد بضعة أشهر إلى الأندلس؛ لمحاربة ابن مردنيش [2]، ومنذ هذه الحملة أخذت جيوش الموحدين في ظل حكم يوسف بن عبدالمؤمن تتعاقب على الأندلس؛ لصد هجمات النصارى ومن يعاونهم من الثوار التي وصلت لأكثر من مرة إلى أراضي العدوة الأندلسية، بل قامت بمهاجمة مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف.

ولم تكن هجمات النصارى بالأمر المستبعد عن ذهن يوسف بن عبدالمؤمن؛ ولذلك يظهر اهتمامه بمدن الأندلس، ومن تلك المدن مدينة إشبيلية، ففي عام 561هـ/ 1165م عين الشيخ أبو عبدالله بن أبي إبراهيم واليًا عليها، فعَبَرَ إليها الشيخ أبو عبدالله مباشرة من مدينة طريف . ثم أعقبه الخليفة يوسف بتعيين أخيه أبي إبراهيم إسماعيل بن عبدالمؤمن واليًا لها. وتجاوز اهتمام يوسف هذه التعيينات بعبوره بنفسه إلى الأندلس، حين تحرك من مراكش غرة جمادى الآخرة من هذا العام ـ 561هـ/ 1165م ـ إلى فاس ثم إلى سبته، ومنها عبر بقطعتين بحريتين إلى طريف[3].

ومن العدوة الأندلسية توجه بصورة مباشرة إلى وجهته المقصودة مدينة إشبيلية . وبها أخذ يوسف يقر أمره إلى أن وصل إليها في أول ذي الحجة سنة 561هـ / 1165م واليها الجديد إسماعيل بن عبدالمؤمن الذي كانت باستقباله في مدينة طريف والي إشبيلية السابق أبو عبدالله[4].

كل هذا الاهتمام وغيره بالأندلس لم يمنع النصارى من القيام بمحاولاتهم العدوانية على مدن المسلمين وحصونهم، غير أن محاولات النصارى هذه المرة قد شهدت تحولًا أكثر جرأة من ذي قبل باختراق قواتهم لأراضي الموحدين ب اتجاه جنوب الأندلس

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص85. ابن صاحب: المن، ص182.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص88. ابن صاحب: المن، ص195 وما يليها.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص93 – 94. ابن صاحب: المن، ص218 – 219 – 220.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص93 – 94. ابن صاحب: المن، ص218 – 219 – 220.

للسيطرة على مصدر قوة الموحدين بالأندلس العدوة الأندلسية، وكان ذلك بتوجيه من ألفونسو بن سانشو الثالث بن ألفونسو السابع والمعروف بالسليطين ملك قشتالة وطليطلة، حيث أرسل جيشًا بقيادة القمط نونه سنة 565هـ/ 1169م وصل به جنوبًا إلى فحصي رندة، والجزيرة الخضراء وجبالها، وقام بمهاجمتها واكتساح سائمتها وقتل من وقع بيده من المسلمين بها. وهذا كله دون أدنى اعتراض من قِبل قوات الموحدين، وهو أمرٌ مستغرب[1].

ويرى الباحث أن عدم الاصطدام بقوة النصارى هذه يعود لكونها حملة سرعان ما ارتدت إلى بلادها، في وقت كان به الموحدون منشغلين بالقضاء على حركة ابن مردنيش.

وقد دفعت هذه المحاولة النصارى لتكرارها بشكل ملحوظ في الفترة الممتدة بين عامي 565هـ ـ 578هـ/ 1169م ـ 1182م. كما دفعت هذه الحملات يوسف بن عبدالمؤمن إلى إرسال الحملات من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس ابتدأها في عام 565هـ/ 1169م بحملة يقودها أخوه أبو حفص عمر، وكان عبور أبي حفص بحملته المكونة من عشرين ألف مقاتل من الموحدين والمتطوعة من قصر المجاز إلى طريف، ثم غزا مدينة طليطلة دون أن يخضعها[2].

وكما تتابعت حملات النصارى تتابعت حملات الموحدين، فبعد حملة أبي حفص ببضعة أشهر جهز يوسف بن عبدالمؤمن جيشًا كبيرًا بقصر مصمودة، أمر بعبوره إلى طريف في مستهل شهر رمضان 566 هـ/ 8 مايو 1171م، ولكبر هذا الجيش لم يكتمل عبور جنده إلى طريف إلا بعد أسبوعين . وتبع الجند الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن في السابع والعشرين من رمضان، وكان في استقباله بطريف حشد من ولاة الأندلس

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص110. ابن صاحب : المن، ص 310. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص98.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 111. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 276. الناصري : الاستقصا، ج1 – 2، ص149. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص96.

ورجال الدولة. ثم كانت الحركة إلى إشبيلية، فكان الوصول إليها يوم الجمعة الثاني عشر من شوال[1].

ويظهر أن يوسف بن عبدالمؤمن رغب في عبوره هذا البقاء لفترة زمنية بالأندلس امتدت إلى عام 568هـ/ 1172م، هاجم خلالها مدينة طليطلة سنة 566هـ/ 1170م، ووبذة سنة 567هـ / 1171م، كما وصل بحملته إلى مدينة مرسية سنة 568هـ / 1172م[2].

وختم يوسف بن عبدالمؤمن حملته بضربة موجعة للنصارى بتصديه لحملة كبير النصارى بآبلة الكونت خمينو ـ يعرف في المصادر العربية بالقومس شران منوس ويوصف بالأحدب ـ قرب قلعة رباح في أوائل شعبان من عام 568هـ/ مارس 1173م، أنهاها بمقتل الكونت خمينو وتشريد جنده، بعدما كانت هجمات الكونت خمينو تذيق المسلمين ويلاتها، التي وصل بإحداها إلى مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف[3].

ويرى الباحث أن هجمات النصارى التي اتجهت إلى مدن العدوة الأ ندلسية لم تكن مجرد هجمات لتكبيد المسلمين الخسائر بل هي هجمات قُصد منها السيطرة على إحدى مدن العدوة الأندلسية إن أمكن، وإلا لما تكررت محاولاتهم، وهم يجاورون مدن أخرى أقرب إليهم وأيسر لهم، إن رغبوا في مجرد تحقيق مكاسب على المسلمين.

ومما يؤكد هذا الموقف ما حدث بعد عشر سنوات من مقتل الأحدب، ففي يوم الخميس الثالث عشر من صفر عام 578هـ/ 1182م خرج ألفونسو بن سانشو الثالث ملك قشتالة وطليطلة من مدينة إستجة يريد إشبيلية، وهنا نلحظ أن هذه الحملة ورغم

---

(1) ابن عذاري : البيان المغ رب، قسم الموحدين، ص 118. ابن صاحب : المن، ص 362. محمد عنان : دولة الإسلام، ج3 – 2، ص67.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص118 – 123 – 124.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 124 – 125. ابن صاحب : المن، ص 428. محمد عنان : دولة الإسلام، ج3 – 2، ص87 – 88.

أن وجهتها إشبيلية إلا أن قائدها ألفونسو غيَّر خط سيره إلى جنوب الأندلس، فسيطر على حصن من أعمال رندة بغدر يهودي دله على عوراتها . كما قام بمهاجمة رندة والجزيرة الخضراء وإحراق زرعهما، عاد بعدها إلى بلاده بغنائم لا تحصى[1].

وقد أغضبت هذه الأحداث الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن فأمر بالإعداد لقتال النصارى أواخر عام 579هـ/ 1183م، فأتى وزيره أبو محمد بن أبي إسحاق بن جامع بحشود العرب من إفريقية، والتحق به بفاس قبيلة هنتاتة. وكان عبور الخليفة بجنده في يوم الخميس الخامس من صفر سنة 580هـ / 1184م من سبته إلى جبل الفتح، وهي المرة الأولى في حكمه التي يعبر بها إلى جبل الفتح . ويرى الباحث أن ذلك لكونها المدينة الأكثر أمنًا بين مدن العدوة الأندلسية، والأبعد عن يد النصارى.

وكان الخليفة يوسف يهدف من هذه الحملة غزو مدينة شنترين؛ ولهذا توجه من جبل الفتح إلى إشبيلية مرورًا بالجزيرة الخضراء، وجبل الصوف، وقلعة خولان . وفي إشبيلية كان اجتماعه بقوات الأندلس، فتوجه بها وبقواته مجتمعة إلى شنترين في ربيع الأول من عام 580هـ / 1184م. بضعة أيام كانت هي المدة الزمنية التي ضرب بها الخليفة الحصار على مدينة شنترين عاد بعدها دون أن يحقق شيئًا يذكر، سوى إصابته التي تُوفي على إثرها يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر قرب الجزيرة الخضراء، فنقل جثمانه إلى تينملل ودفن إلى جوار قبر أبيه[2].

ويرى الباحث أن حملات الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن نحو الأندلس ارتبطت أكثر بمدينة طريف حيث استخدمت كمعبر متكرر لها، وهذا عائد على ما يتضح كون أحداث هذه الفترة تركزت بغرب الأندلس، بالإضافة لأن قاعدة الموحدين بالأندلس مدينة

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص146.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص159. ابن صاحب: المن، ص451. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص324 – 325. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 281 – 283. الناصري : الاستقصا، ج1 – 2، ص154 – 156.

إشبيلية كانت نقطة البداية لحملات الموحدين بالأندلس، ومركز تجمع لهم، وهي أقرب لطريف من مدن العدوة الأندلسية الأخرى.

وقد كانت فترة الخليفة يوسف أشد فترات الموحدين التي لاقت بها العدوة الأندلسية تهديدات النصارى ونالوا منها بأعمالهم التخريبية . وذلك لانشغال الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بالفتن التي قامت ببلاد إفريقية، والمغرب كثورات العرب بإفريقية، وثـورة علي بن محمد بن رزين الجزيري الذي اتخذ مذهب الخوارج الأزارقة [1] مذهبًا له[2].

وبوفاة الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن تولى الخلافة من بعده ابنه يعقوب المنصور الذي أنهى أمر بيعته أولًا بالأندلس يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى، كان خاتمتها مبايعة أهل الأندلس له بخيمته الكائنة بربوة حجر الإيل، بالقرب من طريف، ومنها ودَّع المنصور أهل الأندلس، يوم السابع من جمادى الآخرة سنة 580هـ/ 12 سبتمبر 1184م بصحبة القائد أبي العباس الصقلي الذي كان في انتظاره على ساحل طريف بثلاث عشرة قطعة بحرية[3].

تُعد فترة المنصور (580هـ ـ 595هـ/ 1184م ـ 1198م) فترة صحوة حقيقية للجهاد الإسلامي ضد نصارى أسبانيا عَقِبْ سكون سابق في ظل حكم والده يوسف بن عبدالمؤمن.

ويرى الباحث أن السكون السابق حرّك ساكنه معركة حطين ـ 583هـ/ 1187م ـ التي أوفد بطلها صلاح الدين الأيوبي رسوله أبا منقذ إلى يعقوب المنصور سنة 586هـ /

(1) الخوارج الأزارقة: هم أصحاب نافع الأزرق، وقد كان اكبر فقهائهم، ويعد الأزارقة أكثر الخوارج عددًا وأشدهم شوكة. انظر حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج 1، ط13، دار الفكر، 1411هـ/ 1991م، ص318.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص154– 155.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 171. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص131 – 132.

1190م، وهي المعركة التي وصل صداها إلى مشارق العالم الإسلامي ومغاربه . وكقيادة صلاح الدين للجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بالشام، قاد المنصور الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بالأندلس، كقائد لا يقل شأنه عن غيره من قادة الجهاد الإسلامي[1].

وكانت باكورة المنصور في هذا الجانب عام 585هـ/ 1189م عندما عبر من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء، يوم الخميس الثالث من ربيع الأول، بنية غزو بلاد النصارى، فكانت شنترين أول تلك البلاد بخروج المنصور إليها مباشرة من الجزيرة الخضراء، ثم كانت أشبونة وأنحاؤها الهدف الثاني للمنصور، حيث شن عليها الغارات . وقد عاد المنصور من غزوته هذه بثلاث آلاف سبية آخر رجب من عام 585هـ / 1189م[2].

وبعد مضي ستة أشهر عاد بعدها المنصور للجهاد بالأندلس، وذلك آخر شهر محرم من عام 586هـ / 1190م، وكان للعدوة الأندلسية دور مهم في حملاته وتعبئته العسكرية فبقي بطريف مدة تقارب الشهر الواحد، وتؤكد مدتها تجاوز كونها مجرد معبر لهذه الحملة. ومن مدينة طريف توجه المنصور إلى قرطبة، ومنها لإشبيلية ثم إلى قصر أبي دانس[3]. وأثناء هذه الحملة كان مقدم أبي منقذ رسول صلاح الدين الأيوبي إلى المغرب . وقد تم إقامة أبي منقذ بمدينة فاس تنفيذًا لأمر المنصور، الذي وصل إليه الخبر وهو بإشبيلية[4].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ص 1797 – 1798. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص360 – 361، ج6، ص330 – 331.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 202. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 287. الناصري : الاستقصا، ج1 – 2، ص181.

(3) قصر أبي دانس (Alcacer): يقع بغرب الاندلس بالقرب من مدينة يابرة. انظر الحميري : الروض المعطار، ص161.

(4) الحميري : المصدر السابق ، ص107. ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 205 – 209. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص331.

وفي هذه المدة بلغ المنصور خروج الثائر أبي عبدالله محم د بن عبدالله الجزيري [1] بالمغرب، وكانت ثورته تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي أكثر منها للسياسي. ولم تُجهد هذه الثورة المنصور فمنذ بداية محاربتها في شهر رجب أخذ قائدها الجزيري يتنقل فارًا وحده بين مدن المغرب ثم مدن الأندلس. واستمر الجزيري على حال الفرار وأعيُن الموحدين ترصده إلى أن قُبض عليه بإحدى قرى بسطة[2]، وقيل بمرسية[3]. ونُقل منها إلى مراكش حيث كانت نهايته القتل[4].

لم تشغل هذه الثورة وغيرها من أحداث المغرب وإفريقية المنصور عن متابعة أحوال الأندلس ومجابهة النصارى بها، ففي هذا العام - 586هـ/ 1190م - ورد إلى المنصور رسالة والي إشبيلية أبي يوسف بن أبي حفص يعلمه بها بتغلب العدو الصليبي على شلب واقتحامه لكثير من الحصون وهزيمته لجيش إشبيلية، فما كان من المنصور إلا أن استنفر للجهاد، وخرج إلى قصر مصمودة وأراح به، ثم عبر إلى طريف ومنها توجه إلى مدينة شلب، فوجد ج ند الأندلس على حصارها، فتركهم عليها وتوجه لحصن طرش [5] فافتتحه. كما فتح من بعده مدينة شلب سنة 587هـ/ 1191م. وانتهى هذا الغزو بإقامة هدنة بين الموحدين والنصارى، عاد على أثرها المنصور إلى المغرب[6].

---

(1) الجزيري: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الجزيري، عالم أندلسي أخذ من مختلف العلوم . محمد عنان : دولة الإسلام، ج3 – 2، ص180.

(2) بسطة (Baza): مدينة بالقرب من وادي آش، بينها وبين جيان ثلاث مراحل، وهي من إقليم جيان . انظر الحميري: الروض المعطار، ص44.

(3) يرى الباحث أن الجزيري لم يتوجه إلى مسقط رأسه الجزيرة الخضراء لعلمه من تمكن الموحدين بها.

(4) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 207 – 208. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص180 – 181.

(5) حصن طَرُّش : طرش بضم أوله، وتشديد ثانيه وضم ة أيضًا، وآخره شين معجمة، هي ناحية بجنوب الأندلس تشتمل على ولاية وقرى. انظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص33.

(6) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 204 – 205. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص329. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 2، ص175.

استغل المنصور فترة الهدنة في إصلاح أحوال دولته ببلاد إفريقية التي غرقت بثورات العرب، وباستفحال ابن غانية[1] بها، فتمكن خلالها من إخضاع العرب وطاعتهم له دون أن يخضع ابن غانية لعودته لبلاد الأندلس. وفي عام 590هـ/ 708م انتهت مدة الهدنة مع نصارى أسبانيا، فاستغلها ألفونسو الثامن ملك قشتالة[2] بمهاجمة مدن الأندلس وهو يعلم بانشغال المنصور بإفريقية . وقد تمادى الحال بألفونسو الثامن إلى أن نزل بظاهر الجزيرة الخضراء، ومنها كتب رسالة إلى المنصور يستدعيه للقتال، متحديًا إياه بما تحت يده من القوات الصليبية التي يطمح بها في الاستيلاء على المزيد من الأراضي الأندلسية[3]

لم يعلم ألفونسو الثامن بأن هذا الاستدعاء سيكون له عواقب وخيمة عليه وعلى القوى النصرانية في الأندلس. فما أن وصل الخطاب إلى المنصور حتى أمر بقراءته على الموحدين والعرب وبقية المسلمين تحفيزًا لهم لمواجهة الحملة الصليبية في موقعة تعد إحدى الصفحات البيضاء في تاريخ الجهاد الإسلامي. ثم كتب المنصور خطابه للفونسو الثامن على ظهر رسالة ألفونسو نفسها، مفتتحًا إياها بقوله تعالى: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[4] ومجاوبًا بقوله: الجواب ما ترى لا ما تسمع، واستشهد بها ببيت المتنبي:

ولا كتب إلا المشرفية[5] عنده ولا رسل إلا الخميس[6] العرمرم

---

(1) ابن غانية: المقصود هنا يحيى بن إسحاق بن محمد بن غانية. انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص287.

(2) أعاد النصارى تجديد حملاتهم تحت غطاء الاستعادة المسيحية للأندلس، وتزعمها في هذه الفترة ألفونسو الثامن ملك قشتالة وألفونسو الثاني ملك آرغون. انظر ليفي بروفنسال: حضارة العرب، ص23.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص12 – 13. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص217. ابن الأثير: الكامل، ص 1834. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 289. ليلي نجار: المغرب والأندلس، ج 1، ص177– 178. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص390 – 391.

(4) سورة النمل، آية: 37.

(5) المشرفية: المشرفي هو سيف يجلب من بلاد المشارف، وينسب إليها. انظر: إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج1، ص480.

(6) الخميس: هو الجيش الجرار؛ سمي بذلك لأنه يتكون من خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة،

وبعد الكتاب بدأ المنصور بإعداد المشرفية والخميس العرمرم لنزال ألفونسو الثامن، فأخذ يجيز الجنود إلى الجزيرة الخضراء، يوم الخميس العشرين من جمادى الآخرة لعام 591هـ/ 709م، بدأهم بقبائل العرب ثم قبائل زناته، ومن بعدهم المصامدة، ثم غماره، ثم الجند المتطوعة من العرب وغيرهم ثم الموحدين وأخيرًا العبيد، ومن بعدهم عبر المنصور بكبار الموحدين إلى الجزيرة الخضراء. وبعد يوم واحد فقط ولكيلا يفقد الجند حماسهم، توجه المنصور إلى مدينة طريف ثم إلى إشبيلية متجهًا إلى الأرك [1] حيث كان ألفونسو الثامن قد أقام به في انتظار المنصور الذي نزل على بُعد مرحلتين منه يوم الخميس الثالث من شعبان.

وبضحى يوم الأربعاء التاسع من هذا الشهر التحمت صفوف الموحدين والنصارى في معركة الأرك ـ عرفت هذه المعركة في المصادر الأسبانية بمعركة الأركوس Alarcos ـ واستمرت رحاها إلى خاتمة يوم الأربعاء، فكانت الغلبة بها للموحدين محققين انتصاراً كاسحًا على النصارى أسفر عن مقتل ثلاثة عشر ألف مقاتل صليبي، وفرار ألفونسو الثامن من ساحة المعركة[2].

فكانت معركة الأرك أقوى ضربة للنصارى في عهد الموحدين، لكنها أعادت ما آلت إليه الأحداث بعد معركة الزلاقة، فرغم النصر الكاسح للمسلمين إلا أنهم لم يتمكنوا من استعادة شيئًا مما سلبه النصارى حتى مدينة طليطلة التي ركزوا عليها بالحصار والقتال لم تُستعاد. فرغم محاصرة المنصور لطليطلة سنة 592هـ/ 1195م لمدة

والساق. انظر: إبراهيم أنيس: المرجع السابق، ج1، ص256.

(1) حصن الأرك (Alarcos): حصن منيع بالقرب من قلعة رباح، كان للفونسو الثامن وقت المعركة . انظر الحميري: الروض المعطار، ص12.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص12 – 13. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص218. المقري: نفح الطيب، ج1، ص443. ابن الأثير: الكامل، ص 1834 – 1835. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 292. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص187. ليلي نجار : المغرب والأندلس، ج 1، ص177 – 178. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص390 – 391. ليفي بروفنسال: حضارة العرب، ص23.

أسبوع واحد، ومهاجمتها سنة 593هـ/ 1196م إلا أنه عاد عنها خالي الوفاض، تلاها بعودته إلى المغرب سنة 594هـ/ 1197م[1].

وتُعد محاولات المنصور [2] هذه آخر صفحة مشرفة للموحدين في جهادهم ضد النصارى، فقد تبعها هزيمة ساحقة في عصر ابنه محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة 609هـ/ 1212م لم يقم للموحدين بعدها قائمة ضد النصارى، وهي معركة العقاب . ثم ما كان من أمر نزاع الموحدين فيما بينهم، وخروج ابن هود عليهم بالأندلس وسيطرته على أغلب مدن الأندلس بما فيها العدوة الأندلسية.

فمنذ وفاة محمد الناصر مسمومًا سنة 610هـ / 1213م دبَّ نزاع بين أبناء الأسرة الحاكمة، قتل به وخلع عدد منهم . ففي مدة لم تزد عن سبعة وخمسين عامًا تولى الحكم تسعة حكام، استمر أقلهم مدة لم تزد عن ثمانية أشهر وهو المدعو عبدالواحد بن يوسف بن عبدالمؤمن (620هـ ـ 621هـ / 1223م ـ 1224م). في وقت قد ظهرت به قوى إسلامية، كبني هود، وبني الأحمر بالأندلس، وبني حفص وبني مرين بإفريقية والمغرب على التوالي[3].

وعن حال العدوة الأندلسية في فترة الاضطراب هذه، فقد كان آخر عهد لها بالاستقرار حكم الناصر الذي استقر بطريف ثلاثة أيام عند اجتماعه بقوات الأندلس بها لصد هجمات النصارى ضد مدن الأندلس في عام 607هـ / 1210م، وحكم ابنه يوسف المنتصر بالله بن الناصر (610هـ ـ 620هـ/ 1213م ـ 1223م).

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص13. ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 221 وما يليها . ابن الأثير: الكامل، ص1835.

(2) توفي المنصور سنة 595هـ/ 1198م. انظر ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص229.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص269. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص446. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص338. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 308 – 314 – 315 – 328. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص220. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص 470 – 471. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص518.

ففي عام 621هـ/ 1224م أعلن أبو عبدالله محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل الثورة ضد الموحدين بشرق الأندلس، وبدأ في ضم المدن الأندلسية لحكمه مبتدئًا بمدينة مرسية. في وقت قد احتدم الصراع به بين الموحدين، خاصة بين إدريس المأمون ابن يعقوب المنصور وابن أخيه يحيى بن الناصر، نهج به المأمون منهجًا لم يسبقه إليه أحد باستعانته بملك قشتالة كي يمكنه من ارتقاء عرش الموحدين، فعبر المأمون بجيش به اثنا عشر ألف مقاتلًا قشتاليًا من الجزيرة الخضراء إلى المغرب في شهر ذي القعدة سنة 626هـ/ أكتوبر 1228م، بعدما أخضع مدينة طريف في شهر رمضان من هذا العام[1]. ومنذ هذا التصرف بدأت الأندلس تخرج عن حكم الموحدين، فقد قام المتوكل ضد المأمون وسيطر على قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية، كما سيطر على جبل الفتح والجزيرة الخضراء في رجب سنة 628هـ/ 1230م بمساعدة أخي المأمون أبي عمران موسى بن يعقوب المنصور[2].

ولعلم المتوكل بن هود بأهمية العدوة الأندلسية في هذا الصراع أقام على الجزيرة الخضراء منها موسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد أصحاب قلعة يحصب، وتم هذا الاختيار لعلم المتوكل بن هود بسوء العلاقة بين الموحدين وبني سعيد؛ لإخراج بني سعيد عن حكم قلعة يحصب. واستمر بنو سعيد على حكم الجزيرة الخضراء إلى عام 635هـ/ 1238م حيث توانوا عن التمسُّك بها بعد مقتل المتوكل بن هود . وشهد عام 629هـ/ 1231م تجديد الجزيرة الخضراء البيعة للمتوكل بن هود، ومبايعة ولي عهده

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص293. ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص289. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص340 – 341. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 308 – 328. الناصري : الاستقصا، ج1 – 2، ص220 – 236 – 237. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 2، ص369.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 288 – 289. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 280. المقري: نفح الطيب، ج1، ص446. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص217. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص360. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص518. الطيبي : جبل طارق، ص 14. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 2، ص401 – 411.

ابنه أبي بكر الواثق بالله كما هو حال بقية مدن الأندلس من جزيرة شقر إلى الجزيرة الخضراء[1].

ورغم استقرار الأحوال بالعدوة الأندلسية مدة حكم المتوكل بن هود إلا أنه سرعان ما خرجت عن حكم بني هود بعد وفاة المتوكل سنة 635هـ/ 1238م، فابنه الواثق بالله لم يكن أهلًا للحكم. وبعد سبعة أشهر انفصلت المدن الخاضعة لابن هود، وعادت إلى نفوذ الموحدين، فقد توجه أهل إشبيلية إلى المغرب لمبايعة عبدالواحد الرشيد ابن إدريس المأمون، ومن بعدهم أهل مدن الأندلس الأخرى . وكانت عودة اتسمت بالفوضى والانحدار نحو الهاوية، فتكالب القوى النصرانية على الأندلس قد آتت ثمارها، فنال منها فرناندو الثالث الملقب بالقديس (El Santo) قرطبة سنة 633هـ/ 1236م، وإشبيلية وقادس وشريش سنة 646هـ/ 1248م. ولم يقتصر إغراء تداعي الموحدين على نصارى أسبانيا بل تجاوز إلى ولاية جنوة الإيطالية . فحاول الجنويون القاطنون بسبته إحكام أمرهم عليها، لكن يقظة حاكمها الحاج أبي العباس اليانشتي حرمتهم ذلك وأوقعت بهم. وقد اندفع من فرَّ من هذه الوقيعة إلى أهله بجنوة مستغيثًا مما آل إليه أمره وأمر إخوته بسبته، فتحركت حملة عسكرية من جنوة مكونة من مئة سفينة، انتهى بها الحال بعد حصار عديم الجدوى إلى صلح مع أبي العباس نالوا به شيئًا مما كان لهم بسبته[2].

كما دفع تداعي الموحدين أهل المدن الأندلسية التي كتب لها السلامة من يد النصارى إلى البحث على من يضبط مدنهم ويحميها من هجمات النصارى، فكانت مبايعة أهل بلنسية ومرسية سنة 641هـ/ 1243م لأبي زكريا بن أبي محمد بن أبي حفص حاكم

---

(1) ابن سعيد: المغرب، ج1، ص320. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 295. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص467 – 470 – 471.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 331 – 343 – 344 – 350 – 384. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص393. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص285 – 286.
Salma Khadra: The Legacy، P 75.

تونس[1]، فكانوا بهذه المبايعة قدوة لأهل مدينتي شريش وطريف، فقدموا لأبي زكريا مبايعين وسائلين أن يبعث معهم حاكمًا من أهله، فكان ابن عمه أبا فارس بن يونس بن أبي حفص واليًا لشريش وطريف[2]، وهو الوالي الرابع الذي ذكر كوالي على إحدى مدن العدوة الأندلسية منذ بداية حكم الموحدين إلى جوار أبي سعيد بن عبدالمؤمن ونفيس بن محمد الربعي[3] وكلاهما وليا على الجزيرة الخضراء، وموسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد الذي تولى زمن سيطرة ابن هود على الجزيرة الخضراء سنة 628هـ/ 1230م، في وقت لم يشر به نهائيًا لاسم أي من حكام جبل الفتح.

وتعد فترة الموحدين للعدوة الأندلسية فترة تغيرات متتابعة سياسية وإدارية. فمنذ عام 539هـ/ 1144م إلى عام 641هـ/ 1243م خرجت العدوة الأندلسية عن حكم الموحدين عدة مرات: الأولى: على يد يحيى بن علي بن غانية سنة 540هـ/ 1145م، والثانية: على يد المتوكل بن هود سنة 628هـ/ 1230م، ثم كان خروجها عن حكم الموحدين نهائيًا وقبل سقوط دولتهم بفترة زمنية - سقطت دولة الموحدين سنة 667هـ[4].

أما التغيُّر الإداري فبعدما كانت العدوة الأندلسية تُعد إقليمًا إداريًا مستقلًا، تحولت مدنها إلى مدن تابعة لإقليم مالقة، ثم كانت تبعيتها لإشبيلية التي أصبحت قاعدة لجيوش الموحدين بعد عبورها للأندلس. ورغم هذه التحولات في أحوال العدوة الأندلسية إلا أن عصر الموحدين شهد انطلاق القاعدة الثالثة للعدوة الأندلسية مدينة جبل الفتح سنة 555هـ/ 1159م[1].

---

(1) تونس (Túnez): مدينة كبيرة محدثة بإفريقية، هي على ساحل البحر الابيض المتوسط، وتعد قصبة بلاد إفريقية. انظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص70.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص393.

(3) كان متوجدًا سنة 584هـ، لكن لم يرد عنه شيء بشأنها. انظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص270.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص343.

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص66. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص260 – 261 – 347.

وختام عصر الموحدين بالعدوة الأندلسية يظهر أن كل مدنها قد أدت دورها، خاصة طريف التي ارتقت بدورها عن عصر المرابطين، لتكمل مجتمعةً مسيرتها زمن بني الأحمر.





المبحث الأول

العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين

حازت أسرة بني الأحمر وأسرة بني مرين صفحات من التاريخ الإسلامي؛ بما سطرتاه عليها من إنجازات سياسية وحضارية، منها ذلك التحالف الذي أثمر في الصراع الدائر مع نصارى أسبانيا وحلفائهم، بإطالة أمد التاريخ الإسلامي بالأندلس عدة قرون (انظر خريطة 4 ـ 5).

وعن بني الأحمر فنسبهم يعود إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة[1]، وموطنهم الأول بالأندلس مدينة أرجونه[2]. وكانت بداية بني الأحمر في الساحة السياسية على يد كبيرهم محمد بن نصر المعروف بالشيخ؛ بتصديه لابن هود، وإعلانه الولاء لأبي زكريا حاكم إفريقية، فقد أطاعت لمحمد بن نصر مدينتا جيان وشريش سنة 630هـ/ 1232م. ويظهر هنا أن محمد بن يوسف بدأ يرسي دعائم دولة له، فما أن وصل أمر بيعة الخليفة العباسي المتقي[3] لابن هود حتى بايع محمد بن يوسف لابن هود سنة 631هـ/ 1233م. ومنها انطلق في ضم مدن الأندلس إلى حكمه، فبعد عام واحد من هذه البيعة احتال على أبي مروان الباجي حاكم إشبيلية بأن أقام معه الصلح وزوجه ابنته، فأطاعه أبو مروان، لكن محمد بن يوسف ما أن دخل إشبيلية في هذه السنة 632هـ/ 1234م ـ حتى قتل أبا مروان ووضع يده على إشبيلية التي أخرجه أهلها منها بعد شهر من دخوله معلنين طاعتهم للمتوكل بن هود. ورغم ذلك لم

---

(1) سعد بن عبادة: هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الساعدي، كان نقيب بني ساعده، شهد معركة بدر. توفي رضي الله عنه بحوران بالشام سنة 15هـ. انظر ابن الأثير عز الدين علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، مج 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 204 – 205.

(2) أرجونه (Arjona): بالفتح ثم السكون، وجيم مضمومة، واو ساكنة، هي بلدة من ناحية جيان بالأندلس. انظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص173.

(3) الخليفة العباسي: إبراهيم بن المقتدر، بويع بالخلافة آخر ربيع الأول سنة 629هـ/ 1231م، وقد استمر حكمه إلى أن خلع سنة 633هـ، وبويع بدلًا عنه الخليفة المستكفي، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج، ص508.

تهن عزيمة محمد بن يوسف ابن الأحمر حيث سيطر على غرناطة بدعم أهلها سنة 635هـ / 1237م. بل اندفع إلى أكثر من ذلك في سبيل إخضاع أكبر قدر من المدن بمداهنة ألفونسو ـ الملقب بالحكيم ـ ملك قشتالة وطليطلة الذي كان يطوي مدن الأندلس وحصونه تحت حكمه . ولم يكن لمحمد بن يوسف من هذه المحاولة سوى إخضاع مدينة مرسية سنة 665هـ/ 1266م، في وقت كان ألفونسو يحوز كل ما يخضع تحت يده إلى حكمه، وهذا ما أغضب محمد بن الأحمر ودفعه للعودة عما كان عليه[1].

ويرى الباحث أن عودة محمد بن الأحمر عن ألفونسو لعلمه بمراد ألفونسو الذي لن يتوان عن إخضاع مدن ابن الأحمر متى ما حانت له الفرصة . ولهذا كانت وجهت محمد ابن الأحمر إلى المغرب لاستصراخ أهلها. فكان له ذلك بعبور الغزاة إليه من بني عبدالواد ومغراوة وبني مرين.

وكان لهؤلاء الفضل في إعانة محمد ابن الأحمر في الجهاد الإسلامي بالأندلس ومدافعة النصارى وخاصة بني مرين منهم، وهم الذين أوصى محمد ابن الأحمر ابنه وولي عهده محمد الفقيه بأن يستصرخ بهم ـ بني مرين ـ عند حاجته. وهذا ما كان من ابنه، ففي العام التالي من حكمه ـ 672هـ / 1273م ـ عبر محمد الفقيه إلى يعقوب بن يوسف سلطان بني مرين مستصرخًا إياه[2].

ويعود أصل بني مرين إلى قبيلة زناته، وهم أبناء مرين بن ورتاجن بن ماخوخ . كانوا يقطنون بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة على حال الترحال . ثم انتقلوا

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص12. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص448 – 449. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص218 وما يليها . حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص 443 – 444. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص199. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر بالدول النصرانية، مجلة دراسات أندلسية، ج1، ع 28، رمضان 1423هـ/ نوفمبر 2002م، ص76.

Imamuddin: A Political History, P 282.

(2) المقري : نفح الطيب، ج 1، ص448 – 449. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص220. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج1، ص76. محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم، ص41.

سنة 610هـ/ 1213م إلى بلاد المغرب. وبحلول بني مرين المغرب بدأت بوادر قيام دولة منظمة لهم. فبعد حلولهم المغرب أرسل الموحدون جيشًا لقتالهم بأمر حاكم الموحدين يوسف المستنصر، وكان اللقاء ببني مرين قرب وادي نكور. انتصر به بنو مرين انتصارًا ساحقًا على الموحدين، وغنموا غنائم جمة، قوي بها جانبهم[1].

هذا في وقت كانت به قوة الموحدين في انحدار مستمر بسبب نزاعاتهم واختلال النظام بدولتهم. وكان تميز بني مرين وصبرهم في القتال قد أعلى كفتهم بين قوى المغرب، فمحيو بن أبي بكر المريني توفي سنة 592هـ/ 710م بسبب جراح أصابته في معركة الأرك، وابنه عبدالحق بن محيو الذي انتقل ببني مرين للمغرب قُتل وولده إدريس في معركة مع بني رياح لإثبات الوجود بالمغرب[2].

كان جلد بني مرين واستبسالهم سببًا في قيام دولتهم بالمغرب والقضاء على حكم الموحدين، فمنذ عهد عبدالحق بن محيو وحكم أبنائه من بعده أخذت جيوش بني مرين تشن غاراتها على بلاد المغرب، وذلك لما لمسه حكام بني مرين من ضعف دولة الموحدين وفُرقة بلاد المغرب. وقد بدأ في السيطرة على مدن المغرب عثمان بن عبدالحق، ثم تبعه أخوه محمد، وأبو بكر الذي تكلل عهده بسيطرة بني مرين على عدد من كبرى مدن المغرب، فدخل مدينة فاس سنة 646هـ/ 1248م، وملك سلا[3] سنة 649هـ/ 1251م، كما سيطر على سجلماسة ودرعة سنة 655هـ/ 1257م. وعلى خُطا أبي بكر ابن عبدالحق أكمل خليفته يعقوب بن عبدالحق ـ تولى الحكم سنة 656هـ/ 1258م ـ المسيرة بسيطرته على المنطقة الممتدة من أقصى السوس إلى وجدة، بالإضافة لإخضاعه لمدينة مراكش معلنًا زوال حكم الموحدين. ولم يقتصر يعقوب بن عبدالحق على بلاد

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص365 وما يليها. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص781 – 782.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص372 وما يليها. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص782.

(3) سلا: مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها بلد معمور، وهي مدينة متوسطة بين الصغر والكبر، منها إلى مراكش عشر مراحل. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص262.

المغرب بل فرض حكمه على عدد من مدن الأندلس وحصونه، ومنها مدينة طريف ومدينة الجزيرة الخضراء[1].

ومن خلال التعريف بأسرتي بني مرين، وبني الأحمر يرى الباحث أن وحدة الدين وتقارب قيام الدولتين وقرب الأرض ومسؤولية الدولتين كقوى إسلامية بالمغرب والأندلس قادت الأسرتين إلى إقامة علاقة وطيدة بينهما، تميزت باستمراريتها رغم ما شابها من شوائب زالت لأكثر من مرة. وقد كانت هذه العلاقة تتأثر بعدة عوامل أهمها : الصراع مع القوى النصرانية، والرغبة في التمسك بالسلطة من قِبل بعض الحكام بصورة أثرت في ارتباط الأسرتين ببعضهما، خاصة من قِبل حكام بني الأحمر الذين اندفعوا لأكثر من مرة إلى التحالف مع النصارى بل محالفتهم للسيطرة على ما كان بني مرين يتخذونه من مدن أندلسية كقواعد لهم.

وعلى كلٍ كانت باكورة الاتصال بين هاتين الأسرتين في عام 600هـ / 1203م أو قبلها بقليل كغزاة مشاركين ضمن جيش بني الأحمر، وكان لهم تواجد ميزهم عن غيرهم من غزاة المغرب؛ مما كان له أثر ظاهر على حكام بني الأحمر الذين رحبوا بهم ودرجوا على استدعائهم لإعانتهم في القتال ضد الأسبان[2].

وما أن قامت دولة بني مرين على أقدامها حتى بدأ أول حكامها يعقوب بن عبدالحق بدوره تجاه إخوانه بالأندلس، فكانت تلك العلاقة المميزة مع حاكم دولة بني الأحمر محمد بن يوسف بن نصر، التي سطر بها يعقوب بن عبدالحق صورًا لإعانة إخوانه بالأندلس رغم انشغاله بإقرار أحوال دولته بالمغرب، وصراعه مع قوى منافسة له

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص415. ابن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ / 1958م، ص42. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 15، ص563. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 390 وما يليها . السيد عبدالعزيز : تاريخ المغرب، ص784.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص448 – 449. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص220. محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم، ص41.

كيغمراسن بن زيان حاكم تلمسان[1]. وهذا ما دفع محمد بن يوسف إلى توصية ابنه محمد الفقيه إلى الاستصراخ ببني مرين متى دعت الحاجة لذلك.

وقد لامس محمد بن يوسف دعم بني مرين الذي تجاوز في عدد من الحملات عدة آلاف من المقاتلين في وقت كان به بنو مرين في أمسِّ الحاجة لكل مقاتل؛ لدعم م وقفهم أمام قوى بلاد المغرب المتنافسة فيما بينها[2].

ولما سبق لم يُغْفِل محمد الفقيه وصية والده بعد عام من توليه للحكم ـ 672هـ / 1273م ـ فعبر إلى المغرب لاستصراخ يعقوب بن عبدالحق . فكانت حملة منديل بن يعقوب استجابة لصريخ محمد الفقيه سنة 673هـ/ 1274م بخمسة آلاف مقاتل . وقد تلت هذه الحملة تعاون كبير بين يعقوب بن عبدالحق ومحمد الفقيه، بذل فيه يعقوب كل طاقته كي يتمكن من التفرغ لنصرة محمد الفقيه والتعاون معه، ومن ذلك حربه ليغمراسن بن زيان الذي رفض إقامة الصلح مع يعقوب واستمر في تهديد بلاده . ولم يكن البذل مقتصرًا على حاكم بني مرين بل قام به حاكم بني الأحمر محمد الفقيه بتسليم مدينتي رندة وطريف ليعقوب بن عبدالحق، ثم مدينة الجزيرة الخضراء سنة 674هـ / 1275م التي يظهر أن يعقوب سيطر عليها باتفاق مع محمد الفقيه. وبهذا كانت ثمرة هذا التعاون عبور يعقوب بنفسه إلى الأندلس أرب ع مرات، تَوَّجها بهزيمة دون نونه سنة 674هـ/ 1275م ومقتله في تلك الموقعة.

كما دفع يعقوب بن عبدالحق النصارى إلى طلب الصلح نتيجة انتصاراته عليهم، ولمدى العلاقة الجيدة بين بني مرين وبني الأحمر، أحال يعقوب طلب الصلح إلى محمد

---

(1) تلمسان (Tlemcen): بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، هي مدينتين متجاورتين بالمغرب، الحديثة منها بناها المرابطون. انظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص51.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص448 – 449. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص382. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج1، ص76. رابح عبدالله المغراوي: التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني " من خلال رسائل ابن الخطيب "، التاريخ العربي، ع 6، ربيع 1419هـ/ 1998م، ص67 – 68.

الفقيه ليقره أو يرفضه[1].

لكن كل قمة تتبعها هاوية، وقد قاد محمد الفقيه تلك العلاقة بينه وبين يعقوب من القمة إلى الهاوية؛ لقصر نظره. فما أن أشار إليه ألفونسو العاشر بعد إقامة الصلح بأن عليه الحذر من يعقوب المريني كونه سيقضي على حكمه ـ وذلك مكيدة من ألفونسو العاشر لإيقانه بأن اتحاد بني مرين وبني الأحمر سيشكل خطرًا حقيقًا على النصارى، وتهديدًا لمشروع استعادة النصارى لبلاد الأندلس ـ حتى بدأ محمد الفقيه نفوره عن بني مرين[2].

وزاد العلاقةَ فرقةً تنازلُ بني اشقيلولة عما بيدهم كمالقة ووادي آش [3] ليعقوب بن عبدالحق سنة 676هـ/ 1277م، مما حول وهم محمد الفقيه إلى يقين في نفسه، وهو في الأصل وهم يتأكد بتنازل بني مرين له عن عدد من المدن فيما بعد [4]. ويعيد هنا محمد الفقيه سقطات من سبقه من الحكام المسلمين الذين وضعوا يدهم بيد أعداء الإسلام لا لشيء سوى حب السلطة والتملُّك. وكما جنى سابقوه جنى محمد الفقيه ، فبعد أن اتفق مع ألفونسو العاشر على أن يعينه على السيطرة على مدينة طريف مقابل عدد من الحصون، نقض ألفونسو العاشر الاتفاق بوضع يده على مدينة طريف بعد إخراج بني مرين منها. فكانت الإفاقة المتأخرة لمحمد الفقيه كأمثاله من الحكام، بعدما أضاع مدينة طريف، ووقف حائلًا لقوات بني مرين من العبور إلى الأندلس صفًا واحدًا مع أساطيل

---

(1) مجهول : الحلل الموشية، ص 176. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص448 – 449. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص220 – 221. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 416 – 425 – 527 – 534 – 535. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص48. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص99. الطيبي : دراسات وبحوث، ص288. رابح المغراوي : التواصل الدبلوماسي، ص 67. محمد كمال : يوسف الأول، ص 28 – 29. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص333.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص438 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص49.

(3) وادي آش (Guadix): مدينة كبيرة بالقرب من غرناطة. انظر الحميري: الروض المعطار، ص192.

(4) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص565. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص220 – 221، ج7، ص261. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 410– 411. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص48 – 49. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص75 – 76.

ألفونسو العاشر، بل اندفع إلى أكثر من ذلك بدعم يغمراسن بن زيان لإضعاف حكم يعقوب بن عبدالحق، وهذا كله لمدة تجاوزت الخمس سنوات[1].

وشاء الله سبحانه وتعالى ألا تقتصر الفرقة على المسلمين، بوقوع الخلاف بين ألفونسو العاشر وابنه شانجه في عام 681هـ/ 1282م. وبهذا النزاع لاحت الفرصة ليعقوب بن عبدالحق وتحديدًا عندما أرسل ألفونسو العاشر رسالته إلى يعقوب يطلب إعانته لاسترجاع ملكه. وأمام هذه الفرصة لم يتوان يعقوب لا لإعانة ألفونسو العاشر ولكن للوصول إلى الأندلس، في وقت وضع به محمد الفقيه يده بيد شانجه بن ألفونسو العاشر. وبتحالف يعقوب مع ألفونسو العاشر تحقق مراده بعبوره إلى الأندلس ومهاجمة أراضي النصارى[2].

ومن هذه الأحداث أيقن محمد الفقيه أن نجاته وبقاءه بحكمه يتطلب إعادة العلاقة السابقة مع بني مرين، فأرسل في عام 682هـ/ 1283م إلى يعقوب يطلب منه العبور إلى الأندلس لإصلاح أحوالها. لكن يعقوب هذه المرة كان أكثر حيطة وحذرًا من ذي قبل، ولم يتحرك إلى الأندلس إلا في عام 684هـ/ 1285م بإرساله جيش بقيادة ابنه منديل لم يكن لخوض المعارك ضد النصارى إلى جانب ابن الأحمر بل للوقوف على الحدود بين مملكتي بني مرين وبني الأحمر دون إحداث أي حدث ببلاد ابن الأحمر. ثم تلى ذلك عبور يعقوب بنفسه إلى الأندلس لجهاد النصارى الذين لم يكل عن قتالهم، وعاد عنهم سنة 685هـ/ 1286م عودة عادت بها روحه إلى بارئها حيث توفي في طريق عودته

---

(1) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص42. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 291. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص258. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص284 - 285. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص501 - 502 - 538. الناصري: الاستقصا، ج1 - 3، ص49 وما يليها. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص75 - 76.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص270 - 271. الناصري: الاستقصا، ج 1 - 3، ص56 - 57. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص105 - 106. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص77.

للمغرب بمدينة الجزيرة الخضراء[1].

خلف يعقوب بن عبدالحق المريني على الحكم ابنه يوسف مكملًا لمسيرة والده تجاه الأندلس، وشادًا لأواصر العلاقة مع دولة بني الأحمر التي نهج بها منهجًا آخر، بتسليم عدد من المدن والحصون لمحمد الفقيه تأكيدًا منه على أن بني مرين لا يرغبون في وضع يدهم على الأندلس. وكانت بداية اتصال يوسف بن يعقوب مع محمد الفقيه منذ بداية توليه الحكم بالجزيرة الخضراء، حيث راسل محمد الفقيه للاجتماع، وتم ذلك في حفل بمناسبة هذا الاجتماع.

ثم قام يوسف في شهر ربيع الأول من هذا العام بالتنازل عن بعض ما وضع والده يده عليه من بلاد الأندلس لمحمد الفقيه، كما تنازل في شهر صفر سنة 687هـ / 1288م لمحمد الفقيه عن مدينة وادي آش وحصن رانجه وحصن بليانه وحصن الدير، وزاد على ذلك في عام 692هـ/ 1292م بتنازله عن مدينة الجزيرة الخضراء ورنده وما والاهما من الحصون، وكانت كثر[2].

آتى هذا النهج أُكله، فزادت العلاقة قوة وارتباطًا. وعبر يوسف إلى الأندلس في عام 690هـ/ 1291م وهاجم بلاد النصارى، ولم يُعده عنها سوى دخول الشتاء . كما عبر محمد الفقيه إلى المغرب سنة 692هـ / 1292م بعد مراسلة يوسف بن يعقوب سنة 691هـ/ 1291م طالبًا منه الصفح. ومثَّل عبور محمد الفقيه صورة مشرقة في العلاقة بين الأسرتين بعد حدوث الفرقة، فعبر معتذرًا عما أحدثه بمدينة طريف وحاملًا الهدايا

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 415. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص562 – 563. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص42. مجهول: الحلل الموشية، ص177. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص278. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص56 – 57. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص572 – 573، ج4، ص109.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص562 – 563. مجهول : الحلل الموشية، ص 177. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص221، ج7، ص278 – 279. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 493 – 496. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص74 – 75.

ليوسف الذي بادره بالإكرام والترحيب مستقبلًا إياه بمدينة طنجة، وباذلًا له هدايا تفوق ما أتى به . وبهذا التقارب كان التحالف في العام التالي ـ 693هـ/ 1293م ـ لاستعادة مدينة طريف، لكن حصار يوسف لطريف باء بالفشل، وبقيت طريف عينًا للنصارى على مضيق جبل طارق[1].

استمر الوفاق لفترة رغم تناوب عدد من الحكام في الأسرتين في فترة لم تزد عن خمس عشرة سنة، فبنو الأحمر ولي أمرهم بعد وفاة محمد الفقيه سنة 701هـ/ 1301م ابنه محمد المعروف بمحمد المخلوع، ثم تلاه على الحكم بعد خلعه سنة 708هـ/ 1308م أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد الذي خُلِع أيضًا، وأقيم مكانه سنة 713هـ/ 1313م أبو الوليد إسماعيل بن فرج. أما بنو مرين فتولى الحكم لديهم أيضًا أربعة حكام في هذه الفترة، فتبع يوسف بن يعقوب على الحكم سنة 706هـ/ 1306م أبو ثابت عامر بن يوسف وهو من أقل حكام بني مرين حكمًا فلم يزد حكمه عن سنتين حيث تولى الحكم أبو الربيع سليمان بن يوسف سنة 708هـ/ 1308م، وكان كسابقه في مدة الحكم بتولي أبي سعيد عثمان بن يعقوب الحكم سنة 710هـ/ 1310م[2].

لكن ه ذا الوفاق شابته شائبة حين اعتلى أبو الجيوش نصر الحكم، حيث مكن أهل سبته أبا الربيع سليمان المريني من مدينتهم لاستيائهم من إمارة بني الأحمر عليهم، وكان ذلك غرة ذي الحجة سنة 708هـ/ 1308م. غير أن سليمان المريني تدارك الأمر في جمادى الأولى سنة 709هـ/ 1309م بإقامة الصلح مع أبي الجيوش، وتسليم مدينتي الجزيرة الخضراء ورندة وأحوازهما له، كما قام بطلب أخت أبي الجيوش زوجة له، فتم ذلك. ولهذا الرابط الجديد قام أبو الربيع سليمان بإرسال الأموال والخيل برسم الجهاد إلى

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص221، ج7، ص286. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص505 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص70 – 74 – 75.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص221، ج7، ص314. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص 111 – 112. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص200.

الأندلس[1].

ورغم كل مابذله أبو الربيع سليمان إلا أن أب ا الجيوش لم يُقدر هذا الترابط . فبالإضافة لإساءته لرعيته أخذ يُسيء للغزاة من بني مرين، وكان كبيرهم بمالقة عثمان بن أبي المُعَلّى من بني إدريس بن عبدالله بن عبد الحق. ولهذه الإساءة كان رد فعل بني مرين النواة الأولى لتدخل أحد طرفي العلاقة في الشؤون الداخلية للآخر. فقد اتفق عثمان بن أبي المعلى مع أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن محمد من بني الأحمر على توليته الحكم بعد إسقاط حكم أبي الجيوش، وتم ذلك في عام 713هـ/ 1313م[2].

ويرى الباحث أن هذا التصرَّف من عثمان بن أبي المعلى يتجاوز كونه تصرفًا فرديًا، أي أنه كان بتوجيه من حكومة بني مرين، فقد سبق هذا التصرف سيطرة أبي سعيد عثمان بن يعقوب حاكم بني مرين على الجزيرة الخضراء ورندة وأحوازهما، وتعيين أخيه الأمير يعيش واليًا عليها سنة 711هـ/ 1311م. مما يؤكد أن الاستياء من حكم أبي الجيوش سابق لما قام به عثمان بن أبي المعلى[3].

وبتولية أبي الوليد الحكم كانت بداية عودة العلاقات الجيدة بين بني مرين وبني الأحمر، فشهد عهد أبي الوليد دعمًا كبيرًا من بني مرين زاد من قوته بالأندلس مدة حكمه، التي انتهت بغدر أقرباء أبي الوليد وقتلهم له سنة 727هـ/ 1326م، وذلك بيد ابن عمه محمد بن إسماعيل[4].

شهد حكم بني الأحمر بعد مقتل أبي الوليد فترة اضطراب بين أفراد الأسرة الحاكمة،

---

(1) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص316 – 317. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص100 – 101.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص222. محمد عنان : دولة الإسلام، ج4، ص117. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص111 – 112. محمد كمال: يوسف الأول، ص32.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص526. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص104.

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص222. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج 2، ص84. محمد كمال: يوسف الأول، ص33.

فقتل عدد من الحكام، ووضع عدد من الوزراء والحُجّاب يدهم على حقيقة الحكم، غير أن العلاقة مع بني مرين لازالت مستمرة . ففي عام 732هـ/ 1331م عبر محمد بن إسماعيل بن الأحمر إلى المغرب مستصرخًا السلطان أبا الحسن علي بن عثمان، فوجد الترحيب من أبي الحسن، وعاد إلى الأندلس برفقة عدد من عسكر بني مرين في وقت كان به أبو الحسن مشغولًا بفتنة أخيه محمد[1]. يظهر من خلال هذا الموقف وما سبقه مدى اهتمام بني مرين ببقاء العلاقة متواصلة مع بني الأحمر وفي أفضل أحوالها، وممن تجلى على عهده من بني مرين هذا الاهتمام أبو الحسن علي بن عثمان. فبعهده أقر الغزاة من بني مرين بالأندلس للجهاد، ودعم أبا الحجاج يوسف ابن الأحمر بجيش كبير يقوده ابنه أبو مالك، تمكن على أثره من غزو بلاد النصارى والعودة غانمًا إلى المغرب[2].

هذا بالإضافة لمنازلته لمدينة طريف في محاولة لاسترجاعها من يد النصارى، لكن أبا الحسن عاد عنها دون أن يسترجعها، بعد أن نازله ألفونسو الحادي عشر دونها [3]. ويبدو أن فترات الفرقة السابقة بين الأسرتين والانشغال باعتلاء عرش الحكم قد أدى لضعف عزيمة القتال المشترك لدى الطرفين. فتنازل أهل الجزيرة الخضراء عن مدينتهم للفونسو

---

(1) لسان الدين ابن الخطيب: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق محمد الشريف قاهر، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973م، ص31. ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص83. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص252 – 253. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص222. الناصري : الاستقصا، ج1 – 3، ص121. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص122. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص112. شكيب ارسلان: الحلل، ج2، ص337. عاطف منصور محمد رمضان: الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص100.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص321 – 322. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص134 وما يليها . محمد كمال : يوسف الأول، ص 34 – 123. عاطف منصور : الكتابات، ص100. رابح المغراوي: التواصل الدبلوماسي، ص67 – 68.

(3) ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص 36 – 37. المقري : نفح الطيب، ج 5، ص14. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص223. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص134 وما يليها . الجيوسي : الحضارة العربية، ج1، ص131. السامرائي: تاريخ العرب، ص299. محمد كمال: يوسف الأول، ص232.

الحادي عشر مقابل أمامهم سنة 743هـ/ 1342م يدل دلالة أكيدة على فقدان التحالف المشترك بين بني مرين وبني الأحمر لشيء كبير من الانسجام الذي عُهد من قبل، رغم بعض صور التعاون كإقرار أبي الحجاج يوسف لبني العلا أبناء عمومة بني مرين على تقليد قيادة الجيش بالأندلس(1).

تميزت العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين خلال هذا العهد بالفتور لكنها لم تصل إلى مرحلة الانقطاع فعندما يستشعر أحدهما الحاجة إلى الأخر فأنه يلجأ إليه ـ بنو الأحمر هم أكثر حاجة من بني مرين ـ فمحمد بن أبو الحجاج بن الأحمر عندما عانى حكمه مقتل والده يوم الفطر سنة 755هـ/ 1354م، وخلعه عن الحكم ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة 760هـ/ 1358م لجأ إلى حاكم بني مرين أبي سالم ابن أبي الحسن المريني الذي آواه وأكرمه، كما أوى شيخ الغزاة بالأندلس يحيى ب ن عمرو الذي فرّ للمغرب خوفًا من الأحوال السياسية الجديدة(2).

لم يقتصر موقف أبي سالم على احتواء محمد ابن الأحمر ويحيى بن عمرو، فالأخير

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص539 – 540، ج4، ص330 وما يليها . ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص37 – 38. لسان الدين ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، وزارة الثقافة، مصر، ص26. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج3، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ص396. المقري: نفح الطيب، ج1، ص393 – 452. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1997م، ص418. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص137 – 138، ج2 – 4، ص56. محمد كمال: يوسف الأول، ص123 – 124 – 139. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص81. محمد المنوني وآخرون: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1412هـ/ 1991م، ص226 – 227.

(2) لسان الدين ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص 285. القلقشندي : صبح الأعش ى، ج5، ص252 – 253. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص223. المعسكري: الحلل، ص381. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص 113. العفاقي: جبل طارق، ص44.

أرسل نيابة عنه إدريس بن عثمان بن أبي المعلى. أما ابن الأحمر فلأجله خرج بني مرين عن سياستهم بمخاطبة سلطان قشتالة بدرو الأو ل لإعانتهم في إعادة محمد ابن الأحمر إلى عرش حكم بني الأحمر. وقد سُددت خُطا ابن الأحمر عندما التجأ إلى بني مرين حيث أعيد إلى حكمه السابق، وفر عنه محمد بن إسماعيل متجهًا للطاغية[1].

وكانت عودة محمد بن أبي الحجاج إلى الحكم عودة اعتلى كعبه بها على من حوله، فبني مرين بدأت عوامل الضعف تدب في دولتهم، والنصارى وقع بينهم الخلاف - بين بطرة بن اذفونش وملك برشلونة - سنة 768هـ/ 1366م اندفع بسببه بطرة بن اذفونش إلى استنصار محمد ابن الأحمر، الذي نصره وغزا معه بعض مدن النصارى بالأندلس، ومنها الجزيرة الخضراء التي استعاده ا سنة 769هـ/ 1367م[2].

وعلى الرغم من علو كعب ابن الأحمر وفضل بني مرين عليه إلا أنه أخذ يسيء لدولة بني مرين بالتدخل في شؤونهم الداخلية، وإقامة الدسائس ضد عدد من حكامهم طوال مدة حكمه التي استمرت إلى عام 793هـ/ 1390م[3]، يدفعه إلى ذلك التجأ وزير والده لسان الدين بن الخطيب إلى بني مرين سنة 773هـ / 1371م - خوفًا من وشاية بطانة السلطان به - وامتناع حاكمي بني مرين أبي فارس عبدالعزيز وابنه محمد السعيد عن تسليمه، بالإضافة لإساءة أبي بكر بن غازي وزير محمد السعيد والقائم بأمره الرد على رسول محمد ابن الأحمر عندما طلب منه تسليم ابن الخطيب[4].

---

(1) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص 36. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص224. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج3، ص75 – 76.

(2) ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص39. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص224. محمد عنان : دولة الإسلام، ج4، ص149.

(3) المقري: نفح الطيب، ج5، ص105 – 106. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص225. محمد عنان : دولة الإسلام، ج4، ص148.

(4) لسان الدين ابن الخطيب : روضة التعريف بالحب الشريف، ج 1، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد الكتاني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1970م، ص22 – 23. المقري: نفح الطيب، ج 5، ص102 وما يليها .

ولهذا قام محمد ابن الأحمر في عام 774هـ/ 1372م بإطلاق القائد عبدالرحمن بن أبي يغلوسن ـ أحد كبار غزاة الأندلس ـ بعد أن سجنه بطلب من عبدالعزيز بن أبي الحسن المريني حاكم بني مرين؛ وذلك لمكاتبته بعض رجال دولة بني مرين لإحداث انقلاب ضد عبدالعزيز بن أبي الحسن . وكان إطلاق ابن أبي يغلوسن مع تولي محمد السعيد بن عبدالعزيز الحكم، فغضب لهذا التصرف أبو بكر بن غازي، ودعاه غضبه لإرسال بعض بني الأحمر ممن هم بالمغرب إلى الأندلس لمنازعة ابن الأحمر. وكأن الوزير أبا بكر أيقن بأن ابن الأحمر أطلق ابن أبي يغلوسن لإحداث أمر بالمغرب[1].

وما أن علم محمد ابن الأحمر بتصرف أبي بكر هذا حتى تحرك بقوة إلى جبل طارق ودخله بعد أن أمن أهله. وأمام هذا التحرك أوكل الوزير أبو بكر إلى صهره محمد بن عثمان بن الكاس حماية مدينة سبته من ابن الأحمر وكان بطنجة . لكن محمد ابن الأحمر قلب المجن على أبي بكر وجعل من محمد بن عثمان أداة للقضاء على أبي بكر وسيده لا لحماية حكمهم، فقد خاطب ابن الأحمر محمد بن عثمان بأن يتخير من أبناء السلطان أبي الحسن المريني المسجونين لديه من عهد عبدالعزيز والد محمد السعيد حاكمًا لبني مرين ويكون قائمًا بأمره، وله من ابن الأحمر العون بالمال والعتاد مقابل تسليمه جبل طارق، وابن الخطيب، ومن يعارضه من أمراء بني مرين.

وفعلًا لاقى هذا العرض صدى لدى محمد بن عثمان فاختار أبا العباس أحمد بن إبراهيم وبايعه، ثم سار به إلى فاس، وتمكن من دخولها غرة محرم سنة 776هـ / 1374م بعد أن اجبر أبا بكر وسيده على تسليمها[2].

المقري : أزهار الرياض، ج 1، ص225 – 229 – 230. الناصري : الاستقصا، ج 2 – 4، ص58. محمد كمال: يوسف الأول، ص71.

(1) المقري : نفح الطيب، ج 5، ص105. المقري : أزهار الرياض، ج 1، ص225. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص225.

(2) ابن الخطيب: روضة التعريف، ج 1، ص23. المقري : أزهار الرياض، ج 1، ص226 – 227. المقري : نفح الطيب، ج 5، ص109. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدو ن، ج4، ص225 - 226. الناصري : الاستقصا،

لم يكن سقوط حكم محمد السعيد بن عبدالعزيز بالأمر الهين؛ لولا منازعة محمد ابن الأحمر له من ذي قبل، فقبل تسيير محمد بن عثمان أخذ ابن الأحمر يثير النزاع بين محمد السعيد وعبدالرحمن بن أبي يغلوسن بصورة مستديمة، فمرة إلى جوار محمد السعيد، وأخرى إلى جوار ابن أبي يغلوسن، فنجده مثلًا يحارب ابن أبي يغلوسن، ثم يستولي على مدينة سبته لصالحه(1).

ويرى الباحث أن محمد ابن الأحمر أراد من هذا التصرف أن يكون صاحب اليد العليا على بني مرين، فما أن بدأت تحركات أبي العباس الناجحة بالمغرب حتى دعم ابن الأحمر موسى بن أبي عنان للوصول إلى الحكم، وفي لحظة انشغال أبي العباس في تلمسان سنة 786هـ/ 1384م انقض موسى بن أبي عنان بدعم من محمد ابن الأحمر على فاس وسيطر عليها، ثم كان له القبض على أبي العباس، فأرسله إلى ابن الأحمر(2).

لم يكن هذا التدخل ه و نهاية المطاف بالنسبة لابن الأحمر، فقد توالى تدخله في حكم بني مرين؛ نتيجة ضعف حكمهم كما أشرنا مسبقًا، فتلا نقضه لحكم أبي العباس إعادته للحكم نكالًا بالوزير مسعود بن ماسي وسلطانه أبي عنان بن أبي الفضل ـ تذكرُ بعض الروايات بأن إعادة أبي العباس للحكم ك انت بطلب من الوزير مسعود لاستيحاشه من سلطانه؛ لسجنهم عددًا من جند ابن الأحمر حال تولي أبي عنان الحكم سنة 789هـ/ 1387م. وكان تدخل ابن الأحمر هذه المرة قاسيًا على حكم بني مرين، حيث عبر إلى المغرب ودعّم أبا العباس الذي دخل مدينة فاس وألقى القبض على أبي عنان وابن ماسي وقتلهم، كما قتل جماعة من بني ماسي، ويرى الباحث أن هذا العمل كان بتوجيه من محمد ابن الأحمر، وهو مَنْ تشير إليه بعض المصادر بقيامه بقتل جماعة من

ج2– 4، ص63.

(1) المقري : نفح الطيب، ج 5، ص105. المقري : أزهار الرياض، ج 1، ص225. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص226.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص226 – 227.

حاشيته لاتفاقهم مع ابن ماسي على قتله[1].

ومجمل القول أن العلاقة بين بني الأحمر، وبني مرين كانت تسير بقيادة بني مرين إلى التواد والترابط، وبقيادة بني الأحمر في معظم الأوقات إلى ما يسيء إلى هذه العلاقة ويضعفها، رغم أنهم كانوا في أوقات يسعون إلى شد العلاقة، وإكمال ترابطها خاصة عندما تشتد عليهم الأزمات وتضطرهم الظروف إلى إيجاد سند يعينهم على قضاء شؤونهم وإقرار حكمهم.

وتتجلى أهمية هذه العلاقة عندما نرى إيقان النصارى لأهميتها بالنسبة لهم لتحقيق آمالهم في السيطرة على الأندلس والقضاء على الحكم الإسلامي متى كان لديهم القدرة على فصلها؛ ولهذا نجدهم يسيطرون على المنطقة المتوسطة للأندلس والمغرب - العدوة الأندلسية والعدوة المغربية - قبل سيطرتهم على الأندلس، فسيطروا على طريف، والجزيرة الخضراء خلال عهد بني الأحمر [2] وبني مرين [3]، كما سيطروا على سبته سنة 818هـ/ 1415م، وصافي، وآزمور [4]، وطنجة سنة 869هـ/ 1464م، وعلى أصيلا سنة 876هـ/ 1471م [5].



(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص227 – 228، ج7، ص468. الناصري: الاستقصا، ج 2 – 4، ص72.

(2) سقط حكم بني الأحمر عندما سلم السلطان أبو عبدالله محمد ابن الأحمر سنة 897هـ/ 1492م غرناطة للملكين الكاثوليكيين فراندو (Fernando V) وإيزابيلا (Isabella). الحجي: التاريخ الأندلسي، ص568.

(3) سقط حكم بني مرين على يد الأشراف السعديين بسقوط فاس سنة 956هـ. السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص786.

(4) أزمور: ثلاث ضمات متواليات، وتشديد الميم، والواو ساكنة، وتنطق أيضًا أزمورة. هي بلدة بالمغرب، تقع بجبال البربر. انظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص201.

(5) السيد عبدالعزيز: تاريخ المغرب، ص786.

المبحث الثاني

دور مدن العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك بين الطرفين

تُعد مدن العدوة الأندلسية وسيلة الاتصال الأفضل من كافة الجوانب لأي علاقة تمتد جسورها بين الأندلس والمغرب، فلا يكاد يَرِد ذكر للعلاقة بين الطرفين إلا ويرد ذكر إحدى مدن العدوة الأندلسية إن لم يرد ذكر أكثر من مدينة.

وابتداءً من القرن السابع الهجري شكلت مدن العدوة الأندلسية أحد أهم خطوط الدفاع عن مملكة بني الأحمر، وذلك عندما بدأ النصارى يركزون هجماتهم على الأندلس من ناحية الجنوب. فكانت الحاجة الفعلية للاستنجاد ببني مرين حكام المغرب، لحماية مدن العدوة الأندلسية أولًا، وبلاد الأندلس ثانيًا.

وأمام هذا الارتباط كانت مدن العدوة الأندلسية بابًا لدار الإسلام بالأندلس كونها مدخل الأندلس من الجنوب، وبابًا للمغرب لخضوعها لبني مرين لأكثر من مرة، بالإضافة لأدائها دورين مترابطين: الأول: أنها معبر الاتصال بين بري مرين وبني الأحمر عسكريًا وسياسيًا. والثاني: دورها كقاعدة عسكرية لجيوش بني مرين، بحيث تكون منها الانطلاقة لاستصراخ أهل الأندلس، كالحملة التي توجهت لمدينة طليطلة سنة 682هـ/ 1283م[1].

وفي إطار دور مدن العدوة الأندلسية في التعاون المشترك بين بني الأحمر وبني مرين

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص565. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص220. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 425 – 536. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص42 – 57. عبداللطيف الخطيب : نظرة تاريخية وجغرافية على بوغاز جبل طارق، دعوة الحق، ع 8 – 9، السنة السادسة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، ذو الحجة – محرم 1383هـ/ مايو – يونيه 1963م، ص52. عاطف منصور : الكتابات، ص227.

كانت مدن العدوة الأندلسية هبة بين سلاطين بني الأحمر وسلاطين بني مرين تأليفًا للقلوب؛ لإكمال صورة التعاون المشترك على خير حال . وقد تكررت هذه الهبة لبني مرين، فوُهبت ليعقوب بن عبدالحق سنة 674هـ / 1275م، ولأبي الربيع سليمان بن يوسف من بعده. كما وُهبت لبني الأحمر؛ لإظهار حسن نية بني مرين تجاه بني الأحمر، وعدم طمع بني مرين بحكم أرضهم، وهو ما فعله يوسف بن يعقوب تجاه محمد الفقيه(1).

ورغم هذا الدور إلا أن أصل دور مدن العدوة الأندلسية هو تأمين التواصل بين بني مرين وبني الأحمر؛ لتحقيق التعاون العسكري المشترك فيما بينهم، الذي جعل بني الأحمر يستصرخون به إخوانهم بني مرين لمرات عدة. ولتحقيق هذا الدور الذي يلحظ مدى تأثره متى سقطت إحدى مدن العدوة الأندلسية بيد النصارى - بل كان حدوث السقوط يشكل خطرًا حقيقيًا على التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين - نجد أن مدى اهتمام الأسرتين بالمحافظة على مدن العدوة الأندلسية قد امتد إلى الأفق، فبني الأحمر سعوا منذ البداية إلى تسليم هذه المدن إلى بني مرين؛ لكي تكون ضمن معيتهم كونهم أحرص على حماية مدن العدوة الأندلسية لإتمام هدفهم المنشود جزاؤه وأجره من الله تعالى، كما كانوا يأتون بأرزاق جند بني مرين إليها(2).

أما بنو مرين فقد بذلوا قصارى جهدهم لإبقاء مدن العدوة الأندلسية على حال يمكنهم من العبور إلى الأندلس متى شاؤوا، فتارة يشحنونها بالعدة والعتاد والجند

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج 1، ص448 – 449. العمري: مسالك الأبصار، ج 4، ص235 – 236. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 506 – 534 – 535. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص39 – 40. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص309. محمد عنان: دولة الإسلام، ج 4، ص122. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص333. محمد القبلي: المغرب والأندلس والمجال المتوسطي، دراسات، ع 7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، 1995م، ص19.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص305. ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص 36. القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص94. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص309.

لابقائها آمنة من هجمات النصارى، وهذا ما ظهر في حملات يعقوب بن عب د الحق الأربع. وتارة نجدهم يقيمون أسوار مدنها وقلاعها زيادة في حمايتها، كاهتمام السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان بتحصين جبل طارق وإقامة سور على جبله إلى غير ذلك من أساليب العناية والاهتمام[1]. وهذا كله بتعاون مشترك بين الأسرتين، كان لمدن العدوة الأندلسية دور كبير في جمع شمله.

هذا الدور لمدن العدوة الأندلسية ليس بالدور المبالغ فيه، فمنذ بداية العلاقة بين الدولتين ظهرت أهمية هذه المدن، فعندما سيطر النصارى على مدينة طريف 691هـ / 1292م توقفت حملات بني مرين شيئًا ما؛ لخروج طريف عن حوزة المسلمين، ومحاولات النصارى من خلالها إعاقة خروج تلك الحملات[2]. وإحساسًا بهذا الخطر قام بنو مرين وبنو الأحمر ابتداءً من هذه الفترة بتكثيف قوات المسلمين، وخاصة من بني مرين بمدن العدوة الأندلسية رغبة في حمايتها؛ لتأمين الاتصال فيما بينهما وهنا كان نظام مشيخة الغزاة، ذلك التنظيم الفريد من نوعه في تلك الحقبة، وقصد به أن يكون بجنوب الأندلس مجموعة من المقاتلين ممن وهبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله دعمًا لدولة بني الأحمر، تكون قيادتهم لبني مرين القوة الأغلب ضمن هؤلاء المقاتلين وقد كان مقر مشيخة الغزاة بالقرب من جبل طارق، ويمتد تواجدها إلى مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف

لاقى هذا النظام اهتمامًا كبيرًا من قِبل بني مرين، من دعم بالجند والأسلحة والأموال، كتعزيز يعقوب بن عبدالحق لهذه القوة بثلاثة آلاف فارس سنة 674هـ / 1275م، ودعم أبي الحسن المريني لهم بقوات عسكرية سنة 740هـ / 1339م باتفاق مشترك مع سلطان بني الأحمر. كما اهتم سلاطين بني مرين بأمر من يقوم بقيادة الغزاة،

---

(1) ابن الخطيب : كناسة الدكان، ص 29 – 30. الصفدي : أعيان العصر، ج 3. ص396 – 397. العمري : مسالك الأبصار، ج 4، ص235 – 236. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص448 وما يليها . ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 425 – 446. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص39 – 40. بروكلمان : تاريخ الشعوب، ص333.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص291. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص74 – 75.

ومن هؤلاء القـادة: عبدالله بن أبي العلاء المريني أول قادة مشيخة الغزاة، وأبو سعيد عثمان بن أبي العلاء، وعثمان بن إدريس بن عبدالحق وابنه عامر، ويحيى بن عمرو، وإدريس بن عثمان من بني أبي العلى. وبالإضافة لاهتمام سلاطين بني مرين اهتم سلاطين بني الأحمر بمشيخة الغزاة فكانوا على اتصال مستمر بقادة الغزاة، والاجتماع بهم للنظر في أمر الجهاد[1].

ولم يتواكل بنو مرين وبنو الأحمر في التعاون العسكري المشترك ضد النصارى على مشيخة الغزاة المتواجدة بجبهة القتال بمدن العدوة الأندلسية، بل كان لهم تواجد حتَّم عليهم أيضًا التواجد بمدن العدوة الأندلسية فما أن يستصرخ بنو الأحمر إخوانهم بني مرين حتى تعبر جيوش بني مرين إلى مدن العدوة الأندلسية بقيادة حاكم بني مرين أو أحد أبنائه، وتقيم بها لعدة أيام تصل إلى عـدة أسابيع، يتم خلالها اجتماع المجاهدين، وتزويدهم بالعدة والمؤن، كما يتم بها الاجتماع بسلطان بني الأحمر وجنده لمدارسة كيفية قتال النصارى، وما حل بالأندلس بسببهم[2]. ثم يكون الخروج منها لشأن القتال بعد التزود بكل ما يحتاجه الجيش؛ وذلك لأن العدوة الأندلسية مخزن للذخيرة والسلاح للجيوش الإسلامية في هذه الفترة، فجبل طارق أُقيمت به دار صناعة السفن، وبالجزيرة الخضراء مخازن الأسلحة وآلات القتال[3].

ومن حملات بني مرين: حملة يعقوب بن عبد الحق سنة 674هـ/ 1275م، التي عبر بها إلى طريف، والتقى فيها جيش بني الأحمر، ومن ثمّ ساروا للقاء جيش قشتالة وليون قرب مدينة استجة ، وكان النصر بهذه الموقعة حليف المسلمين، كما كان لهذا الجيش

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص64 – 65. ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص31. المقري: نفح الطيب، ج1، ص448 – 449. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223 – 224. رابح المغراوي : التواصل الدبلوماسي، ص68. محمد كمال: يوسف الأول، ص 123. حسين مؤنس : معالم تا ريخ المغرب، ص 451. السامرائي: تاريخ العرب، ص296.

(2) الصفدي: أعيان العصر، ج3. ص396 – 397. محمد كمال: يوسف الأول، ص131 – 132.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص451 – 452. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص465.

الاستقرار بالجزيرة الخضراء طوال فصل الشتاء[1].

ومن هذه الحملات أيضًا حملة أبي الحسن المريني أواخر سنة 740هـ/ 1339م التي استقر بها بمدينة طريف مدة ثلاثة أيام، وافاه بها السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر بجيوشه[2]. ولهاتين الحملتين مثيلات عدة كانت بها مدن العدوة الأندلسية قاعدة لتجمع القوات الإسلامية المشتركة، وتموينها بالمؤن والعتاد وخطير الأسلحة، بعد اجتماع سلاطين الدولتين وقادتهم بها.

وقد تجاوز دور مدن العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك لحماية الأندلس إلى التعاون العسكري المشترك لحماية مدن العدوة الأندلسية نفسها من أي هجوم قد يقع عليها. ولا يقصد هنا اقتصار حماية مدن العدوة الأندلسية على من هي بيده، بل من قِبل الطرف الأخر. فقد قام السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر بإمداد مدينة جبل طارق وهي بسلطة بني مرين، وهو ما كان متفقًا عليه بين الطرفين [3].

ويتجلى الدور الفعلي لمدن العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك عندما تسقط إحدى هذه المدن بيد النصارى، أو تتعرض لهجمة من قبل النصارى، فبمجرد حدوث أحد الأمرين يتجدد الاتصال بين بني الأحمر وبني مرين، وإن كانت العلاقة في أسوأ حالاتها قبل ذلك؛ لحاجة كلا الطرفين إلى بقاء مدن العدوة الأندلسية تحت يدهم؛ كي يتم الإمداد بصورة سلسة بين الطرفين. وتعتبر عودة أبي الجيوش نصر بن الأحمر إلى بني مرين سنة 710هـ/ 1310م، لتجديد المودة بينه وبين السلطان أبي الربيع خير دليل على دور مدن العدوة الأندلسية في هذا الجانب، فقد كان سقوط جبل طارق السبب

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص419. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص38 – 39. محمد كمال: يوسف الأول، ص28 – 29. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص447. السامرائي: تاريخ العرب، ص296.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص305. المقري: نفح الطيب: ج5، ص14 – 15.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص51.

الرئيس في عودة العلاقات بين الطرفين بعد زمن قطيعة ونفور[1].

وتُعد هجمات النصارى على مدن العدوة الأندلسية في هذه الفترة من أبرز دعائم توثيق أواصر التعاون العسكري بين بني الأحمر وبني مرين، وقد أدرك النصارى مدى خطورة دعم بني مرين لإخوانهم في الأندلس، لذلك كان قرارهم التوجه لجنوب الأندلس لإنهاء هذا الدعم بكل ما أتوا من عدد وعدة تجاوزت أرض الأندلس إلى أرض بابا النصارى . ونظير انتصار النصارى با لسيطرة على جبل طارق وغيرها من الانتصارات بالأندلس، ارتأى النصارى ضم الجزيرة الخضراء إلى جبل طارق، فكانت هجمتهم عليها سنة 716هـ/ 1316م بعد معركة فرتونة، لكن السلطان إسماعيل بن الأحمر استطاع أن يبطل هذه المحاولة؛ لعلمه المسبق وتحصينه للجزيرة الخضراء برًا وبحرًا. وحال انفراج هذه المحنة اتجه السلطان أبو الوليد إسماعيل مباشرة إلى السلطان أبي سعيد المريني لطلب العون والمساعدة خوفًا من هجمة مماثلة للنصارى، لاسيما وأن جبل طارق لازال تحت سيطرة النصارى[2].

وأمام هذا التهديد كان لابد من التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين أن يخلص جبل طارق من يد النصارى ويعيده إلى حظيرة الإسلام؛ للإقلال من هجمات النصارى وزيادة تمكين بني مرين من العبور إلى الأندلس دون أدنى خطر يلحق بهم، وهو ما كان منهم.

ففي عام 732هـ/ 1331م كان اجتماع السلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر مع السلطان أبي الحسن المريني بالمغرب للنظر في أمر جبل طارق . وقد خَلُص هذا الاجتماع

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص295. ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص62. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص 111 – 112. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج 2، ص80 – 81. الجيوسي : الحضارة العربية، ج1، ص130.

(2) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 294. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص117. محمد كمال : يوسف الأول، ص32 – 33.

إلى أن منح ابن الأحمر مدينة الجزيرة الخضراء لأبي الحسن لإعانته في العبور إلى الأندلس والمساهمة في محاربة النصارى . فما كان من أبي الحسن إلا أن أعد جيشًا توجه به إلى الجزيرة الخضراء بعد أن أرسل إلى محمد بن إسماعيل مددًا من الخيل وخطير الذخيرة ومستجاد العدة. ومن الجزيرة الخضراء توجه بصحبة جيش ابن الأحمر إلى جبل طارق، فكان ذلك الحصار الذي انتهى يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي الحجة سنة 733هـ / 1332م باستسلام الحامية القشتالية، وتسليم المد ينة للمسلمين بعد سيطرة للنصارى دامت أربعة وعشرين عامًا[1].

وحرصًا على جبل طارق جُعلت السيادة عليه بيد أبي الحسن المريني، فكان خير قائم بأمره بإعادة تحصينه وتسويره بصورة كانت مستبعدة في ذلك الوقت، فقد أحاط سفح جبله بسورٍ إحاطة الهالة على الهلال، إلى جوار بناء الأبراج والمخازن[2]. وباستعادة جبل طارق وانتصارات أبي مالك ابن السلطان أبو الحسن المريني سنة 740هـ/ 1339م على النصارى تحفز بنو الأحمر وبنو مرين إلى استعادة طريف . ولإثمار التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين في استعادة جبل طارق أُعيد هذا التعاون للهدف نفسه، ولكن لاستعادة طريف.

وقد شكل هذا التعاون كلا السلطانين: أبي الحسن المريني، والسلطان أبي الحجاج بن الأحمر بإرسال قوات بلغ عددها ستين ألف مقاتل، مثّل عبور جندها من العدوة المغربية إلى العدوة الأندلسية سلسلة واحدة. وبهذه القوات ضُرب ا لحصار أواخر عام

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص297. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص79 – 80 – 81. ابن الخطيب : كناسة الدكان، ص 29. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص252 – 253. العمري : مسالك الأبصار، ج4، ص235 – 236. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص451 – 452. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص122. عاطف منصور: الكتابات، ص100. الجيوسي: الحضارة العربية، ج 1، ص130. الخطيب : نظرة تاريخية، ص52.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص451 – 452. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص121 – 122. محمد كمال : يوسف الأول، ص144.

740هـ/ 1339م على طريف، ونُصبت عليها الآت عُرفت بالأنفاظ . ورغم كل هذه الأعداد والتجهيزات إلا أن مدة ستة أشهر لم تكن كافية ليستعيد المسلمون مدينة طريف. ولطول فترة الحصار وبقاء المسلمين على حصار طريف تحرك ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة لنجدتها، فالتقى بالمسلمين قرب طريف، والتحمت الصفوف بعضها ببعض. وأثناء هذه الملحمة(1) خرجت حامية قشتالية من طريف قامت بمهاجمة مؤخرة الجيش الإسلامي، مما أدى إلى اختلال صفوف الجيش الإسلامي، وهزيمته يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة عام 741هـ/ 1340م(2).

وبنهاية هذا الانتصار أقام النصارى حصارًا بريًا وبحريًا مشددًا على مدينة الجزيرة الخضراء منعوا من خلاله وصول الإمدادات إليها؛ وذلك للوصول إلى هدفهم المنشود وهو قطع الأندلس عن المغرب، وإنهاء التعاون العسكري المشترك بين حكام الأندلس بني الأحمر وحكام المغرب بني مرين. وخلص هذا الحصار المحكم في نهاية المطاف إلى أن سلّم أهل الجزيرة الخضراء مدينتهم للنصارى بصلح عقد معهم، بعد انتهاء الأقوات من المدينة في سنة 745هـ/ 1344م(3).

ويرى الباحث أن جلد النصارى في هذا الحصار لدليل قاطع على مدى أهمية مدن

---

(1) تعرف هذه الملحمة في المصادر العربية بموقعة طريف، بينما تعرف في المصادر المسيحية بـ Bataalla Del Rio Salado . انظر العفاقي: جبل طارق، ص36.

(2) ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص36 – 37. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 305. المقري : نفح الطيب : ج5، ص14 – 15. ابن خلد ون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص253. محمد كمال : يوسف الأول، ص 123– 124 – 131 – 132. السامرائي : تاريخ العرب، ص299. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج 2، ص85 – 86. محمد المنوني : التاريخ الأندلسي، ص228. شكيب: الحلل، ج2، ص314 وما يليها.
Philip Dennis: Gibraltar, P 39.

(3) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص587. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص227 – 228. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص37 – 38. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص253. القلقشندي : مآثر الأنافة، ج 2، ص154. العمري : مسالك الأبصار، ج 4، ص235 – 236. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص137 – 138. محمد كمال: يوسف الأول، ص139.

العدوة الأندلسية في الصراع القائم مع المسلمين، وهم الذين توانوا في حصارهم لعدد من المدن منها غرناطة حاضرة بني الأحمر[1].

ويتجلى مما سبق فقدان التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين لركنين أساسيين كانا ذا دور بارز في التعاون المشترك فيما بينهما، مما أثّر فعلًا في التعاون بينهم بصورة كادت تؤدي لانقطاع الصلة، لولا بقاء جبل طارق بيدهم، وهو ما أشار إليه أبو الحسن المريني من أن لطف الله عليهم كان باستعادتهم لجبل طارق سنة 733هـ / 1332م[2].

كما كان النصارى وعلى رأسهم ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر يعون مدى الدور المناط بجبل طارق في ظل هذه الظروف، ولهذا أراد ألفونسو الحادي عشر إنهاء آخر عرق يصل بين الأندلس والمغرب، فكانت حملته إلى جبل طارق سنة 750هـ/ 1349م، وبعد حصار دام سنة كاملة عاد جيش قشتالة إلى بلاده يحمل تابوت ملكهم الذي مات بسبب طاعون أصاب جيشه أثناء الحصار، وذلك ليلة عاشوراء سنة 751هـ / 1350م. كما كان لبسالة أهل جبل طارق تعينهم تحصينات المدينة التي أقامها أبو الحسن المريني دور آخر في إبقاء المدينة بعيدة عن يد النصارى[3]، وهو من لُطف الله عز وجل على المسلمين،

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج4، ص403. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص117. محمد كمال : يوسف الأول، ص32.

(2) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص79 - 80 - 81. ابن الخطيب : كناسة الدكان، ص 29. المقري : نفح الطيب : ج1، ص393. القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص252 - 253. العمري : مسالك الأبصار، ج4، ص235 - 236. الناصري : الاستقصا، ج 1 - 3، ص146 - 150. عاطف منصور : الكتابات، ص100. الجيوسي: الحضارة العربية، ج1، ص130. الخطيب: نظرة تاريخية، ص52.

(3) النباهي: تاريخ قضاة، ص 156. ابن الأزرق : بدائع السلك، ج 2، ص587 - 588. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص 37 - 38. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 335. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص451 - 452. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص259. ابن خلدون : تاريخ ابن خل دون، ج7، ص388. الناصري : الاستقصا، ج 1 - 3، ص146 - 150. السامرائي : تاريخ العرب، ص 299. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص85 - 86. محمد كمال: يوسف الأول، ص142.
Philip Dennis: Gibraltar, P 40.

فلو سقط جبل طارق بيد النصارى في هذه المحاولة لكان من اليسير عليهم إنهاء الوج ود الإسلامي بالأندلس.

كانت هذه المحاولة جرس إنذار لبني مرين وبني الأحمر دفعتهم إلى السعي الحثيث لاستعادة مدن العدوة الأندلسية الكائنة بيد النصارى في وقت انشغل به النصارى في حروب دارت فيما بينهم. وتحقق مراد المسلمين على يد السلطان محمد الغني بالله بن يوسف بن الأحمر باستعادة الجزيرة الخضراء بدعم ومعونة من السلطان أبي فارس عبدالعزيز المريني الذي أشار عليه مسبقًا بالتوجه لتحرير الجزيرة الخضراء استغلالًا لظروف النصارى، على أن يقوم السلطان أبو فارس بدعمه بالمال والأساطيل؛ لانشغاله بفتنة أبي الفضل بن أبي سالم وعامر بن محمد.

ويظهر من هذا الحدث أن خطاب السلطان أبي فارس للسلطان الغني بالله شمل بالإضافة لما سبق، كون الجزيرة الخضراء في حال استرجاعها تكون للغني بالله، مما يعطي دلالة إلى أن الأسرتين لا تميز في خضوع مدن العدوة الأندلسية لأحدهما، وتم كل هذا في عام 770هـ/ 1368م[1].

لم يقتصر دور مدن العدوة الأندلسية العسكري على التعاون البري بين بني مرين وبني الأحمر، بل تجاوز ذلك إلى التعاون البحري. فسواحل مدن العدوة الأندلسية أول أرض يضع عليها جند المغرب أقدامهم بالأندلس، كما أنها المستقر الأول لإمدادات المغرب الموجهة لإعانة المجاهدين بالأندلس، كما حدث في عام 733هـ/ 1332م عندما كانت السفن تنقل الإمدادات لنصرة الجيوش الإسلامية المحاصرة لجبل طارق، وعام 741هـ/ 1340م لنصرة الجيوش المحاصرة لمدينة طريف[2].

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص452. الناصري: الاستقصا، ج2 – 4، ص56 – 57.

(2) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص80 – 81. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص 31. المقري : نفح الطيب : ج5، ص14 – 15. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223. أحمد محمد الطوخي : العلاقات الأندلسية الحفصية، بحوث ندوة الأندلس " الدرس والتاريخ "، كلية الآدا ب، جامعة الإسكندرية ورابطة

وقد كانت سواحل مدن العدوة الأندلسية السور الأول للأندلس من ناحية الجنوب، وعليه شن النصارى هجماتهم بعدد من الحملات : أولها : حملة بقيادة أسطول قشتالة سنة 678هـ / 1279م الذي ركز هجمته على سواحل الجزيرة الخضراء دون جدوى، ثم تلا هذا الأسطول أسطول فرناندو الرابع على الجزيرة الخضراء سنة 709هـ/ 1310م[1]. بهذه الحملات وغيرها أيقن كلا الطرفين ـ المسلمين والنصارى ـ بأن الغلبة في جنوب الأندلس ستكون لمن يسيطر على مضيق جبل طارق، وهو ما لامسه الطرفان أثناء الصراع الدائر بينهما.

فالنصارى عند رغبتهم السيطرة على إحدى مدن العدوة الأندلسية كانت خطتهم بأن تسبق أساطيلهم البحرية جيوشهم البرية لفترة تعد طويلة أحيانًا، فسبعة أشهر كانت المدة التي سبق بها أسطول قشتالة جيشها سنة 678هـ/ 1279م عندما أراد القشتاليون السيطرة على الجزيرة الخضراء. وبضعة أشهر أخرى كانت للحملات الموجهة لمدينتي طريف، وجبل طارق. كما كانت قشتالة تكرس نداءاتها لقوى النصارى لفرض السيطرة على مضيق جبل طارق، ومما نتج عنها تلك التجمعات البحرية من قشتالة وأراغون والبرتغال التي وصل عدد سفنها في حملة عام 678هـ / 1279م ضد الجزيرة الخضراء إلى أربعمائة سفينة[2].

وقابل هذا الاهتمام البحري النصراني اهتمام مرادف إسلامي تجلى في اهتمام بني مرين

الجامعات الإسلامية، 2 – 4، ذو القعدة 1414هـ/ 13 – 15 أبريل 1994م، ص68.

(1) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص45. ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص566. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص50 وما يليها. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص 111 – 112. نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج 2، ص80. الجيوسي : الحضارة العربية، ج 1، ص130. السامرائي : تاريخ العرب، ص 296. الخطيب: نظرة تاريخية، ص52.

Salma Khadra: The Legacy, P 79.

(2) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 289. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص566. ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص45. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 535. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص50 وما يليها. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص313.

وبني الأحمر في بناء دور صناعة السفن، كدار الصناعة التي أقامها أبو الحسن المريني بجبل طارق. وكذلك التواجد الفعلي بمياه مضيق جبل طارق متى كان حاضرًا، كان الأمان لمدن العدوة الأندلسية[1].

ومن سياق الأحداث كانت اليد العليا لمن يفرض قوته بمياه المضيق، وإن كان يسيطر على إحدى المدن المطلة على المضيق، فسفن قشتالة عندما اتخذت مدينة جبل طارق قاعدة لها، شكلت خطرًا على السفن الإسلامية المتواجدة بمياه مضيق جبل طارق. وقد تطور حال الأساطيل القشتالية إلى أن دفعت أساطيل بني مرين العابرة بجندهم إلى الأندلس لتأمين طريق العبور أولًا، ثم العبور إلى الأندلس، كما آلت إليه الأمور مع حملة السلطان أبي الحسن المريني سنة 740هـ/ 1339م، فقد تطلب عبور جيش بني مرين إبعاد الأساطيل القشتالية عن طريقهم، ومن ثم تأمين عملية العبور، وأخيرًا عبور جيش بني مرين من ساحل العدوة المغربية إلى ساحل العدوة الأندلسية[2].

وكما كانت أرض الأندلس ساحة للقتال بين المسلمين والنصارى، كانت مياه مضيق جبل طارق ساحة أخرى، شُهِدَ بها صراع مجاور لصراع أرض الأندلس. لكن ساحة مياه المضيق كانت تُرجّحُ كفة الغالب بساحة بر الأندلس، فكفة المسلمين رجحت على النصارى بسبب قدرة أسطولهم سنة 678هـ/ 1279م على فرض السيطرة على مضيق جبل طارق، بعد أن اجتمعت من الأندلس، وطنجة، وبادس، وسلا، وآنفي. وكان لهم نصر مؤزر على أسطول النصارى تم لهم به السيطرة على قائد النصارى الملند. وقد تكرر هذا الحدث في عام 684هـ/ 1285م بصد أساطيل سبته، وطنجة، وبلاد الريف، ورباط الفتح، والمنكب[3]، والجزيرة الخضراء، وطريف لأساطيل النصارى بأمر

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص451. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص50 وما يليها. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص444. محمد كمال: يوسف الأول، ص92 – 144.

(2) الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص136. محمد المنوني: التاريخ الأندلسي، ص 226 – 227. شكيب: الحلل، ج2، ص314 وما يليها. محمد كمال: يوسف الأول، ص137.

(3) المنكب (Almunecar): بلد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، من أعمال إلبيرة، وبينه وبين غرناطة

السلطان يعقوب بن يوسف المريني[1].

وكما رَجحت كفة المسلمين بفضل أساطيلهم المتواجدة بمياه مضيق جبل طارق، كان لأساطيل النصارى كلمة أُخرى فيما بعد؛ بترجيح كفة النصارى . فقد رأت قشتالة أنَّ تحالف السلطان أبي الحسن المريني والسلطان أبي الحجاج بن الأحمر والانتصارات التي تحققت لهما، لن يكون لها حل سوى بالسيطرة على مضيق جبل طارق، وتوجيه الضربة من خلاله. ولهذا كُوِّن أُسطول مشترك من قشتالة وأراغون والبرتغال بقيادة دون جوفري تنوريو بمباركة من البابا ـ حملة صليبية، وبهذا الأسطول تمكن النصارى من الانتصار على جيوش بني مرين البرية والبحرية بقيادة أبي مالك ابن السلطان أبي الحسن سنة 740هـ/ 1339م[2].

وكنتيجة حتمية لمثل هذا الانتصار، كثّف النصارى تواجدهم بمضيق جبل طارق بصورة حفظت لهم استمرارية الغلبة على المسلمين، فتمكنوا من صد حملة أبي الحسن التي قام بها سنة 741هـ / 1340م لأخذ الثأر لهزيمة ولده أبي مالك . كما تمكنوا من السيطرة على مدينتي طريف والجزيرة الخضراء والمحافظة عليهما، حتى أن أسطول قشتالة الذي أُرسل لحماية طريف من محاولة استعادة بني مرين وبني الأحمر له وصف بأنه حال بين الاتصال بين العدوتين الأندلسية والمغربية[3].

أربعون ميلًا. انظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص250.

(1) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 535. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص52 - 61 – 62. الطوخي : العلاقات الأندلسية، ص68. محمد كمال: يوسف الأول، ص92. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص444. السامرائي: تاريخ العرب، ص296.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص253. محمد كمال: يوسف الأول، ص131 – 132. السامرائي: تاريخ العرب، ص296. شكيب: الحلل، ج 2، ص314 وما يليها . محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص126 – 127. الطوخي: العلاقات الأندلسية، ص68. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص325.

(3) ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص36 – 37. المقري: نفح الطيب: ج5، ص14 – 15. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص223. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص253. السامرائي : تاريخ العرب، ص299. محمد كمال: يوسف الأول، ص123 – 124 - 131 – 132. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب،

وصاحب العناية بمدن العدوة الأندلسية والسعي لتحقيق التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين، جهود دبلوماسية من خلال المراسلات واللقاءات بينهما. وقد أسهمت مدن العدوة الأندلسية في هذا المجال بدورين متكاملين: الأول: كونها موضوع دارج لتلك المراسلات واللقاءات. والثاني: شكلت العدوة الأندلسية مقرًا لعدد من تلك اللقاءات، ومعبرًا لتلك المراسلات بين الطرفين.

ويتجلى دور مدن العدوة الأندلسية الأول في أن اهتمام بني مرين وبني الأحمر بها جعل منها محورًا للمراسلات أينما لاح خطر النصارى على إحداها. وقد سُجّل عدد من هذه المراسلات، من أبرزها: كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف بن الأحمر إلى سلطان بني مرين أبي الحسن المريني عندما شاع خبر حركة الطاغية إلى جبل طارق، وكان تحرير هذا الكتاب في الثالث عشر من محرم سنة 750هـ/ 1349م. وإلى جوار هذا الكتاب رسالة بخط الوزير ابن الخطيب من سلطانه الغني بالله بن الأحمر إلى السلطان أبي فارس عبدالعزيز بن أبي الحسن المريني، وهي أيضًا تحمل اسم مدينة جبل طارق عنوانًا لها[1].

ومما يميز هذه الرسائل التي كانت مدن العدوة الأندلسية محورًا لها، أنها لم تكن حِكرًا على السلاطين، فقد سبق هذه الرسائل رسالة من أهل الجزيرة الخضراء سنة 677هـ/ 1278م، خاطبوا من خلالها السلطان يعقوب بن عبدالحق لإنقاذ مدينتهم من حصار ألفونسو العاشر، ونداءات الأندلسيين للسلطان أبي عنان المريني لإنقاذ جبل طارق من هجمة النصارى عليه[2].

أما الدور الثاني لمدن العدوة الأندلسية، فقد كان مكملًا للدور الأول باعتبار مدن

ص452 – 453. الطوخي: العلاقات الأندلسية، ص68.

Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(1) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص29 – 30. لسان الدين ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج1، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1400هـ – 1401هـ/ 1980م – 1981م، ص359. المقري: نفح الطيب: ج4، ص404 وما يليها. محمد كمال: يوسف الأول، ص127 – 128.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص50 – 51. العفاقي: جبل طارق، ص44.

العدوة الأندلسية المعبر الوحيد لكافة مراسلات بني الأحمر وبني مرين الدبلوماسية على كافة نطاقاتها فمحمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر ومحمد بن إسماعيل بن الأ حمر وأبو الحجاج يوسف بن الأحمر عبروا بأنفسهم إلى المغرب عن طريق مدن العدوة الأندلسية لمخاطبة سلاطين بني مرين لإعانتهم ونصرتهم، كما عبر من خلالها وفود سلاطين بني الأحمر إلى سلاطين بني مرين، كالوفد الذي أرسله السلطان أبو زكريا برئاسة حاجبه الأول أبو عبدا لله محمد بن فرحون إلى السلطان أبي الحسن المريني؛ لطلب العون والمساعدة على النصارى. وبهذه الصورة كانت كل وفود بني الأحمر إلى بني مرين[1].

ولهذا الارتباط السياسي والعسكري تناقل بنو مرين وبنو الأحمر حكم مدن العدوة الأندلسية فيما بينهم، بما يُظهر مدى اهتمام ا لطرفين بها، حيث يؤول حكمها للطرف الأكثر قدرة على القيام بها.

وكان فاتحة انتقال مدن العدوة الأندلسية من حكم بني الأحمر إلى بني مرين في عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق بسيطرته على الجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق، بالإضافة إلى مالقة ورندة والمنكب. وكل هذا برضى وموافقة سلطان بني الأحمر محمد الفقيه. ورغم سقوط مدينة طريف بيد النصارى إلا أن بني مرين أعادوها إلى حكمهم دون أي اعتراض من بني الأحمر.

وتبع سيطرة يعقوب بن عبدالحق على مدن العدوة الأندلسية، سيطرة ابنه يوسف الذي بويع بالحكم بقصر والده بالجزيرة الخضراء سنة 685هـ / 1286م ـ كانت وفاة يعقوب بن عبدالحق كما ظهر سابقًا بالجزيرة الخضراء عقب عودته من الجهاد. وعلى هذا المنوال تتابع سلاطين بني مرين على مدن العدوة الأندلسية، رغم سقوط مدنها لأكثر من مرة بيد النصارى. ثم كانت عودتها إلى بني الأحمر آخر حكم بني مرين؛ وذلك عند ما

---

(1) ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص31. ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص80 – 81. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج6، ص515 – 516. المقري: نفح الطيب، ج1، ص449. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص505 – 506. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص74 – 75. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص122.

دب الضعف بدولة بني مرين، ويتأكد هنا أن حكم مدن العدوة الأندلسية كان للأقوى من بني مرين وبني الأحمر[1]. وبيد بني الأحمر استمرت مسيرة مدن العدوة الأندلسية إلى أن خضعت نهائيًا لحكم النصارى[2].

وكان هناك توافق بين بني الأحمر وبني مرين على من يلي مدن العدوة الأندلسية سواءً كان من أبناء الحكام أو أقاربهم كولاية عيسى بن عبدالواحد بن يعقوب بن عبدالحق على الجزيرة الخضراء سنة 682هـ/ 1283م، وولاية الأمير أبي البقاء يعيش بن يعقوب أخي السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني للجزيرة الخضراء وما يليها من الحصون سنة 711هـ/ 1311م، وولاية الأمير أبي بكر السعيد بن أبي عنان المريني جبل طارق سنة 757هـ/ 1356م، الذي خاطبه السلطان الغني بالله بن الأحمر برسالة تؤكد رضاه عن توليته لجبل طارق واعتزازه بذلك، أو من القادة كولاية عبدالعزيز بن يحي بن أبي الدنيا الأنصاري وأخيه يوسف ـ بصورة متتابعة ـ لجبل طارق أيام السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني، وقد امتدت ولايتهم إلى عام 679هـ/ 1280م بوفاة يوسف بن يحيى، وولاية يحيى بن طلحة بن محلي لجبل طارق سنة 733هـ/ 1332م[3].

وقد انعكس هذا التحالف والتعاون بين بني الأحمر وبني مرين بمدن العدوة الأندلسية على أهل هذه المدن، بصورة دفعتهم إلى أن يُسهموا في استدامة هذا التعاون . فنبذ أهل جبل طارق حاكمهم عيسى بن الحسن بن أبي منديل عندما أعلن ثورته

---

(1) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص 27. ابن الخطيب : الإحاطة، ج1، ص562 – 563. مجهول : الحلل الموشية، ص177. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص278 – 279. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص65 – 66. محمد عنان: دولة الإسلام، ج3 – 2، ص572 – 573.

(2) سيتلو هذا المبحث بمشيئة الله مبحث " مقاومة مدن العدوة الأندلسية للحملات الأسبانية حتى سقوطها "، وبه سيتم مناقشة سقوط مدن العدوة الأندلسية بيد النصارى.

(3) ابن الزبير أحمد بن إبراهيم : صلة الصلة، ج 5، تحقيق عبدالسلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1413هـ/ 1993م، ص295. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص429 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص56 – 57 – 104.

واستقلاله[1] في السادس من ذي القعدة من عام 756هـ/ 1355م، بل أعلنوا عصيانهم عليه ومحاصرته بالبرج الأعظم من المدينة بعد تسعة عشر يومًا من إعلانه لثورته، حصار دفعه إلى تسليم نفسه وولده، فقُيّد وأرسل إلى سبته ومنها إلى فاس التي لاقى بها مصيره، حيث حُكم عليه بالإعدام[2].

وبالإضافة لحماية المدينة من داخلها، أسهم أهل جبل طارق بحمايتها من الهجمات الخارجية، ومن ذلك صدهم لحملة حاكم لبلة، دون أن يمنعهم عن حمايتها ذلك العدد الكبير من جند النصارى، فكان لهم النصر، وقتلُ حاكم لبلة وعدد كبير من جنده[3].

ورغم الدور المميز لمدن العدوة الأندلسية وأهلها في التعاون العسكري المشترك إلا أن هذا الدور شابته بعض الشوائب تسببت بعض الأحيان بشيء من الفرقة والعداوة بين الأسرتين، كان أفراد الأسرتين وأتباعهم سبب حدوثها لا مدن العدوة الأندلسية . فمدينة طريف حاول السلطان محمد الفقيه انتزاعها من حكم بني مرين خوفًا على ملكه بإعانة من ألفونسو العاشر الذي غدر به، وسيطر على مدينة طريف وضمها إلى حوزته، مما أدى إلى زيادة الهوة بين محمد الفقيه سلطان بني الأحمر ويوسف بن يعقوب سلطان بني مرين سنة 691هـ/ 1291م[4]. ومما يؤكد أن هذه الشائبة كان سببها السلاطين وليس أهل طريف، أن سقوطها أعاد هؤلاء السلاطين إلى جادة الصواب بالعودة

---

(1) يرى الباحث أن هذا الثائر كان يرجوا نصرة النصارى، لكن توقيته لم يكن جيدًا، فبهذه الفترة كانت دول النصارى تعاني حروبًا داخلية فيما بينها.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص23 وما يليها. ابن الخطيب: ريحانة الكتاب، ج 1، ص235. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص107. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص139 – 140. جمعه شيخه: الفتن والحروب، ج1، ص302.

(3) محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص161.

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص221، ج7، ص285. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 505. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص74 – 75. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج 2، ص75 – 76. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص333.

للتعاون العسكري المشترك بينهم.

لكن روح التنافس بين هؤلاء السلاطين دفعتهم لمرات عدة إلى التنافس على مدن العدوة الأندلسية، ولجبل طارق في هذا الباب شواهد تذكر، أولها : إرسال السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب أخاه عبدالله المعروف بسيدي عبو إلى جبل طارق لاستلامها من أهلها، فكان اصطدام عبدالله بالقوة التي أرسلها السلطان يوسف بن الأحمر لدعم حاكم جبل طارق، عندما علم بهذا الاتفاق . وقد انتهى هذا الاصطدام بانتصار الجيش الغرناطي، وأسر عبدالله بن يعقوب قائد حملة بني مرين[1].

وثاني هذه الشواهد: محاولات السلطان يوسف بن الأحمر السيطرة على جبل طارق وانتزاعه من يد بني مرين، محاولات دامت من عام 813هـ/ 1410م إلى عام 815هـ / 1412م، ختمت بخضوع جبل طارق لبني الأحمر[2].

ومما أُشركت به مدن العدوة الأندلسية في النزاع بين بني مرين وبني الأحمر استخدام جبل طارق كمفر للوزير ابن الخطيب غرة جمادى الأولى سنة 772هـ / 1370م، وذلك بعدما خاطب السلطان أبو فارس عبدالعزيز المريني طالبًا إيواءه من سلطانه الغني بالله ابن الأحمر[3]. ومن هذه الشواهد يتجلى كيفية تحويل سلاطين بني الأحمر وبني مرين لمدن العدوة الأندلسية إلى مناطق نزاع وصراع فيما بينهم كانوا هم السبب الوحيد لها.

وبعيدًا عن نزاعات هؤلاء السلاطين، يُظهر نصارى أسبانيا بصفة قاطعة دور مدن العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين . فمنذ بداية

---

(1) ابن فركون : ديوان ابن فركون، ص 70 – 71. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص449. جمعه شيخه : الفتن والحروب، ج 1، ص333 وما يليها . محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص153. الخطيب : نظرة تاريخية، ص53.

(2) ابن فركون: ديوان ابن فركون، ص 70 – 71. جمعه شيخه : الفتن والحروب، ج 1، ص333. محمد عنان : دولة الإسلام، ج4، ص153.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص318. ابن الخطيب: روضة التعريف، ج1، ص22. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص582 – 583. الناصري: الاستقصا، ج2 – 4، ص58.

التعاون العسكري المشترك بين الأسرتين أيقن النصارى أنه لابد لهم من محاربة وحدة المسلمين، وكان العامل الأمثل لإحداث الفرقة بين طرفي الوحدة الإسلامية هو قطع الاتصال بينهما بالسيطرة على مدن العدوة الأندلسية.

ولكي يحقق النصارى مبتغاهم كثفوا وركزوا حملاتهم على مدن العدوة الأندلسية، بصورة يمكن وصفها بأن مدن العدوة الأندلسية في هذه الفترة كانت الشغل الشاغل للنصارى. فكل مدينة من مدن العدوة الأندلسية تعرضت لأكثر من محاولتين للسيطرة عليها من قِبل النصارى، امتازت كل تلك المحاولات بالجدية أثناء القيام بها، فحملات تجمع بين القوات البرية والبحرية، وحملات تستخدم المجانيق والآلات الحربية، وأخرى تُقام لها المساكن الخشبية لإطالة الحصار، بالإضافة لعدد من الحملات تجمع أكثر من صورة جدية للسيطرة على أيٍ من مدن العدوة الأندلسية[1].

ومن تلك الحملات ـ من باب ضرب المثل لا الحصر ـ حملة ألفونسو العاشر على مدينة طريف سنة 691هـ/ 1291م، حيث حاصرها بقوات برية وبحرية، كما نصب عليها المجانيق والرعّادات إلى أن تمكن منها آخر يوم من شوال. وحملة ألفونسو الحادي عشر على جبل طارق سنة 750هـ/ 1349م التي بنى بها بيوتًا للجند المحاصرين لجبل طارق، وهذا ما يؤكد رغبته في حصار جبل طارق إلى أن يسقط، وإن طال أمد الحصار[2].

والى جوار جدية محاولات النصارى، كان إصرارهم على السيطرة على مدن العدوة

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص137 – 138. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص 452 – 453. محمد المنوني: التاريخ الأندلسي، ص226 – 227.

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 4، ص330 – 331. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 291. النباهي : تاريخ قضاة، ص 156. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص259. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص221 – 234، ج7، ص285 – 286. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 501 – 502 – 538. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص74 – 75 – 137 – 138. محمد المنوني : التاريخ الأندلسي، ص 226. شكيب: الحلل، ج2، ص314 وما يليها.

الأندلسية يدفعهم إلى تكرار المحاولة بعد كل محاولة غير مثمرة . فعند النظر في تلك المحاولات نجدها تكررت على كل مدينة أكثر من مرة، وشكّل بها نصارى أسبانيا تحالفات لم تظهر بكثرة عند محاصرتهم لمدن الأندلس الأخرى، بل تجاوزوا بهذه التحالفات إلى إشراك إخوانهم النصارى من البرتغال. فمعركة طريف البحرية تحالف بها ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة مع ألفونسو الرابع ملك البرتغال. كما استمد ألفونسو الحادي عشر قوته من الروح الصليبية لأوربا عندما حاصر الجزيرة الخضراء مدة عشرين شهرًا في عام 741هـ/ 1340م إذ حظا بدعم القوى الأوروبية له . ووصل مدى هذه التحالفات إلى أن تحالفت قشتالة مع مملكة إنجلترا[1].

ونتيجة حتمية لهذا الإصرار نال النصارى مدن العدوة الأندلسية كلها، لكن لفترة مؤقتة؛ فلا زال المسلمون يمتلكون شيئًا من القوة مكنتهم من استعادة مدن العدوة الأندلسية، مع اختلاف زمني لفترة استرجاع تلك المدن من يد النصارى، كان أطولها لجبل طارق حيث بقي بيد مملكة قشتالة من عام 709هـ/ 1309م إلى عام 733هـ/ 1332م، أي أن مدينة جبل طارق رضخت لحكم النصارى مدة أربعة وعشرين عامًا[2].

وقد كان حصول النصارى على إحدى مدن العدوة الأندلسية بمثابة من نال خِطام دابته بعد فقدانها في أرض فلاه، فألفونسو العاشر رفض في عام691هـ/ 1291م عرض

---

(1) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص92 – 93. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص 36 – 37. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 4، ص185 – 332 – 333. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص253. شكيب : الحلل، ص314. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص85 – 86. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص452 – 453. الطوخي : العلاقات الأندلسية، ص 68. شكيب : الحلل، ج 2، ص314 – 315. محمد كمال: يوسف الأول: ص241. الخطيب: نظرة تاريخية، ص52 – 53.

Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(2) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص29. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص535. القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص252 – 253. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص121 – 146 – 150. عاطف منصور : الكتابات، ص100. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص81. الجيوسي: الحضارة العربية، ج 1، ص130. الخطيب: نظرة تاريخية، ص52 – 53.

محمد الفقيه الذي قايضه بدلًا عن طريف بستة حصون هي : حصن شكبيش، وحصن طبيرة، وحصن نقلة، وحصن بليس، وحصن قشتل، وحصن المسجير؛ وذلك ليس لعدم أهمية هذه الحصون الستة، بل لمدى اهتمامه بمدينة طريف إحدى مدن العدوة الأندلسية . كما امتنع حاكم طريف قزمان الطيب (Cuzman el Bueno) من تسليم المدينة للمسلمين سنة692هـ/ 1292م، رغم تهديدهم له بقتل ابنه، وقتله أمام عينيه[1].

وكانت مدن العدوة الأندلسية، جبل طارق، والجزيرة الخضراء، وطريف قد أدت جميعها دورًا مميزًا في التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين، ارتقى في دور من أدواره للتعاون الإسلامي بإقامة تعاون مشترك لأجلها بين دولة بني مرين ودولة المماليك، مثّل طرفيه السلطان أبو الحسن المريني والملك أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن قلاوون[2] سنة 745هـ/ 1344م[3]، دفعهم لذلك الأحداث السابقة بالعدوة الأندلسية، والتي لامسوا من خلالها مدى أثر فقدان إحدى مدن العدوة الأندلسية في مساعدة الأندلس عسكريًا.



(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص502. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص314 – 315.
Huge Seymour – Davies: Andalusia, Philips Travel Guides, Italy, 1990, P 78.

(2) إسماعيل بن محمد بن قلاوون: الملك الصالح بن الملك الناصر بن الملك المنصور عماد الدين أبو الفداء، تولى حكم دولة المماليك يوم الخميس الثاني عشر من شهر محرم سنة 743هـ/ 1342م، وكانت وفاته في رابع ربيع الأخر سنة 746هـ. انظر الصفدي: أعيان العصر، ج1، ص524 - 525.

(3) الصفدي: المصدر السابق، ج 3، ص401 وما يليها . القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص212 – 213. المقري: نفح الطيب، ج1، ص398. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص144 وما يليها. محمد كمال: يوسف الأول، ص125.

المبحث الثالث

مقاومة مدن العدوة الأندلسية للحملات الأسبانية

حتى سقوطها

اعتبر نصارى أسبانيا مدن العدوة الأندلسية خط الدفاع الأول عن الكيان الإسلامي بالأندلس، وذلك ابتداءً من القرن السابع الهجري؛ لِمَا حققه التعاون العسكري المشترك بين قوى المغرب وقوى الأندلس على عهد ملوك الطوائف، وحكام المرابطين، وحكام الموحدين من نجاح باهر في الصراع الدائر مع نصارى أسبانيا، كان من نتائجه انتصارات كبيرة، كانتصارهم بمعركة الزلاقة، ومعركة الأرك[1].

ويعود سبب تحول نصارى أسبانيا في محاربة الأندلسيين من جهة شمال الأندلس إلى جهته الجنوبية ـ مدن العدوة الأندلسية ـ لمعرفتهم بأن قوة المسلمين بالأندلس أصبح مصدرها قادمًا من بلاد المغرب، خاصة مع التزام الموحدين وبني مرين بخطى المرابطين في دعم الأندلس ومساعدته ضد نصارى أسبانيا لا لشيء سوى الرغبة في حماية الكيان الإسلامي بالأندلس بمجاهدة النصارى.

فبنو مرين ـ كما ظهر في المبحث السابق ـ جعلوا من مدن العدوة الأندلسية قواعد عسكرية لجندهم، وبها أقاموا نظام مشيخة الغزاة، كما جعلوا من مياه مضيق جبل طارق، وتحديدًا سواحل مدن العدوة الأندلسية قواعدَ بحرية لأساطيلهم، ودورًا لصناعتها،

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص12 – 13 - 87. ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، ص 91. ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص218. مجهول: الحلل الموشية، ص51. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 7، ص117. ابن الأثير: الكامل، ص 1834 – 1835. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص443، ج4، ص246. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 183 – 184 – 292. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص34 – 35 – 187. علي أحمد: ظهور حركة الاسترداد، ص171. ليلي نجار : المغرب والأندلس، ج 1، ص177 – 178. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص390 – 391. ليفي بروفنسال: حضارة العرب، ص23.

فكان لأول حكامهم يعقوب بن عبدالحق جهد واضح في نصرة أهل الأندلس والتصدي لنصارى أسبانيا عدة مرات بيسر وسهولة[1]. بل شكلت حملات يعقوب ضربات موجعة للقوى النصرانية، فشهد عام 672هـ / 1273م حملة الأمير أبي منديل بن السلطان يعقوب، التي خاض بها ساحة القتال مع نصارى أسبانيا بعد مروره بالجزيرة الخضراء . كما شهد عام 673هـ / 1274م حملة أخرى في السادس عشر من ذي القعدة يقودها الأمير أبو زيان توغل بها دار الحرب بعد إقامته بطريف ثلاثة أيام. وكان لكلا الأخوين انتصارات باهرة ضد النصارى[2].

وبعد هاتين الحملتين كانت الضربة الأكثر إيلامًا للنصارى على يد السلطان يعقوب نفسه، وهي الحملة التي أظهرت فعلًا الدور المناط بمدن العدوة الأندلسية . فجنود هذه الحملة أُرسلوا إلى طريف في شهر ذي الحجة من عام 673هـ/ 1274م، بينما كان عبور قائدهم السلطان يعقوب إليهم في شهر صفر من العام التالي ـ 674هـ/ 1275م ـ وهذا ما يؤكد تجاوز طريف دور العبور إلى دور التعبئة . ومن طريف تو جه السلطان يعقوب بحملته ليقابل نصارى أسبانيا بمعركة استجه بقيادة الدون نونيو دي لار صهر حاكم قشتالة ألفونسو العاشر، وقد كانت نهاية هذه المعركة انتصار المسلمين ومقتل قائد النصارى الدون نونيو[3].

لم يكتفِ السلطان يعقوب بهذا الانتصار، فبعد أن أعاد تنظيم جيشه بالجزيرة الخضراء أعاد الكرّة على النصارى بحصار مدينة إشبيلية حتى طلب أهلها الصلح منه، فعاد عنها إلى الجزيرة الخضراء، ومنها إلى المغرب بعد أن أبقى بالجزيرة الخضراء ثلاثة

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص64 – 65. ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص31. المقري: نفح الطيب، ج1، ص448 – 449. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص221. رابح المغراوي : التواصل الدبلوماسي، ص68. محمد كمال: يوسف الأول، ص92.

(2) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج 4، ص220. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 464. الناصري : الاستقصا، ج1 – 3، ص38 – 39.

(3) السامرائي: تاريخ العرب، ص296.

آلاف فارس . وبعد هذه الحملة كانت خاتمة حملات السلطان يعقوب في الثامن والعشرين من محرم سرق 676هـ/ 1277م انطلاقًا من الجزيرة الخضراء بعد ثلاثة أيام استقر بها بجنده، وقد كانت وجهتها مدينة إشبيلية[1].

وبهذه الحملات تأكد للنصارى كون مدن العدوة الأندلسية خطرًا عليهم بدعمها الملموس للقوى الإسلامية المقاتلة لهم. وهو ما ليس بجديد على نصارى أسبانيا، فقد سبق كل هذه الحملات اشتراط ألفونسو العاشر أن يضع يده على مدن العدوة الأندلسية عندما طلب منه محمد بن نصر بن الأحمر سنة 660هـ / 1261م أن يساعده في السيطرة على مدن ساحل المغرب الشمالية. ولعدم نيل ألفونسو العاشر مراده؛ لرفض السلطان محمد طلبه، قرر ألفونسو العاشر القيام بمحاولاته العسكرية على مدن العدوة الأندلسية بنفسه[2].

وهنا كانت حملة مملكة قشتالة بدعم من مملكة أراغون، سعى بها النصارى بكل قوتهم للسيطرة على الجزيرة الخضراء، وذلك في عام 677هـ / 1278م، وللسيطرة على الجزيرة الخضراء أقام النصارى عليها حصارًا بحريًّا وبريًا سبقت به الأساطيل البحرية الجيوش البرية بستة إلى سبعة أشهر. وقد حرص النصارى على أن يكون هذا الحصار محكمًا، وصلوا به لدرجة منعوا بها وصول أي شيء إلى الجزيرة الخضراء سوى ما كان يأتي به الحمامُ من رسائل قادمة من جبل طارق. كما أن هذا الحصار أدّى لسقوط عدد كبير من أهل الجزيرة الخضراء صرعى من الجوع والسهر على الأسوار.

ولخلاص الجزيرة الخضراء من يد النصارى الذين أشرفوا على إخضاعها، كتب السلطان يعقوب إلى أهل الثغور بإعداد الأساطيل وعمارتها، فبذلوا قصارى جهدهم، وكان للفقيه أبي خاتم العزفي حاكم سبته الصدارة في ذلك بإعداده لخمسة وأربعين

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص565. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص422. السامرائي : تاريخ العرب، ص296.

(2) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص446. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج1، ص73 – 74.

أسطولًا. وبكل ما أُعد وجه السلطان يعقوب حملة بقيادة ابنه يوسف من طنجة أوائل صفر عام 678هـ/ 1279م. وقد نجح المسلمون في صد حملة النصارى، وإنقاذ الجزيرة الخضراء من حصارهم في منتصف شهر ربيع الأول[1].

ولاستمرارية السلطان يعقوب في حملاته الجهادية بالأندلس ضد النصارى، كمهاجمته لقرطبة وطليطلة، وفتحه لعدد من الحصون في عام 682هـ/ 1283م رأى النصارى أنه لابد لهم من إنهاء هذه الحملات بقطع طريق القوات المغربية عن الأندلس؛ بالسيطرة على مياه مضيق جبل طارق . وهنا كانت محاولتهم سنة 684هـ/ 1285م لعلمهم بانشغال السلطان يعقوب بحصار مدينة شريش الذي كرّس لأجله كافة قواه، ومنها تزوده بالمجانيق والسهام وآلات الحرب من الجزيرة الخضراء عن طريق أساطيل جزيرة كبتور

ورغم انشغال السلطان يعقوب بأمر شريش إلا أنه أحسن التصرف تجاه الأسطول النصراني بالإسراع في صده قبل فرض سيطرته على المضيق، وذلك بإيعازه إلى مدن السواحل سبته، وطنجة، والمنكب، وطريف، والجزيرة الخضراء بصد أساطيل النصارى، فتوجه ستة وثلاثون أسطولًا مكتمل العدة، أذهل خروجهم أساطيل النصارى، ودفعهم للعودة على أعقابهم[2].

ورغم فشل كل محاولات نصارى أسبانيا في السيطرة على مدن العدوة الأندلسية إلا أنهم لم يكفوا عنها، بإبدال الهجوم العسكري إلى إعمال الحيلة للوصول لمبتغاهم . فألفونسو العاشر قام بإشعال الفتنة بين محمد الفقيه سلطان بني الأحمر ويوسف بن يعقوب سلطان بني مرين بإثارة شكوك محمد الفقيه حول نيّة بني مرين تجاه الأندلس،

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص566. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص45. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص535. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص50 وما يليها. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص313.

(2) مجهول : الحلل الموشية، ص 176. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص448 – 449. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص220 – 221. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 465. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص42 – 56 – 57 – 61 – 62.

ورغبتهم في السيطرة عليها متى حانت لهم الفرصة، ولمنع ذلك يجب انتزاع مدينة طريف أكبر ثغور العدوة الأندلسية من أيدي بني مرين وإعادتها إلى بني الأحمر . ولهذا الأمر كان الاتفاق بين محمد الفقيه وألفونسو العاشر بأن يتكفل محمد الفقيه بتموين الحملة بكل ما تحتاجه من مؤن وعتاد، على أن يتعهد أمر حصار طريف وإسقاطها ألفونسو العاشر.

وبحلول أول يوم من جمادى الآخرة سنة 691هـ/ 1291م ضرب ألفونسو العاشر حصارًا بحريًا وبريًا على مدينة طريف، نصب خلاله المجانيق والرعّادات لمدة خمسة أشهر، انتهت بطلب أهل طريف الصلح. وكان دخول ألفونسو العاشر لمدينة طريف آخر يوم من شهر شوال. وبسيطرة ألفونسو العاشر على طريف ظهرت حيلته بامتناعه عن إكمال اتفاقه مع محمد الفقيه بتسليمه طريف حال استيلائه عليها، بل رفض التنازل عنها مقابل الحصون الستة التي قدمها له محمد الفقيه نظير تسليمه طريف . وهنا كان السقوط الأول لإحدى مدن العدوة الأندلسية بيد نصارى أسبانيا، والتي جعلوا منها عينًا لهم على مضيق جبل طارق[1].

إن فُقدان مدينة طريف كان له أثر بالغ على المسلمين، وأولهم محمد الفقيه الذي سعى لإعادة العلاقة مع بني مرين، متوجًا ذلك بعبوره إلى المغرب في عام 692هـ / 1292م، وحاملًا للهدايا طلبًا للصفح عما قام به تجاه طريف. وكان الصفح من السلطان يوسف، الذي أمر وزيره عمر بن السعود بن خرباش الحشمي بقيادة حملة ترافق السلطان محمد الفقيه لاستعادة طريف، فما كان من عمر بن السعود إلا أن ضرب الحصار على طريف لفترة زمنية، عاد بعدها خالي الوفاض لبلاد المغرب. وتشير المصادر الأجنبية إلى أن فشل حملة عمر بن السعود عائد لبطولة قائد الحامية القشتالية بطريف

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص291. المقري: نفح الطيب، ج1، ص448 – 449. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص221 – 234، ج7، ص285 – 286. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 501 – 502 – 538. السامرائي: تاريخ العرب، ص296.

قزمان الطيب[1].

ولأهمية طريف وحاجة دولتي بني الأحمر وبني مرين لها أعاد السلطان يوسف الكرّة عليها في عام 693هـ/ 1293م يصحب معه الوزير عمر بن السعود رغبة في الاستفادة من خبرته السابقة في حصار طريف، لكن طريف استعصت عليهم للمرة الثانية فعادوا عنها إلى بلاد المغرب[2].

ولعودة العلاقات السيئة بين بني مرين وبني الأحمر بعد وفاة السلطان محمد الفقيه سنة 701هـ/ 1301م؛ لإساءة ابنه السلطان محمد المخلوع التعامل مع بني مرين، ومن بعده خليفته أبو الجيوش نصر بن محمد، لم تحدث أي محاولة لاستعادة مدينة طريف، بل استغلت هذه الأحوال السيئة من قِبل نصارى أسبانيا الذين وجدوا بها فرصة سانحة لهم للانقضاض على مدينتي جبل طارق والجزيرة الخضراء[3].

ففي عام709هـ/ 1309م اتفق فرناندو الرابع ملك قشتالة مع خايمي الثاني ملك أراغون على مهاجمة دولة بني الأحمر، وذلك بمهاجمة خايمي الثاني لمدينة المرية، وفرناندو الرابع للعدوة الأندلسية، ثم يتحد الطرفان بعد تحقيق هدفهم الأول للاستيلاء على مدينة غرناطة. وفي الحادي والعشرين منصفر كانت قوات قشتالة البرية والبحرية أمام مدينتي جبل طارق والجزيرة الخضراء، وبدأت شن حصار مشدد على المدينتين انتهى آخر شعبان عام709هـ/ 1309م، أي بعد بضعة أشهر من بدء الحصار باستيلاء فرناندو الرابع على

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص286. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص505 – 506. الناصري : الاستقصا، ج1 – 3، ص74 – 75. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص314 – 315.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص505 – 506.

(3) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص316 – 317. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص100 – 101. محمد كمال: يوسف الأول، ص 31. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص316. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص115. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص 111 – 112. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص80 – 81.

جبل طارق وإفراجه عن الجزيرة الخضراء اكتفاءً بمكسبه الأول جبل طارق[1].

بهذا الحدث ضُمت مدينة جبل طارق ومدينة طريف، كلتاهما إلى حكم قشتالة التي بدأت تصب غاراتها على أراضي بني الأحمر وبني مرين، بالإضافة لترصدها للسفن الإسلامية العابرة لمضيق جبل طارق؛ بفضل سيطرتها على مدينتين من مدن العدوة الأندلسية، في وقت لازال به التعاون العسكري بين بني الأحمر وبني مرين على درجة من الضعف تُعيق إمكانية القيام بدور يذكر تجاه مدن العدوة الأندلسية رغم الإفاقة المتأخرة لأبي الجيوش تجاه أبي الربيع سلطان بني مرين؛ لإعادة علاقة التعاون كما كانت عليها[2].

ويرى الباحث أن سقوط جبل طارق وطريف عائد لسبب رئيس يتمثل في عدم إحسان سلاطين الدولتين أمر حماية مدن العدوة الأندلسية، وحتى أمر استرجاعها، وذلك لإنشغالهم في الخلاف والنزاع فيما بينهم.

ورغم هذا الضعف إلا أن أهمية الجزيرة الخضراء ازدادت لدى حكامها بني مرين، كونها آخر رابط يشد المغرب بالأندلس. ولهذا اهتم بني مرين بأمرها في صور لو كانت سابقة لهذه الأحداث لما سقطت مدينتي جبل طارق وطريف بيد نصارى أسبانيا، ففي عام 711هـ/ 1311م عين السلطان أبو سعيد عثمان المريني أخاه أبا البقاء يعيش على الجزيرة الخضراء، وبعد عام من ذلك ـ 712هـ/ 1312م ـ تنازل أبو سعيد بالجزيرة الخضراء لحكم بني الأحمر الأكثر استقرارًا في هذا الوقت، والأقدر على القيام بشؤونها؛

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص339. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص62. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص121. عاطف منصور: الكتابات، ص100. محمد كمال: يوسف الأول، ص31. الجيوسي: الحضارة العربية، ج1، ص130. أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص316. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص115. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص 111 – 112. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص80 – 81.

Salma Khadra: The Legacy, P 79.

(2) محمد كمال: يوسف الأول، ص 31. الجيوسي: الحضارة العربية، ج 1، ص130. مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص111 – 112. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج2، ص80 – 81.

لانشغال بني مرين بشئونهم الداخلية ـ حدثت فتن ونزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة في هذه الفترة[1].

واستغلالًا لتردي الظروف السياسية والعسكرية للمسلمين، عزم نصارى أسبانيا على الاستفادة من هذه الأوضاع بالإجهاز على آخر مدينة بالعدوة الأندلسية؛ ليسهل عليهم القضاء على الكيان الإسلامي بالأندلس . وتحقيقًا لذلك أعدّتْ قشتالة قواتها لغزو الجزيرة الخضراء في عام 716هـ/ 1316م، لكن سرعة تصدي السلطان إسماعيل بن الأحمر لحملة قشتالة، بحمايته للجزيرة الخضراء برًا وبحرًا، دفعت قوات قشتالة لتغيير مسيرتها إلى مدينة غرناطة[2].

ونتيجة لمحاولة نصارى أسبانيا السيطرة على الجزيرة الخضراء والإحساس بخطر ذلك، قامت المقاومة الإسلامية بقيادة القائد يحيى بن أبي طالب العزفي في نفس العام ـ 716هـ/ 1316م ـ بمحاولة لاستعادة جبل طارق من الحكم القشتالي، وقد تمكن العزفي بعد حصاره لجبل طارق عدة أيام من دخول ربضه دون السيطرة عليه[3].

وحرصًا على الجزيرة الخضراء من هجوم نصارى أسبانيا المتوقع حدوثه في أي وقت، أعاد محمد بن إسماعيل بن الأحمر حكمها إلى اللطان أبي سعيد عثمان المريني، وذلك أيضًا لاشتداد حملات نصارى أسبانيا على غرناطة، وكان ذلك في عام 729هـ/ 1328م. كما تحرك السلطان محمد بن إسماعيل في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة 732هـ/ 1331م إلى المغرب لطلب نجدة وعون السلطان أبي الحسن من اشتداد وطأة النصارى على بلاده . ولإنجاد الأندلس رأى السلطان أبو الحسن أن ذلك لن يتم إلا باستعادة مدن العدوة الأندلسية. فما كان منه إلا أن وجه ابنه أبا مالك على رأس حملة عسكرية برية وبحرية تقدر

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص104. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص122.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص234. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص117. محمد كمال : يوسف الأول، ص32.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص528.

بخمسة آلاف مقاتل، ضرب بها الحصار على جبل طارق بمساعدة السلطان محمد ابن إسماعيل إلى أن أُجبرت الحامية القشتالية على تسليم المدينة في يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي الحجة من عام733هـ/ 1332م، فعادت مدينة جبل طارق إلى حاضرة الإسلام بعد أن دامت تحت حكم القشتاليين مدة أربعة وعشرين عامًا[1].

وما إن وضع أبو مالك يده على جبل طارق حتى سارع إلى تز ويده بالعدة والعتاد والذخيرة من الجزيرة الخضراء بعد أن أقام بالجبل يحيى بن طلحة بن محلي وزير والده، وقد بذل في ذلك جهدًا كبيرًا لدرجة أنه أخذ ينقل المؤن على فرسه، يماثله في ذلك السلطان يوسف بن الأحمر، وقد اتخذ أبو مالك هذا الإجراء خوفًا من عودة النصارى لوضع أيديهم على جبل طارق قبل استقراره بيد المسلمين[2].

وقد كان حرص أبي مالك في محله، فما استعاد المسلمون جبل طارق حتى سارع ألفونسو الحادي عشر بنفسه يقود جنده لإعادة السيطرة على جبل طارق . ولفرض السيطرة على جبل طارق ضرب ألفونسو الحادي عشر أسواره بالمجانيق، وذلك في عام 734هـ/ 1333م، حيث عاد ألفونسو الحادي عشر عن جبل طارق دون أن يحقق ما كان يصبو إليه. وبإنهاء ألفونسو الحادي عشر حصار جبل طارق ظهر مدى حرص السلطان أبو الحسن على جبل طارق؛ بتحصينه بكافة وسائل الدفاع، وإقامة دار لصناعة السفن به، وتزويده بالذخائر والمؤن؛ لكي يبقى بمأمن من هجمات النصارى التي لن تبتعد طويلًا عن العدوة الأندلسية[3].

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص535. ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص31. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص80 – 81. ابن الخطيب: كناسة، ص29. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 297. المقري : نفح الطيب، ج1، ص451 – 452. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص212 – 213. العمري : مسالك الأبصار، ج4، ص235 – 236. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص121 – 122. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص144. عاطف منصور: الكتابات، ص100. محمد كمال: يوسف الأول، ص32 – 33.
Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص121 – 122.

(3) ابن الخطيب : الإحاطة، ج3، ص152. ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص79. شمس الدين محمد بن أحمد

ولخسارة النصارى لجبل طارق وعدم تمكنهم من استعادته، أذاقت جيوشهم مملكة غرناطة ويلات الحرب، حتى اندفع السلطان أبو الحجاج بن الأحمر لطلب المساعدة من السلطان أبي الحسن المريني الذي أرسل ابنه أبا مالك لدفع ضرر نصارى أسبانيا عن مملكة غرناطة . ورغم بعض ما حققه أبو مالك من انتصارات، إلا أن هزيمته سنة 740هـ/ 1339م في تلك المعركة الدموية، ومقتله بها، كانت بداية غلبة النصارى على المسلمين بساحة العدوة الأندلسية[1].

فلما أن علم أبو الحسن بما حدث لابنه حتى أعدّ العُدة لخوض غمار القتال مع النصارى ثأرًا لمقتل ابنه، وسعياً في وقت واحد لاستعادة مدينة طريف من يد النصارى . ولهذه المعركة استعان أبو الحسن بالسلطان الحفصي المتوكل بن أبي يحيى، الذي أمده بحملة عسكرية مكونة من ست عشرة قطعة بحرية بقيادة زيد ابن فرحون قائد أسطول بجاية، كما شاركه هذه الحملة السلطان أبو الحجاج بن الأحمر . بهذا التحالف ضرب أبو الحسن حصارًا بريًا وبحريًا على مدينة طريف بعد عبور شاق لمضيق جبل طارق حيث كانت به أساطيل نصارى أسبانيا تحاول منعه من العبور إلى الأندلس بأمر من ألفونسو الحادي عشر، رغم أن عبور قوات بني مرين كان بمئة وأربعين جفنًا غزويًا.

وما إن عبر أبو الحسن إلى الأندلس ثالث محرم من عام 741هـ / 1340م حتى ضرب الحصار على طريف بقوات بلغ عددها ستين ألف مقاتل، ونصب آلات الحرب عليها. كما عيّن محمد بن العباس بن تاحضريت واليًا على الجزيرة الخضراء، وزوده بمدد

الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلتى قولاج، ج 3، ط1، منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، 1416هـ/1995م، ص1541 . المقري : نفح الطيب، ج1، ص451 –452 . العمري : مسالك الأبصار، ج 4، ص235 –236 . الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص121 –122 . محمد كمال: يوسف الأول، ص144 . شكيب: الحلل، ج2، ص339 .

(1) ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص 36 . محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص126 – 127 . مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص113 .

عسكري مع موسى بن إبراهيم اليريناني تحسبًا لأي طارئ[1].

وعلى الجهة الأخرى كان ألفونسو الحادي عشر قد أعد خطة هَدَفَ من خلالها إضعاف قوات المسلمين المحاصرة لطريف، ومن ثم الانقضاض عليها . وذلك بإرساله لأسطول بحري لمضيق جبل طارق مه متة قطع طريق الإمدادات من المغرب إلى الأندلس؛ لاستنزاف مؤن وعتاد المسلمين، ثم قام ألفونسو الحادي عشر بعد ستة أشهر، وبتحالف مع قريبه ألفونسو الرابع ملك البرتغال، وبدرو الرابع ملك أراجون بشن هجمة عسكرية على جيوش المسلمين في الثامن من جمادى الآخرة سنة 741هـ / 30 تشرين ـ أكتوبر 1340م، عرفت في المصادر العربية بمعركة طريف، وفي المصادر الأسبانية بـ (Bataalla Del Rio Salado). وبالإضافة لاستنزاف ألفونسو الحادي عشر لقوة المسلمين، كان قد أرسل فرقة من جيشه تمكّنت على حين غفلة من العسس دخول مدينة طريف، والمكوث بها قبل ليلة من يوم القتال.

وعندما بدأ القتال بين المسلمين والنصارى خرجت هذه الفرقة، وهاجمت مؤخرة جيش المسلمين، مما أدى لاختلال صفوفهم وهزيمتهم هزيمة نكراء، وصل بها جند النصارى إلى فسطاط السلطان أبي الحسن وقتلوا من به من النساء والأطفال . والى جوار هزيمة المسلمين ببر العدوة الأندلسية، كانت هزيمتهم بمياه ساحله، خسروا بها سبعًا وستين قطعة بحرية[2].

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 305. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 4، ص321 – 322. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج4، ص223. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص136 – 137. الطوخي : العلاقات الأندلسية، ص68. صالح محمد أبو دياك : فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، المؤرخ العربي، العدد 38، السنة الخامسة عشر، 1409هـ / 1988م، ص245. محمد المنوني : التاريخ الأندلسي، ص 226 وما يليها. شكيب: الحلل، ج2، ص314.

Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص337. ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص92 – 93. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص36 – 37. ابن الخطيب: روضة التعريف، ج1، ص15. ابن الخطيب: الإحاطة، ج 4، ص321 – 322. ابن الأزرق: بدائع السلك، ج 2، ص587. المقري : نفح الطيب، ج 5، ص14 – 15. الناصري :

لم يكتفِ ألفونسو الحادي عشر ـ زعيم قوى نصارى أسبانيا ـ بتحقيق هذا النصر دون أن يحقق مكاسب تضاف لصالحه، ويكون بها دعم لموقفه في صراعه مع المسلمين . وبهذه اللحظة كانت الفرصة مواتية لكي يسيطر ألفونسو الحادي عشر على إحدى مدن العدوة الأندلسية، ولذلك وجه قواته لفرض الحصار على الجزيرة الخضراء مباشرة بعد انتهاء معركة طريف، بل تجاوز الأمر ذلك إلى ندائه للحرب المقدسة ضد المسلمين، فوفدت إليه جموع من الأوروبيين في مقدمتهم عدد من أمراء إنجلترا منهم : الكونت دربي، والكونت سالسبري، والكونت غاسطون، والكونت دفوا، والكونت دوبيارن وغيرهم.

وبتلك القوات الأوروبية ضرب ألفونسو الحادي عشر حصارًا مشددًا على الجزيرة الخضراء استعان به بالفعلة والصناع، كما اتخذ بيوتًا من الخشب للجند . ولم يكن لسلاطين المسلمين سوى ما كان للسلطان أبي الحجاج من متابعة لجيوش النصارى من خلال مقامه بجبل طارق، ومحاولات السلطان أبي الحسن لإيصال شيء من المدد إلى الجزيرة الخضراء. وأمام الحصار المشدد من قِبل النصارى، وقلة يد المسلمين، خارت قوى الجزيرة الخضراء بعد عشرين شهرًا، وطلب أهلها إقامة الصلح مع النصارى على أن يُسلموا المدينة مقابل أمان أهلها، ومن بها من المقاتلين . وتم ذلك الاتفاق في عام 743هـ/ 1342م، وبهذا سقطت الجزيرة الخضراء بيد نصارى أسبانيا[1].

الاستقصا، ج 1 – 3، ص136 – 137. العفاقي : جبل طارق، ص 36. أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص325. محمد كمال: يوسف الأول، ص137 وما يليها. شكيب : الحلل، ج 2، ص314 – 315. محمد المنوني: التاريخ الأندلسي، ص226 – 227.

Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص227 – 228 – 539 – 540، ج3، ص185، ج4، ص332. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص 37 – 38. ابن الأزرق : بدائع السلك، ج 2، ص587 – 588. القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص252 – 253. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج 2، ص154. الصفدي : أعيان العصر، ج3، ص396 – 397. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص136 – 137. محمد كمال : يوسف الأول، ص123 – 124 – 241. شكيب: الحلل، ج2، ص315. الجيوسي: الحضارة العربية، ج1، ص131.

ويرى الباحث أن خضوع طريف في هذا الوقت كان له دور كبير في تمكين قوات النصارى من إخضاع مدينة الجزيرة الخضراء، وهي المدينة الأقرب إليها، كما أن إطلالة طريف على مضيق جبل طارق مكّنت النصارى من إيصال الإمدادات القادمة من دول نصارى أسبانيا وغيرها من دول أوربا إلى القوات المحاصرة للجزيرة الخضراء.

لم يكن سقوط الجزيرة الخضراء بالأمر الهين على المسلمين، فسقوطها إلى جوار سقوط طريف يُعد حدثًا خطيرًا على الكيان الإسلامي بالأندلس، وقد اتضح صدى ذلك على المراسلات التي تمت بين السلطان أبي الحسن المريني، والسلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون، التي اقتصرت على ما حل بمدن العدوة الأندلسية ما سقط منها، وما لازال بيد المسلمين[1]. حدوث هذه المراسلات يعكس مدى أهمية مدن العدوة الأندلسية لدى هؤلاء السلاطين في الصراع القائم مع نصارى أسبانيا، ولعلمهم بازدياد هجمة نصارى أسبانيا على المدينة الأخيرة من مدن العدوة الأندلسية جبل طارق.

فبعد أن تمكن ألفونسو الحادي عشر من تحقيق عدة انتصارات على دولة بني الأحمر، منها محاصرة عاصمتهم غرناطة إلى أن أجبر أهلها على دفع إتاوة، وهدنة لمدة عشرة سنوات. قام بعدها بمهاجمة جبل طارق سنة 750هـ / 1349م ومحاصرته لمدة قاربت السنة، كاد بنهايتها أن يسقط جبل طارق بيده، غير أن مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ شاءت أن يبقى جبل طارق إسلاميًا لفترة ما، حيث دبّ الطاعون بجيش ألفونسو الحادي عشر، وتوفي هو بسببه أثناء حصاره لجبل طارق ليلة العاشر من محرم سنة 751هـ / 1350م، فعادت جيوشه بتابوته إلى قشتالة. وقد أظهر أهل جبل طارق تدعمهم الحامية المرينية بسالة كبيرة في حماية مدينتهم والتمسك بها، في وقت اكتفت به جيوش المسلمين بقيادة أبي الحجاج بالمرابطة خلف جيش ألفونسو الحادي عشر[2].

Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(1) المقري : نفح الطيب، ج 1، ص398. الصفدي : أعيان العصر ، ج3، ص401 وما يليها . الناصري : الاستقصا، ج1 – 3، ص144 وما يليها. محمد كمال: يوسف الأول، ص125.

(2) ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص37 – 38. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص95. ابن الخطيب : الإحاطة،

وبانفراج الحصار عن جبل طارق تنفس المسلمون بالأندلس والمغرب الصعداء، وأخذ سلطان الأندلس أبو الحجاج يبعث الرسائل مستبشرًا بوفاة ألفونسو الحادي عشر وخلاص جبل طارق، ومن تلك الرسائل: رسالة للسلطان أبي عنان المريني، ورسائل لرعاياه بالأندلس، منها رسالة لمدينة المرية[1].

وقد أدت حملة ألفونسو الحادي عشر على جبل طارق إلى ازدياد تمسُّك المسلمين بجبل طارق، والمحافظة عليه؛ ليبقى ضمن معية المدن الإسلامية. ولم يكن هذه الاهتمام مقتصرًا على السلاطين، ففي السادس من ذي القعدة من عام 756هـ / 1355م وقف أهل جبل طارق ضد حاكمهم عيسى بن أبي منديل الذي كان يسعى للاستقلال بجبل طارق، والانضواء تحت راية نصارى أسبانيا. فما كان من أهل جبل طارق إلا أن ثاروا ضده، وحاصروه بالقلعة الكبرى بجبل طارق إلى أن سلم نفسه وابنه لهم، فقاموا بإرسالهما إلى المغرب، وبها تم إعدامهما. وبنهاية هذه الثورة أرسل السلطان أبو عنان ابنه أبا بكر السعيد لجبل طارق واليًا عليه، بعد مشاورة مع سلطان بني الأحمر الغني بالله، وكان وصول أبي بكر للجبل في العشر الأولى من محرم سنة 757هـ/ 1356م[2].

ولحسن طالع دولتي بني مرين وبني الأحمر لم يستجب نصارى أسبانيا لهذا الثائر، رغم تواجد أساطيلهم البحرية بمضيق جبل طارق، كأسطول بطره صاحب برشلونة،

ج4، ص330 – 331. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص335. ابن الأزرق: بدائع السلك، ج 2، ص587 – 588. النباهي : تاريخ قضاة، ص 156. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص234. المقري : نفح الطيب، ج 4، ص403. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص259. الجيوسي : الحضارة العربية، ج 1، ص131. السامرائي: تاريخ العرب، ص 293 وما يليها . نورة التويجري : علاقة مملكة بني الأحمر، ج 2، ص86.

Salma Khadra: The Legacy, P 80.

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص70 وما يليها. محمد كمال: يوسف الأول، ص127 – 128.

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص23 وما يليها . ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص107. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص39 – 40. العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص235 – 236.

والقائم بالجزيرة الخضراء[1].

وعلى هذه الحال السياسية استمرت العدوة الأندلسية إلى أن كانت صحوة السلطان الغني بالله، التي وافقتها حروب داخلية بين دول نصارى أسبانيا . استغل وقوعها السلطان الغني بالله، وأحرز عددًا من الانتصارات على قوات النصارى في حصن منتيل وحصن الحويز، كما استولى على نواحي عدة بجيان . وإلى جوار تلك الانتصارات تمكن الغني بالله في شهر ذي الحجة من عام 770هـ / 1368م من استعادة الجزيرة الخضراء من يد النصارى.

وقد تم ذلك عندما أوعز السلطان عبدالعزيز المريني إلى السلطان الغني بالله باستغلال انشغال نصارى فيما بينهم، والقيام باستعادة الجزيرة الخضراء، وله من السلطان عبدالعزيز المدد بالمال والأساطيل؛ لانشغاله بفتنة أبي الفضل بن أبي سالم وعامر بن محمد. وبهذه المساعدة تحرك السلطان الغني بالله إلى الجزيرة الخضراء، وضرب عليها حصارًا استخدم فيه الآلات الحربية . وبعد أيام قلائل شعر النصارى بالهلاك لعلمهم ببعد النصرة، فطلبوا الصلح من السلطان الغني بالله، وخرجوا عن الجزيرة الخضراء، فعادت للمسلمين وأقيمت بها شعائر الإسلام[2].

لكن ضعف الدول الإسلامية بالمغرب والأندلس دفع بني الأحمر إلى هدم أسوار وقلاع الجزيرة الخضراء خوفًا من وقوعها بيد نصارى أسبانيا[3]، وهنا كان سوء التصرف مجلبة لهوان المسلمين، وسرعة ضياع دولة بني الأحمر فهدم أسوار الجزيرة الخضراء وقلاعها أفقد بني مرين وبني الأحمر قاعدة لتموين وحماية الأندلس، كما منح نصارى أسبانيا فرصة

---

(1) شكيب: الحلل، ج2، ص250.

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 2، ص87 – 88. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص452. المعسكري : الحلل، ص381. الناصري: الاستقصا، ج 2 – 4، ص56 – 57. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص 113. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص149.

Salma Khadra: The Legacy, P 81.Imamuddin: A Political History, P 292.

(3) محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص149.

تركيز هجماتهم على مدينة جبل طارق القاعدة الإسلامية الأخيرة بالعدوة الأندلسية مما زاد الأمر سوءًا صراع بني مرين وبني الأحمر، الذي يظهر أن أهله أخذوا يبحثون عمن يعينهم على بقاء مدينتهم بأيديهم في ظل هجمات نصارى أسبانيا المتكررة

وقد استمر النزاع بين الإخوة بني مرين وبني الأحمر منذ إعلان أهل جبل طارق تبعيتهم لبني مرين في عام 813هـ/ 1410م، وهو العام الذي حاول فيه نصارى أسبانيا في ذي الحجة منه إخضاع جبل طارق، إلى عام 817هـ/ 1414م عندما دخل الأمير أبو الحسن معز الدولة أخو السلطان أبو الحجاج يوسف جبل طارق بعد حصار بري وبحري. وقد كرَّس السلطان يوسف مدة الحصار بسنواته الخمس كلها لأجل السيطرة على جبل طارق رغم فقد انه لعدد من المدن والحصون كأنتقيرة، ومنتشاقر، وحصن الصخرة، وهذا كله أدى بطبيعة الحال إلى إضعاف دولة بني الأحمر، مما أثر سلبًا على مقاومة جبل طارق لهجمات نصارى أسبانيا فيما بعد(1).

ونتيجة حتمية لهذا الضياع السياسي والعسكري تكالبت حملات نصارى أسبانيا على جبل طارق، وكان أولها حملة بحرية سنة 809هـ/ 1406م قرب جبل طارق، هزم بها السلطان يوسف أبا عبدالله الأيسر، وعقد اتفاق أُقر به هدنة لمدة عامين وذلك في 809هـ/ السادس من أكتوبر سنة 1406م. ثم كانت كرة النصارى على جبل طارق بقيادة إنريكي دي غوزمان سنة 813هـ/ 1410م، لكن هذه الحملة باءت بالفشل؛ لغرق قائدها ولعدم تمكن نصارى أسبانيا من تحقيق شيء يذكر عن طريق البحر، نجدهم في عام 840هـ/ 1436م يغيرون على جبل طارق من ناحية البر الأندلسي بقيادة حاكم لبلة ورغم كبر الحملة إلا أن أهل جبل طارق تمكنوا من مباغتتها، وقتل قائدها وعدد كبير من جنده(2).

ومن خلال حملة حاكم لبله، وما قبلها يتضح أن سلاطين بني مرين وبني الأحمر

---

(1) ابن فركون أحمد سليمان القرشي: ديوان ابن فركون، تقديم محمد بن شريفة، ط1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1407هـ / 1987م، ص70 – 71 – 167 – 201. المقري : أزهار الرياض، ج 1، ص226 – 227. جمعة شيخة: الفتن والحروب، ج1، ص333 وما يليها.

(2) محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص151 – 161. القاضي: جبل طارق، ص70.

أصبح لا حول لهم ولا قوة تجاه جبل طارق وحمايته، لم لا ودولة بني مرين سقطت بعد سقوط جبل طارق بعامين ـ 869هـ/ 1464م ـ على يد بني وطاس. ودولة بني الأحمر انحصرت في هذا الوقت في غرناطة وما يحيط بها[1].

من منطلق هذه الظروف والأحداث كان سقوط جبل طارق بيد نصارى أسبانيا مسألة وقت، وقد شهد عام 867هـ / 1462م سقوط جبل طارق بيد قائد الجيش القشتالي رودريجو بونسي ديليون دوق مدينة سالم[2]. وبنهاية آخر ثغور العدوة الأندلسية بدأت نهاية دولة بني الأحمر والوجود الإسلامي بالأندلس . فالإمدادات العسكرية انقطعت عن بني الأحمر، وهي في الأصل ضعفت منذ سقوط دولة بني مرين، كون بني وطاس لم يكونوا في مستوى بني مرين من حيث إمداد الأندلس، كما أن هجرات المسلمين إلى مدينة غرناطة ومنهم سكان جبل طارق زادت م ن أعباء دولة بني الأحمر التي هوت أمام اتحاد الملك فرناندو الرابع ملك أراغون والملكة إيزابيلا ملكة قشتالة سنة 897هـ/ 1491م[3].

وعلى نقيض عام 92هـ/ 710م كانت العدوة الأندلسية آخر قدم يطأها المسلمون من بلاد الأندلس بهجراتهم المتتابعة إلى بلاد المغرب، ومنهم س كان العدوة الأندلسية، فمنذ انقضاء عام 897هـ/ 1491م بدأ خروج أهل الجزيرة الخضراء إلى طنجة، وأهل طريف إلى أسفي، وآزمور، وأنفه، وفي عام 1019هـ/ 1610م نقل الأميرال دون خوان

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص210. مهجة أمين : سقوط الأندلس، ص 109. السامرائي : تاريخ العرب، ص300.

(2) وردت عدة روايات في شأن من كان على قيادة هذه الحملة، فرواية تشير أنه الدوق غوزمان، وأخرى تشير أنه مدينا سيدونيا. انظر الطيبي: دراسات وبحوث، ص294. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص165.

(3) الناصري: الاستقصا، ج2 – 4، ص98. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص452 وما يليها. السامرائي : تاريخ العرب، ص300. نورة التويجري: علاقة مملكة بني الأحمر، ج3، ص84. محمد عنان : دولة الإسلام، ج4، ص165. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص552. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص135.
Huge Seymour: Andalusia, P 13.Salma Khadra: The Legacy, P 82 – 83 .

دي مندوزا المدجنين[1] من جبل طارق لساحل المغرب. وكان هذا الخروج للمسلمين هو الخروج الذي لم يعودوا بعده إلى الأندلس رغم بعض المحاولات التي وصل قادتها إلى مدن العدوة الأندلسية، كغزوة أمير البحر خيرالدين بربروسا على جبل طارق سنة 947هـ/ 1540م، والتي كاد بها الغزاة أن يستولوا على جبل طارق من يد الأسبان[2][3].

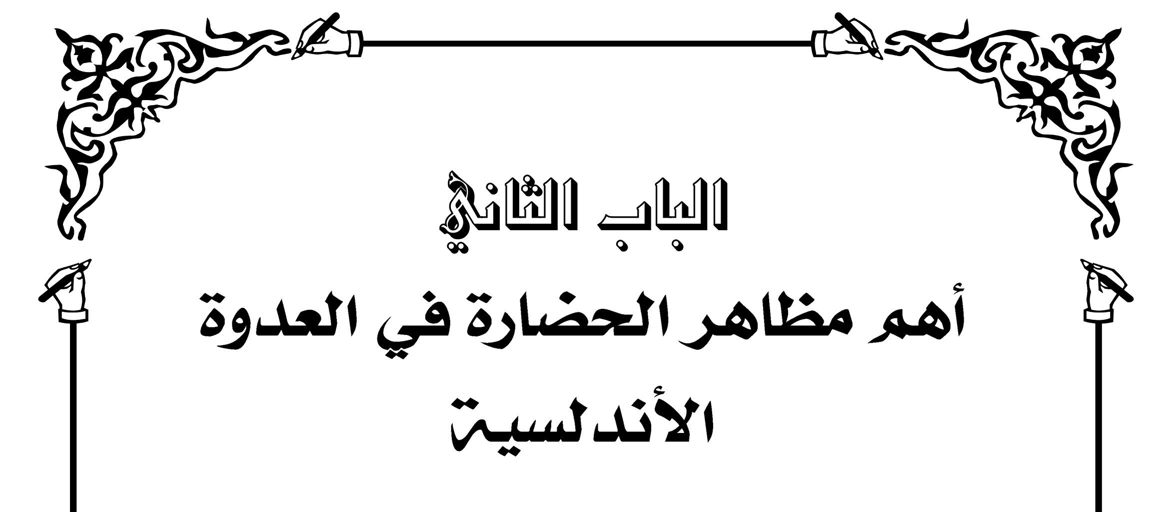
وبختام الباب السياسي للعدوة الأندلسية تكون مدنها قد أتمت سبعمائة وخمسًا وسبعين سنة ضمن الكيان الإسلامي بالأندلس ساهمت بها كما تجلى في أغلب الأحداث السياسية، وخاصة ما يتعلق منها بالعلاقة السياسية بين الأندلس والمغرب.



(1) المدجنون: اسم أطلق على المسلمين الذين بقوا بالأندلس بعد خروج الحكم الإسلامي منها، وكانوا على حال من الضعف حتى عرفوا أيضًا بمسمى الموريسكيين (Los Moriscos) أي المسلم الصغير. انظر الحجي: التاريخ الأندلسي، ص569.

(2) فقد الأسبان جبل طارق سنة 1117هـ/ 1704م بسيطرة الإنجليز عليه بعد حصارهم له برًا وبحرًا مدة ثلاثة أيام، ولازال بيدهم إلى يومنا هذا. انظر الناصري: الاستقصا، ج3 – 7، ص93.

(3) مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبطه الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1423هـ/ 2002م، ص48. الطيبي: دراسات وبحوث، ص294. محمد المنوني: التاريخ الأندلسي، ص 284. سحر السيد عبدالعزيز سالم: أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م، ص276. محمد عنان: دولة الإسلام، ج4، ص311. محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم، ص9 – 156.



الباب الثاني

أهم مظاهر الحضارة في العدوة الأندلسية

الفصل الأول : الأحوال العمرانية.

الفصل الثاني : الأحوال الاقتصادية.

الفصل الثالث : الحياة العلمية



الفصل الأول

الأحـــوال العمرانيــة

المبحث الأول العمارة الدينية.

المبحث الثاني : العمارة المدنية.

المبحث الثالث : العمارة الحربية.

تمهيد

احتوت العمارة الإسلامية بالعدوة الأندلسية على صور العمارة الثلاث : العمارة الدينية، والعمارة المدنية، والعمارة الحربية . وعلى شاكلة مدن الأندلس انضوت مدن العدوة الأندلسية تحت مظلة العمارة الأندلسية، بطرق بنائها، وعناصرها المعمارية إلى زخرفتها ونقوشها، يمتزج كل ذلك بتأثيرات معماريةٍ مغربية ومشرقية.

وقد كان للعدوة الأندلسية نصيب كبير من المدن الإسلامية المحدثة بالأندلس، فمدينة جبل طارق بُنيت في عام 555هـ/ 1159م على يد عبدالمؤمن بن علي حاكم الموحدين، ومدينة البُنية بُنيت في عام 674هـ/ 1275م على يد يعقوب بن عبدالحق حاكم بني مرين. كما كان لها نصيب من الأسوار والقلاع والأبراج والقناطر الأندلسية التي لازال شيء منها قائمًا إلى يومنا هذا كأسوار وقلاع جبل طارق وطريف، وقناطر الجزيرة الخضراء[1].

وعلى الرغم من تحول مدن العدوة الأندلسية اليوم إلى مدن حديثة تسابق الزمن نحو التطور العمراني الحديث بها[2]، إلا أن آثار العمارة الإسلامية لازالت تسطعُ بشيء من بريقها الأصيل.

المبحث الأول

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 66. ابن صاحب : المن، ص 89. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص260 – 261 – 347. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص42. عياد المبر وك عمار : البحرية في عهد الموحدين، ص 61. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص104. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص218. محمد الكحلاوي: عرفاء البناء، ص228. الطيبي : جبل طارق، ص 18 – 19 – 20. محمد عنان : الأثار الأندلسية، ص 279 – 291 – 294. عيسى الناعوري : في ربوع الأندلس، ص132– 133 . ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص62 – 76 – 103 وما يليها.

(2) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص282. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص132.

العمـارة الدينيـة

يُعد المسجد المحور الأساس في العمارة الإسلامية الدينية، على الرغم من وجود صور أخرى للعمارة الدينية كالأربطة والأوقاف والمقابر؛ وذلك لاحتوائه كافة عناصر العمارة: المعمارية، والهندسية، والزخرفية، بالإضافة لتواجده ضمن كافة المدن الإسلامية، وكونه مرتكز المدينة الإسلامية، وقاعدة انطلاقها العمراني.

وللمسجد تواجده بمدن العدوة الأندلسية الثلاث، فبكل واحدة منها جامعها الرئيس بالإضافة لعدد آخر من المساجد. ومن مساجد العدوة الأندلسية بجوار جوامع مدنها الثلاث : مسجد الرايات، ومسجد الصَّوَّاع [1]، ومسجد ابن همشك، ومسجد يعقوب بن عبدالحق بالجزيرة الخضراء، وجامع يعقوب بن عبدالحق بجبل طارق، ومسجد من بناء الفاتحين الأوائل للأندلس بموضع قرطاجنة شرق الجزيرة الخضراء [2]، كما هناك مسجد لازال إلى اليوم بالجزيرة الخضراء رغم تحويله إلى كنيسة، لم يُتوصَّل إلى اسمه، أو اسم من بناه [3]، والمسجد الأخير هو مسجد مدينة البُنية وهي المدينة التي أُلحقت بالجزيرة الخضراء، وكانت من بناء يعقوب بن عبد الحق [4].

ويرى الباحث أن هناك مساجد أخرى عدة بمدن العدوة الأندلسية وخاصة طريف منها ما لم ترد لنا لا نصًا ولا أثرًا؛ وذلك لأسباب سيشار إليها ضمن هذا المبحث بمشيئة

---

(1) الصواع: هو الإناء يشرب به. انظر إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج1، ص528.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 75 – 87 – 121. ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص133. المراكشي : المعجب، ص18. ابن سعيد علي بن موسى : اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1400هـ / 1980م، ص88 – 98. ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص131. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 2، ص539 – 540. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص475. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص91. أحمد العبادي : صور من حياة الحرب، ص34. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101.

(3) مما شاهده الباحث بالجزيرة الخضراء صيف عام 1428هـ/ 2007م.

(4) الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص42. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص103 – 104.

الله عز وجل.

وأقدم مساجد العدوة الأندلسية مسجد الرايات الذي بناه موسى بن نصير حال نزوله بالجزيرة الخضراء سنة 93هـ/ 711م بباب البحر[1]. ومن المساجد التي ورد تأريخ بنائها جامع الموحدين بجبل طارق سنة 555هـ / 1159م[2]. وبالجزيرة الخضراء، مسجد ابن همشك الذي بُني في عام 631هـ/ 1233م بحي النجارين على نفقة يحيى بن همشك التيتمالي [3]. ومسجد يعقوب بن عبدالحق، وقد كان بناؤه في عام 684هـ / 1285م[4]. أما بقية المساجد فلم ي رد لها تأريخ بناء، أو أي شاهد يدل على عصرها كمسجد الصواع.

وعن مواقع مساجد العدوة الأندلسية، فجوامع مدنها بطبيعة الحال، وكما هو علامة ثابتة في تخطيط المدينة الإسلامية تقع في مركز المدينة . وليس ببعيد عنها مسجد السوق المتواجد بسوق المدينة ثم يلي هـذين المسجين مساجد الجماعة بأحياء المدينة، ومنها مسجد ابن همشك بحي النجارين، ومسجد الصواع الذي يظهر أنه ينتسب لحي السقائين[5].

أما صفة مساجد العدوة الأندلسية، فقد حفظت لنا المصادر صفة مسجد واحد، كما حفظ لنا الأثر مسجد آخر . والمسجد الذي وردت صفته بالمصادر هو جامع الجزيرة الخضراء. وهو مسجد حسن البناء مكون من خمس بلاطات، يتبعها صحن واسع .

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص75. المراكشي: المعجب، ص18. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539 – 540. محمد عبدالحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس ط 1، دار الفكر العربي، 1982م، ص268. فهد عبدالرحمن سليمان الرومي : منهج المدرسة الأندلسية في التفسير " صفاته وخصائصه "، السجل العلمي لندوة الأندلس " قرون من التقلبات والعطاءات "، ص183. حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص 91. أحمد العبادي: صور من حياة الحرب، ص34.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص121. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101.

(3) ابن سعيد: اختصار القدح، ص88 – 98.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص475.

(5) ابن سعيد: اختصار القدح، ص98.

وبآخر المسجد من جهة الشمال سقائف؛ تستخدم لإظلال من يبقى بالمسجد كطلاب العلم[1].

ويرى الباحث أن المسجد على هذا الوصف كان على البناء التقليدي للمسجد أي أنه كان مستطيل الشكل، تتقدمه صفوف مسقفة، ثم جزء مكشوف هو صحن المسجد، وآخر المسجد جزء مسقف.

ولسوء الطالع اكتفى المصدر بهذا الوصف الجيد، دون أي ذكر للجوانب الهندسية والزخرفية للمسجد، وحتى عناصر البناء . غير أن أحد المصادر أشار إلى استخدام أخشاب حطام سفن النورمانديين كباب للمسجد[2]، وهو ما قد يكسبنا فرصة وصف أبواب المسجد بأنها كانت مصنوعة من الأخشاب.

وقد تعرض جامع الجزيرة الخضراء للحرق في عام 245هـ/ 859م، عندما هاجم النورمانديون الجزيرة الخضراء[3]، مما يؤكد فقدان الجامع لشيء كبير من صفته التي بني عليها.

ويرى الباحث أن هذا المسجد وغيره من مساج د العدوة الأندلسية قد عانت كثيرًا من هجمات النصارى، الذين لا يجدون غضاضة في عدوانهم المتكرر وفسادهم إلى النيل من مساجدها بالتخريب والتدمير، وهو ما أفقدنا الشيء الكثير من آثار المساجد بمدن العدوة الأندلسية، التي كان بقاؤها كفيلًا بوصف تلك المساجد كما هو حال مسجد بشمال الجزيرة الخضراء حافظ على شيء من آثاره الإسلامية رغم تحويله إلى كنيسة (انظر صورة 8).

يقع هذا المسجد بالجزيرة الخضراء في الطريق المتجهة اليوم إلى مدينة مالقة بالقرب من ساحل البحر (انظر الرسم التوضيحي للموقع صورة 9). ويمتاز هذا المسجد بفن

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص73.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص73. خليل الكبيسي: غزوات النورمانيين، ص152.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص75. نورة التويجري: جهود حكام بني أمية، ص84.

هندسي جميل، فهو مثمن الشكل ذو رواق خارجي يحيط بالمسجد على صفته المثمنة . وبكل ضلع من هذا الرواق ثلاث فتحات يعلو كل واحدة منها عقد مدبب . ويعلو هذه العقود من الطابق الثاني شرافات تطل على كافة واجهات المسجد الثمانية.

أما سقف المسجد فتعتليه قبة شارفت أن تكون سقف المسجد وهي دائرية الشكل، بها منافذ صغيرة لدخول الضوء ويجاور المسجد مئذنته، وهي مربعة الشكل، لا يتجاوز ارتفاعها عشرة أمتار تقريبًا[1]، على عكس مآذن الجزيرة الخضراء التي وُصفت بأنها مآذن عالية[2].

وليس لهذا المسجد نقش يؤكد تأريخ بنائه، كما أن عناصر بنائه لا يمكن من خلالها نسبة المسجد لعصر ما. ويرى الباحث أن هذا المسجد يعود أولًا : للعصر الإسلامي لا لعصر المدجنين؛ وذلك لوجود قبة ومئذنة للمسجد. وثانيًا: أنه يعود للعصور المتأخرة أيام بني مرين وبني الأحمر كون المسجد يحافظ على جزء كبير من مظهره الخارجي، مع قلة تكلف بنائه.

ويرى الباحث أن مساجد العدوة الأندلسية أخذت الطابع المغربي في بنائها وعناصرها؛ لخضوعها لحكم دول المغرب الإسلامي، وكون بناء عدد منها تم على يد سلاطين المغرب، كمسجد يعقوب بن عبد الحق بالجزيرة الخضراء، ومسجد عبدالمؤمن ابن علي بجبل طارق[3].

وتعود ندرة المعلومات عن مساجد العدوة الأندلسية إلى عدة عوامل هي:

1. انصراف المصادر عن وصف مساجد العدوة الأندلسية إلى الأحوال السياسية، بصورة اغفلت الحديث عن مثل هذه الجوانب الحضارية.
2. بساطة بناء المساجد في ظل الظروف العسكرية، والاهتمامات الحربية أفقدها اهتمام المؤرخين.

---

(1) تعذر على الباحث وصف المسجد من الداخل لعدم تمكنه من دخوله.

(2) المقري: أزهار الرياض، ج4، ص75.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص121. محمد الكحلاوي: عرفاء البناء، ص214.

3. إساءة النصارى لمساجد العدوة الأندلسية بالحرق، كما فعل النورمان سنة 245هـ / 859م بجامع الجزيرة الخضراء[1]، والتحوير إلى كنائس أو مبانٍ أخرى، كتحوير ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة لجامع الجزيرة الخضراء إلى كنيسة سميت بكنيسة القديسة مريم ذات النخيل (Sta. Maria de Les Palmas)، وهي اليوم إحدى كاتدرائيات أسبانيا[2]. والمسجد المتواجد بالجزيرة الخضراء وهو اليوم كنيسة (Residencial La Florida II). ويرى الباحث أن تحوير مساجد العدوة الأندلسية إلى كنائس قد تكرر على بعضها، وهي مساجد لمدن خضعت للنصارى أكثر من مرة

4. مرور أكثر من خمسة قرون على سقوط آخر مدينة من مدن العدوة الأندلسية بيد من كان دافعهم الحقد الأعمى ضد الإسلام والمسلمين، واستخدامهم كل الوسائل التي تضمن لهم إزالة كل ما يتعلق بالإسلام من التهجير القسري إلى محاكم التفتيش، ومن باب أولى إزالة دور العبادة المتمثلة في الجوامع والمساجد.

5. تحويل الأسبان والإنجليز مدن العدوة الأندلسية لمدن حديثة [3]، مما أدى إلى إزالة الكثير من المساجد والآثار الإسلامية. وه و المشاهد اليوم فلا يمكن لزائر مدن العدوة الأندلسية من رؤية مسجد أو حتى أطلاله.

ومن أطلال العمارة الدينية ما بقي من شواهد القبور، كالشاهد الذي وجد بالجزيرة الخضراء، وهو عبارة عن قطعة من المرمر مسطحة ومستطيلة الشكل، يبرز بها الجزء الذي به النقش. ويبلغ طول هذا الشاهد 86سم، وارتفاعه 17.5سم.

وقد نُقش عليه العبارة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى محمد هاذا قبر (... مان) المغير بن محمد توفي في ربيع الاخر عام اثنين وعشرين وخمس مائة»[4]. ولا يزال هذا

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص75. نورة التويجري: جهود حكام بني أمية، ص84.

(2) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص282.

(3) محمد عنان: المرجع السابق، ص282. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص132.

(4)

الشاهد على حالة جيدة، مع أنه قد انصدع من طرفه (انظر صورة 10).

وهناك شاهد آخر بالجزيرة الخضراء يعود لعام 322هـ / 934م، على شكل مستطيل عامودي، ناله الكثير من التلف، وبقي منه النقش الآتي : «.. الله توفي سير ... يوم اثنين وعشرين... ترحم عليه..»[1] (انظر صورة 11). ومن هذين الشاهدين يمكن التوصل إلى أن قبور مدن العدوة الأندلسية كان يضع عليها شواهد تدل على أصحابها، ذات أشكال مختلفة أحدها الشكل المستطيل أفقيًا وعاموديًا . كما أن من مواد صناعتها المرمر.

ومقابر العدوة الأندلسية ذات تنظيم معين أكسبها كما وصفت مقابر الجزيرة الخضراء بالحسن وأخذ القلوب والفُرْجَة [2]. وهذا الوصف يؤكد أن هذه القبور كان عليها شيء من البناء أظهرها بهذه الصورة الحسنة، وهي المواضع الموحشة في أصلها.

وإلى جوار المساجد والمقابر تُمثل الأربطة والمحارس وأوقافها صورًا أخرى للعمارة الدينية بالعدوة الأندلسية؛ فبناؤها كان بدافع ديني هو الجهاد في سبيل الله عز وجل . والأربطة والمحارس وأوقافها كانت لها صور متوفرة بالعدوة الأندلسية؛ كونها قاعدة عسكرية للدول الإسلامية في العصر الإسلامي. فمنازل مشيخة الغزاة، ومساكن الجند هي الأربطة التي كانوا يقيمون بها بداخل مدن العدوة الأندلسية وأطرافها، كما كانت المحارس تُبنى على سواحل مدن العدوة الأندلسية؛ ليكون من بها عينًا ساهرة لحماية الثغر الجنوبي للأندلس[3].

وكان لهذه الأربطة والمحارس اهتمام بالغ لدى قادة المسلمين، ابتداءً باختيار مواقعها

N 1.521 Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 86.

(1)

N 1.520, Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 48.

(2) ابن سعيد: المغرب، ج1، ص321.

(3) أبو دياك: فنون القتال، ص237.

وانتهاءً ببنائها، ولأجل ذلك اُتُّخذ المستشارون للنظر في أفضل المواضع التي تكون بها الفائدة للإسلام والمسلمين[1].

ولم يقتصر الاهتمام بهذه الأربطة والمحارس والثغور على القادة والسلاطين، بل تجاوز ذلك لعامة الناس، ومن ذلك إقامة الأوقاف للإنفاق على هذه الثغور والمحارس . وقد مثّل أحد هذه الأوقاف فندقين لرجل من مدينة طريف جعل دخلهما وقفًا لأحد الثغور الإسلامية ـ لم يرد ذكر لاسم الثغر[2].

ويرى الباحث أن هناك مباني كانت وقفًا لخدمة الإسلام والمسلمين بمدن العدوة الأندلسية قياسًا على الوقف السابق، وخاصة ما خُصص منها للجهاد في سبيل الله.

وبالإضافة للعمارة الدينية الإسلامية بمدن العدوة الأندلسية، هنالك عمارة دينية مسيحية في العصر الإسلامي. ورغم عدم وجود ذكر لذلك إلا أن خضوع مدن العدوة الأندلسية تحت حكم النصارى، واستمراره لفترات طويلة كبقاء جبل طارق بيدهم نحو أربعة وعشرين عامًا قبل عودته للمسلمين[3]، يُحتم إحداث النصارى لكنائس لهم، سواء كانت بتحوير المساجد إلى كنائس وهو الأقرب؛ لحدوث ذلك بجامع الجزيرة الخضراء، والمسجد المتواجد بشمالها، أو بتشييد كنائس جديدة. لمن كان يقيم منهم ضمن المجتمع الإسلامي الأندلسي. ذلك المجتمع الإسلامي الذي كان أول ما يهم ببنائه في أي مكان وتحت أي ظرف مسجد يقيمون شعائر الله ـ سبحانه وتعالى ـ به، فما تُشيد قصور السلاطين إلا ويكون مسجد القصور من أول ما يبنى، كقصر عبدالمؤمن بن علي بجبل طارق. ولا تخط مدينة إلا من بعد تحديد وبناء مركزها المعماري المسجد كبناء الموحدين

---

(1) أبو دياك: المرجع السابق، ص237.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج7، ص466.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص535. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص80 – 81. ابن الخطيب : كناسة، ص29. المقري: نفح الطيب، ج1، ص451 – 452. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص212 – 213. العمري : مسا لك الأبصار، ج 4، ص235 – 236. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص144. عاطف منصور: الكتابات، ص100.

لجبل طارق. ولا يضع قائد قدمه على أرض الفتح حتى يبني مسجد للمسلمين كمسجد الرايات بالجزيرة الخضراء. ورغم ذلك كله إلا أن العمارة الدينية بالعدوة الأندلسية لم يبق منها إلا ما بقي من النقش غير المقروء الذي وُجد بمسجد بجبل طارق[1].



(1) الحميري : الروض المعطار، ص 75 – 121. المراكشي : المعجب، ص 18. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539 – 540. أمين توفيق الطيبي: جبل طارق جبل الفتح معقل إسلامي عبر القرون الوسطى، تاريخ العرب والعالم، ع 53، آذار 1983م، ص19 – 20. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 91. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية، ص 28. أحمد العبادي : صور من حياة الحرب، ص 34. خليل الكبيسي : غزوات النورمانيين، ص152. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101 – 262.

المبحث الثاني

العمـــارة المدنيـــة

جمعت العدوة الأندلسية كافة أشكال العمارة المدنية من بناء المدن والمباني إلى إقامة التصاميم الهندسية والزخرفية . ويتجلى الدور الفعلي للعمارة الإسلامية في العدوة الأندلسية عند معرفـة ما كانت عليه مدن العدوة الأندلسية قبل العصر الإسلامي . فالجزيرة الخضراء بلدة صغيرة من بناء الرومان، ويشار إلى أنها أقدم من ذلك، بأنها من بناء اليونانيين. وقد كانت بلدة قديمة البنيان، لا تتمتع بما تمتاز به المدن الكبيرة من عمران حسن وحديث. وليس ببعيد عنها مدينة طريف التي وُصفت لأكثر من مرة بأنها بلدة صغيرة. أما مدينة جبل طارق فلم توجد بعد؛ فهي مدينة إسلامية محدثة . ومما يؤكد كون مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف مدن لا تعد من مصاف مدن جزيرة إيبيريا الكبيرة؛ أنّ ذكرها في التسلسل التاريخي لم يظهر إلا مع الفتح الإسلامي[1].

ومنذ دخول الإسلام للعدوة الأندلسية، اهتم المسلمون بمدنها فكان للاهتمام العمراني صفة مساوية للاهتمام السياسي والعسكري فتمم بناء الجزيرة الخضراء وطريف ابتداءً من عام 95هـ/ 713م، حتى غدت مدنًا زاهرة تُعد من أبرز مدن الأندلس[2]. كما أُضيف للعدوة الأندلسية مدينتان أخريان : الأولى: مدينة جبل طارق التي أمر ببنائها السلطان عبدالمؤمن بن علي حاكم الموحدين في التاسع من ربيع الأول سنة 555هـ/ مارس 1160م بالجهة الغربية من جبل طارق ـ في الموضع الشمالي من المدينة الحالية اليوم[3]. وهذا البناء هو

---

(1) الزهري: كتاب الجغرافية، ص93. ابن صاحب: المن، ص84. سحر السيد : أوراق تاريخية، ص 372 وما يليها. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص64 – 65.

(2) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص282. خطاب: الأندلس، ص84. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص62.

(3) ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 66. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 260 – 261 – 347. عياد المبروك عمار: البحرية في عهد الموحدين، ص61. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص104. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص 218. محمد الكحلاوي : عرفاء البناء، ص 228.

الأول لمدينةجبل طارق لم يسبقه بناء مدني بهاويؤكد ذلك عدة دلالات: أن طارق بن زياد عندما نزل بجبل طارق سنة 92هـ/ 711م لم يكن لديه القدرة على إحداث بناء بمعناه الواسع؛ لقلة عدد جنده، وعدم توفر الوقت، بالإضافة لوعورة التضاريس. وإنما كان ما أحدثه هو مجرد حصن له ولجنده [1]. كما يتأكد ذلك بأنه لو كان هناك مدينة سابقة لبناء عبدالمؤمن لما ذكرت المصادر أنه قام ببناء مدينةويحسم هذا الأمر ما قام به المعتضد بن عباد من أمره لواليه على الجزيرة الخضراء بتحصين جبل طارق تحوطًا من نزول المرابطين به [2].

ويرى الباحث أنه من خلال التسلسل التاريخي للفترة الممتدة من دخول طارق ابن زياد إلى قبل عام 555هـ/ 1159م لم يرد ذكر لمدينة جبل طارق، أو حتى لحدث به، مما يؤكد عدم وجود تجمع سكاني به.

وقد حاز بناء مدينة جبل طارق على اهتمامٍ بالغٍ من السلطان عبدالمؤمن بن علي . ابتدأه بتكليف ابنيه أبي سعيد عثمان والي غرناطة، وأبي يعقوب والي إشبيلية . وأمرهما بتكوين مجلس استشاري؛ لاختيار موضع البناء. جَمَعَ به عددًا من كبار رجال الدولة : هم الشيخ أبو حفص، وأبو إسحاق بَّراز بن محمد، والعريف الحاج يعيش المالقي، والقائد عبدالله بن خيار الجياني، والعريف أحمد بن با سه . ثم أنفق على مشروع البناء مبالغ طائلة، بعد جلبه لأمهر عرفاء البناء، والجيارين [3]، والنجارين، وتحديده بنفسه للدائرة المحصنة للمدينة. ويتبين اهتمام عبدالمؤمن بن علي ببناء مدينة جبل طارق في سرعة إنجازه بتلك الصورة المتقنة، فقد كان انتهاء البناء في شهر ذي القعدة من نفس العام/ نوفمبر 1160م، أي بعد تسعة أشهر من بداية البناء [4].

ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص76 – 77.

(1) الطيبي: جبل طارق، ص18 – 19.

(2) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج 2، ص52. ابن بسام : الذخيرة، ج 2، ص34. الطيبي : دراسات وبحوث، ص296 – 297.

(3) الجيارين: جمع جَيَّار، وهو صانع الجير أو بائعه. انظر إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج1، ص150.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص121. ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص66. ابن صاحب : المن،

والمدينة الثانية: التي أُحدثت في العصر الإسلامي هي مدينة البُنية، تلك المدينة التي أمر ببنائها السلطان يعقوب بن عبدالحق على التل الشمالي لتل الجزيرة الخضراء على أن تكون ملاصقة لمدينة الجزيرة الخضراء. وعن تاريخ بناء مدينة البنية ذكر ثلاثة تواريخ هي: عام 674هـ/ 1275م وهو ما اتفقت عليه المصادر، وعام 678هـ/ 1279م، وعام 681هـ/ 1282م. ولتطور مدينة الجزيرة الخضراء دمجت بها مدينة البنية فيما بعد، وهما المدينتان اللتان لم يفصل بينهما سوى نهر العسل - نهر لامييل(1).

ويرى الباحث أن اندماج المدينتين كان في عام 715هـ / 1315م، عندما أدار السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني الأسوار على الجزيرة الخضراء، لعدم ورود ذكر لمدينة البنية فيما بعد ذلك(2).

وفي جانب الاهتمام بعمارة مدن العدوة الأندلسية، فإن حكام المسلمين لم يكتفِ أحدهم بما صنعه من قبله، وإن كان الظاهر الاهتمام بالعمارة العسكرية، فإن العمارة المدنية هي الاهتمام الأسبق للحكام. وقد تجاوز اهتمام الحكام مدن العدوة الأندلسية إلى ما يجاورها، ومن ذلك تلك المنازل المتعددة، والتي تكثر بالطريق الممتد من الجزيرة الخضراء إلى مدينة إشبيلية(3).

ويظهر اهتمام الحكام بمدن العدوة الأندلسية في ذلك التخطيط التي كانت عليه مدنها، والذي لا يظهر عليه أي تغيير طوال فترة الحكم الإسلامي، وأوائل حكم النصارى لها - على أقل تقدير. فكل مدينة بها قصبتها، ومساكن أهلها، ورحباتها، وأسواقها، وأبوابها، وكل ما تحتاجه المدينة من عمران مدني.

ص84 وما يليها. مجهول: الحلل الموشية، ص155. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص260 - 261. الناصري: الاستقصا، ج - 2، ص140. عياد المبروك عماز البحرية في عهد الموحدين، ص60. الطيبي: دراسات وبحوث، ص277. محمد الكحلاوي عرفاء البناء، ص214. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص78 - 79 - 101.

(1) الناصري: الاستقصا، ج1 - 3، ص42. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص62 - 76 - 103 وما يليها.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1 - 3، ص107.

(3) كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص282.

وقد وصلت العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية لدرجة عالية من الرقي تُوجت بمجسم فريد من نوعه، أمر بتصميمه السلطان أبو عنان المريني . ويحتوي هذا المجسم على تصميم لمدينة جبل طارق يوضح صورة الجبل، وموا ضع الأسوار، والأبراج، والقصبة، والبوابات، والمسجد، والترسانة، والصوامع، ومخازن الذخيرة بالمدينة . وكان هذا المجسم مُقامًا بقاعة الاستقبال من قصر المشور بمدينة فاس[1][2].

ورغم عناية العمارة الإسلامية بالعدوة الأندلسية إلا أن العمارة المدنية بها فقدت الشيء الكثير مما كانت عليه في العصر الإسلامي، وكل ذلك لتكالب الأحوال السياسية عليها منذ العهد الإسلامي. فتعاقب القوى الإسلامية بالأندلس، وخاصة ما كان منها ممتدًا من المغرب، أدى لبعض الإحداثات بالعمارة المدنية . ففي عام 401هـ/ 1010م أدت ثورة البربر لهدم عدد من دور مدينة الجزيرة الخضراء. كما كان لمحاولات الموحدين إخضاع ما تبقى من حكم المرابطين بالأندلس دور آخر في الإساءة للعمارة المدنية بالعدوة الأندلسية، حيث شهد آخر عام 545هـ/ 1150م حالة من انعدام العمارة والمساكن بالمنطقة الممتدة من طريف إلى شريش؛ بسبب ذلك الصراع[3].

هذا ما أحدثته الفتن واضطراب الأحوال الداخلية، ويضاف إلى ذلك ما أحدثه العدوان النصراني . ويتضح أثر هجمات النصارى على العدوة الأندلسية بالنظر في هجماتهم عليها. فالجزيرة الخضراء حوصرت من قِبل حملة مملكة قشتالة ومملكة أراغون برًا وبحرًا مدة قاربت السنة في عام 677هـ/ 1278م. وعند الحديث عن الحصار في هذه الفترة يجب الأخذ بالاعتبار الاستخدام المكثف لآلات الحرب من مجانيق ورعادات . وقد تكرر حصار قشتالة للجزيرة الخضراء في عام 741هـ/ 1340م بقيادة حاكمهم ألفونسو الحادي عشر. وقد دام الحصار للجزيرة الخضراء مدة أكثر من الم دة السابقة

(1) للأسف هذا المجسم مفقود اليوم، ولو وجد لأثرى وصف مدينة جبل طارق.

(2) ابن صاحب: المن، ص89. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص79.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص102. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص43.

بلغت عـامين، ونهاية الحصار كان إخضاع الجزيرة الخضراء سنة 743هـ/ 1342م[1].

وفي طور صراع المسلمين والنصارى على مدن العدوة الأندلسية استعاد السلطان الغني بالله الجزيرة الخضراء في عام 770هـ/ 1368م. لكن استعادة الغني بالله أعقبها بعد عشـرة أعوام ـ 780هـ/ 1378م ـ دمار شامل للجزيرة الخضراء، شمل حصونها وصروحها ومعالمها، وإغلاق مينائها؛ وكل ذلك خوفًا من أن يسيطر عليها نصارى أسبانيا مرة أخرى[2].

أما مدينة طريف فقد كانت عُرضة مباشرة لمجانيق نصارى أسبانيا والمسلمين . ففي عام 691هـ/ 1291م نصب ألفونسو الحا دي عشر المجانيق والرعادات عليها إلى أن تمكن من إخضاعها. وفي عام 741هـ/ 1340م نصب السلطان أبو الحسن المريني أيضًا آلات الحرب على طريف لاستعادتها من مملكة قشتالة[3].

وعلى حال أسوأ من ذلك كانت مدينة جبل طارق الأكثر عرضة لهجمات الطرفين . فقد خضع بيد فرناندو الوابع ملك قشتالة سنة 709هـ / 1309م بعد حصار دام عدة أشهر . وبعد أربعة وعشرين عامًا استعاده السلطان أبو الحسن المريني بحلول عام 733هـ/ 1332م، العام الذي شهد ضَرْب ألفونسو الحادي عشر لأسوار جبل طارق بالمنجنيق رغبة في استعادته. وحرصًا من ألفونسو الحادي عشر على استعادة جبل طارق أعاد الكرة عليها في عام 750هـ/ 1349م بحصار دام قرابة السنة[4].

---

(1) ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص62 – 104 – 105.

(2) الناصري : الاستقصا، ج 2 – 4، ص57. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص149. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص62 – 104 – 105.

(3) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 291 – 305. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 4، ص321 – 322. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص221 وما يليها، ج 7، ص285 – 286. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص448 – 449. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص501 – 502 – 538. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 3، ص136 – 137. السامرائي: تاريخ العرب، ص296. الطوخي: العلاقات الأندلسية، ص68.

(4) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص535، ج3، ص339، ج4، ص330 – 331. ابن الخطيب : اللمحة

وجبل طارق امتدت يد بني الأحمر المخربة بهجمات متعددة من عام 813هـ / 1410م إلى عام 817هـ/ 1414م، في رغبة جامحة للسلطان أبي الحجاج يوسف في ضم جبل طارق لحكمه من يد بني مرين[1].

ومما سبق يظهر أن الحالة السياسية للعدوة الأندلسية كان لها أسوأ الأثر على العمارة المدنية بها. مما ساهم في إفقاد الآثار المعمارية المدنية بالعدوة الأندلسية لجزء كبير من عناصرها التي أُنشئت بها خلال حقب الإسلام المتتابعة.

لكن شذرات عناصر العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية لازالت تنثر مكنونها ضمن آثار الحضارة الإسلامية بالأندلس . ومن عناصر العمارة المدنية المتعددة : أسوار مدن العدوة الأندلسية الثلاث، والتي كان بناؤها بأيدي المسلمين بعد ما كانت دون أسوار أو ذات أسوار متهالكة كسور طريف الترابي[2]. وقد بُنيت أسوار مدن العدوة الأندلسية من الحجارة والجير، على ارتفاع عالٍ بلغ في أسوار طريف عشر قامات . وبهذه الأسوار اقترنت ميزة الصلابة والقوة التي كانت حائلًا عن مدنها من هجمات الحملات العسكرية. خاصة وأنها نالت عناية فائقة من سلاطين المسلمين، فأسوار مدينة جبل طارق جددت على يد السلطان أبي الحسن المريني، وابنه السلطان أبي عنان، كما سبق ذلك تجديد الموحدين لأسوار الجزيرة الخضراء[3].

البدري، ص62 –80 – 81 – 95. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 335. ابن الخطيب : ديوان الصيب، ص31 وما يليها. ابن الخطيب: كناسة، ص29. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 3، ص121. عاطف منصور : اللكقابات، ص100. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101.

(1) ابن فركون : ديوان ابن فركون، ص 70 – 71 – 167 – 201. المقري : أزهار الرياض، ج 1، ص226 – 227. جمعة شيخة: الفتن والحروب، ج1، ص333 وما يليها.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص127.

(3) أحمد بن المهدي الغزال : نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، تحقيق إسماعيل العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1980م، ص58 – 59. المعسكري: الحلل، ص293. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج2، ص604. محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص288. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص79.

ومما يؤكد صلابة أسوار مدن العدوة الأندلسية وإتقان بنائها؛ بقاء جزء منها رغم كل الظروف التي ألمت بها. وأبرز آثار هذه الأسوار، أجزاء من أسوار مدينة جبل طارق، وهي ما تُعرف بسور العرب. ويمتد هذا السور من وسط صخرة الجبل منحدرًا على سفحها باتجاه البحر عند أبواب المدينة الجنوبية على صورة أطلال متصلة ومتقطعة . ولا يزال جبل طارق اليوم يحتفظ بمواضع سوره بالإبقاء على دلالات تشير إلى مكانه، فهناك الأبواب المسماة بأبواب الماء (Water Gates)، وهي تقع وراء ميدان كاسمنت (Casement) في الشمال الغربي لصخرة الجبل، وكان بموضعها أبواب أسوار مدينة جبل طارق الإسلامية. كما يدل على موضع أسوار مدينة جبل طارق الطريق الذي أنشأه الإنجليز مكانه، وأطلقوا عليه طريق خط السور (Line Well Road)[1].

ويلي الأسوار كعنصر من أهم عناصر العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية قصور السلاطين والحكام وأعيان الدولة، فكل مدن العدوة الأندلسية اشتملت على قصر من هذه القصور. فالجزيرة الخضراء احتوت على قصرين: الأول: ليعقوب بن عبدالحق على وادي النساء، والآخر: لابنه يوسف بمدينة البنية[2]. أما جبل طارق فمن أول ما بُني به عند بناء المدينة سنة 555هـ / 1159م قصر لعبدالمؤمن بن علي يجاوره قصور أبنائه، وأصحاب المقام من بلاطه[3]. وليس ببعيد عن هاتين المدينتين مدينة طريف، غير أنه لم تصلنا معلومات وافيه ع ن قصورها ودو ر حكامها، مع أن قادة الجيوش الإسلامية، ومنهم الحكام كان لهم استقرار بها لمرات عدة، ولفترات متفاوتة.

ورغم انعدام ذكر القصور بمدينة طريف إلا أن التميز كان حليفًا لها عن مدينتي : الجزيرة الخضراء وجبل طارق في المباني المدنية المعروفة بالفنادق، فهي تعد من المد ن

---

(1) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص294.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص419 – 468 – 475. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص62 – 65.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص 121. ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص 82 – 83. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج20، ص372. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101.

الأندلسية التي بها عدد من الفنادق [1]، وقد تكون مما استخدمه الحكام والقادة عند استقرارهم بطريف عوضًا عن المباني المخصصة لهم.

وكما امتازت مدينة طريف بالفنادق، كان لمدينة الجزيرة الخضراء امتياز في الأسواق، ذلك العنصر المعماري الحيوي لكل مدينة على سطح الأرض . ويعود تميز الجزيرة الخضراء عن قرينتيها إلى وفرة أسواقها، التي امتدت من جامع الجزيرة الخضراء بوسط المدينة إلى شاطئ البحر. كما كان للجزيرة الخضراء تميز فيما يعرف بالأسواق المؤقتة، وقد حدث ذلك بها في عام 479هـ / 1086م عندما عبر يوسف بن تاشفين إليها، حيث جعل أهلها سماطًا أقاموا به سوقًا، جلب به كل ما احتاجه جيش ابن تاشفين [2].

ومما يحتاجه الإنسان وتفردت به الحضارة الإسلامية عن غيرها، وكان حاضرًا بالعدوة الأندلسية مباني الحمامات . فطريف بها عدد من تلك الحمامات، والجزيرة الخضراء بها ثلاثة منها. وبجبل طارق عدد آخر، احتفظ بواحد منها [3]. وهذا الحمام موجود بأسفل متحف مدينة جبل طارق، ويتكون الحمام من صفين من العقود، كل واحد منها مكون من ثلاثة عقود، تعلوها قبة منخفضة . وإلى جوار هذا الحمام بهوان كبيران، أحدهما ذو سقف تتخلله كوات معقودة . ويظهر هذا البناء على أنه مكمل لوظيفة الحمام. ولا يوجد بهذا الحمام أية نقوش، إلا أنه يشبه حمامات الحمراء، مما يوحي أنه من بناء بني الأحمر [4].

وقد نالت ندرة المعلومة من العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية، فأماكن معاقبة المخالفين، أو ما يطلق عليه عمومًا باسم السجن لم يرد ذكر لها، لا نصًا، ولا أثرًا . على

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص127. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 2، ص539. الونشريسي: المعيار المعرب، ج7، ص466. البكر: النشاط الاقتصادي، ص235. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص308.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص87. ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص133.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص74 - 127. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص539.

(4) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص292. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص102.

Philip Dennis: Gibraltar, P 140.

الرغم من ورود ما يفيد إرسال علي بن يوسف بن تاشفين ابنه أبا بكر لسجنٍ بالجزيرة الخضراء؛ عندما يئس من أمره[1].

وكحال سجن العدوة الأندلسية حال مراسي مدنها، فمع كون مرسى الجزيرة الخضراء أحسن مراسي الأندلس، وذلك الدور التي كانت تعتمد به القوى الإسلامية في التعاون المشترك بين المغرب والأندلس على تلك المراسي، إلا أنها لم يكن لها حظ سوى ما ذكر به مرسى الجزيرة الخضراء[2].

وهذا كله في وقت بلغت به العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية منتهاها. فبها بنيت عدد من الوحاء لطحن الأقوات، كان منها ما صُنع ليعمل با ستخدام الريح كرحى الحاج يعيش التي بناها بأعلى جبل طارق، ومنها ما صنع ليعمل باستخدام تدفق مياه الأنهار كرحى ابن خليفة، ورحى العجسي، ورحى ابن الوزير أبي عبدالله بن رضا، وكلها كانت على نهر العسل بالجزيرة الخضراء. ولكل رحى من تلك الرحاء منافعها، ومرافقها، ومحط وارداتها، وعدتها المعدة لطحنها[3].

كما امتازت العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية بعدم رضوخها لطبيعة الأرض، فجبل طارق لم يعقها عن إقامة مدينة بها، فاستخدم البناؤون به الطيقان والحنايا المبنية من الحجر المنجور بالجير؛ وذلك لتسوية الأرض، وإقامة المباني عليها بصفة تُظهرها وكأنها على أرض مستقرة، وهذا التصميم أثار إعجاب الناس، حتى أن المصدر أشار بأنه لو شاهد هذا البناء شداد بن عاد الذي بنا مدينة إرم ذات العماد لأقر بالعجز[4].

ومما تجاوزت به العمارة المدنية طبيعة أرض العدوة الأندلسية شقها لطرقات فسيحة

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 4، ص101. عصمت دندش : أضواء جديدة، ص 181 – 182. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص162 – 163.

(2) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص173.

(3) الونشريسي : المعيار المعرب، ج 9، ص262 – 263. ابن صاحب : المن، ص 88. مجهول : الحلل الموشية، ص155. محمد الكحلاوي: عرفاء البناء، ص229.

(4) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص82 – 83. ابن صاحب: المن، ص86 – 87.

ومتسعة داخل مدنها، ذات أرصفة بأزقتها وشوارعها. كما جُعل على أنهارها قناطر يُعْبر عليها داخل المدن، ومنها قناطر نهر العسل بالجزيرة الخضراء، وقناطر طريف، وقنطرة البنية (انظر صورة12)[1]. ولم تكن تلك القناطر بصماء، فقنطرة البنية ذات عقد واحد، على طرفيه أقواس نصف دائرية، يقوم منها ثلاثة أقواس في الأعلى على قوس في الأسفل[2].

كما تجاوزت العمارة المدنية بمدينة جبل طارق انعدام وجود مجاري مائية تستفيد منها المدينة؛ بحفر منابع للمياه بجبل طارق، ثم جمعه بمصارف تحيله إلى قناة تنقل الماء إلى داخل المدينة ليصب في حوض يجمع الماء، ومنه يتم استفادة أهل جبل طارق[3].

ومما أنتجته العمارة المدنية الإسلامية بالعدوة الأندلسية عددًا من الأبواب، منها ما بقي شيء من أثره، ومنها ما زال كغيره من عناصر العمارة الإسلامية. وللجزيرة الخضراء من هذه الأبواب: الباب الكبير، ويعرف باسم آخر هو باب حمز ة، وهذا الباب بغرب الجزيرة الخضراء. وباب الخوخة بقبليها، وباب طرفة بجوفها، وباب أشونة، وباب البحر بجنوب شرق المدينة. ومن أبواب الجزيرة الخضراء باب لا يعلم اسمه، وهل هو من الأبواب السابقة الذكر أم لا ؟ . وهو الباب الذي بناه السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب في عام 715هـ/ 1315م أمام قنطرة المدينة[4]. أما مدينة جبل طارق فلم يرد له سوى باب الفتوح الذي بالفرجة للداخل للمدينة من ناحية البحر[5].

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص539. الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص57 – 58.

(2) Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 22.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص121. يوسف العريني: الحياة العلمية، ص344. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص75.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص74 – 75. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. الناصري : الاستقصا، ج1 – 3، ص107. كمال السيد: بحوث، ص118. التهامي الراجي الهاشمي: الأبواب في الأندلس، المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد الثالث عشر، السنة الخامسة، محرم 1399هـ/ دجنبر 1978م، الرباط، المغرب، ص237 – 256.

(5) ابن صاحب: المن، ص88 – 89.

ويرى الباحث أن أبواب الماء اليوم هي مواضع لأبواب إسلامية سابقة، مما كانت تعرف بباب البحر.

ويُضاف لهذه الأبواب باب المدنيّ، وباب أشونة، وباب شريش (انظر صورة 13)، وهي أبواب بمدينة طريف، كان باب أشونة منها مشابهًا اسميًا للباب الموجود بالجزيرة الخضراء وإشبيلية ولايزال باب شريش يحتفظ ببعض آثاره الأندلسية ومنها ثلاثة عقود داخلية. وقد حدث لهذا الباب ترميم أفقده أوصافه التي بُني عليها، وعلى هذا الباب نقش حتى اليوم كتب عليه «Muy noble، Muy Lealy، heroica ciudad، de Tarifa ganada a Los Moros por Sancho IV el Bravo en 21 setiempre de 1292» وترجمتها «إن مدينة طريف وافرة النيل، وافرة الولاء والبسالة، قد انتزعها من المسلمين سانشو الرابع (الشجاع) في 21 سبتمبر سنة1292»[1].

ومما امتاز به تخطيط مدن العدوة الأندلسية وجود رحبات وأرباض. وكان بالجزيرة الخضراء عدد من تلك الرحبات، وبطريف ربض عرف بربض الرباط[2].

وللزخارف قسط وافر بالعدوة الأندلسية، وهي ذات طابع يمزج بين الخطوط العربية والرسومات الهندسية والنباتية. وقد تجلت هذه الزخارف على عدد من القطع الخشبية التي تزين بها المباني، ولدينا نماذج منها:

القطعة الأولى: إطار خشبي مما تُزين به الجدران، يعود لمدينة طريف إلى فترة بين عصر المرابطين والموحدين . وبهذا الإطار تتداخل الرسومات النباتية من توريقات وأزهار مع عبارة بالخط الكوفي، تكرر بها لفظ الجلالة مع كلمات غير مقروءة . وينحصر هذا النقش بين حدين في أعلاه وأسفله ليس عليهما شيء من النقش والزخرفة[3].

---

(1) محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص279. محمد كمال: يوسف الأول، ص 135. التهامي : الأبواب، ص 237. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص262.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص133. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص281.

(3) الجيوسي: الحضارة العربية، ج2، ص930. مانويل جوميث مورنيو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ولطفي عبدالبديع، مؤسسة شباب الجامعة، ص302.

القطعة الثانية: إطار خشبي آخر من الجزيرة الخضراء يبلغ طوله 1.025 ملم. أثرت به عوامل الرطوبة والتلف، لكن مما بقي منه يظهر أن النقش الذي به اقتصر على الخط الكوفي دون إضافات هندسية أو نباتية (انظر الصورة 14)[1].

القطعة الثالثة: من الجزيرة الخضراء لكنها اختلفت عن سابقتها من حيث النقش . فلم تشتمل على أية عبارات بالخط العربي، وإنما ضمت النقش الهندسي إلى الر سومات النباتية. وتتكون هـذه القطعة والبالغ طولها 820 ملم من جُزأين من النقش، الجزء الأيمن به خطوط عامودية متجاورة في وسطها وردة من ست ورقات . والجزء الأيسر منه، وهو الأغلب مساحة عبارة عن ثلاثة صفوف أفقية، الأول والثالث منها عبارة عن أنصاف دوائر متجاورة، بكل صف سبعة أشكال . أما الصف الثاني فهو عبارة عن أشكال تشبه رأس الغزال تصطف متلاصقة من يمين القطعة إلى يسارها (انظر الصورة 15)[2].

القطعة الأخيرة : أصغر حجمًا، وطولها 440 ملم . ولا تختلف كثيرًا عن القطعة الثالثة. فهي على جزأين: الأيسر منها جزء أصم ليس به نقش أو رسم، والجزء الأيمن على ثلاثة صفوف أفقية: الأول والثالث منها أنصاف دوائر، والصف الثاني بهذه القطعة نال جزءًا أكثر من مساحة نصف القطعة، وبه نقوش نباتية بسيطة (انظر الصورة 16)[3].

ويرى الباحث أن القطعتين الثالثة والأخيرة تعودان لعصر واحد، وقد تكون من عمل الحرفي نفسه . وعلى شاكلة هذه النقوش تزدان قصور العدوة الأندلسية، ومساجدها، ودورها، ومعمارها المدني بصورة عامة، مع اختلاف في مادة النقش سواءً

---

(1) N 2.432, Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 43.

(2) N 2.433, Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p43.

(3) N 2.434, Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p43.

كان خشبيًا أو جيريًا أو غيرها من المواد التي يُنقش عليها.

وكتنوع عناصر العمارة المدنية المعمارية والزخرفية بالعدوة الأ ندلسية تنوعت ألوان مبانيها، أو ما يعرف بالطلاء، ومن تلك الألوان ما كان على غير المألوف كاستخدام اللون الأزرق في أحد منازل الجزيرة الخضراء[1].

وتستمد آثار العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية صلابتها وقوتها، رغم كل الظروف التي أحاطت بها، من المواد التي بنيت به ا. فبناء مدن العدوة الأندلسية ومعالمها من الحجارة المنجورة، والمشدودة لبعضها بمادة الجيركما كان من مواد بنائها الآجر المزدوج المرقوم[2].

ومما يُثبت صلابة المعمار المدني بالعدوة الأندلسية بقاء عدد من آثارها إلى اليوم، رغم تحول مدنها إلى مدن حديثة تبتعد كل البعد عن الحضارة الإسلامية، ومن ذلك إعادة الملك كارلوس الثالث سنة 1174هـ / 1760م بناء مدينة الجزيرة الخضراء كمدينة نصرانية حديثة[3]. ومن تلك الآثار: قلعة طريف، وأجزاء من أسوارها التي تمتد إلى يسار باب شريش. لكن ما تبقى هو مجرد أطلال، كتلك القطعة الرخامية التي بقصبتها، وقد كُتب عليها بخط كوفي «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا. أمر عبدالله عبدالرحمن الداخل أمير المؤمنين...»[4].

ومن الآثار أيضًا: أطلال أسوار جبل طارق فوق صخرة الجبل، وهي ما تُعرف بـ " سور العرب "، ويبلغ طول ما تبقى من السور نحو 533م، بما لا يقل مجموعه عن 5460م مكعب من الحجارة. وبالإضافة لأطلال السور أطلال قلعة جبل طارق (The

(1) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه عبدالقادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970م، ص59 – 60.

(2) الحميري : الروض المعطار، ص 73 – 74. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. المعسكري : الحلل، ص293.

(3) محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص282. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص132.

(4) الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص58 – 59. المعسكري: الحلل، ص293. محمد كمال: يوسف الأول، ص135 – 136. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص132. محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص279.

Moorish Castle)، وتقع القلعة فوق ربوة عالية على مقربة من الطرف الشمالي الغربي لصخرة الجبل، ويجاور القلعة سراديب وعقود إسلامية[1].



(1) ابن صاحب : المن، ص 89. عيسى الناعوري : في ربوع الأندلس، ص 133. الطيبي : دراسات وبحوث، ص295. الطيبي : جبل طارق، ص 18. محمد عنان : الأثار الأندلسية، ص 291 - 292. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، ص104. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب، ص 218. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص102.

المبحث الثالث

العمـــارة الحربيــة

شكلت الحياة السياسية طابعًا حربيًا لمدن العدوة الأندلسية، خاصة منذ عصر المرابطين حتى سقوط مدن العدوة الأندلسية بيد النصارى، فقد ظلت معبرًا للحملات العسكرية وقواعد حربية للقوات الإسلامية، ثم أضحت قواعد للقوات النصرانية بعد الاستيلاء عليها[1].

وفي الأصل كان بناء مدينتي جبل طارق والبنية لأسباب حربية، فجبل طارق كانت أول قاعدة حربية إسلامية بالأندلس عندما قام طارق بن زياد ببناء حصن له على قمة الجبل، وحين أمر عبدالمؤمن بن علي حاكم الموحدين ببناء مدينة جبل طارق كان ذلك لإقامة قاعدة عسكرية لحماية سواحل العدوة الأندلسية، ومنطلقًا لقوات الموحدين لجهادهم مع نصارى أسبانيا[2].

أما مدينة البنية فكان بناؤها لهدفين حربيين : الأول: عزل جُند الجيوش الإسلامية عن سكان الجزيرة الخضراء. والثاني: إيجاد مقر آمن لقوات المسلمين بالجزيرة الخضراء يكون بعيدًا عن ساحل مضيق جبل طارق[3].

وقد أيقن حكام المسلمين بأهمية دور العدوة الأندلسية في الصراع القائم مع نصارى أسبانيا؛ ولذلك بذلوا جهدًا في العمارة الحربية بمدن العدوة الأندلسية من بناءٍ للأسوار

(1) أدرك الفينيقيون أهمية موقع العدوة الأندلسية عسكريًا منذ القدم، ولذلك أقاموا بها أبراجًا لمراقبة مضيق جبل طارق. انظر محمد القاضي: جبل طارق لم يبق من عروبته غير اسمه، مجلة الدفاع، السنة 35، العدد 106، ذو القعدة 1417هـ/ مارس 1997م، ص68.

(2) الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص140. القاضي : جبل طارق، ص 68. الطيبي : دراسات وبحوث، ص296. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص75 – 76 – 101.
Salma Khadra: The Legacy, P 612.

(3) الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص42. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص103 – 104.

والقلاع والأبراج وغيرها من عناصر العمارة الحربية، وإعادة تعمير ما تهدَّم إثر الهجمات الحربية على مدن العدوة الأندلسية.

وعند النظر إلى من قام بإعادة تعمير المنشآت الحربية بالعدوة الأندلسية من الحكام نجد أن تعدادهم بلغ تسعة حكام هم : عبدالرحمن الداخل، وكان له بناء سور مدينة طريف. وعبدالرحمن الناصر، وكان له إعلاء أسوار الجزيرة الخضراء وبناء دار الصناعة بها. والمعتضد بن عباد، وكان له تحصين جبل طارق . ويوسف بن تاشفين، وقد بنى أسوار الجزيرة الخضراء ورمم ما تشعث من أبراجها، كما أحاطها بخندق . وعبدالمؤمن بن علي، وهو من بنى مدينة جبل طارق واهتم بكل عمارتها الحربية . وليعقوب بن عبدالحق بناء سور مدينة البنية سنة 681هـ/ 1282م. ولأبي الحسن المريني إعادة ترميم مدينة جبل طارق من أسوار وحصون وأبراج ومخازن بالإضافة لبناء دار للصناعة، وعلى حذوه كان ابنه أبو عنان . أما عام 756هـ/ 1355م فقد شهد إعلاء محمد بن يوسف بن الأحمر لأسوار مدينة جبل طارق وترميم ما تهدم من عمرانه الحربي[1].

ولم يكن عمران هؤلاء الحكام مما هو متعارف عليه من مجرد البناء، بل كان منه ما هو ضرب للمحال في ذلك الزمن. ومنه إحاطة أبي الحسن المريني لمدينة جبل طارق بسور من جميع جهاتها إحاطة الهالة على الهلال. ولإنجاز ه ذا البناء الذي رأى الناس أنه مُحال، أنفق أبو الحسن الأموال، وأنصف العمال إلى أن أُكمل بناؤه[2].

ومن ذلك العمران الحربي ما ضُرب بأسواره البحر، وما كانت أبراجه ضخمة قبواتها من الحجارة الصلبة، وما بلغ منها منتهى المنعة، بعد أن جُعلت الأربطة

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص23. مجهول : الحلل الموشية، ص 176. المقري : نفح الطيب، ج 1، ص451– 452. العمري : مسالك الأبصار، ج 4، ص235 – 236. الناصري : الاستقصا، ج 1 – 2، ص140. الطيبي : دراسات وبحوث، ص 296. محمد كمال : يوسف الأول، ص 144. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص101.

(2) المقري: نفح الطيب: ج1، ص451 – 452.

والمحارس على طول ساحل العدوة الأندلسية، حتى غدت مدن العدوة الأندلسية قلاعًا محصنة للإسلام وصُفت لعدة مرات بالحصانة والمنعة[1].

وتتجلى حصانة ومنعة مدن العدوة الأندلسية في عدم خضوع إحداها للجيوش المحاصرة؛ لقوة استحكاماتها. وهو ما ليس بمستبعد عن مدن اهتم حكامها في إعلاء أسوار ها، وتقوية أركانها بمزيد من الأبراج، فتعددُ الأبراج بأسوار مدن العدوة الأندلسية ملحوظ، وأبراج المراقبة على أسوارها وسواحلها مُتعددة ومُتوفرة،كما أن البناء المعتمد على الحجارة المقطوعة اكسبها الكثير من القوة، خاصة عندما اقترن بإتقان البناء والعُمال الأكفاء[2].

وكما تجاوز المعمار المدني بالعدوة الأندلسية طبيعة التضاريس بصورة متقنة، استفاد المعمار الحربي من تلك التضاريس في زيادة المنعة والقوة - وهو ما يؤكد مدى ما بلغه المعمار الحربي بمدن العدوة الأندلسية من قدرة وإتقان - فعند النظر إلى مدينتي الجزيرة الخضراء والبنية نجدهما بُنيا على تلين مرتفعين عن شاطئ مضيق جبل طارق، ترتفع به مدينة البنية عن الجزيرة الخضراء بعشرة أمتار. كما بنيت مدينة جبل طارق على مرتفعات جبل طارق؛ وذلك لصعوبة المدن المرتفعة على الجيوش المهاجمة[3]. وبأعلى نقطة من تلك المرتفعات كانت تُبنى قلعة تطل على المدينة وما حولها، تكون مهمتها حماية هذه المدن، والإشراف عليها خاصة زمن الحرب، ومن تلك القلاع قلعة جبل طارق، وقلعة طريف[4].

---

(1) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص158. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 173. بيرو طافور : رحلة طافور، ص3. كمال السيد: بحوث، ص118.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص73 – 74. ابن عذاري: البيا ن المغرب، قسم الموحدين، ص 82. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص539. المعسكري: الحلل، ص293.

(3) ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص104 – 105.

(4) محمد عنان : دولة الإسلام، ج 4، ص517. محمد عنان : الأثار الأندلسية، ص 279. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص75 – 76.

وكما استفاد المعمار الحربي من مرتفعات العدوة الأندلسية، استفاد أيضًا من مسطحاتها المائية، فقبل أن تُبنى مدينة البنية كان نهر العسل بمثابة خندق يحمي الجزيرة الخضراء من ناحية الشمال، وعلى شاكلته أُحيطت الجزيرة الخضراء بعد بناء مدينة البنية بخندق يحيط بهما، قد يكون استفيد به من مياه نهر العسل [1]. كما تجاوز المعمار الحربي ذلك إلى جعل شاطئ مضيق جبل طارق سور أمامي لمدن العدوة الأ ندلسية، ويتضح ذلك في أسوار الجزيرة الخضراء التي اتصلت إلى شاطئ المضيق . ذلك الشاطئ الذي كانت أعين حراس الثغور تمتد على طول ساحله متمركزة بأربطة وأبراج أعدت لذلك[2].

ويتجلى المعمار العسكري بالعدوة الأندلسية في عدة عناصر تتشكل فيما يلي : أسوار مدن العدوة الأندلسية، وتعد أول بناء بأي مدينة وأهم عناصرها، لأنها تؤمّن سكان المدينة وتجعلهم ينعمون برغد العيش. هذا في أوقات يكون السلم هو الأمر السائد على هذه المدن، فما بالنا إن كانت المدن هدفًا للحملات الحربية كحال مدن العدوة الأندلسية. ومن هذه الأهمية كان لأسوار مدن العدوة الأندلسية ـ ثغر الأندلس الجنوبي ـ اهتمام كبير، جعلها ذات حصانة ومنعة. فمدينة طريف امتازت بطول سورها، وارتفاعه بقدر عشر قامات، وأسوارها بالإضافة لأسوار جبل طارق والجزيرة الخضراء كانت من الحجارة الصلبة التي قطعت من جبالها كأسوار جبل طارق، أو جلبت إليها كأسوار الجزيرة الخضراء. وكل ذلك البناء مزجت به صفوف الحجارة بالجير فكانت خير أسوار لثغور العدوة الأندلسية[3].

وكان لتتابع حكام المسلمين في الاهتمام بتحصينات مدن العدوة الأندلسية دور في

---

(1) الحميري : الروض المعطار، ص 73. مجهول : الحلل الموشية، ص 51. أبو دياك : فنون القتال، ص 237. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص103 – 104.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص158. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص173.

(3) الحميري : الروض المعطار، ص 73 – 74. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. بيرو طافور : رحلة طافور، ص 3. كمال السيد : بحوث، ص 118. الطيبي : جبل طارق، ص 18. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص75.

استمرارية صلابة هذه الأسوار. فالجزيرة الخضراء أعاد بناء أسوارها يوسف بن تاشفين نتيجة لما تهدَّم منها. كما أُعيد بناء سورها الأمامي في عهد الموحدين، ثم كان ليعقوب بن عبدالحق بناء سور مدينة البنية في عام 681هـ/ 1282م، وفي عام 715هـ/ 1315م أحاط أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني الجزيرة الخضراء كلها بسور[1]. أما أسوار جبل طارق فقد نالت حظًا وافرًا من الاهتمام رغم أنها الأحدث من بين أسوار العدوة الأندلسية، فبعدما لاقى عمرانها سنة 555هـ/ 1159م من اهتمام عبدالمؤمن بن علي الذي حدد بنفسه مكان سور المدينة، أعاد أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان بناء أسوار جبل طارق، وترميم ما تشعث منه، ثم اتبع ذلك محمد بن يوسف بن الأحمر برفع أسوار المدينة في عام 756هـ/ 1355م[2]. ولمدينة طريف اهتمام آخر لم يتجلَ وهو كون سورها أقدم أسوار مدن العدوة الأندلسية فهو من بناء عبدالرحمن الداخل[3].

وتمتاز أسوار مدن العدوة الأندلسية بالإضافة لما امتازت به، بطول مسافة أسوارها. فأسوار مدينة جبل طارق امتدت من أعلى صخرة الجبل إلى الهاوية المطلة على الرمال، وأسوار مدينة طريف وصفت بطول سورها، أما مدينة الجزيرة الخضراء فكان امتداد سورها من شمال نهر العسل بأكثر من عشرة كلم إلى مياه مضيق جبل طارق[4].

وتتخلل أسوار مدن العدوة الأندلسية أبراج تقف إلى صفها لإتمام وظيفتها الحربية. ولأبراج العدوة الأندلسية طابع مميز في تصميمها، فيغلب عليها الشكل المربع، وهي

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص51 – 176. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج2، ص604.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص23. مجهول: الحلل الموشية، ص155. المقري: نفح الطيب، ج1، ص451 – 452. العمري: مسالك الأبصار، ج 4، ص235 – 236. الناصري: الاستقصا، ج 1 – 2، ص140. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101.

(3) الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص58 – 59. المعسكري: الحلل، ص293.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص 73. الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص158. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص173. المعسكري: الحلل، ص293. كمال السيد: بحوث، ص 118. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص17. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص105.

تبرز عن سور المدينة إلى الخارج، كما ترتفع عنه بأطوال غير متساوية، فترتفع بعضها عن الأخرى[1].

وتتكون أبراج العدوة الأندلسي ة من نصفين : النصف السفلي منه أصم ليس به فتحات، والنصف العلوي على حالتين: إما أن يكون غرفة واحدة، أو يتكون من غرفتين تعلو إحداهما الأخرى. ويتخلل حائط النصف العلوي فتحات يستخدمها الجند كمنافذ لقذف السهام وما شابهها. ويرتقي الجند داخل هذه الأبراج بدرج يوصلهم إلى أعلاها، ويصل بين هذه الأبراج شرفات تمتد على أسوار المدينة[2].

وقد لاقت أبراج العدوة الأندلسية عناية من حكام المسلمين، فيوسف بن تاشفين أعاد تجديد أبراج الجزيرة الخضراء، وأبو الحسن المريني بنى وجدد أبراج جبل طارق التي فرضت وجودها على مجسم ابنه أبي عنان [3]. ولم يكن وجود أبراج العدوة الأندلسية مقتصرًا على دورها ضمن التاريخ الإسلامي، بل استفاد منها نصارى أسبانيا كل الاستفادة. فأبراج طريف أُبقي عليها ووضع بها النصارى فيما بعد خمسة مدافع، أحدها مصنوع من نحاس وعليه صورة لأفعى يبلغ طولها اثني عشر شبرًا[4].

وفيما يتصل بقلاع وحصون العدوة الاندلسية فيأتي في مقدمتها قلعة جبل طارق التي تتوج صخرة الجبل ولا زالت تقف إلى اليوم شامخة رغم أنها بُنيت في عام 555هـ / 1159م. ولهذه القلعة مسميات عدة فهي القلعة المراكشية، والقلعة المغربية، والقلعة الأندلسية (Moorish Castle)، وتعرف اليوم بالقلعة الحرة (LA CALAHORRA). وقد

---

(1) الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص58 – 59. القاضي: جبل طارق، ص68. السيد عبدا لعزيز: بحوث إسلامية، ج2، ص599 – 600. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص17.

(2) السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج2، ص599 – 600.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص 51. المقري : نفح الطيب : ج1، ص451 – 452. العمري : مسالك الأبصار، ج4، ص235 – 236. أبو دياك: فنون القتال، ص237.

(4) الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص59.

تكون هذه القلعة هي قلعة القشتور التي ورد ذكرها زمن أبي الحجاج يوسف بن الأحمر[1].

وتقع قلعة جبل طارق على مقربة من الطرف الشمالي الغربي لصخرة الجبل، وقد يكون موضعها هو موضع القلعة التي بناها طارق بن زياد عند نزوله بجبل طارق[2]. ويرى الباحث أن قلعة طارق بن زياد لم تكن موجودة عند بناء مدينة جبل طارق سنة 555هـ/ 1159م، وإلا لورد ذكرها.

وقد لاقت هذه القلعة عناية خاصة منذ بنائها زمن عبدالمؤمن بن علي، فقد اهتم بعمرانها، وذلك باختيار أمهر العمال من بلاد الأندلس والمغرب، وجلب لأجلها ضمن بناء مدينة جبل طارق الحجارة المقطوعة والجير لبنائها على أكمل وجه. ثم تبعه أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان، ومن بعدهم محمد بن يوسف بن الأحمر[3]. ويجاور قلعة جبل طارق قلعة أخرى أصغر منها لازالت أطلالها باقية بجبل طارق، ويظهر أنها كانت للحراسة أو ما شابه ذلك[4].

وينظم إلى جانب الأسوار والأبراج والقلاع كعنصر من عناصر العمارة الحربية الأربطة أو ما يُعرف بالمحارس، وكلها يقصد بها أبراج المراقبة خارج المدينة. وقد لاقى هذا النوع من الأبراج اهتمامًا خاصًا من المرابطين، بذلوا لأجل إقامتها نشاطًا كبيرًا[5]. ويرى الباحث أن هذه الأربطة امتدت على سواحل العدوة الأندلسية بصفة خاصة، وبالمناطق الشمالية من أراضي العدوة الأندلسية بمواضع تم انتخابها، تضمن لأهل

---

(1) ابن فركون: ديوان ابن فركون، ص 71. ابن صاحب: المن، ص 89. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص17. محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص291. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص 133. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص101.

(2) محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص291. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص133.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص82. ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص23. محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص291.

(4) محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص291.

(5) أبو دياك: فنون القتال، ص237.

العدوة الأندلسية أسبقية معرفة خبر الحملات الحربية المهاجمة لأراضيهم قبل وصولها.

ويجاور الأربطة على ساحل العدوة الأندلسية كعنصر من عناصر المعمار الحربي دور صناعة السفن. ويعد هذا العنصر من أهم العناصر الحربية لأي مدينة ساحلية، فلا يُجدي نفعًا لحماية هذه المدن الاقتصار على القوات البرية، وإن بلغت منتهى قوتها. ولهذا أُقيمت دور الصناعة بمدن العدوة الأندلسية، وتواجدت بها منذ وقت مبكر . فقد بنى الخليفة عبدالرحمن الناصر دارًا لصناعة السفن بالجزيرة الخضراء، أتقن بناءها، وأعلا أسوارها، وكان لهذه الدار أبراج ضخمة لحمايتها[1].

وبالإضافة لهذه الدار كانت هناك دار للصناعة بجبل طارق، وهي التي شرع في بنائها أبو الحسن المريني بعد استرجاعه لجبل طارق سنة 733هـ / 1332م، وبطريف دار ثالثة كان لها دور كبير في التعاون الحربي المشترك بين بني الأحمر وبني مرين[2].

ولم يقتصر المعمار الحربي بالعدوة الأندلسية على ما هو سائد ومعروف، فالخندق صورة تواجدت بالعدوة الأندلسيةوقد كان هذا الخندق حاضرًا بالجزيرة الخضراء بأمر يوسف بن تاشفين الذي أمر بحفره إلى جوار بناء سور المدينة وترميم ما تشعث من أبراجها[3]

ويرى الباحث أن فكرة هذا الخندق نابعة من الجزيرة الخضراء نفسها، المدينة التي استخدمت نهر العسل خندقًا لها من ناحية الشمال قبل عام 674هـ/ 1275م.

وكما أشرنا في البدء نشير في الخاتمة بأن الحياة السياسية كان لها أثر كبير على المعمار الحربي بالعدوة الأندلسية، فطول زمن الحصار الذي تعرضت له مدن العدوة الأندلسية أنتج عنصرًا معماريًا حربيًا تمثل في تلك المخازن الإستراتيجية، التي يرى الباحث أنها كانت على شيء من كبر الحجم لتحتوي المؤن والذخيرة الكافية لتعين أهل المدينة على

---

(1) الحميري : الروض المعطار، ص 73. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. السامرائي : تاريخ العرب، ص406. سحر السيد: أوراق تاريخية، ص364 – 365.

(2) العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص235 – 236. محمد كمال: يوسف الأول، ص144.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص73. مجهول: الحلل الموشية، ص51. أبو دياك: فنون القتال، ص237.

مقاومة تلك الفترات الزمنية الطويلة من الحصار . وكان أحدها ماثلًا في مجسم جبل طارق الذي أمر بصنعه أبو عنان المريني[1].

والجدير بالذكر أن المعمار الحربي بالعدوة الأندلسية لازالت أطلاله تقف صامدة أمام كل المتغيرات، وأكبر دليل على ذلك قلعة جبل طارق وأسوارها، وقلعة طريف وبعض أسوارها، رغم أنها أطلال مهملة. وحتى نقش النصر بجبل طارق حافظ على جزء كبير منه، وقد كتب به : «النصر والتمييز من الله تعالى لمولانا أبي عبدالله أمير المسلمين ابن أبي الحجاج يوسف أمير المسلمين ابن مولانا أبي الوليد أبقاه الله»[2].



(1) ابن صاحب : المن، ص 89. المقري : نفح الطيب : ج1، ص451 — 452. محمد كمال : يوسف الأول، ص144. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص79.

(2) ابن صاحب : المن، ص 89. الطيبي : جبل طارق، ص 18 – 19 — 20. محمد عنان : الأثار الأندلسية، ص279 — 291 – 294. عيسى الناعوري: في ربوع الأندلس، ص132 — 133.



الفصل الثاني

الأحـــوال الإقتصاديـــة

المبحث الأول الزراعة.

المبحث الثاني : الصناعة

المبحث الثالث : التجارة

تمهيد

شكل اتحاد مدن العدوة الأندلسية ـ جبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف ـ قوة اقتصادية تكاملت زراعيًا، وصناعيًا، وتجاريًا بصورة جعلت من اقتصادها حل قة من حلقات الحياة الاقتصادية بالأندلس والعالم الإسلامي.

فالفواكه العجيبة، والقرنفل المميز، والنباتات العطرية والطبية، وكذلك الكتان والحرير الأفضل على نطاق العالم الإسلامي جعلت زراعة العدوة الأندلسية في مصاف المدن والأقاليم الإسلامية المتميزة زراعيًا[(1)].

وكذلك صناعة السفن، والآلات الحربية، والمقذوفات الحارقة، بالإضافة للمواد الخام اللازمة للصناعة التي تتواجد بالعدوة الأندلسية، جعلت من العدوة الأندلسية مقصدًا لتلك المصنوعات[(2)].

ولهذا التميز الزراعي والصناعي، وعدد من مقومات العدوة الأندلسية التجارية أصبحت مركزًا للتجارة الدولية، يتاجر بها غير أهلها، ويسوَّق بها منتجات من خارج أرضها[(3)]

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص73. البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. ابن صاحب: المن، ص87–88. المقري: نفح الطيب، ج، ص177. المقري: أزهار الرياض، ج2، ص39 –40. الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص58. أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران، ص237. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص33 –34. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص137 وما يليها محمد كمال: يوسف الأول، ص134.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص73. العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص236. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص465. خطاب: الأندلس، ص84. محمد عنان: الآثار الأندلسية، ص282. محمد كمال: يوسف الأول، ص144. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية، ص372. عبدالرحمن الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ط220.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص 73 – 87. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 2، ص539. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 297. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص181 – 182. بدرو شلميطا: صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، الحضارة العربية، ج2، ص1079 – 1080.

المبحث الأول

الـزراعـــــة

يُعتبر المجال الزراعي من أهم المجالات الاقتصادية للمجتمعات البشرية؛ منه قوتهم وكسائهم، وعليه تعتمد صناعتهم وتجارتهم . وللعدوة الأندلسية في ا لمجال الزراعي حظ وفير من الزرع والضرع، تكاملت به مدنها وقراها.

وقد تَوفّر بالعدوة الأندلسية مقومات الزراعة كاملة، فبها وفرة المياه الجارية والجوفية كنهر العسل (ROI DELA MIEL) بالجزيرة الخضراء، ونهر طريف، ومياه جبل طارق الجوفية والسطحية، وآبار جزيرة أم حك يم، وللأمطار الوفيرة دور مكمل لمياه العدوة الأندلسية[1]. وبأرضها تنوعت التربة بين تربة طينية شديدة الخصوبة لها نباتاتها التي تنمو بها، وتربة رملية حرشاء أيضًا لها نباتاتها كنبات التين الذي لا ينمو إلا بهذا النوع من التربة . ومن مقومات الزراعة التي حظيت بها العدوة الأندلسية اختلاف مظاهر السطح من مرتفعات ومنخفضات كان لاختلافها أثـر كبير على تنوع النباتـات، فبها نباتـات جبلية، وأخرى ساحلية[2].

ولم تكن المقومات الطبيعية هي كل ما اعتمدت عليه زراعة العدوة الأندلسية، فقد

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص73 وما يليها . ابن سعيد : المغرب، ج1، ص320 – 321. ابن الدلائي : ترصيع الأخبار، ص117. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص173. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج2، ص539. ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص 83. ابن صاحب : المن، ص 87 – 88. العمري : مسالك الأبصار، ج 4، ص236. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص213. بيرو طافور: رحلة طافور، ص3. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص33 – 34. كمال السيد: بحوث، ص118. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص521. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص106 – 107. يوسف العريني: الحياة العلمية، ص344.

(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص83. أبو الخير الاشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج 1، تحقيق محمد العربي الخطابي، مطبوعـات أكاديمية، المملكة المغربية، ص 48 – 49 – 80 – 81 – 321، ج2، ص645 – 702. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص137 – 138.

كان للعامل البشري دور آخر في دعم الزراعة بها، للحكام منه جزء، ولعامة الناس جزء آخر. وممن اهتم بالزراعة من الحكام عبدالمؤمن بن علي الموحدي، فقد أمر باستصلاح أراضي جبل طارق، وغرسها بأنواع الفاكهة، كما زُرع بأمره عدد من البساتين بجبل طارق له ولأبنائه، وصُنع لها قنوات مائية من قمة الجبل إلى تلك البساتين[1].

أما ما كان لعامة الناس فقد تميّز بجلبهم لعدد من النباتات من المغرب والمشرق وزراعتها بالعدوة الأندلسية، فتكللت جهودهم بالنجاح، ومن أمثلة تلك النباتات : قصب السكر، والرمان السفري المنتسب إلى زارعه سفر بن عبيدالله الكلاعي ـ أحد جند الأردن ـ زمن الأمير عبدالرحمن الداخل[2].

ونتيجة حتمية ـ بمشيئة الله ـ لهذه المقومات كانت الجزيرة الخضراء أرض زرعٍ وضرع، بها البساتين النضرة والمياه الجارية، وتجمع في ثناياها خير البر والبحر، كما تتوسط بموقعها المنافع، ومرساها أيسر المراسي للحيوان؛ لقربها من بلاد المغرب[3].

و«لجبل طارق شرف البقعة، وكريم التربة، كلما استودع في أرضه من خير نما وزكا وفضل وجل وأثمر عن قرب غرس وزرع»، ولجبل طارق اشتمال أغلب فواكه الأندلس وأشهرها كفاكهة التفاح، على الرغم من ضيق ضفته الممتدة كالحبل[4].

وعن مناطق الزراعة بالعدوة الأندلسية يظهر أنه لم يخل جبل ولا سهل داخلي أو ساحلي من البساتين والجنان والنباتات الطبيعية، فبأعلى قمة جبل طارق وُجد نبات

---

(1) الحميري : الروض المعطار، ص 121. السامرائي : تاريخ العرب، ص 472. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص152. يوسف العريني: الحياة العلمية، ص344.

(2) أحمد الطاهري : الفلاحة والعمران، ص 237. البكر : النشاط الاقتصادي، ص 132. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص124.

(3) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص 117. ابن غالب : فرحة الأنفس، ص 294. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص320 – 321. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص173. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص213.

(4) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 85. ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص 83. ابن صاحب : المن، ص87 – 88. بيرو طافور : رحلة طافور، ص 3. عبد العزيز الرفاعي : جبل طارق، ص 33 – 34. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص139 – 140.

القرنفل، وبجبل موسى بالقرب من الجزيرة الخضراء زُرع قصب السكر . وعلى ضفاف أنهار العدوة الأندلسية بالجزيرة الخضراء وطريف كانت الجنان والبساتين . وعلى سواحل العدوة الأندلسية زُرع عدد من النباتات كالتين وغيره من ثمار الفاكهة[1].

وليس هذا فحسب بل كان الغطاء النباتي منتشرًا بداخل مدن العدوة الأندلسية على صور جنان وبساتين، وبخارج المدن كأشجار الزيتون والعنب خارج طريف، وأشجار التين غرب الجزيرة الخضراء، هذا بالإضا فة للنباتات الطبيعية والحشائش المنتشرة هنا وهناك[2].

ويرى الباحث أن للجزيرة الخضراء نصيبًا كبيرًا من اسمها فهي تحوي ضمن أسوارها عددًا كبيرًا من البساتين والمنتزهات، ومن منتزهاتها الحاجبية والنقاء، ومن حولها المزارع والمناطق التي تكثر بها النباتات الطبيعية ، ولهذا كان للجزيرة الخضراء الصدارة في وفرة النباتات عن مدينتي : جبل طارق وطريف، وقد يكون ذلك لوفرة المياه بها واستواء أرضها عن جارتيها[3].

ومن أبرز نباتات العدوة الأندلسية ما يلي:

1 - أدّاد: هو البشكرانية، وهو نبات له ورق كخيوط الكرم، يلتف على ما يقربه من الرياتات، وله زهر، ويشبه الأدّاد الخيزران الأندلسي، ويتواجد بجبل الربلة بالجزيرة الخضراء[4].

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص 74. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. بيرو طافور : رحلة طافور، ص3. أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران، ص237. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصا دي، ص124 – 149 – 150.

(2) الغزال : نتيجة الاجتهاد، ص 58. محمد كمال : يوسف الأول، ص 134. محمد عنان : الأثار الأندلسية، ص278.

(3) الحميري : الروض المعطار، ص 73 – 74. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص320 – 321. أبو الفداء : تقويم البلدان، ص173. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص213.

(4) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص48 – 49.

2 - إذخر: له عدة أسماء منها تبن مكة، وتسمى شجرته المصطكى . وله عدة ألوان منها الأصفر والأحمر والأغبر، وله في أول نباته ورق دقيق لطيف . ومن الإذخر نوع بالجزيرة الخضراء[1].

3 - أراك: جنس من الشجر الخشبي، هو أفضل ما يستاك به وأطيبه رائحة، له أثر على لبن الماشية متى أكلت منه، ويوجد الأراك بجبال الجزيرة الخضراء[2]

4 - أسارون: ويعرف في اللغة العربية بـ" نوغان"، وهذا النبات يشبه ورق القسوق غير أنه أصغر بكثير وأصلب وخضرته مائلة إلى السواد. وأفضل هذه النبتة ما يجلب من الصين، ثم يليها ما يجلب من الأندلس، والأفضل من الأندلسي ما كان من الجزيرة الخضراء وبالجزيرة الخضراء نوع آخر منه له ورق مثل القنطوريون الرقيق، تعلو ساقه نحو الذراع، طيّب الرائحة والطعم، وهو ينبت بالجبال الصخرية، ويتواجد بكثرة بجبل الربلة من الجزيرة الخضراء[3].

5 - استب: هو من جنس الورق الآسي، ومن نوع التمنس . وهو على نوعين : الأول له ورق يشبه ورق الزيتون في القدر واللون إلا أنه ألين. والنوع الآخر يشبه ورق التوت في الشكل والهيأة، إلا أنه أعرض وأميل للسواد . ويُصنع من الاستب طيب للأذن. وينمو هذا النبات بجبل طارق وجبال الجزيرة الخضراء[4].

6 - بَصَل : هو أنواع وأجناس، منه نوع مُبضع معرق يعظم في نباته، يعرف

---

(1) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص49.

(2) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص53.

(3) أبو الخير : المصدر السابق، ج 1، ص80 – 81. محمد العربي الخطابي : معجم أندلسي من القرن السادس الهجري محاولة علمية لتجنيس النبات، مجلة أكاديمية، العدد الخامس، ربيع الثاني 1409هـ/ دجنبر 1988م، المملكة المغربية، ص85 – 86.

(4) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص81 – 82.

بالشلوبيني، وهو كثير بالجزيرة الخضراء[1].

7 - البطيخ: هو القِثاء النضج الذي قد أصفر، ويعود لجنس اليقطين، ويعرف بالخربز والخضف، وهو أنواع منه الجزيري لكثرته بالجزيرة الخضراء[2].

8 - جولق: من جنس التمنس، ومن نوع الشوك، وهو خمسة أنواع، منه نوعان بجبال الجزيرة الخضراء، النوع الأول: لا ورق له وهو شوك، ساقه قصيرة، وشكله كقبة شوك، ولونه بين الخضرة والغبرة، ولهذا النوع رائحة عطرية، ويعرف هذا النوع باسم آخر هو الدار شيشعان. والنوع الآخر من الجولق: له ورق دقيق جدًا، وشوك حاد دقيق وكثيف، وساق هذا النوع أطول من السابق، خشبية صلبة معرقة، ولونها من الخارج أصفر، ومن الداخل أحمر، وهو عطري الرائحة أيضًا[3].

9 - حُماما: من جنس الحشيش، وهو نبات دقيق يفترش على الصخر، أكثره في أوله. وللحُماما نوع آخر يكثر بجبل الربلة، له ورق يشبه ورق الرجلة، إلا أنه أعرض منه[4].

10 - خربق أبيض: نبات له ورق كورق لسان الحمل، لكنه أشد رطوبة وأصغر حجمًا، وأكثر ميلًا إلى الخضرة مع حمرة، وبجبال الجزيرة الخضراء منه نوعان: الأسود والأبيض[5].

11 - خولنجان: نبات ورقي، تعلو ساقه نحو ذراع، ولون ساقه أحمر من الداخل والخارج. ولطعم هذا النبات حرارة، وله رائحة طيبة . وينمو الخولنجان

---

(1) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص111. محمد الخطابي: معجم أندلسي، ص86 – 87.

(2) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص101.

(3) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص186 – 187. محمد الخطابي: معجم أندلسي، ص97 - 98.

(4) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص222 – 223.

(5) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص259.

بكثرة في جبال الجزيرة الخضراء[1].

12 - خيزران: منه نوع جبلي يكثر بجبال الجزيرة الخضراء، وهو ورقي له س اق تعلو أكثر من ذراع، ولأصول الخيزران استخدامات طبية[2].

13 - راسن: نبات من نوع الجَنبة، ورقه كورق الخس، إلا أنه أعرض وأطول مع جعادة وخضارة. ويجمع هذا النبات في شهر حزيران، وهو كسابقه بجبال الجزيرة الخضراء[3].

14 - الرمان الجبلي: يعرف بالرمان الهندي، وهو شبيه للرمان من ناحية المنظر إلا أنه لا يثمر، وليس له زهر[4].

15 - سانه : نبات ورقه كورق الضرو، مع قصر ولين، وأطراف الورق مائلة للتدوير، ساقه خشب معرق، وله ثمر منتظم على شكل حبوب تشبه حب العرعر. ومنابت السانه الجبال، ومنها جبال الجزيرة الخضراء[5].

16 - الشيح: منه نوعان كلاهما بجبل طارق والجزيرة الخضراء. النوع الأول : هو الشيح الرومي، له زهر شمعي اللون يميل إلى البياض، وله رائحة عطري ة. وللشيح الرومي عدة أسماء منها الافسنتين، والساطوليقون، والبيطشي . ولهذا النوع أزهار تستخدم في الطب. والنوع الآخر: هو الشيح الأرميني، له ورق جعد صغير جدًا، وينمو هذا النوع بالمناطق المشمسة القريبة من

---

(1) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص280. أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص316 – 317.

(2) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص283 – 284.

(3) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص321.

(4) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص333.

(5) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص708.

البحار[1].

17 - عَبْقَر: يسمى بعيون البقر؛ لمشابهة ثمره لأحداق البقر قدرًا وصفةً، كما يعرفه الأطباء بالأجاص . وهو أنواع منه البستاني والبري والجبلي، وللعدوة الأندلسية من هذه الأنواع الجبلي، وثمر الجبلي على قدر ث مر المخيطا، لونه أسود أو أبيض، وله شوك . الأبيض منه يتواجد بجبل طارق، له علوكة وحلاوة[2].

18 - عُنَّاب: من جنس الشجر، أنواعه كثيرة، منها البري والبستاني، ومنه الأبيض والأحمر. الأحمر منه خمسة أنواع: أحدها الامليسي: ثمره بحجم البندق، كثير اللب، صغير النوى، وهو كثير بالجزيرة الخضراء[3].

19 - الفو: نبات له ورق منبسط على الأرض، أخضر، ناعم، عليه شوك لطيف . ساقه في غلظ الخنصر، تعلو ذراعًا، ملساء، ناعمة، ذات عُقد، مجوفة . وفي أعلى النبتة جُمَّة فيها شوك، وعليها زهر أزرق. والفو ذو رائحة طيبة، يتواجد نباته بساحل الجزيرة الخضراء[4].

20 - قراسيا: من جنس الشجر، وهو جبلي الأصل، يعرف ثمره بحب الملوك، وهو ملزّزُ اللحم شديد الحلاوة، لون خشبه يميل للحمرة . إذا أُكل ثمره رطبًا يلين البطن، ويابسًا يعقله. ويكثر القراسيا في جبال الجزيرة الخضراء[5].

الخضراء[5].

21 - الكتان : يُعد نبات الكتان من أهم النباتات الاقتصا دية، فمنه يُنسج

---

(1) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص702.

(2) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص552 – 553.

(3) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص574.

(4) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص645.

(5) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص661.

المنسوجات من ملابس وغيرها، وقد امتازت به قرى جبل طارق حتى عُدَّ كتانها أفضل من كتان الفيوم[1].

22 - كمون صخري: نبات دقيق الورق، له أغصان دقيقة، عليها بذور. وهو كثير بجبال الجزيرة الخضراء[2].

23 - الكرفس الصخري : يعرف بالكرفس الرومي، أفضل أنواعه وأكبرها بالجزيرة الخضراء، له ورق كورق الكرفس البستاني، أبيض يميل أحيانًا للحمرة، طيب الطعم، عطري الرائحة. يوكل الكرفس الرومي كالكرفس البستاني، وإذا جُمع في أخر شهر أبريل يكون دواءً[3].

24 - يربطورة: معناه عشبة الجدرة، ينتمي لجنس الهدبات، ومن ذوات الجمم. له أربعة أنواع: كبير وصغير، وأسود وأبيض. الكبير والصغير منه يكثر بالجزيرة الخضراء، وتُقدر الشَّربة منه بثلاثة دراهم[4].

وبالإضافة لهذه النباتات هناك : الشقاقل الجبلي، والقاقّلة، والقرنفل، والنرجس المقودس، والينبوع وغيرها من نباتات العدوة الأندلسية[5].

وكما لنبات العدوة الأندلسية من وفرة وتعدد، كان لفاكهتها أصناف وأنواع منها : الرمان السفري، والتين، والعنب، والتفاح، والزيتون، والسفرجل، والمشمش، والكمثرى، والأجاص، والأترج، والموز. تواجد منها العنب والزيتون بكثرة في طريف،

---

(1) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85.

(2) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص431.

(3) أبو الخير: المصدر السابق، ج1، ص414.

(4) أبو الخير: المصدر السابق، ج2، ص848 – 849.

(5) أبو الخير : المصدر السابق، ج 1، ص118، ج2، ص655 – 656 – 787 – 838 – 839. المقري : نفح الطيب، ج7، ص177. المقري: أزهار الرياض، ج2، ص39 – 40. محمد الخطابي: معجم أندلسي، ص 86–87.

والتين بغرب الجزيرة الخضراء، ولجبل طارق من ها أغلب الفاكهة التي وصفت بالعجيبة[1].

ومن سياق نباتات وثمار العدوة الأندلسية يتجلى أنها كانت ذات فوائد متعددة، منها: ما هو للأكل والطبخ كالخولنجان، والقاقّلة، والقرنفل . ومنها ما كان للطب والتداوي كأصول الخيزران، والشيح، والقراسيا . ومنها ما كان جيدًا للبن الحيوان كالأراك، الذي هو في الأساس طِيب للفم عند الاستواك به[2].

ويرى الباحث أن من نباتات العدوة الأندلسية ما كان له مردود اقتصادي، فأفضلية الحرير والكتان بجبل طارق نابعة من بساتينه وجنانه . وكثرت بعض النباتات ذات النوعية الجيدة سيكون لها رواج في أسواق المدن الأخرى، كرواج قرنفل جبل طارق. كما يدل توفر الرحاء بمدن العدوة الأندلسية على إنتاج الدقيق، سواءً كان من القمح أو الشعير بصورة تجارية، وهي الزراعة الأساسية لكافة المجتمعات البشرية[3].

وعن الثروة الحيوانية بالعدوة الأندلسية، فقد كان للمساحات الشاسعة، وتنوع التضاريس، ووفرة الغطاء النباتي والمياه الجارية دور كبير في تواجدها، فبجبل طارق وجبال الصوف كانت تربية الضأن، وبمراعي الجزيرة الخضراء تنوعت الماشية[4].

---

(1) الحميري : الروض المعطار، ص 73. البكري : جغرافية الأندلس وأ وروبا، ص 85. ابن صاحب : المن، ص87– 88. الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص 58. أحمد الطاهري : الفلاحة والعمران، ص 237. عبدالعزيز الرفاعي: جبل طارق، ص33 – 34. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 137 وما يليها . محمد كمال: يوسف الأول، ص134.

(2) أبو الخير : عمدة الطبيب، ج 1، ص53 – 280 – 283 – 284، ج2، ص655 – 656 – 661 – 702. الغساني : حديقة الأزهار، ص 316 – 317. المقري : أزهار الرياض، ج 2، ص39 – 40. المقري : نفح الطيب، ج7، ص177.

(3) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص248. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص186 – 187.

(4) العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص236. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص176 - 179.

ولقرب العدوة الأندلسية من بلاد المغرب كان عن طريقها وتحديدًا عن طريق الجزيرة الخضراء ـ التي أُعتبر مرساها أيسر المراسي للحيوانات ـ يتم نقل الحيوانات من المغرب إلى الأندلس . وقد سجل التاريخ أكبر عملية نقل للحيوانات في العصر الإسلامي للعدوة الأندلسية في عام 479هـ/ 1086م عندما نقل يوسف بن تاشفين عددًا كبيرًا من الإبل إلى الجزيرة الخضراء غصت به المدينة، في مشهد هو الأول من نوعه؛ لكون وصول الجمل للأندلس هو الأول من نوعه أيضًا، فلم تكن الإبل من حيوانات بلاد الأندلس[1].

ويرى الباحث أن تلك الإبل لم تعد كلها إلى بلاد المغرب، وكان شيئًا منها ضمن عِداد حيوانات العدوة الأندلسية التي منها الخيول، والبغال، والحمير، والأبقار [2].

وقد ظهر بهذه الحيوانات اهتمام جيد يتضح بتخصيص موضع لشربها بجبل طارق في ذلك الحوض الذي يتوسط المدينة، فلا يمكن أن يكون وردها من الماء مع أهل المدينة من حوض واحد[3].

أما عن طيور العدوة الأندلسية فلم يرد عنها صيغ مباشرة، لكن كان هناك بعض الدلائل تشير إلى تواجد أنواع منها. ومن تلك الطيور الحمام، ومنه الحمام الزاجل الذي كان وسيلة الاتصال بين الجزيرة الخضراء وجبل طارق، عندما حاصر نصارى أسبانيا الجزيرة الخضراء في عام 677هـ/ 1278م. ومن تلك الطيور أيضًا طائر بحري مهاجر، كان ينزل بموضع من ساحل العدوة الأندلسية في وقت محدد من كل عام، لم يذكر له اسم، ولهذا الطير كان الصيادون يعدون العدة لصيده. ولم يكن هذا الطائر هو الوحيد

---

(1) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص294. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص320. غازي جرادة : الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص162.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص416. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص41 – 42. غازي جرادة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص162.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص121. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 152. يوسف العريني : الحياة العلمية، ص344.

الذي يصطاد بالعدوة الأندلسية، فكذلك طائر النسر، كان يصاد بها؛ ليستخدم جلده في الصناعة[1].

ويرى الباحث أنه بالإضافة لتلك الحيوانات والطيور هنالك ما هو متعارف عليه من الحيوانات والطيور الداجنة كالماعز، والدجاج، والبط.

أما الثروة السمكية بالعدوة الأندلسية فقد كان للسمَّاكين تواجدهم داخل مجتمعها، فمن بيوت العدوة الأندلسية بيت السماك، وهي تسمية لا يمكن أن تُقرن إلا بحرفة صيد السمك. وللسمَّاك عدة طرق لصيد السمك من أنهار العدوة الأندلسية، ومن مياه مضيق جبل طارق، ثبت منها استخدام الشِبَاك على ظهر القوارب الشراعية[2].

ومن أنواع السمك بمياه العدوة الأندلسية سمك اللسي، والسلباج، والبوقة، والتَّنّ. وللنوع الأخير من هذه الأسماك مواضع للصيد بمياه مضيق جبل طارق، الموضع الأول منها يسمى القنتبك، وهو أمام حجر الأيل غرب الجزيرة الخضراء، بينها وبين مدينة طريف. والموضع الآخر يسمى طرف الفخ، وهو على طرفٍ من جبل طارق . ويمتاز سمك التن بطيب الطعم ووفرة اللحم[3].

ويرى الباحث أن لمياه مضيق جبل طارق النصيب الأكبر من موارد الثروة السمكية بالعدوة الأندلسية، فبه أكثر من مئة نوع من السمك، ومنه يجلب المرجان[4].

وبالإضافة لكل ما سبق اهتم أهل العدوة الأندلسية بتربية الحشرات النافعة كالنحل ودودة القز. وقد كان لسكان جبل طارق السبق على سكان الجزيرة الخضراء وطريف في

(1) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص120. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص51.

(2) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 120. ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص 83. ابن صاحب : المن، ص 89. غازي جرادة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص164.

(3) الزهري: كتاب الجغرافية، ص119 – 120. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص153. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص195 – 196. ليلى نجار: المغرب والأندلس، ج2، ص437.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص153. غازي جرادة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص164.

هذه التربية حتى عُد جبل طارق إقليمًا للنحل، وكان لحرير دودة القز به أفضلية عن حرير الأندلس بل كان له أفضلية على حرير الفيوم . وتعتبر تربية النحل ودودة القز نتيجة مرادفة لتميز العدوة الأندلسية في الجانب الزراعي بتنوع النباتات المزهرة، وزراعة أشجار التين والتوت بها[1].

ولتربية هذه الحشرات النافعة أثر سيتجلى عند الحديث عن صناعة الأغذية والمنسوجات بالعدوة الأندلسية.



(1) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص83.

المبحث الثاني

الصنـــاعــــة

استمد المجتمع الإسلامي أهمية الصناعة من قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ...﴾ الآية[2]، وقول رسوله الكريم ﷺ: «**ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده** »[3]. من هذه الآيات والأحاديث تطورت الصناعة بالأندلس لدرجة فُضلت بها بعض صناعاتها عن غيرها من صناعات البلدان الأخرى . ومما كان للأندلس تميز به في مجال الصناعة، صناعة العلب ال عاجية بطليطلة وقرطبة، وصناعة المنسوجات الكتانية والحريرية بجبل طارق ومالقة، وصناعة الخزف ذي البريق المعدني ببلنسية، وقد كان لخزف بلنسية طلب لدى أمراء إيطاليا وفرنسا [4]. كما كان للأندلس مشاركات واسعة في الصناعات الأخرى كصناعة الأسلحة، وصناعة المواد الغذائية ، وصناعة التحف والأواني.

وضمن صناعة الأندلس كانت صناعة العدوة الأندلسية قد أدلت بدلوها في عدد من الصناعات، منها ما امتاز عن صناعة الأندلس والعالم الإسلامي، ومنها ما كان لتميزه ذكر داخل دائرة الصناعة الأندلسية[5].

---

(1) سورة الأنبياء، آية: 80.

(2) سورة هود، آية: 37.

(3) رواه البخاري.

(4) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. تاج السر أحمد حران: العلوم والفنون في الحضارة الاسلامية، ط2، 1426هـ، مكتبة الرشد، ص 211 – 213 – 216. جاسم محمد القاسمي : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، 2000م، مؤسسة شباب الجامعة، الاس كندرية، ص83 – 86. مانويل : الفن الإسلامي، ص355 - 383.

(5) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85.

وللصناعة بالعدوة الأندلسية عدة مقومات كان له ا أثر كبير على صناعتها وهذه المقومات هي كما يلي:

1 - **موقع العدوة الأندلسية:** أسهم في دعم صناعتها من عدة جوانب، أولًا: سهولة وصول المواد الخام إليها سواءً من الأندلس أو المغرب. ثانيًا: أدى وقوعها على أحد طرق التجارة الدولية بين أوربا وأفريقيا إلى إنعاش الصناعة بها استغلالًا لعرض المنتجات الصناعية. ثالثًا: كان لموقع العدوة الأندلسية على مضيق جبل طارق وساحلها المتعرج دعم كبير لصناعة السفن[1].

2 - **دعم حكام الدول:** كان لحكام الدول المتتابعة على العدوة الأندلسية اهتمام كبير بالصناعة، خاصة ما تعلق بالصناعات الحربية، فدار الصناعة بالجزيرة الخضراء أمر ببنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر، ودار الصناعة بجبل طارق كانت بأمر السلطان أبي الحسن المريني، ولم يكن ذلك فحسب بل اهتم بجلب المواد الخام لهذه الصناعة، ومن ذلك أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب الشرطة أحمد بن نصر بمتابعة نقل مواد صناعة السفن من خشب وزفت وقطران من جيان إلى الجزيرة الخضراء . بل والوقوف على بعض الصناعات، كما فعل الخليفة عبدالرحمن الناصر عندما وقف على إعداد النفط وآلات حرب البحر بالجزيرة الخضراء؛ لمحاربة الثائر عمر بن حفصون[2].

3 - **المواد الخام:** تعتبر المواد الخام من أهم مقومات الصناعة، وقد انعكست وفرتها على صناعة العدوة الأندلسية، فنباتاتها وهبت الصناعة مواد غذائية، وطبية، بالإضافة لمادة الخشب. كما كان لبعض النباتات استخدامات أخرى كقصب

---

(1) بيرو طافور: رحلة طافور، ص3. شكيب: الحلل، ج1، ص30.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص73. ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص 101. ابن حيان: المقتبس، ج5، ص87. السيد عبدالعزيز: تاريخ المسلمين، ص285. سحر المجالي: تطور الجيش، ص 217. عبدالرحمن الحجي: العلاقات الدبلوماسية، ص220.

السكر الذي كان يستخدم في صناعة الأقلام، وبعضها يعتمد عليه إنتاج مادة الحرير والكتان أهم عناصر صناعة المنسوجات[1].

كما كان للمواد المعدنية المستخرجة من أرض العدوة الأندلسية إسهام آخر في تلك الصناعة، وفي صدارتها مادة الكلس المتواجد بكثرة بجبل طارق[2].

وعند الحديث عن اعتماد صناعة العدوة الأندلسية على المواد الخام يُلحظ أن تلك المواد لم تكن كلها من أرض العدوة الأندلسية بل كان هنالك اعتماد على مواد تُجلب من مدن أخرى كالزفت والقطران والخشب، ومواد أخرى سبق استخدامها في الصناعة وأعيد استخدامها في صناعات أخرى كحديد وأخشاب سفن الجزيرة الخضراء الذي أعيد تصنيعه في صناعات أخرى[3].

4 - **الأيدي العاملة:** ظهر دور الأيدي العاملة بالعدوة الأندلسية من خلال بناء مدينتي جبل طارق والبنية، فبناء جبل طارق لم يستغرق بضعة أشهر، وهذا دليل على وفرة اليد العاملة التي كان جلها من أرض العدوة الأندلسية رغم جلب أمهر البنائين والجيارين والنجارين من بلاد الأندلس[4].

---

(1) البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 85. أبو الخير : عمدة الطبيب، ج 1، ص53 – 280 – 283 – 284، ج2، ص655 – 656 – 661 – 702. الغساني: حديقة الأزهار، ص 316 – 317. المقري : أزهار الرياض، ج2، ص39 – 40. المقري: نفح الطيب، ج7، ص177. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص248. ليوبولدو: المدن الأسبانية، ص186 – 187.

(2) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص82.

(3) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص101. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج 1، ص588. سحر المجالي : تطور الجيش، ص 217. السامرائي : تاريخ العرب، ص406.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص121. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 66. ابن صاحب : المن، ص84 وما يليها. مجهول: الحلل الموشية، ص 155. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 260 – 261. الناصري: الاستقصا، ج1 – 2، ص140، ج1 – 3، ص42. عياد المبروك عمار : البحرية في عهد الموحدين،

وقد كان للعدوة الأندلسية تميز في الأيدي العاملة بكونها مقصدًا للحرفيين وأصحاب المهن، من نقاشين وجيارين ونجارين الباحثين عن مكان تستديم به الأعمال الحرفية والمهنية كالعدوة الأندلسية.

5 - **الأسواق**: كان لوفرة أسواق مدن العدوة الأندلسية دور كبير في تحفيز صناعة العدوة الأندلسية التي ستلقى منتجاتها رواجًا بهذه الأسواق، خاصة وأن تلك الأسواق كان رُوَّادها من بلاد الأندلس والمغرب [(1)]، في وقت لا يُستبعد أن يكون من زوارها تجار من بلاد المشرق الإسلامي وأوربا.

6 - **الحالة السياسية**: رغم إساءة الحروب بوجه عام على الحياة الاقتصادية إلا أن الباحث يرى أن لتلك المعارك الموجهة ضد العدوة الأندلسية أثر في دفع أهاليها إلى الاعتماد على أنفسهم في صناعة كل ما يحتاجونه من منسوجات وآلات وأواني وغيرها من تلك الصناعات. وفي الوقت ذاته دفعتهم إلى الاعتماد على ما بأرضهم من مواد خام أو مواد معاد تصنيعها كما فُعل بسفن الجزيرة الخضراء[(2)].

وبتلك المقومات كان إنتاج الصناعة في العدوة الأندلسية في عدة مجالات هي:

الصناعة الحربية: مساهمة العدوة الأندلسية في الأحوال الحربية بالأندلس والمغرب والتعاون المشترك بين مسلمي المغرب والأندلس في محاربة نصارى أسبانيا دفعت عجلة الصناعة الحربية بالعدوة الأندلسية للدوران بشكل متتابع في هذه الصناعة، من صناعات خفيفة وتقليدية إلى صناعة الآلات المتطورة والمقذوفات الحارقة والسفن الحربية.

ص60. الطيبي: دراسات وبحوث، ص 277. محمد الكحلاوي : عرفاء البناء، ص 214. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص62 – 76 – 78 – 79 – 101 – 103.

(1) الحميري: الروض المعطار، ص73 – 87. ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص133.

(2) كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص96. السامرائي: تاريخ العرب، ص406.

ومن صناعات العدوة الأندلسية الحربية التقليدية السيوف، والخناجر، والسهام، ورؤوس السهام، والخوذ وغيرها من مستلزمات الجندي المسلم (انظر صورة 17 ـ 18). ورغم أن هذه الصناعات تقليدية إلا أن لها أهمية لا يمكن الاستغناء عنها، ويرى الباحث أن لهذه الصناعة وفرة بالعدوة الأندلسية يعكسها استقرار جند المغرب بعد عبورهم بمدن العدوة الأندلسية واقتنائهم لما يحتاجونه منها، ومن أبرز ما يحتاجونه تلك الأسلحة الخفيفة[1].

وعن صناعة الآلات الحربية، فقد كان للعدوة الأندلسية مصانع لتلك الآلات تجاوزت احتياجها الذاتي، ومن أبرز الآلات الحربية بالعدوة الأندلسية المجانيق والأنفاظ التي كانت تستخدم عند حصار المدن لقذف المقذوفات من أسهم وحجارة ونار وحديد ونفط . وللأندلسيين فضل في تطويرها من تلك الآلات إلى المدافع التي تستخدم البارود.

وقد كان لصناعة المقذوفات تواجد مبكر بالعدوة الأندلسية لاسيما في الجزيرة الخضراء، حيث كان يصنع بها النفط وغيره زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر [2]. وفي ظل هذا التطور المبكر في صناعة المقذوفات بالعدوة الأندلسية والحروب المستمرة على أرضها يرى الباحث أن للعدوة الأندلسية إسهام في صناعة البارود والمدافع في الأندلس، وقد يكون من ذلك تلك المدافع الخمس التي بأبراج مدينة طريف أو أحدها على أقل تقدير[3].

ومن أبرز صناعات العدوة الأندلسية الحربية التي نالت الكثير من الاهتمام صناعة السفن الحربية. ولهذه الصناعة أنشأ الخليفة عبدالرحمن الناصر دارًا للصناعة بالجزيرة

---

(1)

Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 50- 51.

(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 465. خطاب : الأندلس، ص 84. محمد عنان : الأثار الأندلسية، ص282.

(3) الغزال: نتيجة الاجتهاد، ص59. خطاب: الأندلس، ص84. محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص282.

الخضراء، وأبو الحسن المريني دارًا أخرى بجبل طارق، كما كان لبني مرين اهتمام بصناعة نوع خاص من تلك السفن بالجزيرة الخضراء يسمى الحراريق، وكل ذلك بعون ساحل العدوة الأندلسية المضرس ذي الشقوق التي تسهل إنزال السفن ورسوها على شاطئها[1]. وللوصول بتلك الصناعة إلى أفضل صورها بذل حكام الأندلس والمغرب اهتمامًا بها، وهي التي رجحت بكفتهم على أعدائهم في أكثر من موقف . ومن ذلك اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بتأمين وصول مواد صناعة السفن إلى دار الصناعة بالجزيرة الخضراء وإشرافه على ذلك، وقد تمثل ذلك في توجيهه لصاحب الشرطة بمتابعة نقل مواد الخشب والزفت والقطران إلى الجزيرة الخضراء. وبهذا الاهتمام كانت العدوة الأندلسية مركزًا لتموين الأسلحة في بلاد الأندلس[2].

الصناعة الطبية: تحتاج المجتمعات التي تكون عرضة لحروب مستمرة إلى جانب السلاح إلى الطب وأدواته وأدويته، وهذا ما كان بالعدوة الأندلسية، وخير دليل على ذلك، ذلك الكم المكتشف من النباتات الطبية التي لولا الحاجة إليها في التداوي لما كان ذلك الاكتشاف[3].

وفي ظل تلك الظروف السياسية يجب أن يعتمد على الصناعة المحلية لتلبية احتياجات الأطباء والصيادلة من أدوات معدنية وفخارية، كالإبر وملاعق تحضير الأدوية التي يحتاجها الصيدلي وغيرها من أدوات طبية . ويوجد بعضها حتى اليوم

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص73. العمري: مسالك الأبصار، ج 4، ص236. محمد كمال : يوسف الأول، ص144. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية، ص 372. عبدالرحمن الحجي : العلاقات الدبلوماسية، ص220.

(2) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص 101. ابن حيان : المقتبس، ج 5، ص87. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص465. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج 1، ص588. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية، ص372. سحر المجالي: تطور الجيش، ص217.

(3) أبو الخير : عمدة الطبيب، ج 1، ص80 – 81 – 222 – 223 – 283 – 284 – 414، ج2، ص655 – 656 – 702. محمد العربي الخطابي: معجم أندلسي، ص85 – 86.

بالعدوة الأندلسية[1] (انظر صورة 19).

وإلى جوار صناعة الأدوات الطبية، كان لنباتات العدوة الأندلسية دعم كبير في صناعة الأدوية الطبية؛ لما لها من خصائص تعين في التخدير، وعلاج الأمراض . ومن تلك النباتات الأسارون، والحُماما، والخيزران، والشيح الرومي، والقاقلة، والكرفس الصخري، وغيرها من النباتات ذات الوفرة العددية، والخواص الطبية[2].

صناعة المنسوجات والملبوسات : لا غنى لبني آدم عن لباس يلبسه، ومنسوج يكون فراشًا له، وهو ما لا يحتاج في بعض الأحيان لاقتنائه سوى لحياكة ما يريده بيده في حال توفر لديه نسيجها ومستلزمات حياكتها. وهذا ما توفر لأهل العدوة الأند لسية، وليس ذلك فحسب بل كان بها أفضل الحرير والكتان بقرى جبل طارق التي فاقت بأفضليتها كتان الفيوم، هذا بالإضافة لأنواع الحيوانات والطيور التي استخدم شعرها ووبرها وريشها في الملبوسات والمنسوجات. ومن ملبوسات العدوة الأندلسية الخِمَار ـ غطاء الرأس للنساء ـ الذي كان له حضور إلى وقت قريب على رؤوس نساء مدينة طريف . ومما كان يوضع كبسط وفرش بمنازل العدوة الأندلسية جلد طائر النسر المنزوع بريشه، وهذا الاستخدام يظهر مدى رقي استخدام جلود الطيور والحيوانات النادرة كمنسوجات فاخرة . ولجلود الحيوانات استخدامات أخرى غير الملبوسات والمنسوجات المنزلية، حيث كان يصنع منها بيوت للخناجر والسيوف[3].

---

(1)

N 1.463, Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 53.

(2) أبو الخير : عمدة الطبيب، ج 1، ص80 – 81 – 222 – 223 – 283 – 284 – 414، ج2، ص655 – 656 – 702. محمد العربي الخطابي: معجم أندلسي، ص85 – 86.

(3) ابن الدلائي : ترصيع الأخبار، ص 120. البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 85. أميركو كاسترو : أسبانيا في تاريخها، ترجمة علي إبراهيم منوفي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص104.

N 1.525, Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 52.

صناعة الأواني الفخارية والزجاجية [1]: أطباق الطعام، والأباريق، وأواني النقل والتخزين، والقوارير، ومواقد الطعام الفخارية، والمصابيح، وأكواب زيت المصابيح كلها اوانٍ فخارية أو زجاجية كانت متواجدة بأرض العدوة الأندلسية [2]. ورغم إبداع عدد من مدن الأندلس في هذه الصناعة، إلا أن ذلك لا يمنع تواجد هذه الصناعة بأرضها، وخاصة الفخارية منها؛ فلها احتياجات يومية لا يستغنى عنها.

وللأواني الفخارية والزجاجية بالعدوة الأندلسية اقتران بالزخارف والألوان، ف لا تكاد تخلو قطعة من قطع الآثار إلا وعليها إما نقوش هندسية أو ألوان متجانسة[3].

ويرى الباحث أن لصناعة الفخار بالعدوة الأندلسية جودة عالية أبقت عددًا من مصنوعاتها إلى اليوم كما كانت عليه عند صناعتها (انظر صورة 21 ـ 22).

صناعة الأغذية: شكلت طواحين الغلال الصناعة الأولى للغذاء بالعدوة الأندلسية، وقد تواجدت تلك الطواحين على الأنهار مستفيدة من تدفق المياه في إدارة رحائها كرحى ابن خليفة، ورحى العجسي، ورحى ابن الوزير أبي عبدالله بن رضا، وعلى قمم المرتفعات كرحى الحاج يعيش على قمة جبل طارق مستفيدة من اندفاع الري ح في إدارة الرحى[4]. ولهذه الطواحين أهمية في توفير الدقيق لتلبية الحاجة اليومية للمأكولات التي تعتمد صناعتها على الدقيق كالخبز. ويظهر أن تلك الرحاء منها ما كان للتجارة، فأسماء من اقترنت بهم الرحاء لا تعود لسلطان أو حاكم أو عالم مما يوحي بأنها كانت لأحد تجا ر

---

(1) توصل الباحث عند سؤاله عن الآثار إلى أن هناك قطعًا زجاجية رفعت من أرض الجزيرة الخضراء أثناء إقامة مشروع عمراني، لا يعلم مكانها اليوم، وقد وضع مكان هذه الآثار تمثال لرجل عربي (انظر صورة 20).

(2) Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 70 to 83.

(3) Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 70 to 83.

(4) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص 83. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص 186 – 187. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص248.

العدوة الأندلسية[1].

ويرادف صناعة الدقيق في صناعة الأغذية بالعدوة الأندلسية صناعة حفظ الأطعمة وتخزينها إما بالتجفيف أو التمليح أو غير ذلك من طرق الحفظ والتخزين؛ وذلك لحفظ الكم الوفير من الثمار والفواكه المزروعة بالعدوة الأندلسية، وبعض الأغذية التي لا تتواجد إلا في فترات معينة تنقطع في غيرها من الأوقات، ومن ذلك سمك التن الذي يصاد بكميات كبيرة في فترة معينة من العام ثم ينقع إلى حلول العام التالي؛ ولمواجهة فترات الحصار الطويلة[2].

ومن صناعة الأغذية تلك المنتجات التي تستخلص من الحيوانات والطيور والحشرات النافعة، كاستخلاص العسل من خلايا النحل بجبل طارق[3].

ويرى الباحث أن أهل العدوة الأندلسية لم يكن لديهم الوقت ليبدعوا مادة غذائية تنال شهرة واسعة كمجبنة طليطلة أو غيرها من المأكولات[4].

الصناعات المعدنية: للصناعات الحديدية بالعدوة الأندلسية تواجد ابتدأ بالمشاركة في صناعة السفن، وانتهى بالصناعات الحديدية البسيطة كخواتم الأصابع (انظر صورة 23)، والملاقيط وغيرها. ورغم أن الصناعات المعدنية من أهم الحرف الصناعية إلا أنها

---

(1) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص 83. ليوبولدو : المدن الأسبانية، ص 186 – 187. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص248.

(2) البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 85. الزهري : كتاب الجغرافية، ص 119 – 120. محمد عنان : الآثار الأندلسية، ص278. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص196.

(3) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص83.

(4) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، ط 2، 1984م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص85 – 86. مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، دراسة أمبروزيو أويتي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 9 – 10، 1961م – 1962م، مدريد، أسبانيا، ص201. دايفد وينز: فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص1030 – 1032.

لم يكن لها شيء من الذكر على الرغم أن هناك دلائل تشير إلى أن العدوة الأندلسية شهدت شيئًا من صناعة الذهب، فقد وجد ضمن الآثار المتبقية لوح حجر لسبك الذهب، تبلغ أبعاده: 54ملم طولًا، و40ملم عرضًا، ويبلغ سمك اللوح 12ملم. وعلى هذا اللوح نقش لدائرتين قطر إحداهما 12ملم، والأخرى 14ملم، بسماكة للنقش تقدر 1.5 ملم، ويتضح من هذه اللوح أنها كانت مخصصة لصناعة الحلي و المجوهرات [1]. (انظر صورة 24).

صناعة المنقوشات: تعد صناعة المنقوشات من أكثر الصناعات التي تحتاج دقة لدى الحرفي الذي يقوم بها، ولهذه الحرفة إنتاجها بالعدوة الأندلسية، ومن ذلك : النقش على الأخشاب والتيجان والعقود التي تزين بها المباني الدينية والمدنية . والنقش على الأواني والتحف. والأختام التي تحتاج نقش أسماء أصحابها أو نقش علامات ترمز لشيء معين كأختام الرسائل[2]. (انظر صورة 25).

ولصناعة العدوة الأندلسية تراث محفوظ، كان للأواني الفخارية منه نصيب كبير، ومن ذلك التراث:

قطع فخارية هي: صدفة هاون، وطبق خزفي، وجرة، و إبريق، وقارورة، وكوب زيت المصباح، ووعاء، وقناديل. وقطع حربية هي: خوذة، ورأس سهم، وقذائف على شكل رؤوس الأسهم. كما تبقى أدوات طبية هي : إبر، وملعقة صيدلي . وأدوات زينة منها: خواتم، وأبازيم، وملقاط لإزالة الشعر. هذا بالإضافة لعدد من المصابيح والسُرج والأختام[3] (انظر صورة 17 ـ 18 ـ 19 ـ 21 ـ 22 ـ 24 ـ 25).

---

(1) Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 54 – 58.

(2) Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 43– 60 – 64 - 65.

(3) Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 29 to 84.



المبحث الثالث

التجـــــــــارة

لم تغفل الشريعة الإسلامية أهمية التجارة للحياة البشري ة؛ ولذلك ورد لفظها الصريح ـ التجارة ـ بالقرآن الكريم سبع مرات، جمعت بها تلك الآيات التحفيز للتجارة، وإيضاح لبعض أسسها وممارساتها. ومن تلك الآيات قوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ الآية[1]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

وقد كان للتجارة بالعدوة الأندلسية حضو ر دفع التجار على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ومواطنهم لممارسة النشاط التجاري بها، كونها مركزًا مهمًا للتبادل التجاري على نطاق الأندلس، وعلى نطاق دول العالم في ذلك الوقت[3].

وذلك كله لعدة مقومات اجتمعت بالعدوة الأندلسية هي:

موقع العدوة الأندلسية: يعتبر موقع العدوة الأندلسية همزة الاتصال بين الأندلس والمغرب، والأندلس والعالم الإسلامي . فهي باب الأندلس، ومنها يكون الاتصال بأوروبا من ناحية غرب العالم الإسلامي. كما كان لموقع العدوة الأندلسية على مضيق جبل طارق أهمية تجارية أخرى، وهي الإشراف على الرحلات التجارية البحرية التي لا بد لها من عبور مضيق جبل طارق للانتقال ببضائعها من البحر المتوسط إلى المحيط

---

(1) سورة البقرة، آية: 282.

(2) سورة الصف، آية: 10.

(3) بجوو شلميطا: صورة تقريبية، الحضارة العربية، ج2، ص1079 – 1080.

الأطلسي أو العكس[1].

دعم حكام الدول: كان لحكام الدول المتتابعة على العدوة الأندلسية دور كبير في دعم التجارة بها، فحرصهم على حماية مدن العدوة الأندلسية، ومياه مضيق جبل طارق أدى لتأمين الحركة التجارية من و إلى مدن العدوة الأندلسية. كما كان لإلغاء المكوس عن التجارة، ورفع الرسوم الجائرة دور آخر لا يقل أهمية لدى التجار. ولحكام الدول دور يتجاوز حال السلم إلى حال الحرب، فالغنائم التي يحصل عليها المسلمون بعد قتالهم لنصارى أسبانيا لا يتم توزيعها إلا بأرض العدوة الأندلسية، مما أنعش أسواقها، وزاد فرص ثراء تجارها. ويضيف الحكام صورة أخرى لإنعاش التجارة بالعدوة الأندلسية وذلك من خلال إرسال الدعم المادي للمدن التي تقع تحت حصار طويل، كإمداد السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر لجبل طارق بالأموال والأقوات[2].

الأسواق: تميزت أسواق العدوة الأندلسية بوفرتها وتنوعها. فأسواق الجزيرة الخضراء امتدت من وسط المدينة إلى ساحلها، كما كان بالعدوة الأندلسية كافة الأسواق التجارية من سوق النخاسة إلى سوق الماشية، وسوق الميرة، والأسواق المؤقتة. ولوقوع العدوة الأندلسية بين قارتي أوروبا وأفريقيا، وكونها المعبر التجاري الأفضل بينهما، كانت العدوة الأندلسية همزة الاتصال لبضائع البلدان المحيطة بالبحر المتوسط، ومنطقة رائجة لبضائع المشرق المتجهة لبلاد الأندلس وأوروبا، مما كان له أثر إيجابي على النشاط التجاري بالعدوة الأندلسية[3].

---

(1) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص 288 – 289. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية، ص 385. أوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبدالله، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/ 2002م، ص71.

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 2، ص51. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص 416 وما يليها . الناصري : الاستقصا، ج1 – 3، ص38 وما يليها . كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص292.

(3) الحميري : الروض المعطار، ص 73 – 87. الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 297. حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، ج 2، ص181 – 182. محمد

وفرة المنتجات: للمنتجات المحلية زراعية كانت أو صناعية دعم لتجارة المدينة أو المنطقة التي تجتمع بها، فنباتات العدوة الأندلسية الطبية والعطرية، وحريرها وكتانها، وصناعاتها العسكرية، وتلك الطيور التي انفردت بها، وجمعها لخير البر والبحر، كل ذلك كان له دور أولي في تفعيل نشاط التجارة بالعدوة الأندلسية داخليًا وخارجيًا . فأفضلية حريرها وكتانها وقرنفلها ـ من باب ضرب المثل لا الحصر ـ دفعت تجارها وتجار النواحي الأخرى للسعي للتجارة بهذه المنتجات التي لكان الاتجار بها أكثر ربحًا وأيسر تسويقًا[1].

طبيعة سواحل العدوة الأندلسية وموانئها : امتاز ساحل العدوة الأندلسية بطبيعة جغرافية دعمت تجارتها، فسواحلها مشققة تسهل رسو السفن بها دون الحاجة لبناء جسور تمتد عبر شواطئها. ولموانىء العدوة الأندلسية عدة مميزات اجتمعت بها فكانت موانؤها أفضل الموانىء وأهمها، وهي: كونها موانىء صيفية وشتوية على العكس من أكثر الموانىء التي كانت صيفية فقط. قربها من ساحل المغرب، مما أكسبها ميزة أقرب طرق الاتصال بالمغرب. موقع موانىء العدوة الأندلسية على مضيق جبل طارق مدخل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي جعل منها مركزًا لرسو تلك السفن إما للراحة أو التبادل التجاري أو غير ذلك . وكل ذلك في وقت طرحت به موانىء مدن العدوة الأندلسية المتعددة خيارات لرسو السفن في أي ميناء شاءت على ساحلها[2].

وفرة رؤوس الأموال : يعتبر المال محور التجارة، متى كان متوفرًا متى ما انتعشت التجارة ونمت. وقد كان للعدوة الأندلسية وجوه متعددة لوفرة الأموال : أولًا: اشتمال العدوة الأندلسية على دارين للسكة، واحدة بالجزيرة الخضراء، والثانية بطريف . ثانيًا :

عبدالله عنان: رواية مصرية عن المغرب والأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 15، 1970م، مدريد، أسبانيا، ص99.

(1) الحميري: الروض المعطار، ص74. ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص120.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص 74. شكيب : الحلل، ج 1، ص30. الشوكاني : تجارة الأندلس، ص 512–513. أوليفيا: التجارة، ص55 – 56 – 58.

كون العدوة الأندلسية مركز توزيع الغنائم للحملات الإسلامية لدولة المرابطين، ودولة الموحدين، ودولة بني مرين. ولإظهار أثر الغنائم على رؤوس الأموال بالعدوة الأندلسية يكتفى بوصفين قرنا بحملتين : هما حملة أبي زيان بن يعقوب المريني سنة 673هـ / 1274م التي وصف جندها بامتلاء أيديهم بالأموال وحقائبهم من السبي . وحملة يعقوب بن عبدالحق التي حُصرت غنائمها بمائة وأربعة وعشرين ألف رأس من البقر، وعدد لا يحصى من الأغنام، وستمائة وأربعة عشر ألف رأس من الخيل والبغال والحمير، وسبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين أسيرًا، بالإضافة لما لم يُعد من السيوف والعُدد؛ من كثرتها، وكل هذه الغنائم تم توزيعها بالعدوة الأندلسية ـ هنا الكثير من المبالغة لكن هذه الأرقام تشير إلى كثرة تلك الغنائم. والوجه الثالث لوفرة الأموال تلك الضرائب التي تؤخذ على السفن مما عرفت بأعشار السفن، ولهذه الضرائب عائدات مادية تصب أولًا في صالح العدوة الأندلسية، وهي مصدر لا يُستهان به؛ للعلم بأن عددًا كبيرًا من السفن كان يرسو بساحل العدوة الأندلسية لأفضليته عن غيره من المراسي[1].

المواصلات : شملت العدوة الأندلسية مختلف طرق المواصلات البرية والنهرية والبحرية، المحلية منها والدولية. وهي بهذه الطرق المتعددة منحت تجارتها قدرًا كبيرًا من سهولة الاتصال بأسواق المدن والأقاليم الأخرى، كما كان لأسواقها استفادة جمة من مرور طرق التجارة بها. وقد كان للعدوة الأندلسية من طرق التجارة الأندلسية الرئيسة الستة طريقين: الطريق الأول: الذي يبدأ من قرطبة مرورًا بإشبيلية وقادس ثم ينتهي بالجزيرة الخضراء. والطريق السادس: وهو أيضًا يبدأ بقرطبة وينتهي بالجزيرة الخضراء، لكنه يمر باستجة[2] ومورور وشذونة . هذا في وقت كانت به مدن العدوة الأندلسية ترتبط فيما بينها بطرق برية وبحرية[3].

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص416 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص38 وما يليها .

(2) استجة (Ecija): مدينة قديمة، تقع جنوب غرب مدينة قرطبة، ومعنى اسمها "جمعت الفوائد ". انظر الحميري: الروض المعطار، ص14.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص540 – 541. البكر: النشاط الاقتصادي، ص 255. كمال السيد : تاريخ

تجار العدوة الأندلسية : أسهم تجار العدوة الأندلسية في حراك تجارتها؛ باحترافهم لمهنة التجارة، وتنقلهم ببضائعهم بين العدوة الأندلسية وشمال الأندلس، والعدوة الأندلسية والبلدان الإسلامية رغبة في تسويق منتجاتها، وشراء ماله حاجة في أسواقها . ولم يستكن تجار العدوة الأندلسية للظروف المحيطة بمدنهم، ومن أهمها تلك المعارك التي صبَّت جام غضبها على مدن العدوة الأندلسية، فقد كانوا ينقلون البضائع عبر مضيق جبل طارق رغم الحملات العس كرية البحرية . كما استفادوا من تلك المعارك بتأمين حاجات الجند وبيعها عليهم، لدرجة أنهم باعوا عليهم الماء والحطب . ولهذه الحصافة كان من تجار العدوة الأندلسية عدد من الأثرياء[1].

وبالإضافة لهذه المقومات كان لخضوع العدوة الأندلسية تحت حكم عدد من الدول الإسلامية القوية، فائدة تعود على تجارتها بتحقيق الأمن والأمان لتجارتها . كما كان لتوفر الفنادق بمدن العدوة الأندلسية، والاستراحات على امتداد الطرق الموصلة بين مدن العدوة الأندلسية ومدن الأندلس دور آخر في دعم تجارة العدوة الأندلسية[2].

وعلى الرغم من ازدهار التجارة بالعدوة الأندلسية إلا أنها شابتها فترات من الكساد وارتفاع الأسعار، لسببين اثنين هما: المعارك العسكرية، والآفات الطبيعية.

المعارك العسكرية : نالت هذه المعارك من تجارة العدوة الأندلسية، فقد أدت إلى إضعاف تحركات تجارها وقوافلها التجارية، كما أدى ضرب الحصار على مدن العدوة الأندلسية إلى ارتفاع أسعار الموارد والغلال. وهنا أفقدت المعارك تجارة العدوة الأندلسية

الأندلس الاقتصادي، ص282 – 283. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص288 – 289.

(1) ابن سعيد علي بن موسى الأندلسي: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبدالمتعال القاضي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م، ص54. بدرو شلميطا : صورة تقريبية، الحضارة العربية، ج 2، ص1073 – 1079. محمد عنان : رواية مصرية، ص99. محمد بن شريفة : من منافرات العدوتين " نص جديد "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 1، ط2، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص22. محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم، ص44.

(2) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. الونشريسي : المعيار المعرب، ج 7، ص466. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص308.

شيئًا من المرونة والتحكم الذاتي التي هي من أهم عوامل تطور التجارة ونموها المضطرد، ومن أدلة ذلك التأثير، الغلاء الذي حدث في عام 620هـ/ 1223م بسبب نزاع الموحدين فيما بينهم[1].

الآفات الطبيعية: تعرضت الأندلس، ومنها العدوة الأندلسية إلى فترات من الجفاف والأوبئة، كان أكثرها ضررًا على العدوة الأندلسية وتجارتها ما حدث في عام 197هـ/ 812م، وعام 635هـ/ 1237م، كان في العام الأول جفاف، والعام الثاني وباء، أدى كلاهما لخروج أكثر أهل الأندلس إلى المغرب للنجاة بأنفسهم[2].

ويتأكد الأثر السلبي من هذين السببين في قيام بعض الحكام بإمداد مدن العدوة الأندلسية بعد فراغ الحصار عنها بالأموال والمؤن، ومن ذلك ما قام به السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر تجاه العدوة الأندلسية[3].

هذا بالإضافةلتلك الضرائب التي كان نصارى أسبانيا يفرضونها على المسلمين حال انتصارهم عليهم، مما أثقل كاهل الاقتصاد بصفة عامة والتجارة بصفة خاصة[4].

وعند الحديث عن التجارة بالعدوة الأندلسية يلحظ تنوع مجالاتها، وهي التي جمعت خير البر والبحر، وتعددت أسواق مدنها حتى كان لإحداها أسواق وافرة حازت مسافة كبيرة قدرت بنصف قطر المدينة. ومن أهم مجالات التجارة وأنشطتها بالعدوة الأندلسية الآتي:

تجارة الميرة: للعدوة الأندلسية ذلك الكم الوفير من النباتات المثمرة التي تفوق احتياج مدنها، بل منها ما هو مقصد التجار لجودة نوعه وأفضليته كالبصل، والبطيخ،

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص336. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص50 وما يليها.

(2) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص135. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص93.
Anwar Cheine: Muslim Spain, P 20.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص51.

(4) مجهول: نبذة العصر، ص47.

والعناب، والزيتون، والتين . كما تسببت الحروب المستمرة في ابتكار حرفة تأمين الأطعمة، ونقلها إلى العدوة الأندلسية. ومن هذين الظرفين تشكلت الخطوط العريضة لتجارة الميرة بالعدوة الأندلسية[1].

تجارة الدواب: يؤكد جلب تلك الأعداد الكبيرة من الحيوانات بعد انتهاء كل معركة إلى العدوة الأندلسية، وتوزيعها بها إلى إمكانية العدوة الأندلسية لاحتوائها وتسويقها، فلا يُعقل أن يقوم جند المغرب بنقل كل تلك الدواب إلى المغرب، وهم الذين يحتاجون لعبورهم للأندلس لعدد من السفن، تتعاقب في نقلهم لعدة أيام. وفي الأصل تعد مراسي العدوة الأندلسية أيسر المراسي لنقل الحيوانات من المغرب إلى الأندلس[2].

إعارة الدواب : قد يكون للمجال السابق أثر على هذا المجال، لكن تجارة إعارة الدواب كانت حاضرة بالعدوة الأندلسية بصفة مستقلة. ولهذه الدواب دور كبير في نقل البضائع والأحمال، فهي عنصر أساس ضمن قوافل التجارة العابرة لمسافات يشق على الإنسان أن يقطعها بمفرده، فكيف وإن كان يحمل ثقل على كاهله؟[3].

تجارة الإكراء : استغل تجار العدوة الأندلسية كون العدوة الأندلسية ملتقى لغير أهلها، وفي مقدمتهم مقاتلي الجيوش الإسلامية، في تأمين منازل لسكناهم تستأجر لتعود بمبالغ يعود ريعها لتجار العدوة الأندلسية . وقد بدت هذه التجارة بمدن العدوة الأندلسية وخاصة طريف والجزيرة الخضراء بتلك الفنادق التي امتازت بها عن بعض مدن الأندلس. ولا يستبعد الباحث أن يكون من ضمن تلك المنازل التي تواجدت على

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص73. ابن حيان: المقتبس، ج5، ص87. البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص51. أبو الخير: عمدة الطبيب، ج 1، ص111، ج2، ص661. ابن صاحب : المن، ص 87 – 88. الغزال : نتيجة الاجتهاد، ص 58. أحمد الطاهري : الفلاحة والعمران، ص237. محمد الخطابي : معجم أندلسي، ص 86 – 87. عبدالعزيز الرفاعي : جبل طارق، ص 33 – 34. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص137 وما يليها. محمد كمال: يوسف الأول، ص134.

(2) الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص41 – 42. الشوكاني: تجارة الأندلس، ص512.

(3) الأمير عبدالله: التبيان، ص160.

طول بعض الطرق الممتدة من مدن العدوة الأندلسية إلى مدن الأندلس ما أُعدَّ لتجارة الإكراء كحال فنادق مدن العدوة الأندلسية[1].

تجارة الأسماك : انعكس خير مياه مضيق جبل طارق على تجارة الثروة السمكية بالعدوة الأندلسية، فمائة صنف من الأسماك الدائمة والموسمية، وأنواع المرجان ذات المردود الاقتصادي، لابد أن تكون إحدى بضائع العدوة الأندلسية التجارية . ولإشارة المصادر إلى أن صيد هذه الأنواع من الأسماك يكون بطرق عدة إحداها شباك الصيد، لتأكيد على أن حرفة الصيد تحولت إلى تجارة ذات مردود اقتصادي بالعدوة الأندلسية[2].

تجارة النخاسة أو الخراصة : أدت انتصارات المسلمين على نصارى أسبانيا إلى إيجاد سوق للنخاسة بالعدوة الأندلسية، كان يكتظ أحيانًا بأعداد كبيرة من السبي، تدفع بأسعار السوق إلى الانخفاض بصورة كبيرة، حتى بيعت الرومية به بستة غرامات ونصف الغرام من الذهب تقريبًا. ويرى الباحث أن لسوق النخاسة بالعدوة الأندلسية تميزًا عن أسواق النخاسة الأخرى لعدم تأثره باتجاه مصدر السبي، سواء كان مصدره قادم من الشمال أو الجنوب[3].

تجارة المنسوجات: اشتهرت العدوة الأندلسية في تجارة المنسوجات؛ بحيازة أرضها على منتجات فريدة وذات جودة لم تتواجد ببلاد الأندلس والبلدان الأخرى . ومن أبرز تلك المنتجات حريرها وكتانها، الأفضلان على نطاق العالم الإسلامي، وجلد نسرها الذي كان يباع بأكثر أسواق مدن الأندلس. ورغم تميز العدوة الأندلسية في هذه المواد

---

(1) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج 2، ص539. الونشريسي : المعيار المعرب، ج 7، ص466. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص308.

(2) الزهري: كتاب الجغرافية، ص119 – 120. ابن صاحب: المن، ص89. القلقشندي : صبح الأعشى، ج 5، ص153. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 195 – 196. ليلي نجار : المغرب والأندلس، ج 2، ص437.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص416 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص42. عبدالآله بنمليح: الرق، ص149.

الخام المهمة في صناعة المنسوجات، إلا أنها اقتصرت في تجارتها عليها دون أي ذكر لمنتج آخر مصنوع منها أو من غيرها[1].

تجارة المواد الخام: كان للتطور العمراني والصناعي بالعدوة الأندلسية احتياج لتلك المواد الخام التي هي في الأصل صُلب العمارة والصناعة . ولقلة شيء من تلك المواد أو انعدامها كانت تجارة المواد الخام بالعدوة الأندلسية. ومن أكثر تلك ا لمواد رواجًا تجاريًا الحديد والأخشاب والزفت[2].

تجارة الأدوية: لاقت نباتات العدوة الأندلسية الطبية تداولًا بأسواقها؛ للحاجة الماسة التي فرضها الصراع العسكري بالعدوة الأندلسية والأندلس، ولكون العدوة الأندلسية آخر محطة في طريق عودة الجيوش المغربية قبل عبورم لمياه مضيق جبل طارق وفيهم المصابين والجرحى. ولهذه الأدوية عائد مادي يعد في بعض الأحيان باهظ الثمن، فشربة من نبتة اليربطورة تُكلف ثلاثة دراهم، وعلى قياسها عدد من تلك النباتات الطبية النادرة التي يصعب الحصول عليها لتواجدها بالمرتفعات الجبلية[3][4].

وقد واكب هذا التنوع التجاري بالعدوة الأندلسية شبكة طرق تجارية، محلية ودولية، بحريةونهريةوبرية أسهمت بشكل كبير في وصول تجارة العدوة الأندلسية إلى الأسواق المحلية والدولية ولشبكة التجارة بالعدوة الأندلسية تميز بعدم إغفالها لاتجاه من الاتجاهات، فطريق يتجه شرقًكطريق الجزيرة الخضراء مالقة. وطرق تتجه غربًا كالطرق الموصلة بين الجزيرة الخضراء وإشبيليةوطريق يتجه شمالًا كالطريق المتجه إلى قرطبة وشبكة طرق من مدن العدوة الأندلسية تتجه جنوبًا إلى سواحل المغرب، ولهذه الطرق نشاط مستديم ينفرد عن سابقيه من الطرق؛ لقرب مراسي العدوة الأندلسية من سواحل المغرب، وكون مراسيها

---

(1) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص85. ابن الدلائي: ترصيع الأخبار، ص120.

(2) السامرائي: تاريخ العرب، ص406.

(3) انظر ص293 وما يليها.

(4) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج2، ص848 – 849.

أفضل مراسي الأندلس للبضائع القادمة والمتجهة لقارة أفريقيا[1].

ومن أهم طرق التجارة بالعدوة الأندلسية:

1 - الطريق النهري الممتد بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية، ويمر هذا الطريق بعد الجزيرة الخضراء بنهر برباط ثم بستة أميال بنهر بكة، ثم باثني عشر ميلًا بشنت بيطر[2]، ثم باثني عشر ميلًا أخرى بالقناطر، ومنها بثمانية أميال برابطة روطة، وبعدها بستة أميال بالمساجد، ثم مرسى طربشانة، ثم العطوف، ثم يمر الطريق بجزيرتي قبتور وقبطال على التوالي، ومنها لجزيرة ينشتاله، فحصن الزا هر، وأخيرًا مدينة إشبيلية[3].

2 - الطريق البري بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية، وهو طريق تكثر به المنازل والاستراحات. ويبدأ هذا الطريق بالجزيرة الخضراء، ثم الرتبة، فنهر برباط، ثم قرية فيسانه، ثم مدينة ابن السليم، وصولًا لجبل منت، ومنه لقرية عسلوكة، فالمدائن، ومن بعدها ذيرد الحبالة إلى مدينة إشبيلية، ويستغرق هذه الطريق خمسة أيام للمسافر[4].

3 - الطريق الأول من طرق التجارة الرئيسية بالأندلس، ويبدأ هذا الطريق من قرطبة وينتهي بالجزيرة الخضراء مرورًا بإشبيلية ثم قادس[5].

4 - الطريق السادس من طرق التجارة الرئيسية بالأندلس، يبدأ هذا الطريق وينتهي كسابقه، لكنه يمر باستجة ومورور وشذونة. ويوازي هذين الطريقين ـ الأول

---

(1) البكر: النشاط الاقتصادي، ص286.

Maria J.Viguera: Los Caminos De Al – Andalus, En El Siglo XII, Madrid, 1989, p 45 – 46 – 50 – 68 – 69.

(2) شنت بيطر: حصن منيع من أعمال ريه. انظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص416.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص540. البكر: النشاط الاقتصادي، ص255.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 2، ص540 – 541. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص 282. البكر: النشاط الاقتصادي، ص255.

(5) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص288.

والسادس ـ تقريبًا طريق التجارة الروماني بالأندلس[1].

5 - طريق يمتد من الجزيرة الخضراء إلى مربلة [2] ثم مالقة، بمسافة قدرة بخمس مراحل. ولهذا الطريق تواجد اليوم، فقد أنشيء ع لى أثره طريق من مالقة إلى مربلة فاسطبونة، ثم إلى الجزيرة الخضراء، ومنها يمتد إلى جبل طارق[3].

6 - طريق محلي ينطلق من الجزيرة الخضراء إلى قلسانة[4] مرورًا بليش[5].

7 - طريق بحري دولي، يبدأ من شمال أوروبا، مرورًا بسواحل الأندلس الغربية، ثم بسواحل العدوة الأندلسية، ثم يتجه منها إلى البحر المتوسط[6].

8 - طريق من أقصى شرق البحر المتوسط إلى أقصى غربه، وهو طريق أنطاكية [7] مضيق جبل طارق[8].

ومن خلال هذه الطرق يتجلى أن جلها كان يتجه بصورة مباشرة للعدوة الأندلسية، وقلة منها لمضيق جبل طارق الذي كان لمراسي مدن العدوة الأندلسية بهنصيب كبير من رسو السفن؛ لأفضلية مراسيها وتعددها.

كما يظهر اتصال العدوة الأندلسية بالمدن الكبرى بالأندلس كقرطبة وإشبيلية ومالقة، بالإضافة لاتصالها بطرق توصل لأسواق عدة كأسواق المغرب والسودان

---

(1) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص288 – 289.

(2) مربلة (Marbella): مدينة صغيرة مسورة، بالقرب من مرسى مدينة مالقة. انظر الحميري: الروض المعطار، ص180.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج 2، ص570. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص283.

(4) قلسانة (Calsena): وقلشانة (بالسين والشين)، مدينة سهلية على وادي لكة، وهي من كور شذونة . انظر الحميري: الروض المعطار، ص162.

(5) كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص283.

(6) أوليفيا: التجارة، ص71.

(7) أنطاكية (Antioquía): مدينة قديمة بالشام، تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي ثغر من ثغور الشام. انظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص316 وما يليها.

(8) شوقي أبو خليل: الحضارة العربية، ص385.

والمشرق الإسلامي وأوربا[1].

أما عن النظام المالي بالعدوة الأندلسية فرغم تلك الشذرات التي تنم عن وجود تنظيم مالي جيد بالعدوة الأندلسية، نُظم من خلاله الخراج، وسكة النقود، وألغيت المكوس، مما كان له أثر كبير على موارد العدوة الأندلسية المالية إلا أن المعلومات في هذا الجانب تعد شحيحة ونادرة . وبأي حال فقد احتوت العدوة الأن دلسية دارين لسك النقود بمدينتي: الجزيرة الخضراء وطريف، ارتبطت دار السكة بالجزيرة الخضراء منها في بعض الفترات بالقائم بأعمال دار السكة بغرناطة[2].

ولخضوع مدن العدوة الأندلسية لحكومات الدول الإسلامية التي سيطرت على الأندلس فإن تنظيماتها المالية لا تختلف عن غيرها من مدن الأندلس، وهو ما يظهر بجمع خراجها إلى خراج عدد من مدن الأندلس كإشبيلية والبيرة وغيرها من المدن، والذي قدر بـ 250802 دينار. كما رفع عنها المكس زمن السلطان يوسف بن عبدالمؤمن عند جمع خراج دولة بني مرين بالأندلس والمغرب كبقية مدن الدولة[3].

وقد تنوعت موارد العدوة الأندلسية بين أعشار السفن، وغنائم المعارك، وإعانات الحكام، وغير ذلك من الموارد التي أدت لإنعاش الجانب المالي بها لدرجة أن جباية الجزيرة الخضراء بلغت في عام من الأعوام ثمانية عشر ألفًا وتسعمائة دينار[4].

---

(1) ليلي نجار: العلاقات بين المغرب الأندلس، ص301. الشوكاني: تجارة الأندلس، ص513. أوليفيا: التجارة، ص55. كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص349.

(2) الونشريسي : المعيار المعرب، ج 10، ص159 – 160. محمد باقر الحسيني : مدن الضرب على النقود الإسلامية، مجلة المسكوكات، ع 5، 1974م، بغداد، ص 109 – 112. كمال السيد : تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص292. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية، ص334.

(3) كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص292. بدرو شلميطا : صورة تقريبية، الحضارة العربية، ج 2، ص1050. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية، ص334.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص 74. البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 117 – 118. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص416 وما يليها. الناصري: الاستقصا، ج1 – 3، ص38 – 39 – 42.

السكة بالعدوة الأندلسية :

احتوت العدوة الأندلسية كما أشرنا مسبقًا على دارين لسك النقود إحداهما بالجزيرة الخضراء، والأخرى بطريف . لكن دور العدوة الأندلسية في سك النقود لم يقتصر على إصدار وحدة الدينار، ووحدة الفلس من تلك الدارين، بل انعكست أحداثها السياسية على ما يكتب على النقود الأندلسية ومن ذلك كتابة عبارة «أيده الله وأسعده» على نقد من عصر بني الأحمر. وقد قصد منها الدعاء للسلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر عندما استعاد مدينة جبل طارق من يد نصارى أسبانيا في عام 709هـ/ 1310م. ومن ذلك أيضًا عبارة «أيده الله وأسعده» على نقد ذهبي سك قبل خروج السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر لمساعدة السلطان أبي الحسن المريني في موقعة طريف[1] (انظر صورة26).

ولنقود العدوة الأندلسية الإسلامية مجموعة حُفظت بمتاحف العدوة الأندلسية وأسبانيا وفرنسا:

- نقود حُفظت بمتاحف فرنسا : هي نقدين من الذهب، تعودان لدار السكة بالجزيرة الخضراء . يزن الأول منها 4□02غرام، والثاني 3□85غرام . سُك الأول في عام 507هـ/ 1113م، والثاني في عام 508هـ/ 1114م[2].
- نقد حُفظ بمتحف مدريد مصنوع من الذهب يعود لعام 507هـ / 1113م[3].
- أما متحف الجزيرة الخضراء فهو أكثر المتاحف احتواءً لمسكوكات العدوة الأندلسية، ووصف تلك القطع كما يلي:

---

(1) محمد الحسيني: مدن الضرب، ص109 – 112. عاطف منصور: الكتابات، ص99 وما يليها.

(2) عبدالنبي بن محمد : مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1398هـ - 1399هـ / 1978م – 1979م، ص114.

(3) عبدالنبي بن محمد: المرجع السابق، ص64 – 114.

1 - قطعة من الذهب وزنها 3□11 غرام، وقطرها 24 ملم . يتوسط وجهها الأول نجمة، مكتوب حولها بشكل دائري «لا اله الا الله وحده محمد رسول الله». والوجه الثاني يتوسطه كلمة "بالاندلس"، ويحيط بها عبارة «بسم الله ضرب هذا الفلس»[1] (انظر صورة 27).

2 - قطعة من الذهب وزنها 3□2 غرام، وقطرها 16 ملم . سك على وجهها الأول «نفقة في سبيل الله»، وعلى الوجه الثاني «محمد رسول الله »[2] (انظر صورة 28).

3 - قطعة من الذهب وزنها 6.78 غرام، وقطرها 16 ملم . سك على وجهها الأول نجمة في المنتصف، يحيط بها عبارة «لا اله الا الله وحده محمد رسول الله»، والوجه الثاني بوسطه كلمة "بالاندلس" يحيط بها «بسم الله ضرب هذا الفلس ». وبهذه العبارات يتشابه هذا النقد مع أول نقد بمتحف الجزيرة الخضراء مع اختلاف في الوزن والقطر، وهنا نكتسب دلالة أن كلا النقدين سُكا في مكان وزمان واحد[3] (انظر صورة 29).

4 - نقد من الذهب وزنه 9.77 غرام، وقطره 22 ملم. سُك على وجهه الأول «لا اله الا الله »، ووجهه الثاني «محمد رسول الله » على سطرين، السطر الأول لفظ محمد، والثاني رسول الله، ورسم بين السطرين دائرة صغيرة بداخلها نقطة[4] (انظر صورة 30).

---

(1) N 1.Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 39.

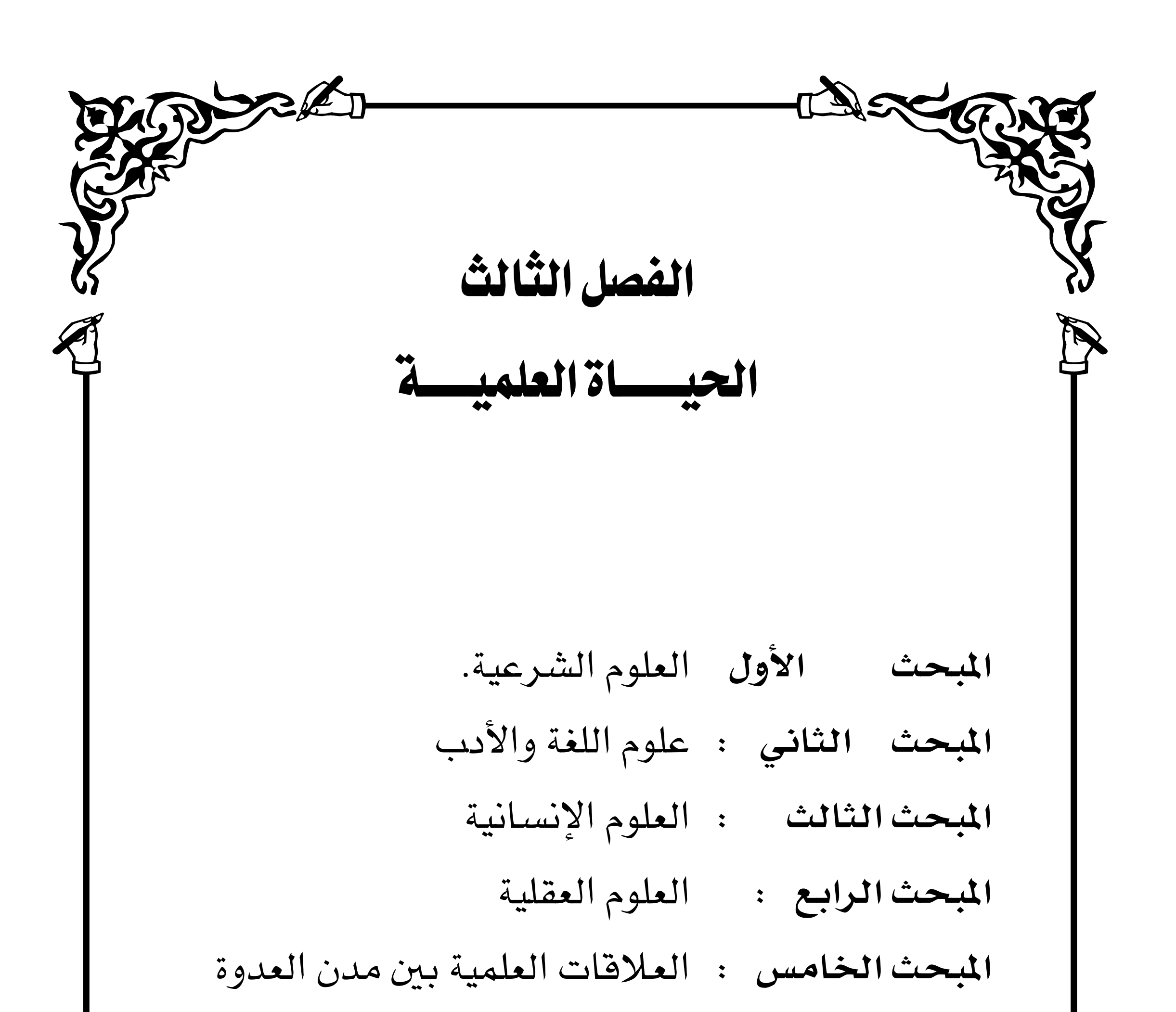
(2) N 2.Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 39 - 40.

(3) N 3.Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 40.

(4) N 4.Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion, p 40.

ومما سبق يتجلى كون تجارة العدوة الأندلسية قد تجاوزت أرضها منتجًا وتجارةً إلى غيرها من بلدان العالم الإسلامي والأوروبي.





الفصل الثالث

الحيـــاة العلميـــة

المبحث الأول العلوم الشرعية.

المبحث الثاني : علوم اللغة والأدب

المبحث الثالث : العلوم الإنسانية

المبحث الرابع : العلوم العقلية

المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين مدن العدوة الأندلسية والمدن الأخرى

تمهيد

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[1]. وقال الرسولﷺ: «**طلب العلم فريضة**»[2]. تشير الآية القرآنية والحديث الشريف إلى أهمية العلم والسعي في طلبه، والى الأجر العظيم لمن سار في دربه ومن هذا المنطلق اهتم أبناء المسلمين بالعلم والتعليم، ومنهم أبناء العدوة الأندلسية فكانت رحلاتهم لطلب العلم بالأندلس، والمغرب، ومصر، والعراق، والشام، والحجاز، رحلات للسماع، ونسخ الكتب، خاصة ما ليس منها بالأندلس ككتاب «الحساب الهندي» المعروف بـ«السند هند»[3].

ولعلماء العدوة الأندلسية جلدٌ في طلب العلم على كافة فروعه الشرعية، واللغوية، والإنسانية، والعقلية، جعل منهم ومن موطنهم مقصدًا للعلماء وطلاب العلم، يُجلس لأجل علومهم بحلقات العلم التي يقيمونها بجوامع العدوة الأندلسية ومساجدها؛ لأخذ كتاب معين ككتاب «سيبويه»، و«الإيضاح»، أو تعلم فرع من الفروع التي أبدع بها علماء العدوة الأندلسية ـ وهي كثر[4].

---

(1) سورة المجادلة، آية: 11.

(2) ابن ماجة محمد بن يزيد الربعي: سنن ابن ماجة، ج1، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط 1، 1416هـ/ 1996م، دار المعرفة، بيروت، حديث 224.

(3) الحميدي: جذوة المقتبس، ص69. ابن الزبير: صلة الصلة، ج 4، ص40. القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج4، ص452. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 13، ص56. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 21، ص400. الذهبي: معرفة القراء، ج2، ص968 – 969. المقري: نفح الطيب، ج2، ص207. المقريزي: المقفى الكبير، ج1، ص602 – 603. ابن الأثير: الكامل، ص1283

Anwar Cheine: Muslim Spain, P 154.

(4) ابن الأبار: المعجم، ص313 – 314. ابن الزبير: صلة الصلة، ج2، ص516، ج3، ص37، ج4، ص169. ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص228، ج3، ص92 – 93. ابن خير أبو بكر محمد الأموي الاشبيلي : فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، اعتنى به الشيخ فرنسشكه قداره

وقد شاركت العدوة الأندلسية بعدد من العلماء في الحياة العلمية الأندلسية منهم عباس بن ناصح الجزيري، وإبراهيم بن محمد التنوخي، وفتح ابن موسى بن حماد الأموي الجزيري. ولم يقتصر إسهام هؤلاء العلماء وغيرهم على بلاد الأندلس بل تجاوزوا ذلك إلى العالم الإسلامي، فكان منهم المؤدبو ن، والمعلمون، وأئمة المساجد، والخطباء، والقضاة. ولوصول العالم جمال الدين محمد بن مسدي المهلبي الأزدي إلى خطبة المسجد الحرام دليل على تلك المكانة العلمية[1].

ومن العدوة الأندلسية انبعثت عدة مصنفات لكثير من علمائها أصبحت مرتكزًا لغيرهم من العلماء في معارفهم ومصنفاتهم. ومن أبرز تلك الكتب «المقصد المحمود في الوثائق والأحكام»، و«طل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة»[2].

وقد كانت هذه الكتب نواة لعدة مكتبات تواجدت بالمساجد كمكتبات عامة، وبدور العلماء كمكتبات خاصة. وللكتب اهتمام خاص لدى علماء العدوة الأندلسية أُشتُهر عدد منهم بالسعي في جمعها، وهو ما قد يشير إلى الرغبة في تموين مكتبات يستفيد

زيدين وخليان ربـارة طرغوه، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/ 1997م، ص98. الذهبي: معرفة القراء، ج 3، ص1412. العفاقي: جبل طارق، ص 44. يوسف العريني: الحياة العلمية، ص 55. منيرة الشرقي: علماء الأندلس، ص113.

Anwar Cheine: Muslim Spain, P 154.

(1) ابن الفرضي أبو الوليد عبدالله بن يوسف الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن الس يوفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ / 1997م، ص69. ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص374 – 375. السيوطي جلال الدين عبدالرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، 1384هـ/ 1964م، ص242. الذهبي: تـاريخ الإسلام، ج 15، ص89. المقري: نفح الطيب، ج 2، ص594. محمد عبدالحميد: تاريخ التعليم، ص319 – 320.

(2) المراكشي: الذيل والتكملة، ج1، ص213 – 214. التنبكتي أحمد بابا بن أحمد بن عمر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشـراف عبدالحميد الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص316. ابن خير: فهرسة، ص386. المعسكري: الحلل، ص321.

منها طلاب العلم[1].

وللعدوة الأندلسية في الحياة العلمية امتياز أندلسي باحتضانها لعدة محافل جعلت من التمثيل العلمي الأندلسي أساسًا بها، وخاصة م ا كان لأهل الأدب دور فيه . ومن تلك المحافل ما كان عند الانتهاء من بناء مدينة جبل طارق سنة 555هـ/ 1159م، وما كان يقيمه السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني بقصره بالجزيرة الخضراء بصفة دوري ة، من جمعه للعلماء، والوقوف على ما لديهم من علوم ومعارف[2].

وخلاصة القول في الحياة العلمية بالعدوة الأندلسية كونها علامة مميزة بالحياة العلمية بالأندلس بأسرها العلمية : كأسرة بني رزقون، وأسرة بني ناصح، وبإنتاجها العلمي، وانفتاحها العلمي على العالم الإسلامي حتى غدت معبرًا من معابر العلوم والمعرفة[3].

وستتجلى الحياة العلمية بالعدوة الأندلسية بمشيئة الله عز وجل في المباحث التالية التي خُصص كل مبحث منها لفرع من فروع العلم.



(1) القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 3، ص159. ابن خير : فهرسة، ص 386. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص326. ابن سعيد: اختصار القدح، ص 86 – 87– 88. ليلى نجار : المغرب والأندلس ، ج2، ص533. محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط 2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م، ص279 – 280.

(2) ابن صاحب: المن، ص21. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص476. العفاقي: جبل طارق، ص44.

(3) ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص229. كولان: الأندلس، ص166.

المبحث الأول
العلـــوم الشرعيـــة

منهاج المسلمين يستمد من العلوم الشـرعية المعتمدة على القرآن الكريم، والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. لهذا نجد أبناء المسلمين كافة يهتمون بتلقي علوم الشريعة وتعلمها، ومنهم أبناء العدوة الأندلسية الذين احتووا كافة علوم الشريعة من علوم القرآن والقراءات، والتجويد وعلم النوازل، والحديث ومتونه، والتفسير، والفقه. وقد كانت العلوم الشرعية تؤخذ على المذهب الم الكي على الغالب، حيث كان هنـاك من ه ـم على المذهب الشـافعي كفتح بن موسى[1].

ولتدريس العلوم الشرعية اهتمام بالعدوة الأندلسية ظهر في تعدد المدرسين الذين اتخذوا مواضع لهم لتدريس ما لديهم من معارف، وقد كان لمساجد العدوة الأندلسية السبق في احتواء مدرسي الشريعة وطلابهم، وفي مقدمتها جوامع المدن كجامع الجزيرة الخضراء، وعدد من مساجدها كمسجد الصواع، ومسجد الرايات . وللعدوة الأندلسية من مدرسي علوم الشريعة حظ من علماء الأندلس والمغرب، فلم تقتصر على من بها من معلمين، وهو ما كان له أثر كبير في خروج علماء لهم مكانتهم من العدوة الأندلسية، ومن أولئك المدرسين: أبي زكريا بن السراج، وعياش بن الطفيل العبدي، وعلي بن أحمد السماتي، ويحيى بن أحمد السكوني[2].

ولم يقتصر أهالي العدوة الأندلسية على تلقي العلم في بلدهم بل تطلعوا إلى الأمصار

---

(1) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص 327. ابن الزبير : صلة الصلة، ج 2، ص530. السيوطي : بغية الوعاة، ج2، ص242. حسن عبدالكريم الوراكلي: التراث الأندلسي ومسألة الوحدة، قرون من التقلبات والعطاءات، ص72 – 73. الزركلي: الأعلام، ج5، ص32.

(2) ابن الزبير: صلة الصلة، ج4، ص131 – 169. ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص130 – 131. ابن الخطيب لسان الدين السلماني : أوصاف الناس في التواريخ والصلات، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ص 31. الذهبي : معرفة القراء، ج 3، ص1429. التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 316 – 632. ابن خير: فهرسة، ص46 – 98.

الأخرى، فكانت انطلاقتهم في رحلات علمية إلى بلاد الأندلس، والمغرب، ومصر، والشام، والعراق، والحجاز. فبالأندلس كان لهم رحلات إلى عاصمتها قرطبة ومالقة وبجانة [1]، ومن بلاد المغرب رحلات إلى القيروان، ومن مصر الإسكندرية [2] وأسيوط[3]، ومن الشام دمشق[4] وحماة[5] وبيت المقدس[6]، ومن العراق بغداد [7]، ومن الحجاز وجهة المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة[8].

وقد أدّت الرحلات العلمية التي قام بها علماء الشريعة بالعدوة الأندلسية بالإضافة لما اكتسبوه من علوم شرعية أولية من بلدانهم إلى ارتقاء عدد منهم إلى مصاف علماء الأندلس ممن كان لهم امتياز عن غيرهم، وأثر شرعي على بلادهم الأندلس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي ابتداءً بالمغرب، ومرورًا بمصر والشام والعراق، وانتهاءً

---

(1) بجانة (Pechina): مدينة بالأندلس من أعمال إلبيرة، بينها وبين غرناطة مائة ميل . انظر الحموي : معجم البلدان، ج1، ص403.

(2) الإسكندرية (Alejandría): مدينة بشمال مصر على ساحل البحر المتوسط، اتفق على أن بنائها على يد رجل يدعى اسكندر. انظر الحموي: المصدر السابق، ج1، ص217 وما يليها.

(3) أسيوط (Asyut): مدينة غرب نهر النيل من نواحي صعيد مصر . انظر الحموي : المصدر السابق، ج 1، ص229.

(4) دمشق (Damasco): أشهر مدن الشام، وهي قصبتها، س ميت باسمها لأ ن أهلها دَمْشَقَوا في بنائها أي أسرعوا. انظر الحموي: المصدر السابق، ج2، ص527.

(5) حماة (Hama): مدينة كبير بالشام على نهر العاصي. انظر الحموي: المصدر السابق، ج2، ص344 - 345.

(6) بيت المقدس (Jerusalén): مدينة بفلسطين بناها سليمان عليه السلام، بها المسجد الأقصى أول القبلتين، وثالث الحرمين. انظر الحموي: المصدر السابق، ج5، ص193 وما يليها.

(7) بغداد (Bagdad): مدينة قديمة بالعراق، أول من مصرها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور . انظر الحموي: المصدر السابق، ج1، ص543 وما يليها.

(8) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص 116 – 151 - 182. ابن الزبير : صلة الصلة، ج 4، ص40. القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 4، ص452. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 13، ص56. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج21، ص400. المقري: نفح الطيب، ج2، ص207. المقريزي: المقفى الكبير، ج 1، ص602 – 603. رجب عبدالجواد إبراهيم: معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1424هـ/ 2004م، ص121 – 320 – 433.

بالحجاز[1].

ومن أبرز علماء الشريعة بالعدوة الأندلسية ابن الطيب الذي لم يكن أحد يضاهيه في علم القراءات في عصره . وإبراهيم التنوخي أستاذ غرناطة بتوصية م ن أبي جعفر بن الزبير أستاذ الجماعة بها. وليس هذا فحسب بل كان لعدد من العلماء إجازات من علماء العدوة الأندلسية، فمنصور بن سليم الجزيري أجاز للوادي آشي، ويوسف الأنصاري أجاز لابن الزبير صاحب كتاب «صلة الصلة»، وكان لابن غصن إقراء بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس. وهم العلماء الذين سبقوا هذه الإجازات بتدريس علوم الشريعة بالبلدان الإسلامية سواءً بالمساجد كابن الطيب بالمغرب، وابن الربوبلة بالمرية، أو بالمدارس النظامية كفتح بن موسى الذي درس بالمدرسة النظامية ومدرسة المشطوب ببغداد، ومدرسة الفائزية بأسيوط[2].

ولعلماء الشريعة في العدوة الأندلسية نتاج مكتوب لا يقل عن نتاجهم العملي من أهمها كتاب «المقصد المحمود في تلخيص العقود» لعلي بن يحيى الحميري، وهو كتاب درج الناس على استعماله عن غيره من كتب العقود . ومنها «كتاب منهج السالك في اختصار مختصر المدارك» لابن خميس[3].

---

(1) ابن الأبار أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1420هـ/ 2000م، ص182 – 183. ابن الخطيب : الإحاطة، ج3، ص184 – 185. الذهبي : معرفة القراء، ج 3، ص1426. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 21، ص400. المقري : نفح الطيب، ج 2، ص207. المقريزي : المقفى الكبير، ج 5، ص66، ج7، ص281. إبراهيم أحمد الوافي: التفسير وعلوم القرآن بالغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري، قرون من التقلبات والعطاءات، ص50.

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص374، ج3، ص184 – 185. السيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص424 – 425. المعسكري: الحلل، ص322. الوادي آشي محمد بن جابر : برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، أثينا، اليونان، 1400هـ/ 1980م، ص139.

(3) ابن الزبير : صلة الصلة، ج 3، ص204. المراكشي : الذيل والتكملة، ج 1، ص214. الونشريسي : المعيار المعرب، ج3، ص24. الرعيني أبو الحسن علي بن محمد : برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق إبراهيم شبوح،

ويرى الباحث أن علماء الشريعة بالعدوة الأندلسية قد اتصفوا بشيء من الحنكة وقوة الشخصية، بالإضافة لتمكنهم من العلوم الشرعية، وهو ما قادهم لتولي عدد من المهام الدينية والسياسية. ومن تلك المهام الدينية: فتيا الجزيرة الخضراء، وقضاء شذونة، وشريش، وجيان، وسبته، وأسيوط. كما كان منهم أئمة وخطباء لعدد من المساجد، منها جامع غرناطة، والحرم الشريف[1].

أما المهام السياسية فقد تولى يوسف الأنصاري ولاية جبل طارق، وأبو العباس بن بلال ولاية الجزيرة الخضراء، كما كانت ولاية الخضراء أيضًا لعباس بن عبدالرحمن الثقفي[2]. ومن هذه المهام يظهر جليًا مدى ما وصل إليه علماء الشريعة بالعدوة الأندلسية من مكانة تجاوزت مدنهم إلى مدن الأندلس، بل إلى العالم الإسلامي، وتولي أحدهم مهمة الخطبة بالمسجد الحرام لدليلٌ على ارتقائهم لمكانة عالية بين أمثالهم من علماء الشريعة[3].

ومن أبرز علماء القراءات بالعدوة الأندلسية:

- إبراهيم بن محمد بن علي التنوخي: أصله من طريف، وقد انتقل عنها في عام 671هـ/ 1272م عندما سقطت بيد نصارى أسبانيا متجهًا لسبته، ثم عاد منها إلى مدينة غرناطة . وبغرناطة أقرأ ودرَّس فنون العلم، فكان مقرئًا للقران، ومدرسًا للفقه والتجويد والتفسير. نال مكانة كبيرة لدى أهل غرناطة حتى

وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ/ 1962م، ص38. محمد القاضي: مدن إسلامية الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم، التاريخ العربي، ع 18، ربيع 1422هـ/ 2001م، ص304.

(1) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص 422. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 12، ص588. المقري : نفح الطيب، ج2، ص594. المعسكري: الحلل، ص322. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص331.

(2) ابن الزبير: صلة الصلة، ج5، ص295. ابن سعيد: اختصار القدح، ص86. رجب عبدالجواد : معجم علماء اللغة، ص206.

(3) المقري: نفح الطيب، ج2، ص594.

وفاته في يوم السبت السابع من محرم من عام 726هـ/ 1325م، وقبره بباب إلبيرة بغرناطة[1].

- أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن أفلح بن رَزْقون ـ تقديم الراء المهملة على الزاي ـ القيسي: كنيته أبو العباس. مقرئ فقيه مالكي، من أهل الجزيرة الخضراء، تصدر للإقراء بمدينته، كان فقيهًا مشاورًا، ومحدثًا حافظًا. توفي بالجزيرة الخضراء في عام 542هـ/ 1147م، وقيل في عام 545هـ/ 1150م[2].
- حاجر بن حسين بن خلف المعافري الجزيري: كنيته أبو عمر، أخذ القراءات بمدينته علي يد ابن رزقون، كما سمع بمالقة عن ابن دحمان والسهيلي. وقد تصدر للإقراء بالجزيرة الخضراء، وهو خطيب جامعها وصاحب الصلاة بها. توفي أبو عمر في عام 599هـ/ 1202م، وقيل في عام 595هـ/ 1198م[3].
- فتح بن محمد بن عبدالله الجذامي: كنيته أبو نصر، وهو مقرئ الجزيرة الخضراء، رحل إلى مصر، وأخذ بالإسكندرية كتاب: «التجريد لبغية المريد في القراءات السبع» عن أبي القاسم عبدالرحمن بن أبي بكر القرشي المقرئ المعروف بابن الفحام. وقد كان أبو نصر حيًا في عام 540هـ/ 1145م[4].
- محمد بن إبراهيم بن يوسف بن غصن الأنصاري الجزيري: كنيته أبو عبدالله،

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص374 – 375. السيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص424 – 425. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص 29 – 30. محمد عبدالحميد: تاريخ التعليم، ص 203. يوسف عيد ويوسف فرحات: معجم الحضارة الأندلسية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000م، ص280.

(2) ابن الأبار: المعجم، ص34 – 35. ابن فرحون إبراهيم بن علي اليعمري: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج1، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ص 219. الذهبي: معرفة القراء، ج2، ص968 – 969. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 11، ص801 – 802. ابن خير: فهرسة، ص46 – 461. محمد عبدالحميد: تاريخ التعليم، ص289. إبراهيم الوافي: التفسير وعلوم القرآن، ص33.

(3) ابن الزبير: صلة الصلة، ج5، ص360. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص121.

(4) ابن الزبير: صلة الصلة، ج4، ص181 – 182.

ويشتهر بابن غصن، ولد بالجزيرة الخضراء سنة 631هـ/ 1233م. وقد قرأ القراءات السبع على الأستاذ عبيدالله بن أحمد العثماني، كما عرض عليه الموطأ من حفظه. كان عارفًا بمتون الحديث وأحكامه، فقيهًا، عالمًا بمذاهب الأئمة الأربعة، مجيدًا للقراءات. ولابن غصن إقراء للقرآن بالقراءات بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس . ومن تلاميذه بمكة محمد بن عبدالرحمن القسطاني إمام المالكية بالحرم، وشهاب الدين أحمد بن رضى الدين الطبري إمام الشافعية بالحرم أيضًا .ومن مصنفات ابن غصن في علم القراءات «مختصر الكافي». توفي ابن غصن ببيت المقدس سنة 723هـ/ 1323م[1].

- محمد بن عبدالرحيم بن الطيب القيسي الضرير : ولد بالجزيرة الخضراء في حدود عام 630هـ/ 1232م، وقد كان له ضبط للقراءات بالأداء، ومعرفة للتفسير والحديث، كما أنه حفظ كتابي «التيسير» و«الكافي» لابن شريح. نال ابن الطيب منزلة في علم القراءات حتى وصف أنه لا يُضاهيه أحد من أهل زمانه بعلم القراءات. توفي ابن الطيب في شهر رمضان من عام 701هـ/ 1301م[2].
- موسى بن علي الجذامي الجزيري : كنيته أبو عمران . اشتهر بضبط القراءات وإحكام أدائها، كان شديد الأخذ على القراء . وله عدة مصنفات منها «شرح لحن العامة»[3].

ومن أبرز علماء الحديث بالعدوة الأندلسية:

- جمال الدين محمد بن مسدي المهلبي الأزدي: كنيته أبو المكارم، هو شيخ السنة، وحامل رايتها، عرف الأحاديث وميز بين شهرتها وغرابتها . وقد طاف أبو المكارم مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، ولقي علماءها ومشايخها . وقد استقر

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج2، ص207 – 208. المقريزي: المقفى الكبير، ج5، ص66 – 67.

(2) الذهبي: معرفة القراء، ج3، ص1426 – 1427. إبراهيم الوافي: التفسير وعلوم القرآن، ص50.

(3) الرعيني: برنامج شيوخ الرعيني، ص20 – 21.

بمكة، وخطب بحرمها الشريف. توفي أبو المكارم بمكة مقتولًا سنة 663هـ / 1264م عن عمر يناهز الخامسة والستين عامًا[1].

- موسى بن سيد بن إبراهيم الأموي الجزيري : كنيته أبو بكر، رحل إلى مكة المكرمة وسمع من الحسين بن علي الطبري الموطأ والصحيحين . وكان أبو بكر فقيهًا، مشاورًا، خطيبًا بمدينته الجزيرة الخضراء[2].

أما علماء الفقه بالعدوة الأندلسية، فمن أبرزهم:

- أحمد بن إسماعيل بن دليم الجزيري: كنيته أبو عمر، وهو أحد قضاة الجزيرة الخضراء. من تلاميذه الحميدي صاحب جذوة المقتبس. توفي أبو عمر قبل عام 440هـ/ 1048م[3].
- أحمد بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري الجزيري: ولد بالجزيرة الخضراء في عام 646هـ/ 1248م، كان إمامًا وخطيبًا بمدينته، ونائبًا عن عدد من قضاتها. له رحلة إلى مصر، وقد كانت وفاته في يوم الأحد السابع عشر من شعبان لعام 723هـ/ 1323م[4].
- أزهر بن منفلت: من أهل الجزيرة الخضراء، له رحلة علمية. وقد جلس للإفتاء بالجزيرة الخضراء[5].
- جامع بن باقي بن عبدالله التميمي : كنيته أبو محمد، ولد بالجزيرة الخضراء . ورحل لطلب العلم، فسمع من السلفي بالإسكندرية، ومن أبي المكارم عبدالواحد بن هلال، وأبي القاسم الحافظ، وداود بن محمد الخالدي بدمشق .

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج2، ص594.

(2) ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص49. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص620.

(3) الضبي: بغية الملتمس، ص146. الحميدي: جذوة المقتبس، ص105.

(4) ابن الخطيب: أوصاف الناس، ص30. المقريزي: المقفى الكبير، ج1، ص602 – 603.

(5) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص81.

تولى قضاء إخميم[1] وكانت وفاته بدمشق في السابع عشر من شهر ذي القعدة من عام 602هـ/ 1205م[2].

- خلف بن عبدالله بن مخارق الخولاني: من أهل الجزيرة الخضراء، سمع من ابن بدرون، ومحمد بن يزيد ببجانة، ومن المنذر، وابنة الشافعي بمصر . كان فقيه بلده ومفتيها، وصاحب الصلاة بها[3].
- سعد بن موسى الطائي: من أهـل الجزيرة الخضراء، رحل للعلم، وسمع ببلاد المشرق من أصبغ بن الفرج، وحرملة بن يحيى التجيبي . كان فقيه الجزيرة الخضراء، وله بها موضع مقصود للسماع، كما كان مهتمًا بجمع الكتب[4].
- عباس بن عبدالرحمن بن عباس بن ناصح الثقفي : كنيته أبو العلاء، وهو من أهـل الجزيرة الخضراء. كان فقيهًا عالمًا، أخذ من جده عباس. وقد كان له ولاية على الجزيرة الخضراء. توفي أبو العلاء نحو عام 400هـ/ 1009م[5].
- عبدالخالق بن مرزوق بن عبدالله اليحصبي: من أهل الجزيرة الخضراء، كنيته أبو محمد، ويعرف بابن الحقاني. من المقدمين في الفقه، له رحلات سماع إلى قرطبة ومالقة. توفي ابن الحقاني في عام 448هـ/ 1056م[6].
- عبدالله بن حكم الليثي: من أهل الجزيرة الخضراء، رحل إلى مصر وسمع من محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ويونس بن عبدالأعلى . كان فقيهًا، متقدمًا في الفتيا، متفننًا بالقراءات والتفسير[7].

---

(1) إخميم: بلدة صغيرة على نهر النيل بصعيد مصر. انظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص150 – 151.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13، ص56.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص116. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص452.

(4) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص151. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص159.

(5) رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص206.

(6) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص308. ابن الزبير: صلة الصلة، ج4، ص40.

(7) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص182.

- علي بن خلفون القروي: كنيته أبو الحسن، من فقهاء ومقرئي الجزيرة الخضراء، كان حيًا إلى عام 530هـ/ 1135م[1].

- علي بن يحيى بن القاسم الحميري الصنهاجي الجزيري: كنيته أبو الحسن . كان فقيهًا، حافظًا، مدرسًا، عاقدًا للشروط، له بها تصنيف قيم استخدمه الناس هو: «المقصد المحمود في تلخيص العقود». وقد ولي أبو الحسن قضاء الجزيرة الخضراء، وتوفي بها في ربيع الأول من عام 585هـ/ 1189م، وله من العمر ستين عامًا[2].

- عمر بن عبدالرحمن بن عذرة الأنصاري: من أهل الجزيرة الخضراء، روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن مغيث، وأبي القاسم بن بقي. وأخذ عنه أبو الوليد القسطلي، وعمر بن عبدالمجيد النحوي وغيرهم . هو فقيه مشاوَر، ولي قضاء سبته. وكانت وفاته في شهر رمضان سنة 576هـ/ 1180م[3].

- عيسى بن إسحاق بن شذانق الجزيري : رحل للعلم، فأخذ من علي بن عبدالعزيز البغدادي بمكة المكرمة، وتنقل بالمشرق أربعة وعشرين عامًا لطلب العلم، عاد بعدها لمدينته الجزيرة الخضراء، وكان صاحب الصلاة بها أربعة وعشرين عامًا أخرى . كان مقدمًا في علم الفرائض، وقد توفي بعد عام 300هـ/ 912م[4].

- فتح بن موسى بن حماد الأموي الجزيري : كنيته أبو النصر، ولد بالجزيرة الخضراء في رجب سنة 588هـ / 1192م، وقيل 584هـ / 1188م. فقيه

---

(1) ابن الزبير: صلة الصلة، ج4، ص154.

(2) المراكشي: الذيل والتكملة، ج 1، ص213 – 214. التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 316. المعسكري : الحلل، ص321. الزركلي : الأعلام، ج 5، ص32. محمد حجي : تراث الأندلس، مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، جمادى الثانية 1414هـ/ نوفمبر 1993م، ص22.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص588.

(4) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص263. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص319 – 320.

شافعي أصولي، جمع عدة علوم وصنف بها . ولفتح رحلة للمشرق نال بها مكانة عالية، منها إيكال ديوان الإنشاء ببغداد له، وتكليفه بالتدريس بمدرسة النظامية، ومدرسة المشطوب . بالإضافة لتوليّه قضاء أسيوط والتدريس بمدرسة الفائزية. توفي فتح بن موسى بأسيوط يوم الأحد الرابع من جمادى الأولى سنة 663هـ/ 1264م[1].

- محمد بن أحمد بن محمد الغافقي: كنيته أبو عبدالله، ويعرف بالقباعي، من أهل الجزيرة الخضراء، ولي الصلاة والخطبة بها . له عدة إجازات لعدد من العلماء منهم أبي الحسن الفهمي الضرير[2].
- محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري: الشهير بابن خميس، هو من أهل الجزيرة الخضراء، وبيته بها بيت علم. قصده طلاب العلم لأخذ الفقه والتجويد، وقد أمضى عمره خطيبًا بجامع الجزيرة الخضراء. ولابن خميس عدة مصنفات منها:

1. «الأعلام بمن وقع عليه العمل من المشيخة ».
2. «كتاب الدلالة في شرح الرسالة»، لم يُكمل تأليفه.
3. «منهج السالك في اختصار مختصر المدارك».

توفي ابن خميس بالطاعون بسبته آخر جمادى الآخرة من عام 750هـ / 1349م[3].

- محمد بن عبدالوهاب بن عباس بن ناصح الثقفي الجزيري: لقب بالطلل، وكان ابن عبدالوهاب فقيهًا، حافظًا للمسائل، بصيرًا بالفتيا على مذهب الإمام

(1) السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص242. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 15، ص89. المعسكري : الحلل، ص321 – 322. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص331.

(2) ابن الأبار: المعجم، ص182 – 183. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص502.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص184 – 185. القاضي: مدن إسلامية، ص304.

مالك. ولي قضاء الجزيرة الخضراء، وتوفي بها في عام 328هـ/ 939م[1].

- منذر بن الحسن بن عبيدالله الكلاعي الجزيري: له رحلة علمية لقرطبة سمع بها من ابن لبابة، وابن خالد. كما كان له رحلة سمع بها من عدة علماء بمصر، والحجاز، وبغداد، والشام، والقيروان، وقد بلغت مدة هذه الرحلة ثماني سنوات، عاد بعدها للجزيرة الخضراء، فاستشير بها، وولي صلاتها . توفي الكلاعي في عام 335هـ/ 946م[2].
- يوسف بن خطار بن سليمان بن خالد الجزيري: سمع ببلده من عبدالله بن حكم الليثي، وعبدالله بن بدرون، ومحمد بن عبدالوهاب بن عباس وغيرهم . هو من فقهاء الجزيرة الخضراء، وولي صلاتها مدة أربعين سنة انتهت بوفاته سنة 332هـ/ 943م[3].

وبالإضافة لهؤلاء العلماء هنالك عدد آخر من علماء الشريعة بالعدوة الأندلسية ممن هم أقل نتاجًا علميًا[4].



(1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص 327. ابن حيان : المقتبس، تحقيق مكي، ص 237 – 238. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص433.

(2) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص451 – 452. محمد خلاف: تاريخ القضاء، ص343.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص451. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص452.

(4) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص 150 – 257 – 318 – 422 – 440. الضبي : بغية الملتمس، ص456. ابن الزبير : صلة الصلة، ج 3، ص54 – 55 – 229. القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 4، ص452. الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص261. ابن الخراط: اختصار الأنوار، ص134. ابن الخطيب : أوصاف الناس، ص30 – 31. ابن سعيد : اختصار القدح، ص 86. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجانة، تحقيق عادل نويهض، ط 1، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، إبريل 1969م، ص58. الذهبي : معرفة القراء، ج 3، ص1315 – 1429. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص1227. المقريزي: المقفى الكبير، ج7، ص281. التنبكتي : نيل الابتهاج، 396 وما يليها. محمد بن جابر: الوادي آشي، ص139.

المبحث الثاني

علـوم اللغـة والأدب

أضفت مدن العدوة الأندلسية طابعًا مميزًا لعلوم اللغة والأدب، فقد كانت مقصدًا للعلماء وطلاب العلم، فمنها تؤخذ المعارف اللغوية والأدبية، وبها تتهيج قريحة الشعراء بوصفها أو وصف ما يحدث بها من أحداث، وبداخل أروقتها أقيمت تلك المحافل التي كانت صور الأدب حاضرة بها، كما أنها احتوت علم النحو، وعلم العَروض، وفن الشعر والنثر[1].

وهذا كله لاجتماع عدة مقومات منها: اهتمام الحكام وأعيان مدن العدوة الأندلسية بعلوم اللغة والأدب وعلمائها، سواءً بتبنيهم في محافلهم، أو اتخاذ علمائها كُتّابًا ووزراءً لديهم، أو مشاركتهم بعلومها كإسهام السلطان أبي الحجاج يوسف بن الأحمر بالشعر [2]. ومن المقومات أيضًا ما كان يقوم به علماء اللغة والأدب بالعدوة الأندلسية من الاهتمام بتدريس علومها، وإحياء شعائرها من مناظرات ومراسلات لغوية وأدبية، ومنها ما كان بين ابن زمرك وأبي حاتم المالقي من مراسلات شعرية[3]. هذا بالإضافة لاستقرار عدد

---

(1) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص 72 – 73. ابن سعيد: المغرب، ج 1، ص325. ابن صاحب: المن، ص21.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج 4، ص401 وما يليها. مجهول: الحلل الموشية، ص 155. ابن سعيد: رايات المبرزين، ص 48 – 96. ابن صاحب: المن، ص 21. المقري: نفح الطيب، ج 4، ص200 – 201. سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 341. نجاة المريني: العدوتان في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مجلة المناهل، السنة 26، ع 69/ 70، ذو القعدة 1424هـ/ يناير 2004م، ص330 – 331. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص41. العفاقي: جبل طارق، ص47.

(3) ابن الأبار أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي: إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، ط1، مطبوعات مجمع اللغـة العربيـة، دمشـق، 1380هـ/ 1961م، ص193 – 194. ابن الخطيب: ديـوان الصيب، ص 601. ابن الخطيب لسان الدين السلماني: ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، ج1، صنعه وحققه محمد مفتاح، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1409هـ/ 1989م، ص112 – 113. الزبيدي أبو بكر

من علماء اللغة والأدب بأرض العدوة الأندلسية وعلى رأسهم الأديب لسان الدين ابن الخطيب[1].

ولم يقتصر علماء اللغة والأدب بالعدوة الأندلسية على ما بمدنهم بل رحلوا لطلب علوم اللغة والأدب، فوصلوا إلى قرطبة وإش بيلية من أرض الأندلس، والقيروان من بلاد المغرب، والبصرة والكوفة من العراق، ودمشق من الشام، والقاهرة من مصر، ومكة والمدينة من الحجاز[2]. وبها كان لهم السماع، ونقل الكتب إلى الأندلس . فغدوا مقصدًا للغويين والأدباء بالأندلس والمغرب، فعباس بن ناصح كان مصدرًا لأ دباء قرطبة، وكان أبو القاسم عبدالرحمن بن علي الجزيري معلمًا لكتاب سيبويه، وأبو الحجاج بن معزوز لكتاب الإيضاح للفارسي، ولهذا وصفت العدوة الأندلسية بأنها مقصد غرباء الأدب[3].

وعند النظر في سيرة علماء العدوة الأندلسية لا يستغرب ما كان لهم من مكانة في علم الأدب والنحو، فهذا يستقبل القادم من المشرق لمعرفة جديد الشعر، وذلك يقصد بولده الحجاز كي يأخذ اللسان العربي الفصيح، وذاك يدون وينسخ ما يقع تحت يده من

محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ص 256 – 257. ابن فركون: ديوان ابن فركون، ص 17. ابن زمرك محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك الأندلسي، جمعه يوسف الثالث، تحقيق محمد توفيق ا لنيفر، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص325 – 326. سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 346.

(1) ابن الزبير : صلة الصلة، ج 2، ص516. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص74 – 121. ابن سعيد : اختصار القدح، ص 126. ابن فركون : ديوان ابن فركون، ص 303. الذهبي : معرفة القراء، ج 3، ص1539 – 1541. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص355.

(2) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص230 – 238. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص158. ابن الخطيب: مشاهدات، ص148 – 149. المقري: نفح الطيب، ج2، ص281. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص121.

(3) ابن الزبير: صلة الصلة، ج2، ص516، ج3، ص37. ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص228. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج20، ص219. ابن فرحون: الديباج المذهب، ج2، ص267.

كتب اللغة والأدب حتى أن بعض نتاج علماء العدوة الأندلسية مُدون في دفاتر . وهم العلماء الذين جعلوا لهم منهجًا يسيرون عليه، فمنهم من اتخذ مسالك العرب القديمة في الشعر، ومنهم من اتخذ طرق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعرية[1][2].

ولإتقان علماء العدوة الأندلسية لعلوم اللغة والأدب، كان منهم من وصف بكونه أحد شيوخ الأدب وهو نافع بن رياض الجزيري، ومنهم من عدّ من أكابر البلغاكعبدالملك بن إدريس الجزيري، ومنهم ابن عياش الذيفضل المتعلمونالأخذ من علمه عن التعلم لدى العالم الرندي[3].

ولعلماء اللغة والأدب بالعدوة الأندلسية إنتاج مدون، تمثله عدة مصنفات منها :
كتاب «شرح التبصرة للصميري» وكتاب «الاستيضاح في شرح الإيضاح» لموسى بن علي الجزيري، و«نظم المفصل للزمخشري» لفتح بن موسى الأموي، و «شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي» و«كتاب الرد على الزمخشري في المفصل » ليوسف بن معزوز الجزيري، وكتاب «الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة» للتنوخي، وكتاب «فصل المقال في تلخيص أبنية الأفعال» لمحمد بن يحيى الأنصاري[4].

وكما أبدع علماء اللغة والأدب في تأليف المصنفات، كان لهم إبداع في الشعر والنثر الذي دُوّن على أيديهم، وعلى أيدي تلاميذهم، كديوان نظم لأحمد بن محمد بن عبدالله بن

---

(1) طريقة عمر بن الخطاب الشعريةِ هي: «لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظل من المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه». انظر ابن صاحب: المن، ص21.

(2) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص158. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص469.

(3) الضبي: بغية الملتمس، ص327 – 417. الحميدي: جذوة المقتبس، ص324. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص28.

(4) ابن الزبير : صلة الصلة، ج 3، ص37. السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص242 – 362. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج15، ص89. الرعيني: برنامج شيوخ الرعيني، ص20 – 21. محمد عنان: دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص686.

البراء التجيبي، وكشعر ابن عذرة الذي جمع في الدفاتر[1].

ومن مواضيع الشعر التي تجلت بسماء العدوة الأندلسية:

شعر الوصف: ومنه وصف الشاعر لرحلات الصيد والنزهة بقوله:

أيا ملكًا سعده مقبل	خرجت وساعدك الجحفل
إلى الصيد أرسلتها أكلبًا	تصيد الوحوش ولا تقتل
يحلق صقرك وسط السماء	ويُردي الكراكي إ ذا ينزل
فهنالك الله ذاك الخروج	فللخلق خيراته تشمل
فيابن الخليفة حزت العلا	وقد رضي الله ما تفعل[2]

ومنه وصف الشاعر أبو مروان عبدالملك الجزيري للعلم وأهله بقوله:

وبضمر الأقلام يبلغ أهلها	ما ليس ي بلغ بالجياد الضمر
والعلم ليس بنافعٍ أربابه	ما لم يفد عملًا وحسن تبصر
سيان عندي علم من لم يستفد	عملًا به وصلاة من لم يطهر
لا تخرجن عن الجماعة أنها	تألم بالحق الجلي الأنور
واشرح لكل مُلمَّة صدرًا وخذ	لا لحزم في بهم الأمور وشمر[3]

ومن شعر الوصف أيضًا وصف نبتة القرنفل بجبل طارق، وفيها يقول الشاعر ابن زمرك:

يقرُّ بعيني أن أرى الزهر يانعًا	وقد نازع المحبوب في الحسن وصفه

---

(1) ابن الأبار أبو عبدالله محمد البلنسي : تحفة الق ادم، أعاد بناءه إحسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986م، ص14 وما يليها – 146. ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص202.

(2) ابن سعيد: اختصار القدح، ص99 – 100.

(3) التادلي أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي: الحماسة المغربية " مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب "، ج2، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1411هـ / 1991م، ص1274 – 1275.

وما أبصرت عيني كزهر قرنفلٍ حكى خد من يسبي الفؤاد وعرفه
تمنَّع في أعلى الهضاب لمجتنٍ تمنعه منّي إذا رمت إلفَهُ
وفي جبل الفتح اجتنوه تفاولًا بفتح لبابٍ الوصل يمنح عطفهُ
وما ضرَّ ذاك الغصن وهو مرنَّحٌ إذ ما ثنى نحو المتيمِ عطفهُ [1]

ومن الوصف ما كان لأوعية حفظ الكتب، وبها يقول الشاعر محمد الجزيري:

ووعاء عود للعلوم صيانة حملت ذخائرها قوائم أربع
محفوظة الأشكال مما قد حوت فالعلم يحفظ مما حواه ويمنع
خشب كلون التبر يشرق فوقها حلي حكى لون اللجين ويسطع [2]

ومن مواضيع الشعر أيضًا شعر المدح المتمثل في قول الشاعر إسماعيل يمدح الخليفة الناصر لغزوته إلى الجزيرة الخضراء:

تطوى المراحل إدلاجًا وتنحيرا مشمرًا في رضى الرحمن شميرا
بدر الملوك الذي إشراق سنته تجلو عن الدين والدنيا الدياجيرا
من قد قضى الله في ماضي شبيبته لا يزال على الأعداء منصورا [3]

كما يقول الشاعر الأصم المرواني يمدح أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي بجبل طارق:

ما للعدا جُنّةٌ أوقى من الهرب أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة إذا رمته سماء الله بالشهب
....
وطود طارق قد حل الإمام به كالطور كان لموسى أيمن الرتُب

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج7، ص177. المقري: أزهار الرياض، ج2، ص40.

(2) محمد المنوني: العلوم والآداب، ص279 – 280. ليلى نجار: المغرب والأندلس، ج2، ص533.

(3) محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 2، ص698.

لو يعرف الطود ما غشاه من كرمٍ لم يبسط النور فيه الكف للسحب [1]

وعلى نقيض شعر المدح شعر الهجاء، ومن أبياته:

هدم السد، وهو ما هو، فارُ كيف شيخ مكايد غوار

إنما المُلْكُ ناقةٌ، وهو والله إذا لم تعاجلوه قدار

....

إن سرى في رسالة قُرنت بالنحس منها الأعمال والأسفار

جاء فيها الأمير، يوم طريف فاستباحت حريمه الكفار [2]

ومن مواضيع الشعر بالعدوة الأندلسية الرثاء: ومنها رثاء محمد بن عبدربه الجزيري لأبناء بني عبدالمؤمن:

كأنما الشمس وقد قابلت بدر الدجى والأفق الأهيف

عينا هزبر كلفٍ وجهه ينظر في عطفيه لا يطرف

فان نقل ما لونها واحد قلت : وهذا سبع أخيف [3]

وكما ذكرنا مسبقًا كان لمدن العدوة الأندلسية دور كبير في تهييج قريحة الشعراء، ولذلك ظهر شعر الحنين إلى أرضها، وفي ذلك يقول ابن الخطيب:

خليلي إذا ما جئتما دار طارق سقى الله ذاك الربع صوب غمامه

فلا تغفلا أن تنهيا عن أخيكما هدية طيب من كريم سلامه

إلى منزل للملك وللدين خيمت ركائب العلا والجود بين خيام ه

مضارب عزّ كالنجوم محيطة بأزهر مثل البدر عند تمامه

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج3، ص592.

(2) ابن الخطيب: ديوان ابن الخطيب، ج1، ص437.

(3) المقري : نفح الطيب، ج 2، ص97 – 98 – 118. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص 156 – 157.

وقولا أمير المسلمين تحيةً　　　حباك بها عبدٌ حليف غرامه [1]

كما يقول الشاعر علي بن موسى متشوقًا للجزيرة الخضراء في قصيدة طويلة منها:

يا نسيمًا من نحو تلك النواحي　　　كيف بالله نورُ تلك البطاح

أسقتها الغمامُ ريًا فلاحت　　　في رداءٍ ومئزر ووشاح

أم جفته فصيرته هشيمًا　　　تركته تذروه هوج الرياح

يا زماني بالحاجبية إني　　　لستُ من سكر ما سُقيتُ بصاحي

آه مما لقيت بعدك من هـ　　　ـمّ وشوق وغربة وانتزاح [2]

وإلى جوار هذه الأبيات هناك قطع نثرية تؤكد إبداع علماء اللغة والأدب بالعدوة الأندلسية وإجادتهم لهذا العلم، ومن ذلك القطعة النثرية التي كتبها عبدالملك بن إدريس الجزيري إلى المنصور بن أبي عامر على لسان بنفسج العامرية، ويقول فيها: «منح الله مولاي صدق النظر، وعرفه جلية الخبر، وأطال مدته، ووصل سلامته وعزته إذا ترافعت الخصوم ـ أيد الله المنصور مولاي في مذاهبها، وتنافرت في مفاخرها فإليك مفزعها، وأنت المقنع في فصل القضية بينها لاستيلائك على المفاخر بأسرها،...»[3].

ومن أبرز علماء اللغة والنحو بالعدوة الأندلسية:

- إبراهيم بن محمد التنوخي: عالم جمع بين العلوم الشرعية ـ سبق التعريف به في المبحث السابق ـ وعلوم اللغة والأدب، وقد كان مولده بطريف في حدود عام

---

(1) ابن الخطيب: ديوان الصيب، ص588.

(2) المقري: نفح الطيب، ج2، ص308 – 309.

(3) الإشبيلي أبو الوليد إسماعيل بن محمد: البديع في وصف الربيع، تحقيق عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ط 1، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1407هـ / 1987م، ص80 – 81. حازم عبدالله خضر: النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1981م، ص82. سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 341. محمد بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص23. محمد عبدالحميد: تاريخ التعليم، ص319 – 320.

677هـ/ 1278م، جلس التنوخي لتدريس العربية، وكان له حظ من الأدب والخط. انتقل إلى غرناطة بعد سقوط طريف بيد نصارى أسبانيا، وبها كان له مكان أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير بعد وفاته. توفي التنوخي في يوم السبت السابع من محرم سنة 726هـ/ 1325م[1].

- حاجر بن حسين بن خلف المعافري الجزيري : كنيته أبو عمر، ويعرف بابن حاجر. نحوي، شاعر، تعلم العربية من ابن دحمان والسهيلي بمالقة، وجلس ببلده الجزيرة الخضراء لتعليم النحو، وبها توفي سنة 599هـ / 1202م، وقيل 595هـ/ 1198م[2].

- الحسن بن إبراهيم بن الحسن الخزاعي الجزيري: كنيته أبو علي، ولقب بقريعات، وعرف بابن عياش. وهو أستاذ نحوي، فُضل على الرندي؛ لحسن عبارته، وسهولة إلقائه. مات الخزاعي في عام 595هـ/ 1198م[3].

- عباس بن ناصح الثقفي الجزيري: كنيته أبو العلاء، وقيل أبو المعلى . رحل به والده إلى مصر والحجاز والعراق، وكان يهدف من رحلته أن يأخذ عباس لغة العرب. ولم يكتفِ عباس بهذه الرحلة بل كان له رحلة في كبره إلى المشرق، ولعباس بن ناصح اهتمام بكل ما يستجد في علوم اللغة والأدب بالمشرق، وظهر ذلك في استفساره للقادمين من المشرق عمّا جد بها من علوم اللغة والأدب؛ ولذلك كان لعباس منزلة عالية في علوم اللغة والأدب بالأندلس، يأخذ عنه العلماء، وممن ذكر منهم علماء اللغة والأدب بقرطبة . وقد كان لعباس

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص374 وما يليها. السيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص424 – 425.

(2) ابن الزبير: صلة الصلة، ج5، ص360. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص121.

(3) ابن الزبير: صلة الصلة، ج5، ص360 – 361. السيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص493. رجب عبدالجواد : معجم علماء اللغة، ص124.

نتاج أدبي مجود في الشعر والنثر، سلك به مسالك العرب القدماء[1].

- عبدالرحمن بن علي بن القاسم الجزيري: كنيته أبو القاسم، معلم نحوي، قاضي مدينته ومدرسها. أُخذ عنه بها كتاب سيبويه، وغيره من كتب النحو . كان حيًا في عام 605هـ/ 1208م[2].

- عبدالله بن محمد بن عبدالله بن بدرون : من أهل الجزيرة الخضراء، رحل في طلب العلم إلى قرطبة والقيروان، كان بليغًا في اللغة والإعراب، توفي ابن بدرون سنة 301هـ/ 913م[3].

- عبدالملك بن إدريس الجزيري: كنيته أبو مروان، كان كاتبًا للمنصور بن أبي عامر ثم ولده المظفر. شُبّه عبدالملك بمحمد بن عبدالملك الزيات في البلاغة والعبقرية، ولأبي مروان رسائل وأشعار مدونة. وقد كانت وفاته سنة 394هـ/ 1003م[4].

---

(1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص238. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج 1، ص48. ابن حيان : المقتبس، تحقيق مكي، ص 231 وما يليها . ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص324 – 325. المقري: نفح الطيب، ج 2، ص261. الكتاني أبو عبدالله محمد الطيب: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، ط2 مزيدة ومنقحة، دار الشروق، بيروت – القاهرة، 1401هـ / 1981م، ص294 – 295. الزبيدي : طبقات النحويين، ص262 – 263. محمد عبدالحميد: تاريخ التعليم، ص 319 – 320. رجب عبدالجواد : معجم علماء اللغة، ص 206. يوسف عيد : معجم الحضار ة الأندلسية، ص 344. محمد خلاف : تاريخ القضاء، ص49.

(2) ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص204. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص250.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص181. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص231 – 232 .

(4) الضبي: بغية الملتمس، ص 327. ابن الخراط أبو محمد الإشبيلي : اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م، ص134. ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص26. ابن سعيد علي الأندلسي : المقتطف من أزاهر الظرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م، ص85 – 86. ابن سعيد: رايات المبرزين، ص 126 – 127. ابن سعيد : المغرب، ج 1، ص321 – 322. الطيبب : كتاب التشبيهات، ص299. عبدالله بن علي بن ثقفان : ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، قرون من التقلبات وال عطاءات،

- فتح بن موسى بن حماد الأموي الجزيري: ولد بالجزيرة الخضراء في رجب سنة 588هـ/ 1192م وقيل 584هـ/ 1188م. نحوي عارف بالعروض، رحل إلى دمشق لأخذ النحو، وكان له بالمشرق أن درس بمدرسة النظامية، ومدرسة المشطوب. كما كان له التدريس بمدرسة الفائزية بأسيوط . توفي فتح في يوم الأحد الرابع من جمادى الأولى سنة 663هـ/ 1264م[1].
- محمد بن يحيى بن هشام الأنصاري الخزرجي: كنيته أبو عبدالله، ويعرف بابن البرذعي. نحوي من أهل الجزيرة الخضراء، عكف على التعليم والتصنيف، له عدة مصنفات منها: «فصل المقال في أبنية الأفعال»، وكتاب «مسائل النخب» وهو عدة مجلدات، وكتاب «الإفصاح». توفي أبو عبدالله بتونس سنة 646هـ / 1248م[2].
- موسى بن علي بن عامر الجذامي الجزيري: كنيته أبو عمران، نحوي بارع، له عدة مصنفات منها: «شرح لحن العامّة»، و«شرح التبصرة للصميري»[3].
- يحيى بن أبي صوفة الجزيري: نحويٌ عالمٌ باللغة، عُد من أبرز نحاة الأندلس . توفي بطنجة في حدود عام 296هـ/ 908م[4].

ص167. محمد حجي : تراث الأندلس، ص 28. الزركلي : الأعلام، ج 4، ص156. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص17 – 28.

(1) السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص242. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 15، ص89. المعسكري : الحلل، ص321 – 322. محمد حجي: تراث الأندلس، ص118. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص331.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص558. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص 300. محمد عنان : دولة الإسلام، ج2 – 3، ص685 – 686.

(3) الرعيني : برنامج شيوخ الرعيني، ص 20 – 21. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص686. محمد حجي: تراث الأندلس، ص35.

(4) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص 439 – 440. السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص335. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص510.

- يوسف بن إبراهيم بن عبدالعزيز القيسي الطريفي: من أهل طريف، كنيته أبو الحجاج، ويعرف بابن معزوز. أستاذ أديب نحوي أقرأ ببلده ومدينة مرسية. له عدة مصنفات منها : «شرح الإيضاح للفارسيّ »، و«الرد على الزمخشري في مفصّله». كانت وفاة ابن معزوز بمرسية في حدود عام 625هـ/ 1227م[1].

أما علماء الأدب بالعدوة الأندلسية، فمن أبرزهم:

- أحمد بن بلال: كنيته أبو العباس، هو من أهل الجزيرة الخضراء . كان منزله مقصدًا لعلماء الأدب والشعر من داخل الجزيرة الخضراء وخارجها، وله به مكتبة يستفاد منها. نفي أبو العباس أخر حياته عن الجزيرة الخضراء وفرق بينه وبين أهله وولده؛ لسعي عدد من الناس به إلى السلطان[2].

- أحمد بن محمد بن عبدالله بن البراء التجيبي : كنيته أبو العباس، ويشتهر بابن البراء، من أهل الجزيرة الخضراء. كان معدودًا في المجيدين من الشعراء، وله ديوان نظم ونثر كبير. توفي ابن البراء في حدود عام 500هـ/ 1106م[3].

- عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالعزيز بن عذرة الأنصاري : من أهل الجزيرة الخضراء، كنيته أبو القاسم . شاعر جيد القريحة، حسن الاختيار، لطيف المأخذ. له شعر كثير جمعه بعض الناس في دفتر. توفي ابن عذرة في عام 606هـ/ 1209م[4].

- محمد بن عبدالله بن الفراء الجزيري: أحد فحول الشعر في وقته، جلس لإقراء النحو والأدب بسبته، وكانت وفاته بالجزيرة الخضراء في حدود سنة 500هـ /

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص362. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص416. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص525.

(2) ابن سعيد: المغرب، ج1، ص326. ابن سعيد: اختصار القدح، ص86 – 87.

(3) ابن الأبار: تحفة القادم، ص14 وما يليها.

(4) ابن الأبار: المصدر السابق، ص146. ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص202.

1106م[1].

- نافع بن رياض الجزيري: كنيته أبو الحسن، من شيوخ الأدب، شاعر رحل إلى قرطبة. وتوفي بعد عام 440هـ/ 1048م[2].



(1) ابن الزبير : المصدر السابق ، ج5، ص404. السيوطي : بغية الوعاة ، ج1، ص150. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص399.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص417. الحميدي: جذوة المقتبس، ص324.

المبحث الثالث

العلـوم الإنسانيـة

شهدت العلوم الإنسانية بالعدوة الأندلسية، بعلومها وفنونها . ومن أبرزها علم التاريخ، والأنساب، والتراجم، والمنطق، والفلسفة ، والجغرافيا عناية الأندلسيين واهتمامهم[1].

ولعلم التاريخ بالعدوة الأندل سية فنون متنوعة منها : السيرة النبوية، وتدوين الأحداث التاريخية سواءً المحلية منها أو العامة، ونكت التاريخ القديمة والحديثة . وقد كان لتدوين التاريخ بفنونه صور متعددة أيضًا منها : تدوينها في كتب تاريخية مستقلة، وتدوينها في صورة أبيات شعرية، كما دونت بوثائق أمر الحكام بتثبيتها[2].

وإلى جوار علم التاريخ كان للتراجم والأنساب اهتمام كبير من علماء العدوة الأندلسية وخاصة ما تعلق بمدنهم، فصنفوا بأهل مدنهم المصنفات، وكان لهم عناية بأنسابهم[3].

وقد كان للسلاطين والحكام دور كبير في إثراء العلوم السياسية بالعدوة الأندلسي ة؛ باصطحابهم للمؤرخين في سلمهم وحربهم، وتوجيههم بتدوين الأحداث التاريخية، وإلقاء بعض الدروس التاريخية وخاصة السيرة النبوية منها، بل تجاوز دورهم إلى أكثر من ذلك بتبنيهم لبعثات علمية إلى المشرق للاستفادة من العلوم الإنسانية وتدوينها،

---

(1) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص237. ابن سعيد: اختصار القدح، ص 126. أحمد الطاهري : الفلاحة والعمران، ص69 – 70. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 1، ص252.

(2) ابن سعيد : اختصار القدح، ص 94. السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص242. المقري : نفح الطيب، ج 3، ص316. ابن خير: فهرسة، ص386. آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص240. محمد بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص14.

(3) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص234. ابن سعيد: المغرب، ج1، ص324. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 4، ص20 – 21. محمد بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص14 – 17.

ومن ذلك إرسال الأمير عب دالرحمن الأوسط لوفد برئاسة العالم عباس بن ناصح الجزيري لدراسة الآثار المنقولة من اليونان إلى العرب واستنساخها له[1].

وبالإضافة لولاة الأمر كان للعلماء دور آخر في إثراء العلوم الإنسانية؛ وذلك لقيامهم بتدريسهم العلوم بمنازلهم ومساجد مدنهم، ورحلاتهم العلمية التي اكتسبوا بها علوم ومعارف نقلوها إلى بلدانهم. كما أضفى أولئك العلماء القادمون من خارج العدوة الأندلسية أثرًا ملموسًا على العلوم الإنسانية، وعلى رأسهم المؤرخ لسان الدين بن الخطيب، والرحالة محمد بن جبير، والمؤرخ محمد بن يحيى الأنصاري بتدريسهم لمصنفاتهم، وتدوين الأحداث التاريخية التي وقعت بالعدوة الأندلسية، وإثبات المعالم الجغرافية التي شاهدوها بها[2].

ولهذا زخرت مكتبة العلوم الإنسانية بالعدوة الأندلسية بعدد كبير من المصنفات يأتي في مقدمتها: كتاب «نظم سيرة ابن هشام» لفتح بن موسى الأموي، وقد نظمه على قافية رائية في اثنى عشر ألف بيت، وكتاب «الدر النفيس في علماء بني خميس » و«النفحة الأرجية في الغزوة المرجية » لمحمد بن أحمد الأنصاري، و «كتاب طل الغمامة وطوق الإمامة في مناقب من خصه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة » لمحمد بن مسعود الغافقي، و«طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف»، و«نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك» وكلاهما لعبدالعزيز الملزوزي، و«تاريخ الجزيرة الخضراء» لابن خمسين[3].

---

(1) الحميدي: جذوة المقتبس، ص98 – 99. محمد بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص17. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص454.

Salma Khadra: The Legacy, P 26.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص412. ابن سعيد: اختصار القدح، ص126. ابن سعيد: المغرب، ج 1، ص121 – 122. إبراهيم زعرور وعلي أحمد : معجم أطباء المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى، مطابع الجمهورية، دمشق، ص 160 وما يليها . السامرائي : تاريخ العرب، ص 321. محمد كمال : يوسف الأول، ص164 – 165. ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص83 – 84.

(3) ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص81 – 82، ج3، ص184 – 185، ج4، ص20 – 21. السيوطي : بغية

ومن أبرز علماء التاريخ والأنساب بالعدوة الأندلسية:

- عبدالعزيز بن عبدالواحد بن محمد الملزوزي : كنيته أبو فارس، صحب السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني. مؤرخ ونساب، له في ذلك مصنفات منها: «نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك»، وقد نظمها في شهر شوال من عام 684هـ/ 1285م، و«طرف الظريف في أهل الجزيرة وطريف»[1].
- عبدالملك بن مروان الجزيري: مؤرخ صُرف لتدوين ما يدور من أحداث حول الدول الإسلامية بالأندلس[2].
- عبدالوهاب بن عباس بن ناصح الثقفي الجزيري: من بيت علم، اشتهر أفراده بالجزيرة الخضراء والأندلس، وأولهم والده عباس بن ناصح. كانت وفاته آخر أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وقد تجاوز التسعين عامًا[3].
- فتح بن موسى بن حماد الأموي : ولد بالجزيرة الخضراء في شهر رجب سنة 588هـ/ 1192م. مؤرخ وعالم بالمنطق، له في التاريخ تصنيف هو «نظم سيرة ابن هشام»، وفي الفلسفة كتاب «نظم إشارات ابن سينا». توفي فتح يوم الأحد رابع جمادى الأولى سنة 663هـ/ 1264م[4].
- الفضل بن المفضل المذحجي: لم يذكر عنه شيء سوى أنه نسابة أهل الجزيرة

الوعاة، ج2، ص242. ابن خير : فهرسة، ص 386. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 15، ص89. المعسكري : الحلل، ص321 – 322. محمد حجي: تراث الأندلس، ص131. القاضي: مدن إسلامية، ص 304. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص331. محمد بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص17. محمد بن شريفة : من منافرات العدوتين، ص14.

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص20 – 21. محمد بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص14 - 17.

(2) الحميدي: جذوة المقتبس، ص98 – 99. آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ص240.

(3) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص237.

(4) السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص242. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 15، ص89. المعسكري : الحلل، ص321 – 322. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص331.

الخضراء[1].

- محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري الجزيري: يعرف بابن خميس، عالم بالعلوم الشرعية، وله من التاريخ والتراجم حظ وافر، أظهره في كتابه « النفحة الأرجية في الغزوة المرجية »، و«الدر النفيس في علماء بني خميس ». توفي ابن خميس بالطاعون بسبته آخر جمادى الآخرة سنة 750هـ/ 1349م[2].

- محمد بن عبدالرحيم بن الطيب القيسي : كنيته أبو العباس . ولد بالجزيرة الخضراء في حدود سنة 630هـ/ 1232م، مدرس للتاريخ، كلفه حاكم سبته أبو القاسم محمد بن أبي العباس العزفي بقراءة السيرة النبوية على الناس في شهر رمضان، فكان له ورد محدد مؤقت كل يوم يدرس به السيرة النبوية . توفي أبو العباس في شهر رمضان سنة 701هـ/ 1301م[3].

- محمد بن مسعود بن فرج الغافقي : كنيته أبو عبدالله . مؤرخ، جلس للإقراء بطريف. له مصنف تاريخي سماه «كتاب طل الغمامة وطوق الإمامة في مناقب من خصه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة»[4].

- يوسف بن محمد البياسي: كنيته أبو الحجاج، سكن الجزيرة الخضراء، وعُد من شيوخ المؤرخين. كان حافظًا لنكت تواريخ الأندلس قديمًا وحديثًا[5].

ومن أبرز علماء الفلسفة بالعدوة الأندلسية:

- عباس بن ناصح الثقفي الجزيري: كان له حظ من الفلسفة، وهو رئيس الوفد الذي أُرسل للمشرق لدراسة الآثار العلمية المنقولة من اليونان إلى العرب،

---

(1) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص234. ابن سعيد: المغرب، ج1، ص324.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص184 – 185. القاضي: مدن إسلامية، ص304.

(3) الذهبي: معرفة القراء، ج3، ص1426 – 1427. إبراهيم الوافي: التفسير وعلوم القرآن، ص50.

(4) ابن خير: فهرسة، ص386.

(5) ابن سعيد: اختصار القدح، ص94. المقري: نفح الطيب، ج3، ص316.

وقد كلف بهذه الرحلة بتدوين تلك الآثار العلمية[1].

- أبو العلاء بن عبدالحق بن أبي علي بن حسان المرسي : سكن الجزيرة الخضراء، كان بارعًا في الفلسفة بالإضافة لعدة علوم أخرى، وبها جلس للإفادة با لجزيرة الخضراء. توفي أبو العلاء بمدينة مراكش سنة 641هـ/ 1243م[2].

ويرى الباحث أنه على الرغم من قلة علماء العلوم الإنسانية بالعدوة الأندلسية إلا أن العدوة الأندلسية كانت مادة مهمة لأغلب علماء العلوم الإنسانية، فالمؤرخون لا يستطيعون أن يغفلوا النظر عن الأحداث السياسية التي كانت تحدث بالعدوة الأندلسية، والرحالة والجغرافيون لا يكتمل حديثهم الجغرافي عن الأندلس إلا بالعدوة الأندلسية.



(1) ابن سعيد: المغرب، ج1، ص324. ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص 231. محمد عنان : دولة الإسلام، ج1 – 1، ص252. السامرائي: تاريخ العرب، ص321.

Salma Khadra: The Legacy, P 26.

(2) ابن سعيد: اختصار القدح، ص126.

المبحث الرابع

العلـوم العقليـة والتطبيقية

وجَّه الله سبحانه وتعالى عباده لاستخدام العقل في كتابه الكريم في تسعة وأربع ين آية، منها عدة آيات خُصصت للنظر في الكون بكل آياته، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]. وللتوجيه الكريم من الله عز وجل أخذ عباده المسلمين في استخدام عقولهم لكل ما حولهم، فكانت العلوم العقلية.

وللعلوم العقلية والتطبيقية بالعدوة الأندلسية آثار مشهودة، تشمل: الحساب أو ما عرف بعلم العدد والجبر ، والهندسة، والتطبيقية مثل : الكيمياء، والميكانيكا، والطب، والصيدلة، وعلم النبات[2]. وقد كان لنهضة عدد منها عوامل تعود إلى ما يلي:

1 ـ اهتمام الحكام: تعتبر عناية ولاة الأمر ضرورة تنشد على كافة الأصعدة، وقد كان لبعض الحكام اهتمام بالعلوم العقلية، وفي مقدمتهم الأمير عبدالرحمن الأوسط الذي كلف العالم عباس بن ناصح الجزيري بالسفر إلى المشرق الإسلامي للبحث عن المصنفات النادرة وجلبها إلى الأندلس. كما قام السلطان عبدالمؤمن بن علي بجلب أ مهر المهندسين إلى جبل طارق لإقامة مدينة به، وقد أغدق عليهم وأكرمهم بصورة مكنتهم من إنجاز بناء هندسي كبير في مدة زمنية قصيرة[3].

---

(1) سورة النحل، آية: 12.

(2) ابن الأبار: إعتاب الكتاب، ص195 – 196. ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص231. ابن جلجل سليمان بن حسان الأندلسي : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص111. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 13، ص101. محمد الخطابي : معجم أندلسي، ص77. سيمون الحايك: تعربت وتغربت أو نقل الحضارة العربية إلى الغرب، المطبعة البوليسية، جونية، لبنان، ص24. إبراهيم زعرور: معجم أطباء المغرب، ص160 – 161.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص121. ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 66. ابن صاحب :

2 ـ **وفرة النباتات الطبية وتنوعها**: أسهمت تلك النباتات بشكل كبير في تطوير علم الصيدلة والطب بالعدوة الأندلسية، فخصائص تلك النباتا ت كانت ذات فضل على الأطباء في علاج الأمراض. فنبتة الحماما، والكرفس الصخري، والافسنتين، وأصول الخيزران كلها تستخدم في صناعة الأدوية، وهي أيضًا ذات وفرة بأراضي العدوة الأندلسية [1].

3 ـ **الأحوال الحربية بالعدوة الأندلسية** : كان لاستمرارية المعارك على العدوة الأندلسية ومرور جنود الإسلام بها دور مباشر في إثراء علمين عن غيرهما من العلوم ألا وهي: الطب، والكيمياء.

ويرى الباحث أن من المسلمات بروز جانب الطب بالعدوة الأندلسية نتيجة استمرارية القتال والحصار بها الذي ينتج عنه الحاجة إلى مداواة المصابين، وتجبير الكسور، والقيام بالعمليات الجراحية صغيرة كانت أم كبيرة، ومكافحة الأوبئة الناتجة عن الحصار. وغير هذا من الأمور التي لابد أن يكون للطب دور هام بها على الرغم من ضعف جانب إثبات ذلك بالروايات والوثائق.

أما علم الكيمياء فيؤكده تواجد المتفجرات والمقذوفات وصناعتها بالعدو ة الأندلسية، فالحاجة ماسة لها لطابع العدوة الأندلسية العسكري [2].

4. **إقامة المشاريع الإنشائية المعمارية**: تتطلب المشاريع المعمارية وخاصة الكبرى منها تواجد علماء الهندسة والحساب عند إقامتها. فعلماء الهندسة – كبني باسه والمهندس ابن يعيش المالقي – على عاتقهم إقامة التصاميم المعمارية والإشراف عليها بصورة تمكن من إقامة ذلك الكيان المعماري على أكمل وجه. أما علم الحساب فله أهمية كبرى في تقدير

المن، ص 84 وما يليها . مجهول : الحلل الموشية، ص 155. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج 1، ص454. السامرائي: تاريخ العرب، ص321.

(1) أبو الخير: عمدة الطبيب، ج1، ص222 – 223 – 283 – 284 – 414، ج2، ص655 – 656 – 702.
Salma Khadra: The Legacy, P 26.

(2) زرهوني نور الدين: الطب والخدمات الطبية، ص62.

المبالغ المالية لإنجاز هذه المشاريع، وتحديد الكميات اللازمة من المواد الخام لإتمام ذلك البناء[1].

ومن أهم العلوم العقلية بالعدوة الأندلسية:

- **علم الحساب**: يعرف أيضًا بعلم العدد، لهذا العلم أهمية شرعية مستمدة من علم الفرائض، فحساب المواريث يتطلب قدرة عالية، وإتقان جيد لكيفية الحساب . ولعلم الحساب اهتمام من قبل علماء العدوة الأندلسية حتى أن بعضهم وصف بالعددي. ولاهتمامهم به جلب عباس بن ناصح الجزيري من بلاد المشرق كتاب الحساب الهندي المعروف عند العرب باسم السند هند – ذلك الكتاب الذي حاكاه عدد من علماء الأندلس[2].
- **الطب والصيدلة**: أجاد علماء العدوة الأندلسية علم الطب، فعرفوا أمراض العيون، وكان لهم نوادر بالطب جعلت من بعضهم أطباء للملوك والأعيان والخاصة الذين اعترفوا لهم بمنافع كبيرة. وبخطى موازية أتقن علماء العدوة الأندلسية أسرار التراكيب العلاجية، مما مكنهم من التوصل لأدوية علاجية موفقة[3].

---

(1) ابن الأبار : إعتاب الكتاب، ص 195 – 196. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 3 – 1، ص380. يوسف العريني: الحياة العلمية، ص381 – 382.

(2) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص 231. ابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص219. حميدة بن عمر هادفي: مساهمة رياضي الأندلس في الحياة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى، ص 67. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص454. السامرائي: تاريخ العرب، ص 320 – 321. محمد عنان : دولة الإسلام، ج1 – 1، ص252. . سعد بن عبدالله البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ، 1417هـ / 1997م، جامعة أم القرى، ص 366 – 367.

Salma Khadra: The Legacy, P 26.

(3) ابن أبي أصيبعة موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص492. ابن جلجل : طبقات الأطباء، ص 111. الحايك : تعربت وتغربت، ص 24. إبراهيم زعرور : معجم أطباء المغرب، ص 110. محمد عنان : دولة

- **الكيمياء** : شهرة العدوة الأندلسية في صناعة الأسلحة ومنها المقذوفات النفطية، تأكيد على علو مكانة علم الكيمياء بها. وقد أثبتت المصادر قيام أحد أبناء العدوة الأندلسية بتجربة كيميائية، وفيها يقول الشاعر:

وضعت في الزجاج فالتهبت ... وكستهُ ثوبًا من اللهب

وعلا فوقها الحبابُ فلم ... تبصر العين مثل ذا العجب

ضرم النار فوقه بردٌ ... كائن عنه منه في النسب

كما كان لعبدالملك الثقفي ولاية خزانة الأسلحة وهذا لا يكون إلا لمن يتقن علم الكيمياء؛ لمعرفة ماهية الأسلحة وكيفية التعامل معها[1].

- **الهندسة المعمارية**: بناء مدينة جبل طارق ومدينة البنية، وتلك الأسوار المرتفعة، والقلاع العالية وغيرها من المنشئات المعمارية التي تجاوزت طبيعة أراضي العدوة الأندلسية بكل اقتدار، وتواجد أجزاء منها إلى اليوم لدليل كافي على تواجد مهندسين أفذاذ من أبناء العدوة الأندلسية، ولذكرُ عدد من المهندسين من خارج العدوة الأندلسية عند بناء مدينة جبل طارق، لا يتجاوز كونهم أصحاب اليد العليا في الإشراف على ذلك البناء، فذلك الصرح الكبير لا يكفيه ذلك العدد من المهندسين الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، كما أن بناء مدينة البنية قد خلا من ذكر مهندسين من خارج العدوة الأندلسية[2].

- **علم الميكانيكا**: بالرغم من عدم ذكر علم الميكانيكا بالعدوة الأندلسية كعلم ضمن علوم العدوة الأندلسية إلا أن لهذا العلم أثرًا يتجلى على تلك الرحاء التي

الإسلام، ج3 – 2، ص715. محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج 1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص47 – 66.

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص492. ابن سعيد: رايات المبرزين، ص140.

(2) يوسف العريني: الحياة العلمية، ص381 – 382.

انتشرت بمدن العدوة الأندلسية، وتلك الآلات الحربية المصنوعة بها.

فرحاء العدوة الأندلسية كانت على صورتين في حركتها: الأولى: باستخدام الرياح، كتلك الرحى المصنوعة في أعلى جبل طارق. والأخرى: باستخدام ميا ه الأنهار الجارية، كرحى ابن خليفة، ورحى العجسي، ورحى ابن الوزير أبي عبدالله بن رضا بالجزيرة الخضراء، ورحاء مدينة طريف[1]. ولتصميم كهذه الرحاء يتطلب الأمر إتقانًا ميكانيكيا يتم من خلاله تصميم رحى تستطيع التكيف مع زيادة وانخفاض سرعة الرياح، وتدفق مياه الأنهار[2].

أما الآلات الحربية فقد حصل لميكانيكي العدوة الأندلسية أن كانت صناعة المجانيق والأنفاظ تصنع بمدنهم، وهي الآلات التي تحتاج لان يتم تطويرها بصورة مستمرة لكي تكون أكثر دقة في تصويب الهدف، وذات قدرة على بلوغ قذائفها إلى مسافات كبيرة[3].

ومن أبرز علماء علم العدد بالعدوة الأندلسية:

- أحمد بن علي بن أحمد بن رزقون: كنيته أبو العباس، دخل للأندلس، وسكن الجزيرة الخضراء، وتولى قضاءها. كان عالمًا بالعدد. توفي أبو العباس بالجزيرة الخضراء سنة 545هـ/ 1150م[4].
- أشخص الضبي: من أهل الجزيرة الخضراء. عالم بالنجوم والحركات العلوية،

---

(1) لازال بالعدوة الأندلسية فكرة لتلك الرحاء رغم اختلاف طريقة الاستفادة منها، فقد تحولت إلى صورة حديثة تستخدم فيها لتوليد الطاقة.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج 9، ص262 – 263. ابن صاحب: المن، ص 88. مجهول: الحلل الموشية، ص155. محمد الكحلاوي: عرفاء البناء، ص229.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 465. خطاب: الأندلس، ص 84. محمد عنان: الأثار الأندلسية، ص282.

(4) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص219. حميدة بن عمر: مساهمة رياضي الأندلس، ص67.

وصف بأنه بطليموس زمانه؛ لحذقه وإصابته[1].

- عباس بن ناصح الثقفي الجزيري : مهندس فلكي عددي، عالم احتوى كافة العلوم الشرعية، واللغوية، والعقلية. وقد وكل إليه مهمة نقل الكتب النادرة والأثار العلمية المنقولة عن اليونان بالمشرق الإسلامي إلى بلاد الأندلس، وهو الذي أدخل كتاب الحساب الهندي «السند هند» إلى الأندلس[2].
- محمد بن أحمد بن سعد بن مفرج الهمداني : كنيته أبو عبدالله، وهو من أهل الجزيرة الخضراء . كان بصيرًا بالفرائض والحساب . توفي في رمضان سنة 604هـ/ 1207م[3].

ومن أبرز علماء علم الطب والصيدلة بالعدوة الأندلسية :

- حسن بن أحمد بن عمر البكري : كنيته أبو علي، ويعرف بالزرقالة . سكن الجزيرة الخضراء. كان البكري طبيبًا موفقًا في العلاج، فاق أهل عصره في تمييز النبات والعشب. توفي البكري سحر ليلة الجمعة العاشر من ذي القعدة لعام 603هـ/ 1206م، عن عمرٍ ناهز الخمسة والثمانين عامًا[4].
- سليمان بن عبدالملك بن باج : طبيب له معرفة بأمراض العيون، لكنه كان يُعاب عليه أنه ضنين بنسخ الأدوية لا يكشف سر تركيبها . وقد ولي سليمان قضاء الجزيرة الخضراء، وخدم الخليفة عبدالرحمن الناصر[5].

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص334 – 335.

(2) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص231. السيد عبدالعزيز : بحوث إسلامية، ج 1، ص454. السامرائي : تاريخ العرب، ص320 – 321. محمد عنان: دولة الإسلام، ج1 – 1، ص252.
Salma Khadra: The Legacy, P 26.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13، ص101.

(4) إبراهيم زعرور: معجم أطباء المغرب، ص 110. محمد عنان : دولة الإسلام، ج 3 – 2، ص715. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص259. محمد العربي: الطب والأطباء، ج1، ص66.

(5) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء، ص 489. ابن جلجل : طبقات الأطباء، ص 102 – 103. محمد العربي :

- أبو العلاء بن عبدالحق بن أبي علي بن حسان المرسي : سكن ا لجزيرة الخضراء، وبها كثرت الاستفادة منه، حيث جلس للتدريس. أجاد أبو العلاء عدة علوم منها الطب[1].
- محمد بن سليمان بن الحناط: كنيته أبو عبدالله، ولد أعشى ضعيف البصر، ثم فقد بصره. ورغم ذلك إلا أنه كان متوقد الخاطر، وكان له نظر في الطب، وبراعة في التشخيص والعلاج. تطبب عنده الملوك والأعيان والخاصة . توفي ابن الحناط بالجزيرة الخضراء في عام 437هـ/ 1045م[2].



المبحث الخامس
العلاقات العلمية بين مدن العدوة الأندلسية والمدن الأخرى

ارتقاء الحياة العلمية بزمن من الأزمان أو مكان من الأمكنة لابد أن يكون باعتماد طلاب العلم بها على ما سبقهم به العلماء وطلاب العلم، وذلك عن طريق تداول العلوم وفروعها. وللإسلام في جانب تداول العلوم وعدم كبتها موقف مشهود، يصوره لنا رسول الأمة الإسلامية عليه السلام في قوله: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة**

الطب والأطباء، ج1، ص47.

(1) ابن سعيد: اختصار القدح، ص126.

(2) ابن بسام: الذخيرة، ج1، ص438 وما يليها . يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص 229. إبراهيم زعرور: معجم أطباء المغرب، ص160 – 161. منيرة بنت عبدالرحمن الشرقي : علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1423هـ/ 2002م، ص374.

بلجام من نار»[1]. ومن هنا كا نت العلاقات العلمية بين المدن الإسلامية من الأمور الطبيعية.

وللعدوة الأندلسية في جانب العلاقات العلمية إسهام تجلى على صفتين : الصفة الأولى: تأثر مدن العدوة الأندلسية بالمدن الإسلامية الأخرى. الصفة الثانية : تأثر المدن الإسلامية بمدن العدوة الأندلسية.

وقد شكل طلاب العلم وعلماء العدوة الأندلسية علاقاتهم العلمية مع مدن العالم الإسلامي برحلاتهم العلمية، وإسهاماتهم التعليمية والمهنية . وقد كان اتصال هؤلاء العلماء والمتعلمين في البدء بمدن الأندلس ومنها قرطبة، وغرناطة، ومالقة . ثم كان لهم الخروج عن الإطار الأندلسي با لتوجه لبلاد المغرب، وإفريقية، ومصر، والعراق، والشام، والحجاز، عند مرورهم بكبرى المدن وعلى رأسها سبته، والقيروان، والقاهرة، والإسكندرية، وبيت المقدس، ومكة المكرمة . ويلاحظ على هذه العلاقة التي قام بها علماء العدوة الأندلسية وطلاب علمها تنوعها وامتدادها ببلدان العالم الإسلامي[2].

ومن هذا التنوع كان تنوع صور العلاقة بين تلك المدن:

1 - الرحلات العلمية بدافع ذاتي أو بتوجيه من الحكام كما هو حال العالم عباس بن ناصح الجزيري، والعالم عيسى بن شذانق الجزيري الذي أقام ببلاد المشرق مدة أربعة وعشرين عامًا في طلب العلم عاد بعدها إلى العدوة الأندلسية[3].

---

(1) رواه الترمذي.

(2) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص325. ابن الزبير: صلة الصلة، ج 4، ص40. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص375. السيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص362. الزبيدي : طبقات النحويين، ص 256 – 257. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج12، ص1181. محمد بن جابر : الوادي آشي، ص 64 – 65. رجب عبدالجواد : معجم علماء اللغة، ص29 – 30 – 319 – 320. حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، ص520.

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص 263. ابن حيان : المقتبس، تحقيق مكي، ص 231. رجب عبدالجواد: معجم علماء اللغة، ص319 – 320. منيرة الشرقي: علماء الأندلس، ص88.
Salma Khadra: The Legacy, P 26.

2 - قيام عدد من علماء العدوة الأندلسية بمهام التعليم بالمدارس النظامية كمدرسة النظامية ومدرسة المشطوب بالمشرق، ومدرسة الفائزية بمصر . والتعليم بالمساجد كجامع سبته، وجامع غرناطة[1].

3 - لِما كان عليه عدد من علماء العدوة الأندلسية من مكانة علمية فقد أوكل لعدد منهم القضاء، والإمامة، والخطابة بعدة مدن منها مكة المكرمة، وسبته، وأسيوط، وإخميم[2].

4 - دفع سقوط مدن العدوة الأندلسية بيد نصارى أسبانيا بصفة متكررة إلى خروج بعض علمائها للإقامة بمدن الأندلس أو المغرب، فكانت الإفادة العلمية منهم بأخذ ما لديهم من معارف، أو إقرائهم لها[3].

5 - أداء علماء العدوة الأندلسية لفريضة الحج، وهم من جعلوا من تلك الرحلات فرصة للتبادل العلمي حال مرورهم بالمدن والأقاليم الإسلامية ابتداءً بالأندلس، وانتهاءً بمكة المكرمة[4].

6 - اتصال عدد من العلماء بالحكام والولاة سواءً لخدمتهم أو لقضاء حوائجهم، فكان لبعضهم الاستقرار بتلك المدن التي بها الحكام والولاة، مما أثرى الحياة العلمية بتلك المدن طيلة مدة استقرار هؤلاء العلماء[5].

---

(1) السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص242. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 15، ص89. المعسكري : الحلل، ص321 – 322. محمد حجي: تراث الأندلس، ص118. رجب عبدالجواد : معجم علماء اللغة، ص 29 – 30 – 331.

(2) السيوطي: بغية الوعاة، ج 2، ص242. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 12، ص588، ج13، ص56، ج15، ص89. المقري : نفح الطيب، ج 2، ص594. المعسكري : الحلل، ص 321 – 322. رجب عبدالجواد : معجم علماء اللغة، ص29 – 30.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص257. ابن الزبير: صلة الصلة، ج2، ص537، ج3، ص167.

(4) محمد بن جابر: الوادي آشي، ص64 – 65. المقري: نفح الطيب، ج2، ص594.

(5) الضبي : بغية الملتمس، ص 327. ابن الخراط : اختصار اقتباس الأ نوار، ص 134. ابن عذاري : البيان المغرب، ج3، ص26. ابن سعيد: المقتطف، ص 85 – 86. الحميدي : جذوة المقتبس، ص 98 – 99. محمد

ومن هذه العلاقات العلمية يتجلى كون علماء العدوة الأندلسية وطلابها قد أدوا صورًا منوعة للعلاقات العلمية انطلاقًا من مدنهم إلى مدن العالم الإسلامي.

ولم يكن هذا الاتصال العلمي مقتصرًا على أبناء العدوة الأندلسية كما أشرنا مسبقًا، حيث كانت هناك علاقة علمية موجهة لمدن العدوة الأندلسية كان أغلبها قادم من مدن الأندلس، أركش، ومورور، وإشبيلية، وجيان، ومالقة، وشاطبة، وقرطبة، وغرناطة، ووادي آش، والمرية، ورندة وغيرها. ومن خلال سرد أسماء هذه المدن يظهر أن العلاقة العلمية بالعدوة الأندلسية لم تكن محدودة على قواعد الأندلس، بل اشتملت المدن الأندلسية الأخرى على اختلافها. وذلك إنما هو نتاج المكانة العلمية للعدوة الأندلسية التي تجاوزت الأندلس إلى بلاد المغرب بعلاقات قادمة من سبته، وطنجة، وفاس[1].

وكما تعددت المدن ذات العلاقة العلمية بالعدوة الأندلسية، تعددت مجالات تلك العلاقة كما يلي:

1 - الانتقال لطلب العلم بالعدوة الأندلسية بالأخذ عن علمائها العلوم بصفة عامة، أو التوجه لأخذ كتاب معين ككتاب سيبويه، وكتاب الإيضاح للفارسي اللذين كانا هدفين منشودين لطلاب العلم[2].

2 - أقيم عدد من علماء المسلمين على وظائف سياسية ودينية بالعدوة الأندلسية، كتولية

بن شريفة: من منافرات العدوتين، ص17. السيد عبدالعزيز: بحوث إسلامية، ج1، ص454. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص229. إبراهيم زعرور: معجم أطباء المغرب، ص160 – 161.

(1) الضبي: بغية الملتمس، ص 345. ابن الأبار: المعجم، ص 313 – 314. ابن الزبير: صلة الصلة، ج 2، ص516، ج3، ص37 – 167 – 182، ج5، ص295. ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص228، ج3، ص130 – 131، ج4، ص107 – 108. ابن فركون: تاريخ ابن فركون، ص 17. الذهبي: معرفة القراء، ج3، ص1539 – 1541. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 13، ص848 – 849. الزبيدي: طبقات النحويين، ص256 – 257. التنبكتي: نيل الابتهاج، ص396 – 398.

(2) ابن الأبار: المعجم، ص313 – 314. ابن الزبير: صلة الصلة، ج 2، ص516، ج3، ص37، ج5، ص349 – 350. ابن الخطيب: الإحاطة، ج 2، ص228، ج3، ص92 – 93. يوسف العريني: الحياة العلمية، ص55. منيرة الشرقي: علماء الأندلس، ص113.

يوسف بن يحيى الأنصاري ولاية جبل طارق، وإقامة عدد آخر أئمة وخطباء بمساجد العدوة الأندلسية، وتنصيب عدد آخر قضاة بإحدى مدنها الثلاث[1].

3 - جلوس عدد من العلماء بدافع ذاتي على ما يظهر للإقراء والتأديب بالعدوة الأندلسية[2].

4 - رحلات العلماء التي تُحتم عليهم عبور مدن العدوة الأندلسية ـ يجب أن لا يغفل هنا كون العدوة الأندلسية مفتاح بلاد الأندلس، فيكون لهم الاستقرار بها والأخذ عن أهلها أو إفادتهم، ويأتي على رأسهم عبدالملك المراكشي صاحب الذيل والتكملة لكتاب الصلة[3].

5 - الجهاد في سبيل الله كان سببًا في اتصال عدد من العلماء بالعدوة الأندلسية للإسهام في حماية مدن العدوة الأندلسية من هجمات نصارى أسبانيا، ومن خلال هذا التواجد كانت العلاقة العلمية لهؤلاء العلماء وإدلائهم بدلوا العلوم على أهل العدوة الأندلسية، التي غلب عليها طابع العلوم الشرعية[4].

---

(1) ابن بشكوال : الصلة، ج2، ص288 – 289. ابن الزبير : صلة الصلة، ج 3، ص155 – 167، ج5، ص295. ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص130 – 131. النباهي: تاريخ قضاة ، ص19. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج13، ص848 – 849. العفاقي: جبل طارق، ص46. لويس سيكو دي لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج – 8، 1959م – 1960م، مدريد، أسبانيا، ص86.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ص345. ابن الزبير : صلة الصلة، ج 3، ص68 – 69 – 167، ج4، ص16 – 17. ابن خير: فهرسة، ص413.

(3) ابن الأبار: تحفة القادم، ص226. ابن الزبير: صلة الصلة، ج 2، ص527. المراكشي : الذيل والتكملة، ج 1، ص287. ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص35، ج3، ص92 – 93. المقري : نفح الطيب، ج 6، ص138 – 139. القاضي: مدن إسلامية، ص303. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص339.

(4) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص3. ابن الخطيب : الإحاطة، ج 3، ص23 – 64 – 65. الذهبي : معرفة القراء، ج3، ص1539 – 1541. أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1396هـ / 1976م، ص165 – 166 – 283 – 284. أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر: نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

وإن كانت العلاقة نابعة من العدوة الأندلسية أو موجهة إليها، فقد كانت الإفادة شاملة للطرفين بالإفادة أو الاستفادة. كما يبرز أن العلاقة العلمية بالعدوة الأندلسية كان لها استمرارية الاتصال بالمدن الإسلامية الأخرى على كل الظروف والأحوال، وفي مقدمتها الأحوال الحربية.



1967م، ص294. التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 92 – 396 وما يليها . المقري : نفح الطيب، ج 5، ص8. بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص339.

الخاتمـة

بحمد الله تدوم النعم، وبعونه تتم الأعمال، في ختام هذا البحث ذكر للنتائج التي وصل إليها الباحث بتيسير الله له وعونه، ومن أبرزها:

- الوصف الصحيح للعدوة الأندلسية في الروايات التاريخية هو الطرف الساحلي الجنوبي للأندلس.
- أثرت العوامل الطبيعية (الزلازل البركانية - عوامل التعرية) بشكل كبير في جغرافية العدوة الأندلسية، فنتج عنها ثلاث جزر: جزيرة أم حكيم أمام مدينة الجزيرة الخضراء، وجزيرتا طريف والقنتير أمام مدينة طريف . كما نتج عنها العديد من الكهوف البحرية بجبل طارق.
- أسهمت العدوة الأندلسية بدور كبير في الفتح الإسلامي بالأندلس، فاحتوت معترك الفتح في البدء، ثم كانت قاعدة لتلك الحملات العسكرية، تنطلق منها بثبات واستقرار.
- يعود عدم ظهور العدوة الأندلسية على مسرح الأحداث التاريخية في عصر الولاة بالأندلس، رغم دورها السياسي على مر الحقب التاريخية لصغر حجم مدينة طريف، وعدم وجود مدينة جبل طارق.
- كان لأبناء العدوة الأندلسية دور كبير في استقرار بلاده م خلال عصر الإمارة الأموية؛ باتصالهم المباشر مع الأمراء الأمويين، وإخبارهم بكل ما يجدُ ببلادهم من حركات للثوار والخارجين عن الحكم المركزي.
- اكتسبت الثورات التي قامت بالعدوة الأندلسية ضد الحكم المركزي قوتها من طبيعة تضاريس العدوة الأندلسية، وبعدها النسبي عن عاصمة الحكم المركزي.
- كان لبيت عباس بن ناصح الثقفي أهمية كبيرة في رئاسة مدينة الجزيرة الخضراء

خلال عصر الإمارة والخلافة الأموية، وذلك لقيامهم بأمرها بدافع ذاتي دون تنصيب من الحكم المركزي، وخاصة حال حدوث الأزمات.

- لم يتجاوز اغتيال علي بن حمود كونه قضية بينه وبين صقالبته. وذلك عائد لعدة أمور: أولًا: حيطة علي تمنع وجود متآمرين ضده في داخل قصره . ثانيًا: عدم ظهور أي شخصية يمكن أن يكون لها دور في هذا الاغتيال. ثالثًا: تتابع حكم بني حمود بعد مقتل مؤسس دولتهم بصورة طبيعية.
- يعود ترك يوسف بن تاشفين للجزيرة الخضراء دون أن يحدث بها شيئًا في أول عبوره للأندلس؛ لحسن تصرفه، فهو أحرص بأن لا يكون ضمن إطار الحكام المتنافسين أصحاب الأطماع الشخصية، تلك الصورة الراسخة في أذهان الأندلسيين، ومنهم أهل العدوة الأندلسية.
- كان استقرار العدوة الأندلسية خلال حكم الطوائف لتميز حكامهم من ب ني حمود بقدر من الإجلال من قبل حكام الأندلس الذين كانوا يتحرجون من مهاجمة أراضيهم لعودة أصلهم للنسب العلوي الشريف.
- يتجلى من عصر الطوائف أن صراع ملوك النصارى فيما بينهم كان يقود في أغلب الأحوال إلى وحدة صفهم، وإن لم يكن هذا فأنهم في صف واحد متى ما كان الأمر متعلقًا بقتال المسلمين، حيث يظهر أن لديهم اقتناع كامل بأهمية وحدتهم وجمع شملهم في هذا الجانب . وذلك عكس ما كان عليه ملوك الطوائف الأندلسية من صراع يقود إلى فرقة مؤكدة بينهم تدفعهم إلى التعاون مع أعدائهم الصليبين ضد بعضهم بعضًا لتحقيق أهدافهم الشخصية التي لا يمانعون من أجلها إلى تسليم بعض أراضيهم للصليبين، أو حتى دفع الإتاوة لهم والتي كان يستغلها الصليبيون في تقوية أنفسهم.
- كانت خطابات المشايخ والعلماء ليوسف بن تاشفين في غالبها بدافع ذاتي منهم بعيدًا كل البعد عن حكامهم، غير أن هذا لا يعني كون بعضها أرسل بعلم

الحكام، أو حتى بتوجيه منهم وذلك لاستمالة المرابطين وتعجيل نجدتهم ومساعدتهم ضد الصليبيين.

- انضواء مدينة طريف لحكم يوسف بن تاشفين دون أن يرسل إليها أي حملة عسكرية لدليل على مدى استياء أهلها من حكامهم كبقية مدن الأندلس.
- أدت العدوة الأندلسية الدور المناط بها في تمكين المرابطين من مساعدة إخوانهم بالأندلس من هجمات نصارى أسبانيا، وذلك بموقعها الاستراتيجي الذي سهل عملية الاتصال والتموين. مما أسهم في مد عمر الإسلام في الأندلس، وأخر زوال دولته لعدة قرون.
- فرغ يوسف بن تاشفين نفسه لشؤون دولة المرابطين الخارجية بأن أوكل إدارتها الداخلية إلى معاونيه، وبهذا كان له أن تمكن من إرساء دولة قوية في فترة كان يصعب بها إقامة دولة بهذا التنظيم ببلاد المغرب الذي مزقته الحروب القبلية في ظل صعوبة التضاريس.
- أيقن يوسف بن تاشفين أهمية الجزيرة الخضراء منذ بداية عبوره الأندلس، فأعماله بها تجاوزت كونه يرغب في مجرد تحصين المدينة لحفظها.
- تجاوز دور بلجين قريب يوسف بن تاشفين قيادة حملة المرابطين بالجزيرة الخضراء إلى كونه قد ولي أمرها.
- تعود أهمية سيطرة الموحدين على العدوة الأندلسية إلى عدة جوانب هي : (أهمية العدوة الأندلسية بالنسبة للصراع القائم مع المرابطين ـ كونها قاعدة تمتاز بالحصانة، والاتصال المباشر بالمغرب ـ أكسبت العدوة الأندلسية الموحدين حرية العبور للأندلس بصورة استفاد منها الموحدون أيُّما استفادة، وظهر هذا مليًا أثناء الصراع مع النصارى ـ للعدوة الأندلسية أهمية بالغة كي يحقق الموحدون دورهم الذي خلفوا المرابطين عليه؛ المتمثل في لم شمل الأندلس، وعدم تمكين الثائرين من إعادتها لسابق عهدها زمن الطوائف).

- تناوبت مدن العدوة الأندلسية الثلاث في تنويع خط سير حملات الموحدين للأندلس وهو ما كان له أهميته أثناء المواجهات العسكرية.
- كان الدافع العسكري هو المحرك الأساس لاختيار موضع جبل طارق لبناء مدينة به.
- لم تكن هجمات النصارى على العدوة الأندلسية في عصر الموحدين لمجرد تكبيد المسلمين الخسائر بل لإيقانهم بمدى أهميتها في دعم حملات الموحدين بالأندلس.
- كانت العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين تسير بقيادة بني مرين إلى التواد والترابط، وبقيادة بني الأحمر في معظم الأوقات إلى ما يسيء إلى هذه العلاقة ويضعفها، رغم أنهم كانوا في أوقات يسعون إلى شد العلاقة، وإكمال ترابطها خاصة عندما تشتد عليهم الأزمات وتضطرهم الظروف إلى إيجاد سند يعينهم على قضاء شؤونهم وإقرار حكمهم.
- شكلت مدن العدوة الأندلسية وسيلة الاتصال الأفضل من كافة الجوانب لأي علاقة تمتد جسورها بين الأندلس والمغرب.
- أيقن نصارى أسبانيا أهمية العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين.
- شمل دور مدن العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين الجانب البري والبحري للحملات العسكرية.
- كان بين بني الأحمر وبني مرين توافق على من يلي مدن العدوة الأندلسية . وقد انعكس هذا التحالف والتعاون بين بني الأحمر وبني مرين بمدن العدوة الأندلسية على أهل هذه المدن، بصورة دفعتهم إلى أن يسهموا فيسلتدامة هذا التعاون
- أعتبر نصارى أسبانيا مدن العدوة الأندلسية خط الدفاع الأول عن الكيان الإسلامي بالأندلس، وذلك ابتداءً من القرن السابع الهجري؛ لِمَا حققه التعاون

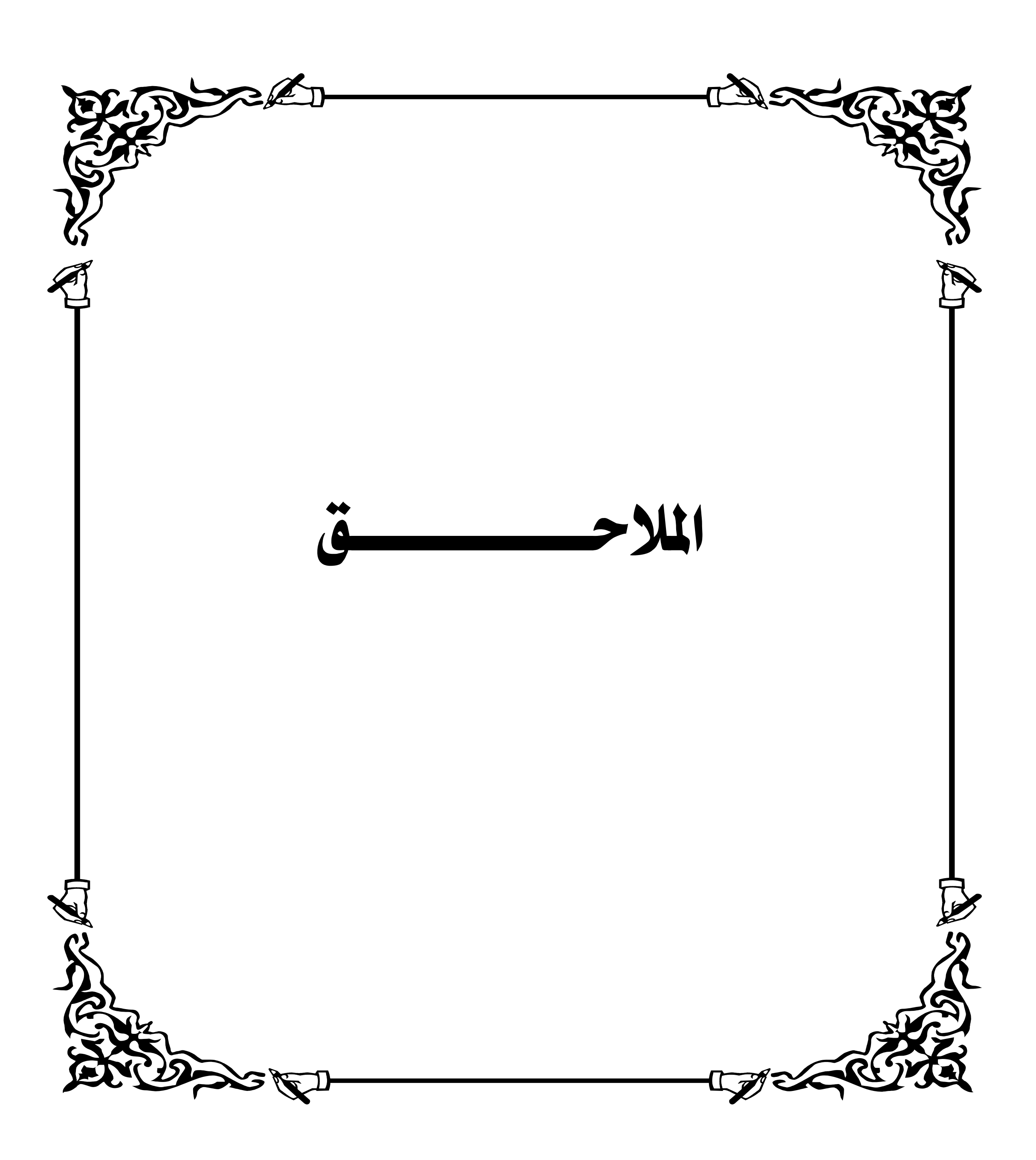
العسكري المشترك بين قوى المغرب وقوى الأندلس على عهد ملوك الطوائف، وحكام المرابطين، وحكام الموحدين.

- حملات نصارى أسبانيا على العدوة الأندلسية كانت ضرب من ضروب الحملات الصليبية المدعومة من كنيسة روما.
- تمكن الباحث بفضل الله عز وجل من التوصل لمسجد بالجزيرة الخضراء حُوِّل إلى كنيسة، لم يرد له ذكر بالمصادر والمراجع.
- من خلال التسلسل التاريخي للفترة الممتدة من دخول طارق بن زياد إلى قبل عام 555هـ/ 1159م لم يرد ذكر لجبل طارق، أو حتى لحدث به، مما يؤكد عدم وجود تجمع سكاني به.
- تم الاندماج بين مدينة البنية والجزيرة الخضراء في عام 715هـ/ 1315م.
- انعكس الطابع العسكري على العمارة بالعدوة الأندلسية، فكانت مدنها مدن عسكرية المعمار، تحتوي عناصر معماري ة حربية تتجاوز الأسوار والقلاع إلى المخازن الإستراتيجية وما على شاكلتها.
- تجاوزت العمارة المدنية بالعدوة الأندلسية طبيعتها الجغرافية بكل اقتدار.
- لم تكن المقومات الطبيعية هي كل ما اعتمدت عليه الحياة الاقتصادية بالعدوة الأندلسية، فقد كان للعامل البشري دورٌ آخر بها.
- للعدوة الأندلسية دور السبق في صناعة البارود والمدافع، عن بلاد الأندلس.
- توصلت الدراسة لقطع أثرية لم ترد بالمراجع، تم استقائها من متاحف العدوة الأندلسية.
- أرتقت الحياة العلمية بالعدوة الأندلسية لدرجة أثرت بها العالم الإ سلامي علمًا، وعلماءً.
- اتصف علماء الشريعة بالعدوة الأندلسية بشيء من الحنكة وقوة الشخصية؛ قادتهم لتولي عدد من المهام الدينية والسياسية بالعالم الإسلامي، كان في قمة

هرمها تولي أحد هؤلاء العلماء خطابة المسجد الحرام.

- أضفت مدن العدوة الأندلسية طابعًا مميزًا لعلوم اللغة والأدب، فقد كانت مقصدًا للعلماء وطلاب العلم، فمنها تؤخذ المعارف اللغوية والأدبية، وبها تتهيج قريحة الشعراء بوصفها أو وصف ما يحدث بها من أحداث، وبداخل أروقتها أقيمت تلك المحافل التي كانت صور الأدب حاضرة بها.
- على الرغم من قلة علماء العلوم الإنسانية بالعدوة الأندلسية إلا أن العدوة الأندلسية كانت مادة مهمة لأغلب علماء العلوم الإنسانية، فالمؤرخون لا يستطيعون أن يغفلوا النظر عن الأحداث السياسية التي كانت تحدث بالعدوة الأندلسية، والرحالة والجغرافيون لا يكتمل حديثهم الجغرافي عن الأندلس إلا بالعدوة الأندلسية.





الملاحـــــــق

رسالة في حاجة الأندلس إلى بر العدوة

من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب: «المقام الذي بنور سعادته تنجلي الغماء وتتصل النعماء، من نيته قد حصل منها لجانب الله تعالى الانتماء، واتفقت منها المسميات والأسماء، مقامُ محل أبينا الذي تتفيأ هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة وعمله، وتثق بحسن العاقبة اعتمادًا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله، وتجتني ثمار النُّجح من أفنان آرائه المتألقة تألق الصبح حالي ريثه وعجله، وتتعرف حالي المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله، أبقاه الله تعالى يحسم الأدواء كلما استشرت، ويحلي موارد العافية كلما أمرت، ويعفي على آثار الأطماع الكاذبة مهما خدعت بخُلّبها وغرّت، ويضمن سعده عودة الأمور إلى أفضل ما عليه استقرت، معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق، وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق، ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق.

... وإلى هذا وصل الله تعالى سعدكم، وحرس الطاهر الكريم مجدكم، فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عُنْوان، وفي الاحتياج على الرضى والقبول برهان، تنطق بالفضل فصوله، وتشير إلى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله، ويحق أن ينسب إلى ذلك الفخر الأصيل محصوله، عرفتمونا بما ذهب إليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه، وسبيل الصواب الذي انتكبه، وتنبهون على ما حده الحق في مثل ذلك وأوجبه، حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه، ولا يظاهره مهما ندبه، ولا يسعف في الإيواء طلبه، فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه، وخطه القلم الفصيح وكتبه، وليعلم مقامكم وهو من أصالة النظر غني عن الإعلام، ولكن لابد من الاستراحة بالكلام، والتنفس بنفثات الأقلام، أننا إنما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بجواره، وبلينا والحمد لله بمصادمه تياره، على تعداد أقطاره، واتساع براريه وبحاره، بأن تكون الأمة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق، وأسْواقُ النِّفاق غير ذات

نَفاق، والجماهير تحت عهد لله تعالى وميثاق، فمهما تعرّفنا أن اثنين اختلف منهما بالعدوتين عَقْد، ووقع بينهما في قبول الطاعة رد، ساءنا واقعه، وعظمت لدينا مواقعه، وسألنا أن يتدارك الخرْقَ راقِعُه، لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا، وتفرغ العدو إلى ضرنا، فكيف إذا وقعت الفتنة في صقعنا وقُطرنا، إنما هي شعلة في بعض بيوتنا وقعت، وحادثة إلى جهتنا أشرعت، وإن كان لسوانا لفظها فلنا معناها، وعلى وطننا يعود جنَاها، فنحن أحرص الناس على إطفائها وإخمادها، وأسعى في إصلاح فسادها، والمنابرة على كفها واسئسادها وما الظن بدار فسد بُابها، وآمال رثت أسبابها، وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها إلا بالسكون، وسلم العدو المغرور المفتون، حتى تُقضى منه بإعانتكم الديون، وإن اضطرابها إنما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب، وهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب، وأمر نضرع في تداركه إلى سميع للدعاء مجيب، ونحن فيه يد أمام يدكم، ومقصدنا فيه تبع لقصدكم، وتصرفنا على حد إشارتكم جار، وعزمنا إلى منتهى مرضاتكم متبار، وعقدنا في مشايعة أمركم غير متوار.

وقد كنا لأول اتصال هذا الخبر، القبيح العين والأثر، بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شأنه، ولم نطو عنكم شيئًا من إسراره ولا إعلانه، وبعثنا رسولنا إلى بابكم العلي نعتد بسلطانه ونرتجي تمهيد هذا الوطن بتمهيد أوطانه، وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة وأسطبونة نثبت بصائرهم في الطاعة ونقويها، ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها، وعجلنا إلى بعضها مددًا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها، وعملنا ما أوجب الله تعالى من الأعمال التي يُزْلِفُ بها ويرتضيها، وكيف لا نظاهر أمركم الذي هو العدة المذخورة، والفئة المنصورة، والباطل سراب يخدع، والحق إليه يُرجع، والبغي يردع ويصرع، وكم تقدم في الدهر منتز شذ عن الطاعة، وخرج عن الجماعة، ومخالف على الدول، في العصور الأول، بهرج الحق زائفه، ورجمت شهب الأسنة طائفه، وأخذت عليه الضيقة وهادهُ وتنائفه، فتقلص ظله ، ونبا به محله، وكما قال يذهب الباطل وأهله، لاسيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهّدتها،

وقهرت الأعداء وتعبدتها، وأطفأت جداول سيوفكم النار التي أوقدتها، وكأن بالأمور إذا أعملتم فيها رأيكم السديد وقد عادت إلى خير أحوالها، والبلاد بيُمن تدبيركم قد شفى ما ظهر من اعتلالها، وعلى كل حال فإنما نحن على تكميل مرضاتكم مبادرون، وفي أغراضكم الدينية واردون وصادرون، ولإشارتكم التي تتضمن الخير والخيرة منتظرون، عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التأويل، ولا يقبل صحيحها التعليل، فلتكن أُبوتّكم من ذلك على أوضح سبيل، فشمس النهار لا تحتاج إلى دليل، والله تعالى يُسَنّي لكم عوائد الضنع الجميل، حتى لا يدع عزمكم مغصوبًا إلا ردّه، ولا ثَلْمًا في ثغر الدين إلا سده، ولا هدفًا متعاصيًا إلا هَدَّه، ولا عرقًا من الخلاف إلا جدّه، وهو سبحانه يبقي ملككم ويصل سعده ويُعلي أمره ويحرس مجده، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته، انتهى».

انظر المقري: نفح الطيب، ج 4، ص 438 وما يليها.

كتاب يوسف بن تاشفين بالفتح في واقعة الزلاقة إلى العدوة

«أما بعد حمد الله تعالى المتكفل بنصر أهلِ دينه الذي ارتضاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأَسْراه، فإنَّ العدو الطاغية لعنه الله لما قرُبنا من حِماه، وتوافَقْتا بإزائه لَقنَّاه الدعوة وخيَّرناه بين الإسلام والجزية والحرب، فاختار الحرب فوقعَ الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب وقال الجمعة عيدُ المسلمين والسبت عيدُ اليهود وفي عسكرنا منهم خلق كثير والأحد عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك واضمر اللعين خِلافَ ما شرطناه وعلمنا أنهم أهل خدع ونقضِ عهود فأخذنا أهبة الحرب لهم وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة الحادي عشر من رجب المذكور بان العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين يرى أنه قد اغتنم فُرصتَه في ذلك الحين فانتدَبت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين فتغَشَّتْه قبل أن يتَغَشَّاها وتغدته قبل أن يتعشاها، وانْقضَّت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عَقِيَرِته، ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة، في سائر المشاهد المشهورة، في جيوش لمتونة نحو الفونش فلما أبصر النصارى رايتنا المشتهرة المنتشرة ونظروا إلى مراكبنا المنتظمة المظفرة، وغشِيَتْهم بُروقُ الصِّفَاح، وأظلتهم سحائب الرماح وزلزلتْ حوافر خُيولهم رعو د الطبول بذلك الفَيَّاحِ، التحم النصارى بطاغيتهم الفونش وحملوا على المسلمين حملةً مُنكرة فتلقاهم المرابطون بنية صادقةٍ خالصة وهمم عالية فعصفت ريح الحرب، ووَكَفَت دِيَمُ السيوف والرماح بالطعن والضرب، وطاحت المهج، وأقبل سيل الدماء في هوج، ونزل من سماء الله ع لى أوليائه النصر العزيز والفرج، وولَّى الفونش مطعونًا في إحدى ركبتيه، طعنة أفقدته إحدى ساقيه، في خمسمائة فارس من مائة وثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل، قادهم الله إلى المصارع والحَتْف العاجل، وتخلَّص لعنه الله الى جبل هنالك ونظر النهب والنيران في محلته من كل حانب وهو من أعلى الجبل ينظرها شزرًا، لم يجد عنها صبرا، ولا يستطيع

عنها دفاعًا ولا لها نصرا فأخذ يدعو بالثُّبور والويل، ويرجو النجاة في ظلام الليل وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبتَ في وسط مراكبه المظفرة، تحت ظلال بنوده المنشرة منصور الجهاد، موفور الأعداد، يشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد، وقد سرَّحَ الغارات في محلاتهم تهدم بناءها وتستلم ذخائرها واسبَابَها، وتُريه رأي العين دمارها ونهابها، والفونش ينظر إليها نظر المَغْشِيِّ عليه ويعض غيظًا وأسفًا على أنامل كفيه، وحين تمت الهزيمة وتتابَع ال فرار، عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس والغار، وتراجعوا حذرًا من العار ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقُوَّاد، أبو القاسم المعتمد بن عباد، فأتى إلى أمير المسلمين وهو مهيضُ الجناح، مريض عناءٍ وجراح، فهنأهُ بالفتح الجميل، والصنع الجليل، وتسلل الفونش تحت الظلام، فارًّا لا يهدأ ولا ينام، ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة فلم يدخل طليطلة إلا في مائة فارس والحمد لله على ذلك كثيرًا».

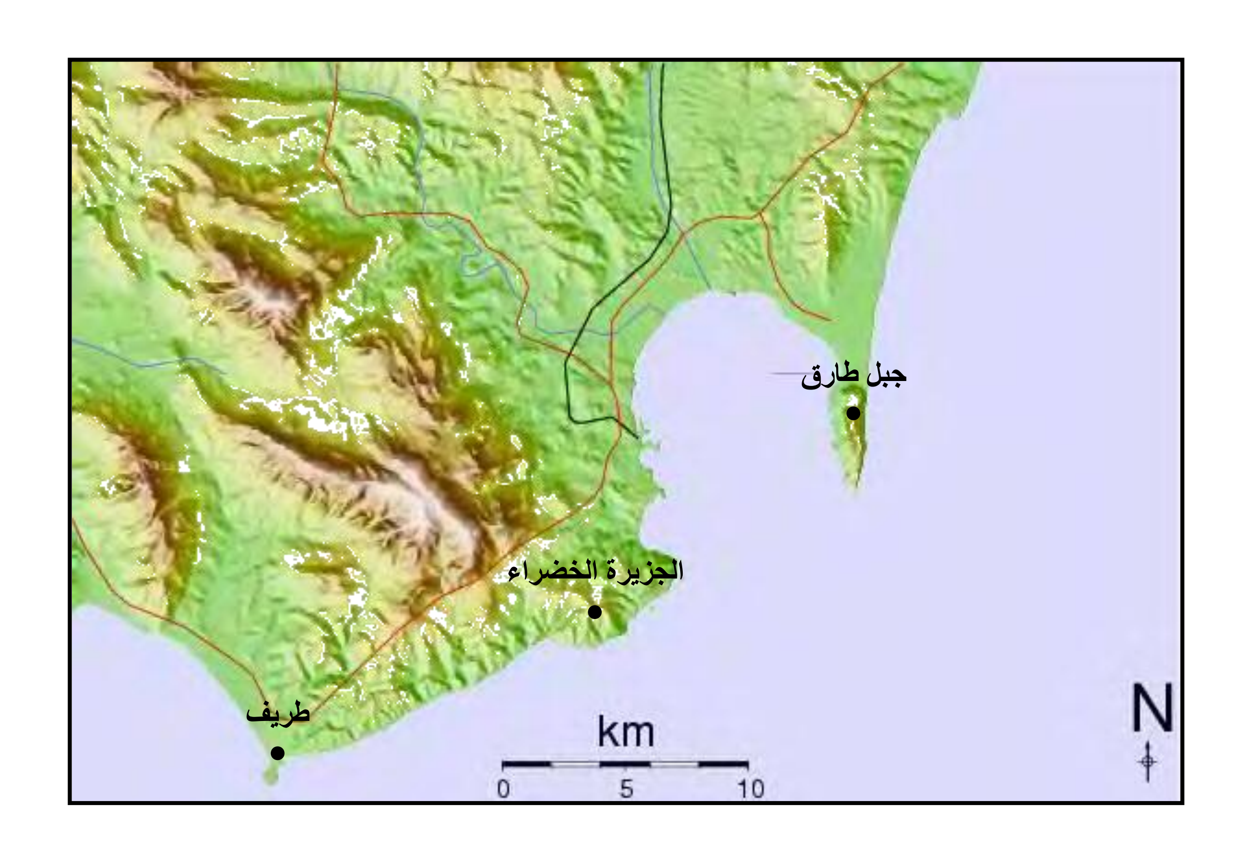
انظر عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 2، ص 407 وما يليها.



مضيق جبل طارق

وضفتي العدوة الأندلسية والمغربية

صورة 1



مدن العدوة الأندلسية

صورة 2



صورة لساحل المغرب من ساحل الأندلس

تصوير الباحث

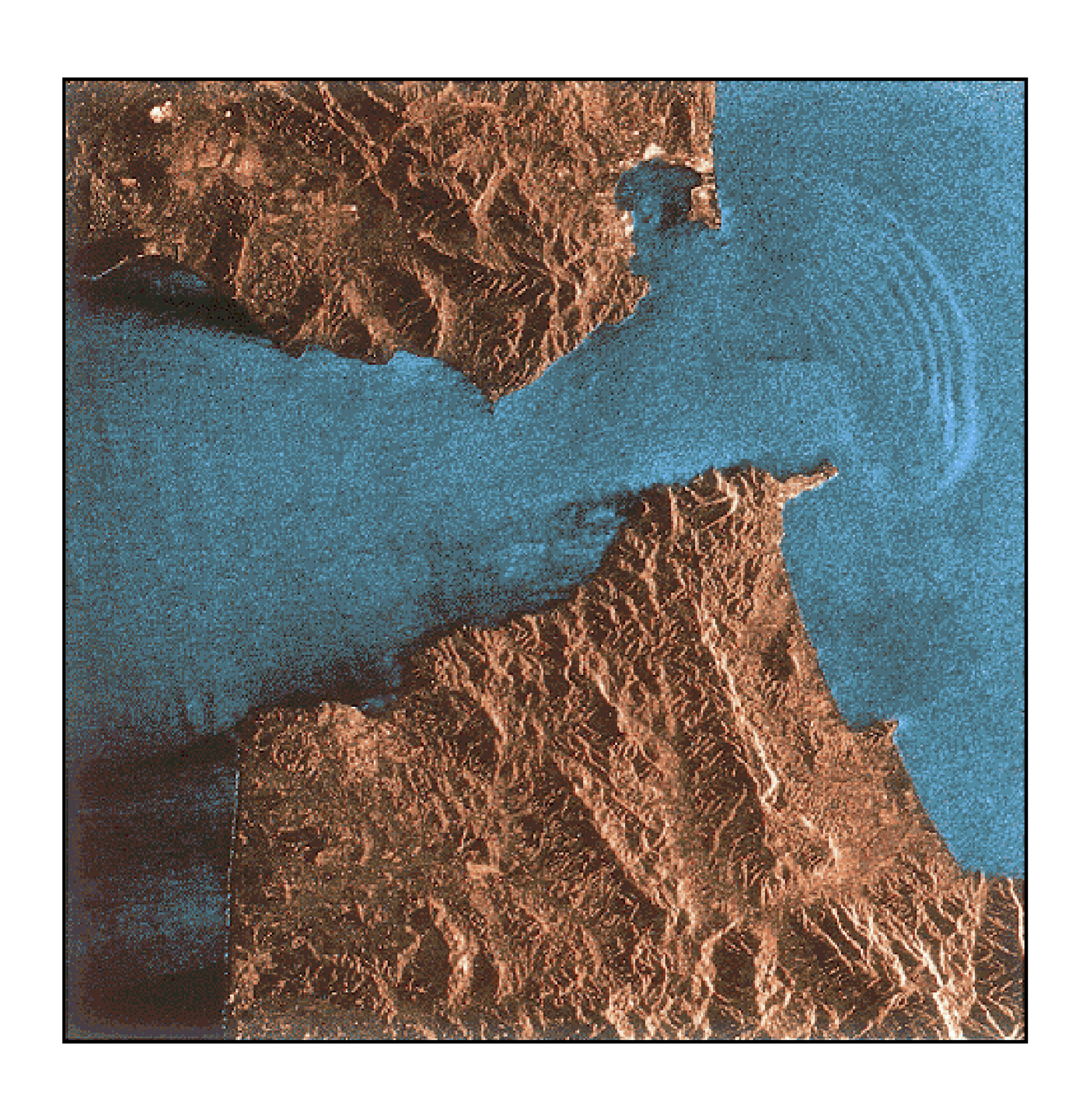
صورة 3



مدينتي الجزيرة الخضراء وطريف من ساحل المغرب

تصوير الباحث

صورة 4



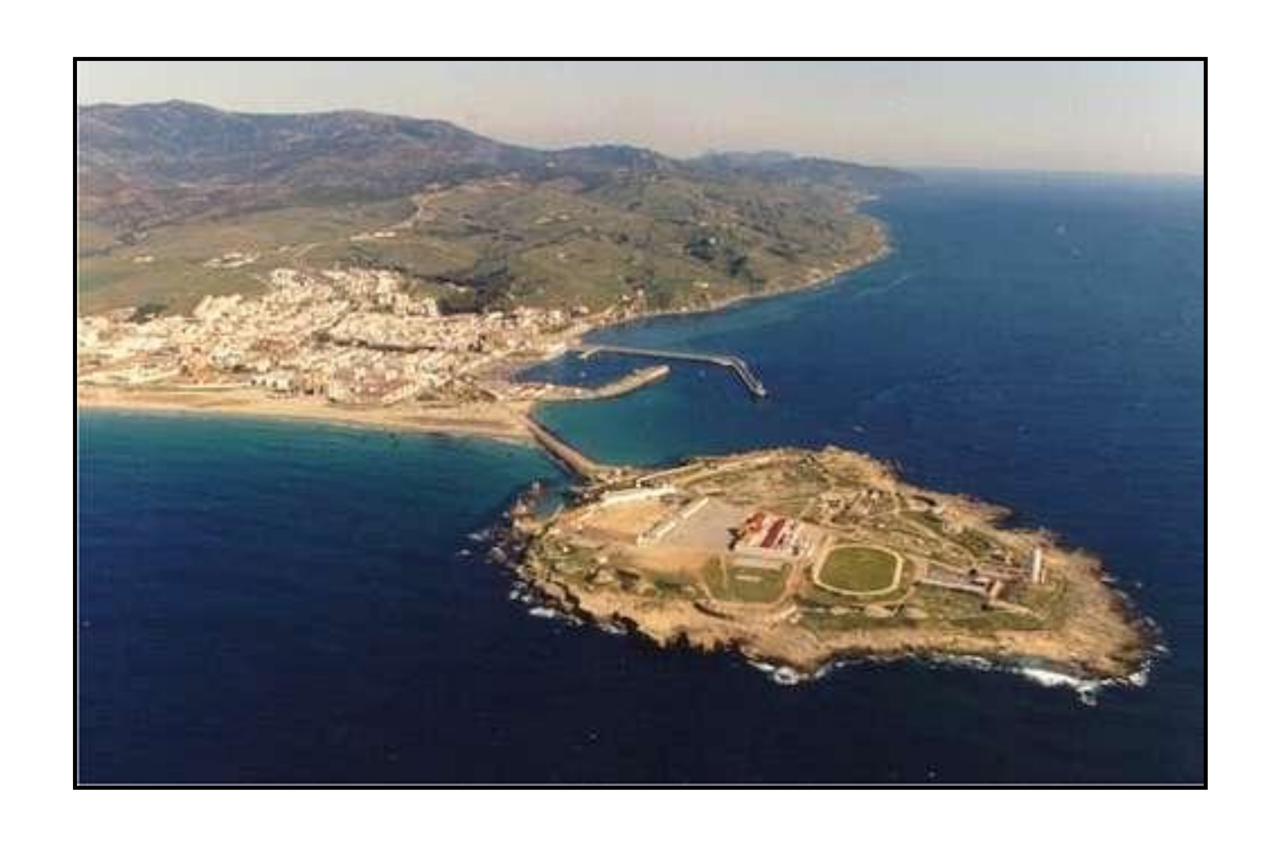
تشققات ساحل العدوة الأندلسية

صورة 5



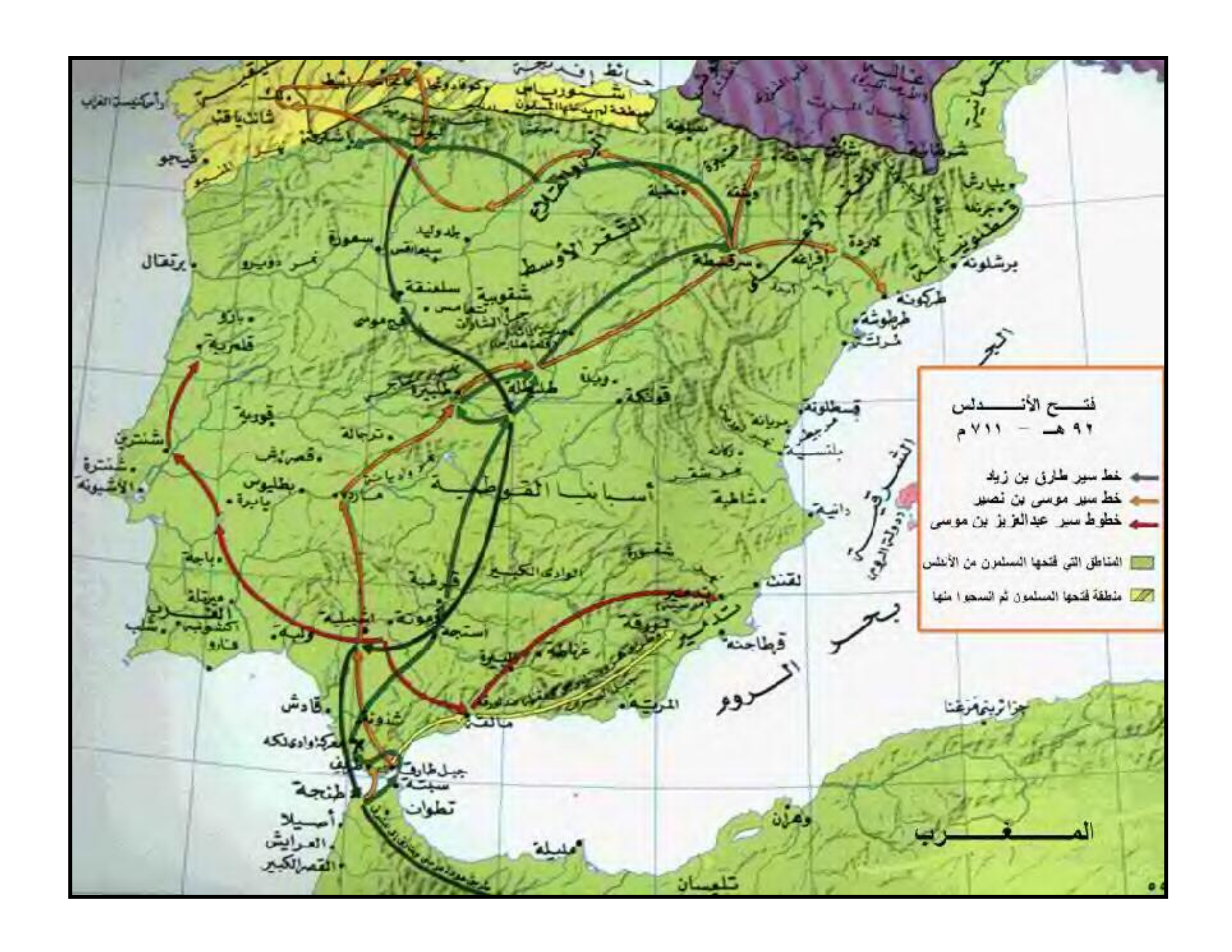
جبل طارق

صورة 6



جزيرة طريف

صورة 7



فتـــح الأنـــــدلس
٩٢ هـ - ٧١١ م
خط سير طارق بن زياد
خط سير موسى بن نصير
خطوط سير عبدالعزيز بن موسى
المناطق التي فتحها المسلمون من الأندلس
منطقة فتحها المسلمون ثم انسحبوا منها
برشلونة
طركونة
سرقسطة
طليطلة
بطليوس
برتغال
سمورة
قرطبة
مالقة
المرية
لقنت
شاطبة
طنجة
تطوان
أصيلا
العرايش
القصر الكبير
قادش
مليلة
وهران
تلمسان
جزائر بني مزغنا
المغرب

خريطة 1



ليونة
قشتالة
قطلونية
نهر إبرة
نهر دويرة
تطيلة
سرقسطة
بنو هود
لاردة
برشلونة
قلعة أيوب
طرطوشة
البرازين
بنو رزين
وادي الحجارة
بنو القاسم
ألفنت
بلنسية
بنو ذي النون
بنو الأغلب
مينورقة
ميورقة
الجزائر الشرقية
اليابسة
قلمرية
طليطلة
نهر تاجة
شنترين
بنو الأفطس
لشبونة
ماردة
بطليوس
وادي آنة
قلعة رباح
وادي شقر
شاطبة
دانية
بنو عباد
وادي شقورة
بجة
قرطبة
مرسية
لقنت
مرتلة
لبلة
الوادي الكبير
شلب
ولبة
قرمونة
إشبيلية
مورون
غرناطة
بنو الصمادح
شنت مرية الغرب
شلطيس
أركش
رندة
مالقة
بنو زيري
المرية
firas.tayyib@hukam.net
الجزيرة الخضراء
بحر الظلمات
إفريقية
البحر المتوسط
1085 م
ملوك الطوائف الأولى
الأندلس في نهاية القرن الحادي عشر للميلاد

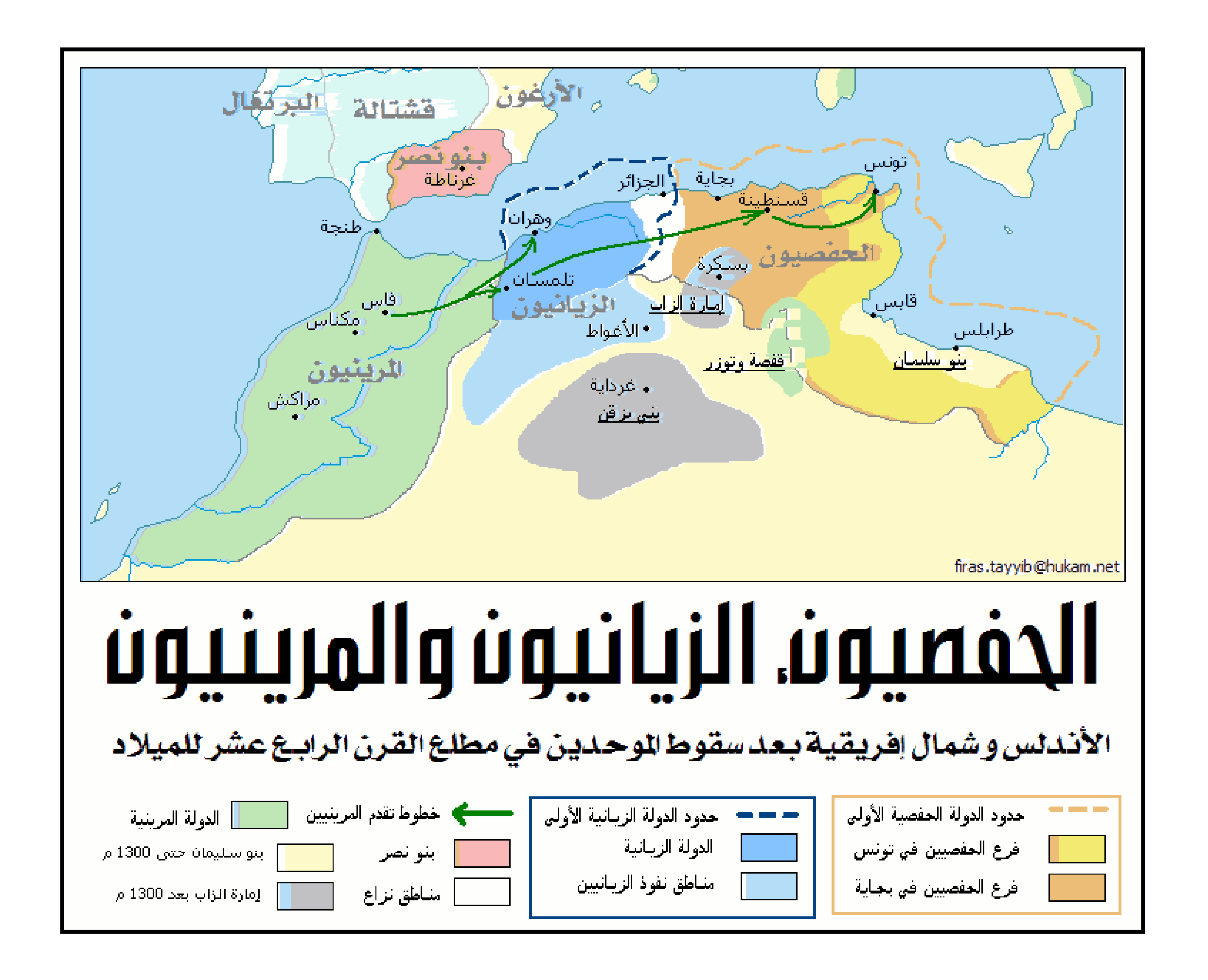
خريطة 2


المرابطون
توحيد الأندلس بعد ملوك الطوائف
حدود دولة المرابطين سنة 1086 م
أراضي فقدت بعد سقوط المرابطين 1147 م
رقعة الدولة الإسلامية بعد 1147 م
دولة القمبيطور في بلنسية (1094-1099 م)
firas.tayyib@hukam.net
لك
شنت يعقوب
ليونة
ليونة
الأرغون
قطلونية
برشلونة
سرقسطة
بنو هود
نهر إبرة
نهر دويرة
سمورة
نهر دويرة
البرتغال
قشتالة
قلمرية
وادي الحجارة
طليطلة
القمبيطور
بلنسية
شنترين
نهر تاجة
الزلاقة
1086 م
وادي أنة
وادي شقر
قلعة رباح
لشبونة
الجزائر الشرقية
لقنت
قرطبة
وادي شعورة
مرسية
مرتلة
الوادي الكبير
شلب
إشبيلية
غرناطة
شلطيس
المرية
مالقة

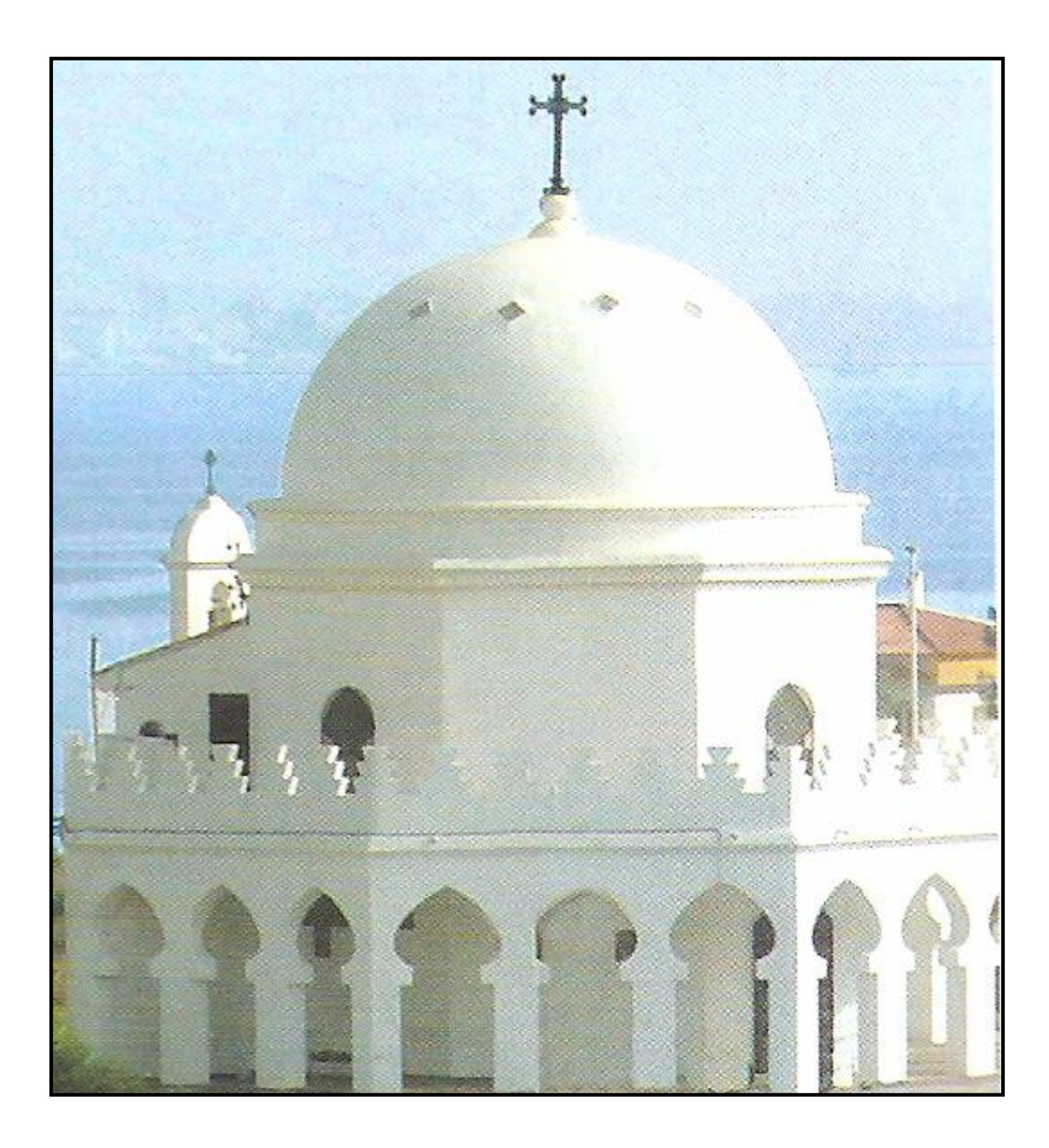
خريطة 3


الموحدون ثم بنو نصر
الأندلس الإسلامية تعيش آخر أيامها
امتداد دولة الموحدين عام 1147 م
امتداد دولة الموحدين عام 1222 م
رقعة دولة بني نصر عام 1250 م
رقعة الدولة النصرية بعد 1250 م
وقبل سقوطها عام 1492 م
firas.tayyib@hukam.net
نافار
مملكة الأرغون
مملكة
البرتغال
مملكة قشتالة
بنو غانية
الجزائر الشرقية
بنو نصر
المرينيون
سرقسطة
برشلونة
طرطوشة
طليطلة
شنترين
لشبونة
بطليوس
قلعة رباح
بلنسية
دانية
حصن العقاب
مرسية
قرطبة
شلب
إشبيلية
غرناطة
رندة
مالقة
ألمرية
شنت مرية الغرب
الجزيرة
نهر إبرة
نهر دويرة
نهر تاجة
وادي آنة
وادي الحجارة
وادي شقورة
وادي الكبير

خريطة 4


البرتغال
قشتالة
الأرغون
بنو نصر
غرناطة
طنجة
وهران
الجزائر
بجاية
قسنطينة
تونس
تلمسان
الزيانيون
الحفصيون
بسكرة
إمارة الزاب
قابس
طرابلس
فاس
مكناس
الأغواط
قفصة وتوزر
بنو سليمان
المرينيون
مراكش
غرداية
بني يزقن
firas.tayyib@hukam.net
الحفصيون، الزيانيون والمرينيون
الأندلس و شمال إفريقية بعد سقوط الموحدين في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد
حدود الدولة الحفصية الأولى
فرع الحفصيين في تونس
فرع الحفصيين في بجاية
حدود الدولة الزيانية الأولى
الدولة الزيانية
مناطق نفوذ الزيانيين
خطوط تقدم المرينيين
بنو نصر
مناطق نزاع
الدولة المرينية
بنو سليمان حتى 1300 م
إمارة الزاب بعد 1300 م

خريطة 5

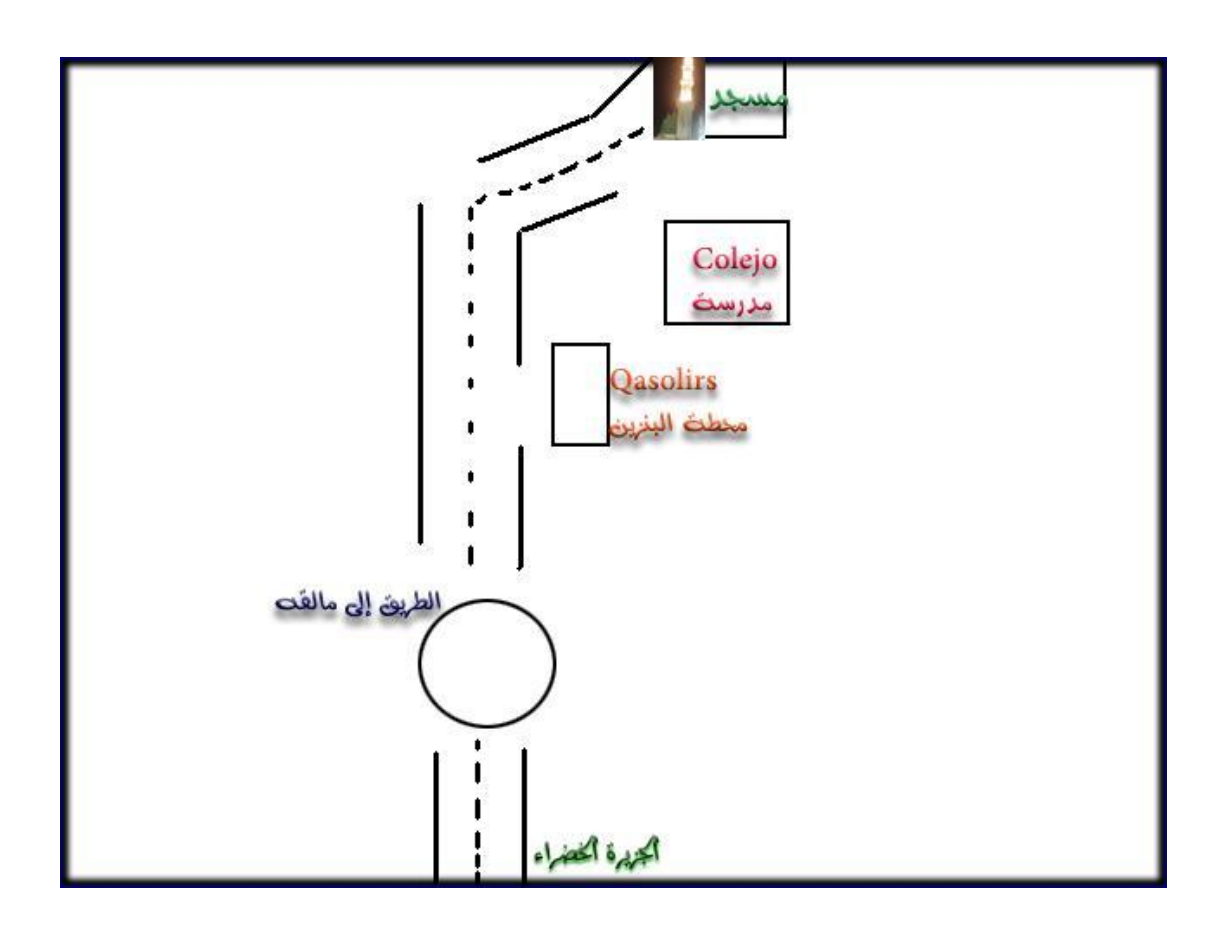


مسجد الجزيرة الخضراء

كنيسة Residencial La Florida II

تصوير الباحث

صورة 8



موقع مسجد الجزيرة الخضراء

تصميم الباحث

صورة 9



شاهد قبر

صورة10

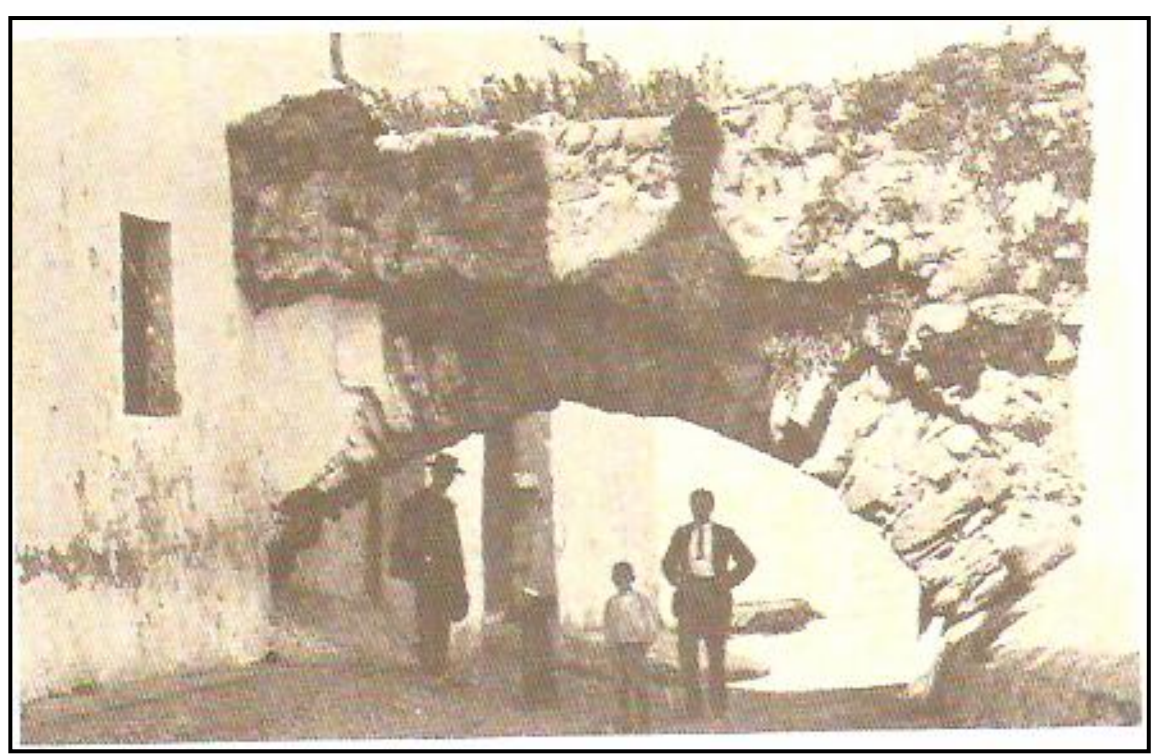


شاهد قبر

صورة 11

صورة12





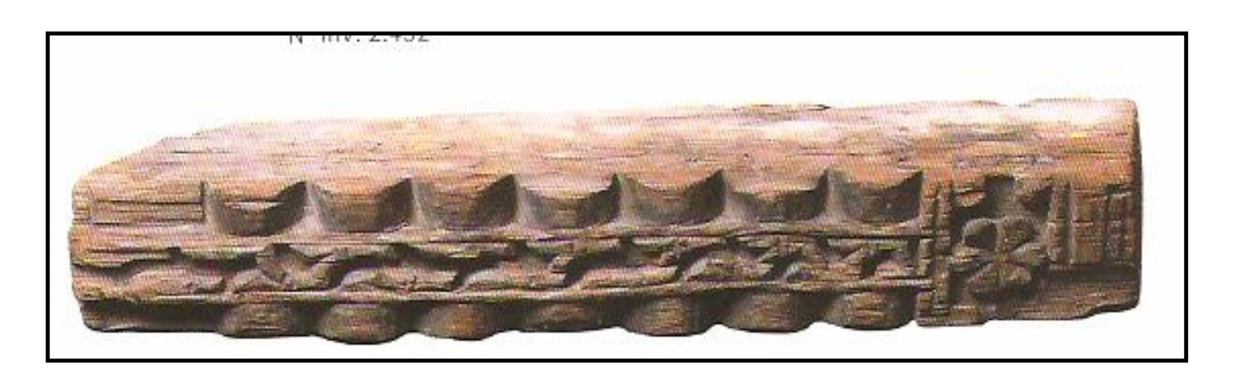
صورة12

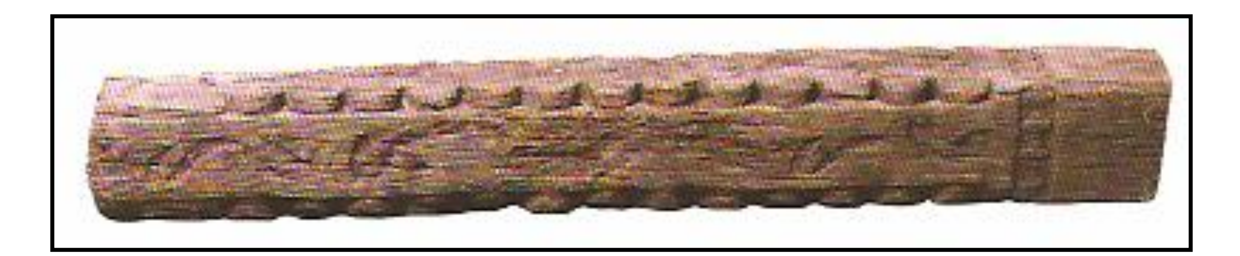


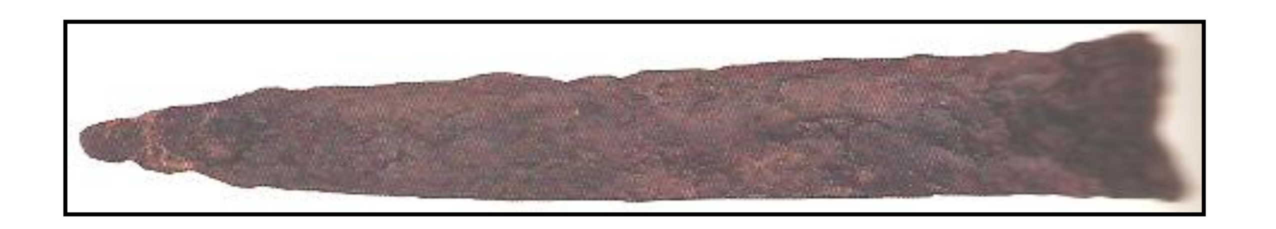
باب شريش

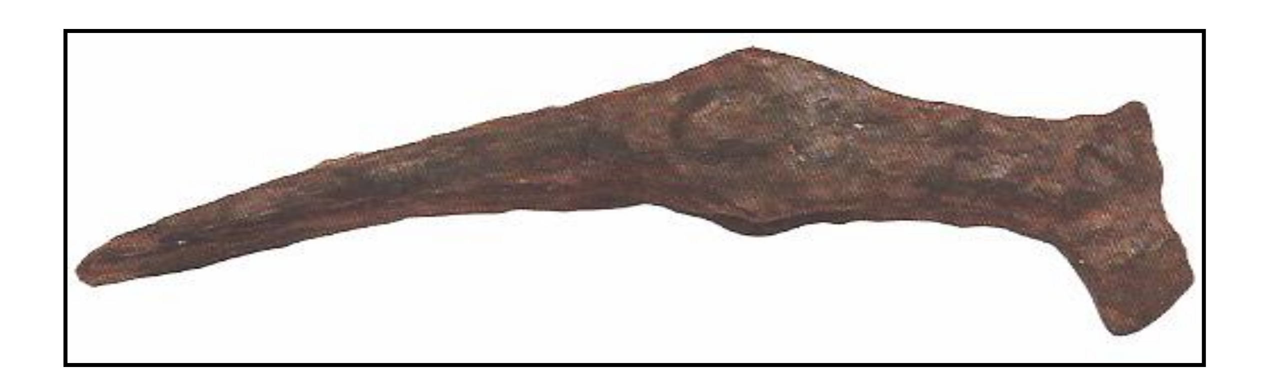
صورة 13


صورة14


صورة15


صورة16







رؤوس لسهام ومقذوفات

صورة 17

آثار لبعض السيوف

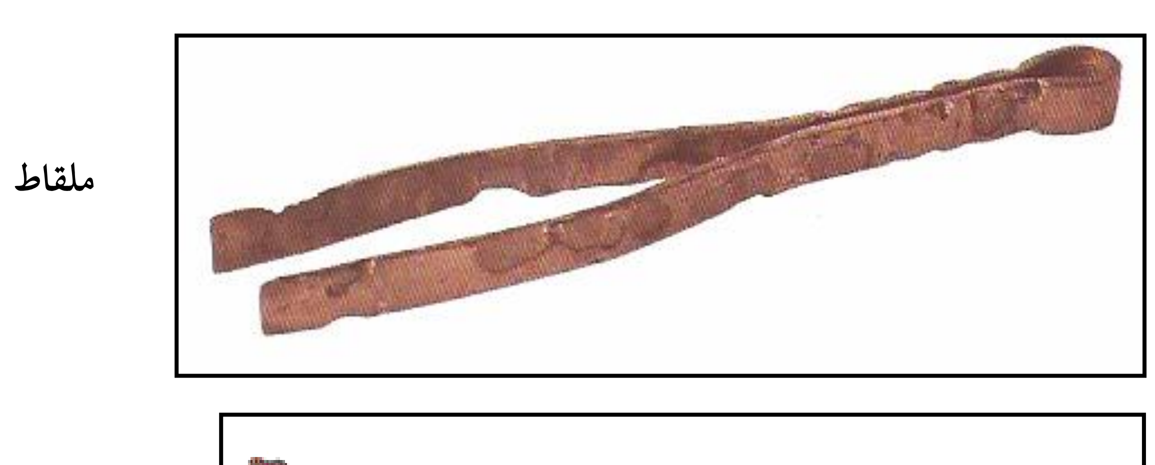


صحيفة خنجر



صورة 18

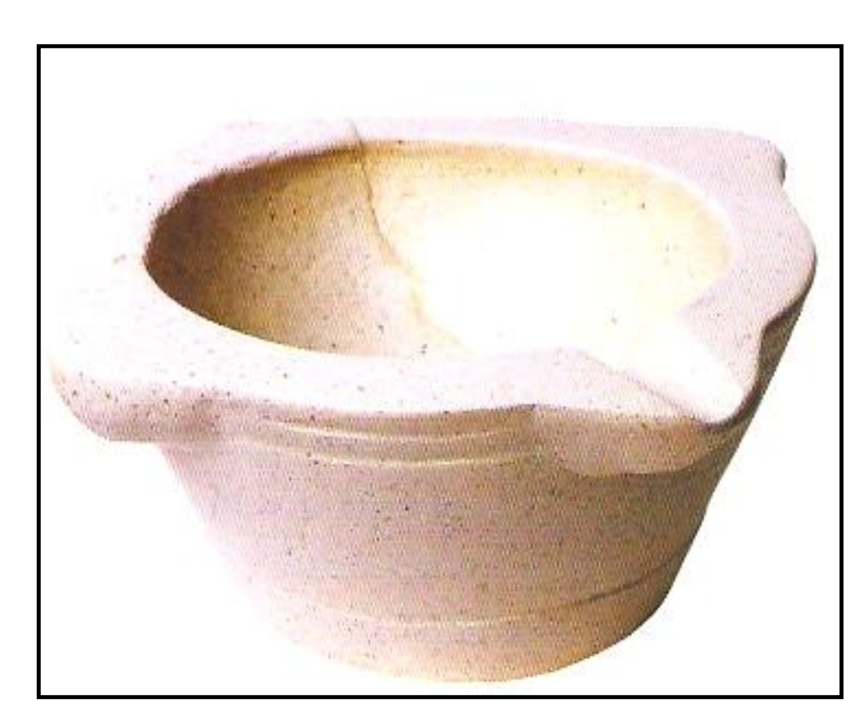
ملقاط



ملعقة الصيدلاني



إناء لتحضير الأدوية

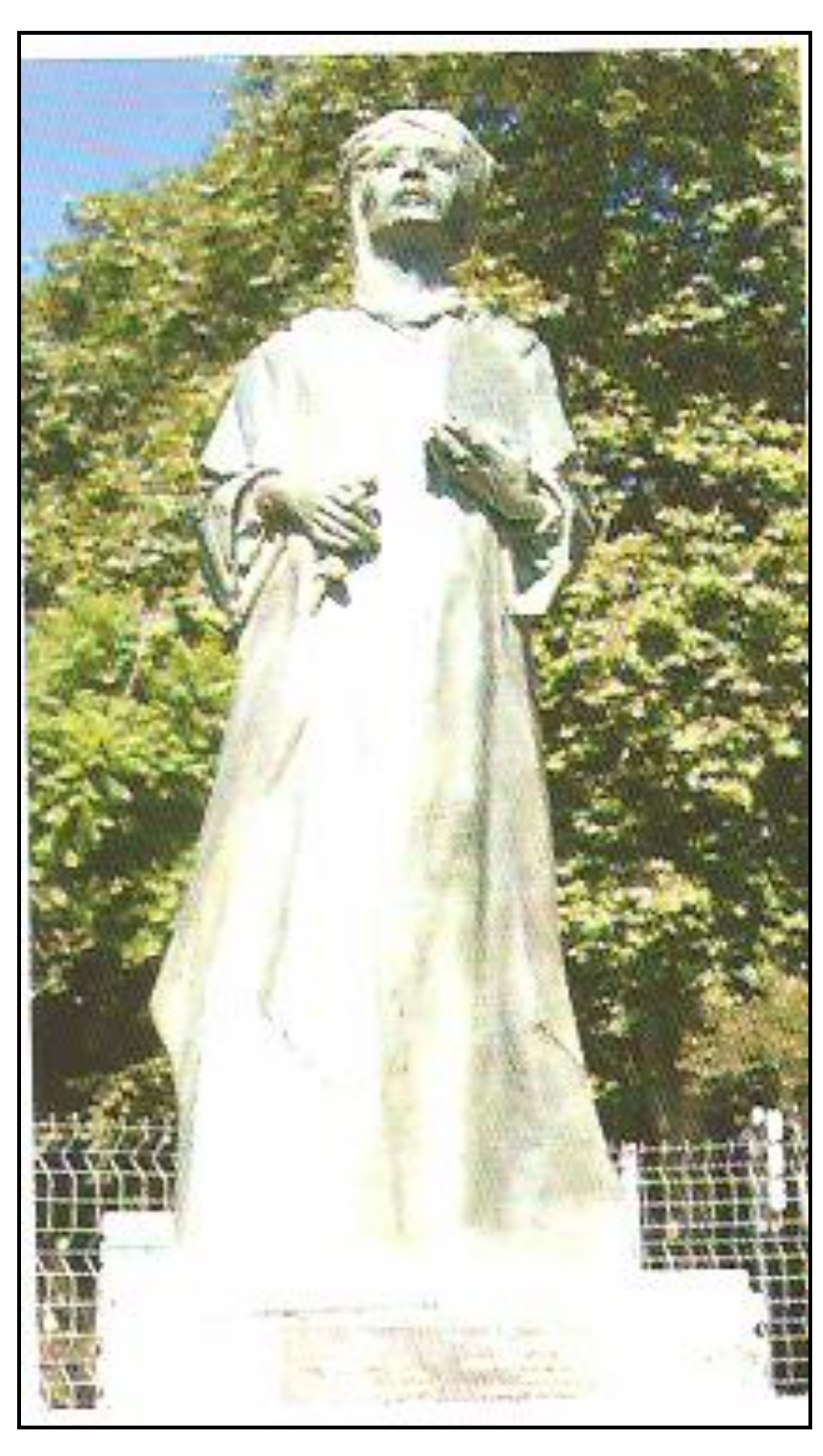


صورة19

تمثال لرجل عربي اكتشف مكانه بعض الآثار الإسلامية

تصوير الباحث

صورة 20



تمثال لرجل عربي اكتشف مكانه بعض الآثار الإسلامية

تصوير الباحث

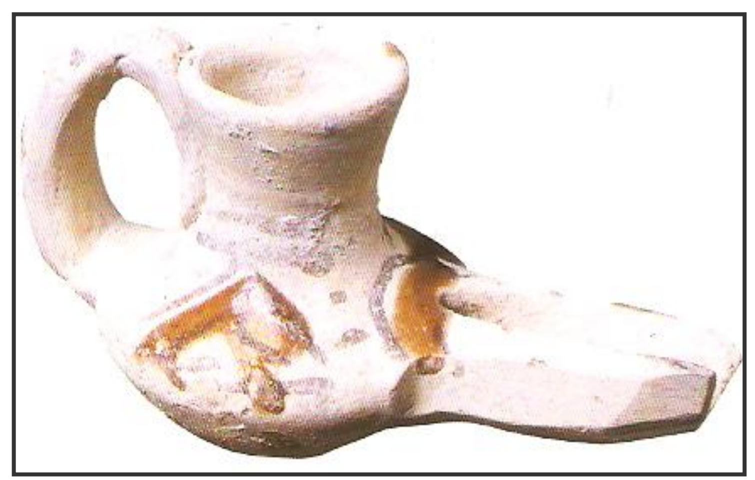
صورة 20



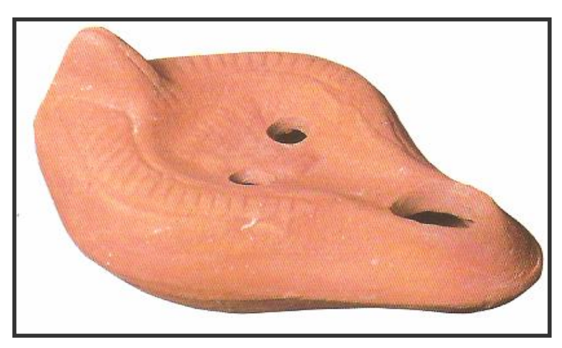
قنديل
من النحاس



نماذج لقناديل
من الفخار



صورة 21





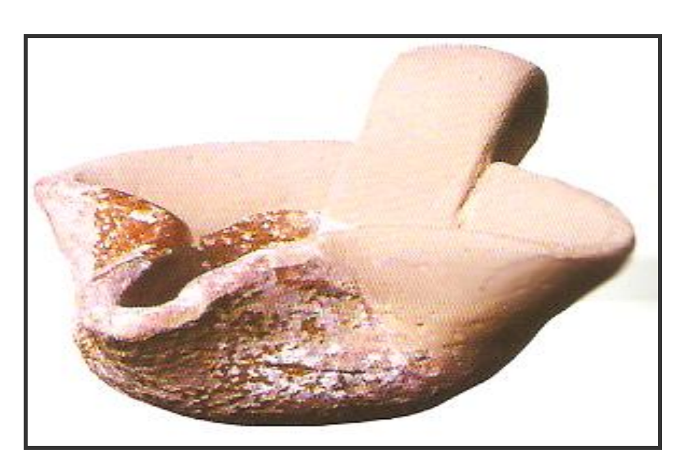




أواني فخارية

صورة22







أواني فخارية

صورة 22





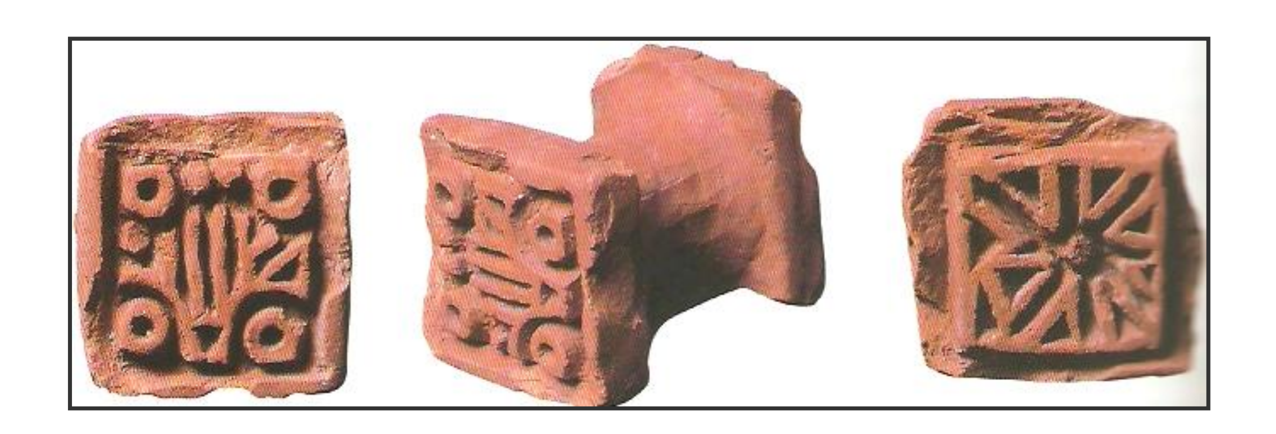
مصنوعات معدنية

صورة 23



لوح لصناعة الذهب

صورة 24



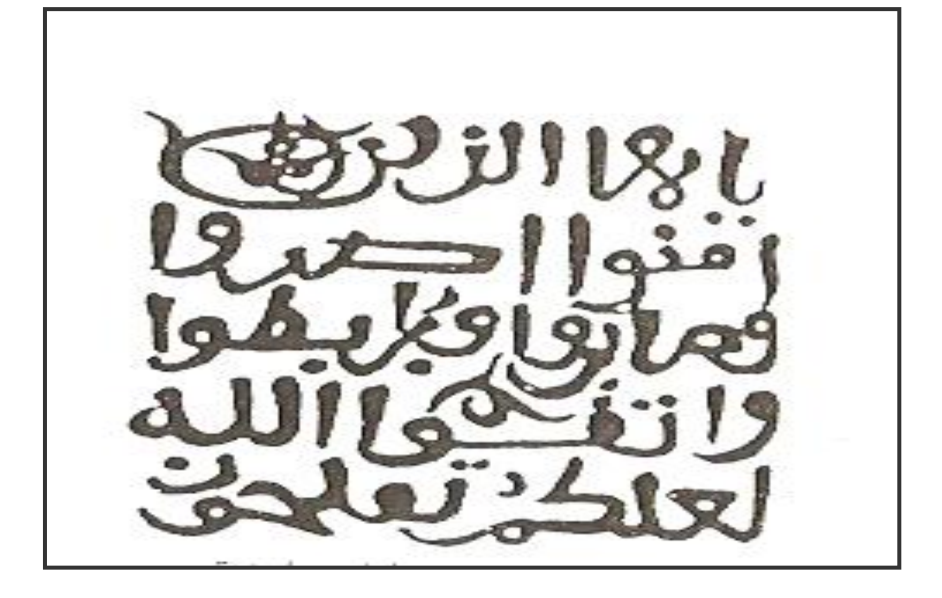
أختـــام

صورة 25

ايده الله واسعده

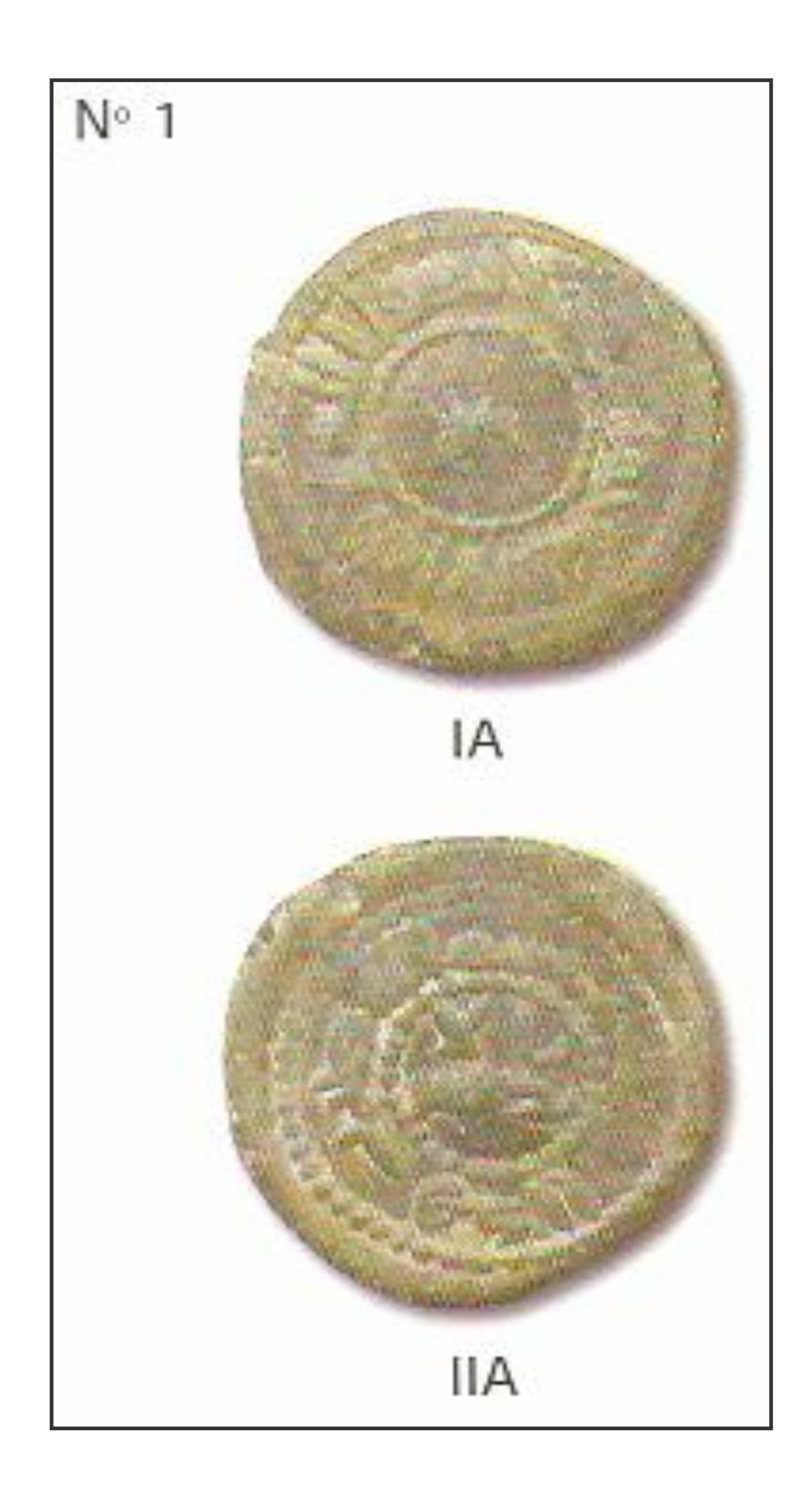
ايده الله واسعده



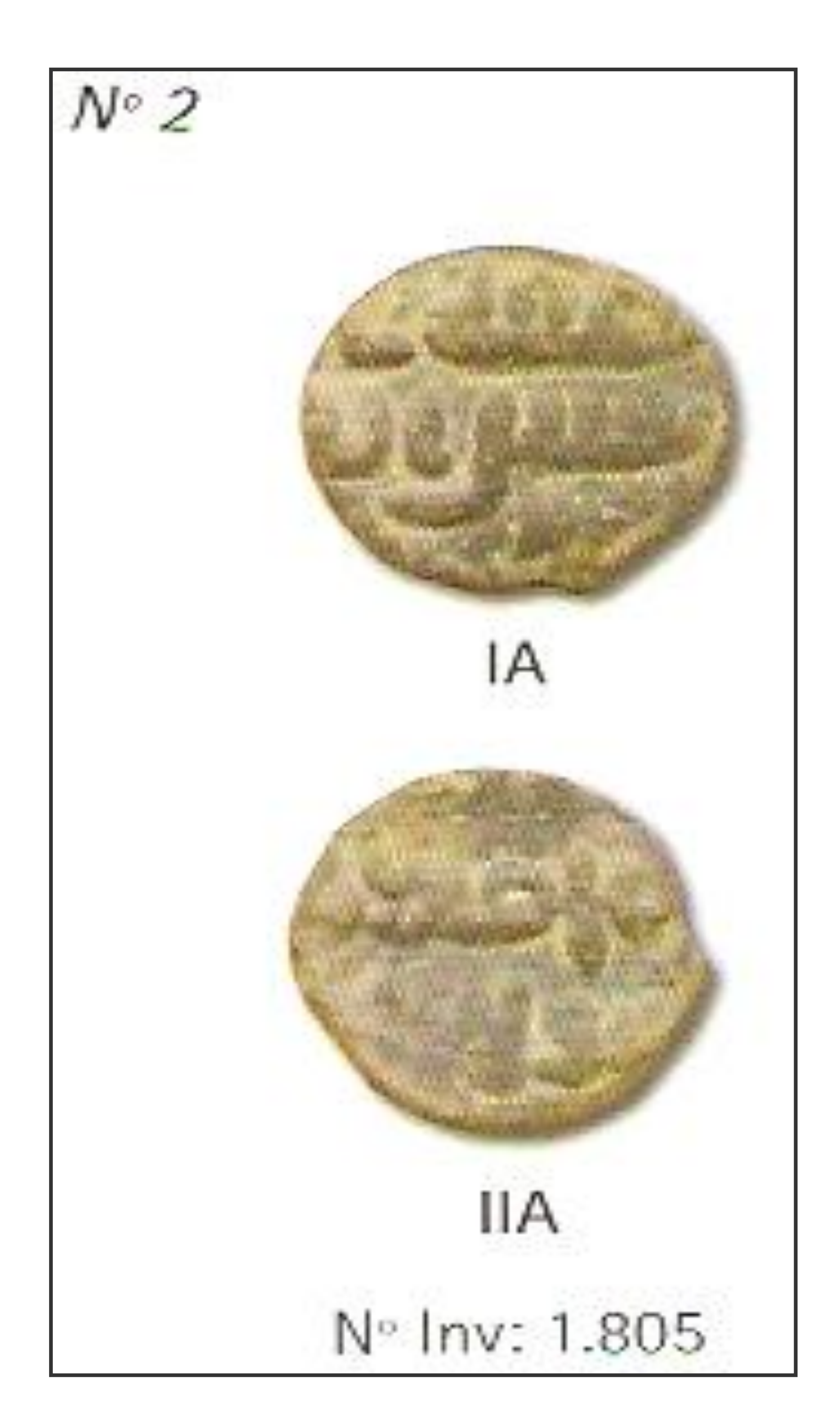


مما كان يكتب على المسكوكات

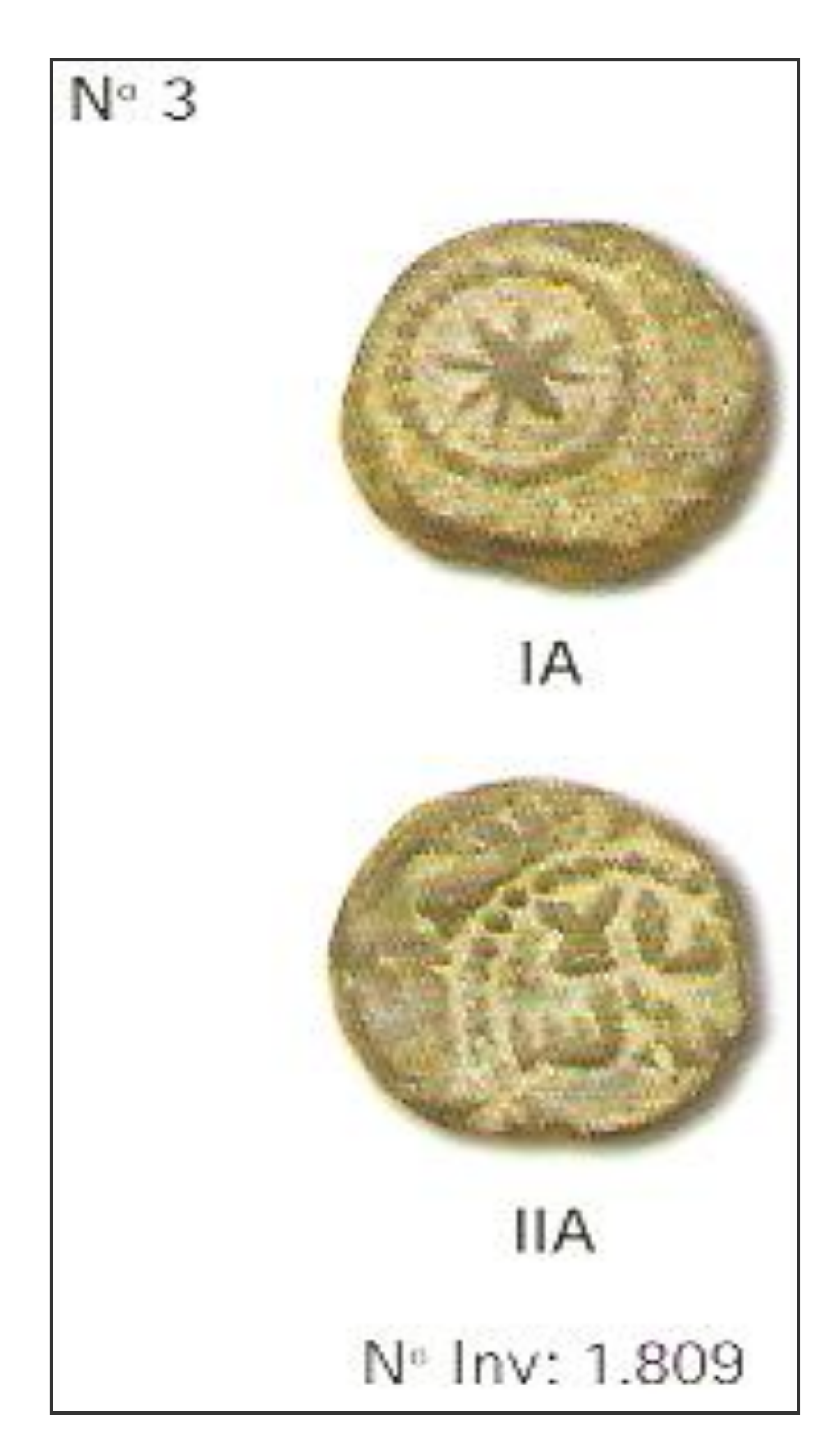
صورة 26



صورة27



صورة28



صورة29



صورة30

قائمة المصادر والمراجع

المصـــادر :

1 - القرآن الكريم.

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبو بكر القضاعي:

2 - إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، ط 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1380هـ/ 1961م.

3 - تحفة القادم، أعاد بناءه إحسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986م.

4 - الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

5 - المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1420هـ/ 2000م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري:

6 - النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الباز.

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني:

7 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

8 - الكامل في التاريخ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد:

9 - نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1396هـ/ 1976م.

10 - نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1967م.

الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله:

11 - كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/ 1989م.

ابن الأزرق، محمد الأندلسي:

12 - بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

الإشبيلي، أبو الوليد إسماعيل بن محمد:

13 - البديع في وصف الربيع، تحقيق عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ط 1، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1407هـ/ 1987م.

الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير الأموي:

14 - فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، اعتنى به الشيخ فرنسشكه قداره زيدين وخليان ربارة طرغوه، ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/ 1997م.

الإشبيلي، أبو محمد ابن الخراط:

15 - اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب:

16 - المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي:

17 - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

الأمير عبدالله بن بلقين بن باديس (ت 483هـ):

18 - مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب «التبيان»، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955م.

أبو بحر، صفوان بن إدريس التجيبي:

19 - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه عبدالقادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970م.

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني:

20 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (494 - 578هـ):

21 - كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/ 2003م.

البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ):

22 - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، 1373 هـ/ 1954م.

البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت 487هـ):

23 - جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب «المسالك والممالك»، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، ط 1، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1387هـ/ 1968م.

التادلي، أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي:

24 - الحماسة المغربية «مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة د يوان العرب »، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1411هـ/ 1991م.

التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن عمر:

25 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف عبدالحميد الهرامة، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.

ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي:

26 - طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (384 - 456هـ):

27 - جمهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

28 - رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقي ق إحسان عباس، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1401هـ/ 1980م.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ):

29 - معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/ 1990م.

الحميدي، فتوح بن عبدالله الأزدي (ت 488هـ):

30 - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السيوفي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.

الحميري، محمد بن عبدالله:

31 - صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح ليفي بروفنسال، ط 2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م.

ابن حيان، حيان بن خلف القرطبي:

32 - السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ط 1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1424هـ/ 2003م.

33 - المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

34 - المقتبس، الجزء الخامس، اعتنى بنشره ب . شالميتا، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م.

ابن خاقان، الفتح بن محمد الإشبيلي:

35 - قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تقديم محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، 1386هـ/ 1966م.

ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت 776هـ/ 1374م):

36 - الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م.

37 - أوصاف الناس في التواريخ والصلات، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.

38 - ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق محمد الشريف قاهر، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973م.

39 - ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، صنعه وحققه محمد مفتاح، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1409هـ/ 1989م.

40 - روضة التعريف بالحب الشريف، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد الكتاني، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1970م.

41 - ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1400هـ - 1401 هـ/ 1980م - 1981م.

42 - كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1426هـ/ 2006م.

43 - كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، وزارة الثقافة، مصر.

44 - اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ.

45 - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/ 2002م.

46 - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ):

47 - تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1401هـ/ 1981م.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد:

48 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

أبو الخير الاشبيلي (القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي):

49 - عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية.

ابن الدلائي، أحمد بن عمر بن أنس العذري:

50 - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.

ابن أبو دينار، محمد بن أبو القاسم الرعيني:

51 - المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، ط 3، المكتبة العتيقة، تونس، 1387 هـ.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ):

52 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/ 2003م.

53 - سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت.

54 - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلتى قولاج، ط 1، منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، 1416هـ/ 1995م.

ابن رزين التجيبي:

55 - فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، ط 2، 1984م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد:

56 - برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديري ة إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ / 1962م.

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن:

57 - طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم:

58 - صلة الصلة، تحقيق عبدالسلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1413هـ/ 1993م.

ابن أبي زرع، علي ابن أبي زرع الفاسي:

59 - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبدالوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/ 1999م.

الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبو بكر:

60 - كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

ابن سعيد، علي بن سعيد الأندلسي:

61 - المقتطف من أزاهر الظرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م.

ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد المغربي:

62 - اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1400هـ/ 1980م.

63 - رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبدالمتعال القاضي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1393هـ/ 1973م.

64 - كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

65 - المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط 2 منقحة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1964م.

السلمي، عبد الملك بن حبيب:

66 - كتاب التاريخ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 1999م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن:

67 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، 1384هـ/ 1964م.

ابن الشباط، محمد بن علي التوزري:

68 - قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 14، 1967م – 1968م، مدريد، أسبانيا.

شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري:

69 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد.

ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبدالملك بن محمد الباجي:

70 - المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبدالهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.

الصريحي، محمد بن يوسف:

71 - ديوان ابن زمرك الأندلسي، جمعه يوسف الثالث، تحقيق محمد توفيق النيفر، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك:

72 - أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م.

ابن الصلاح، تقي الدين عثمان الشهرزوري:

73 - طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1413هـ/ 1992م.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة (ت 599هـ):

74 - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.

الطبيب، أبو عبدالله محمد الكتاني:

75 - كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، ط 2 مزيدة ومنقحة، دار الشروق، بيروت القاهرة، 1401هـ/ 1981م.

الطرطوشي، محمد بن الوليد الفهري:

76 - سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هـ/ 1994م.

ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله:

77 - فتوح أفريقيا والأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م.

ابن العربي أبو بكر:

78 - كتاب شواهد الجلة، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996م.

العسقلاني، أحمد بن علي:

79 - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، ط 3، المكتبة السلفية، القاهرة، 1407هـ .

العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله:

80 - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1424هـ/ 2003م.

ابن غالب، محمد بن أيوب:

81 - قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 2، ربيع الأول 1375 هـ / نوفمبر 1955م، جامعة الدول العربية.

الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد:

82 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجانة، تحقيق عادل

نويه ض، ط 1، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، إبريل 1969م.

الغزال، أحمد بن المهدي:

83 - نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، تحقيق إسماعيل العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1980م.

الغساني، أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم:

84 - حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

85 - رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم نوري الجراح، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002م.

أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي:

86 - تفسير ابن كثير، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1404هـ/ 1984م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة (ت 732هـ):

87 - تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م .

ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري:

88 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن يوسف الأزدي (ت 403هـ):

89 - تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السيوفي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.

ابن فركون، أحمد بن سليمان القرشي:

90 - ديوان ابن فركون، تقديم محمد بن شريفة، ط 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1407هـ/ 1987م.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ):

91 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، 1387هـ / 1967م.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري:

92 - الإمامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1388هـ/ 1969م.

القلقشندي، أحمد بن علي (756 - 820هـ):

93 - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

94 - مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1964م.

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي:

95 - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، ط 1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1994م.

ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري:

96 - تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 13، 1965م / 1966م، مدريد، أسبانيا.

الكلبي، محمد بن أحمد جزي:

97 - كتاب التسهيل لعلوم التنـزيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

مجهول:

98 - أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1401هـ/ 1981م.

99 - الأندلس وما فيها من بلاد قطعة من نص أندلسي، تحقيق خالد حسن الجبالي، دار البشير، عمان، 2004م.

100 - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/ 1979م.

101 - كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، دراسة أمبروزيو أويتي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 9 – 10، 1961م – 1962م، مدريد، أسبانيا.

102 - كتاب مفاخر البربر (ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي)، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996م.

103 - نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبطه الفريد البستاني، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1423هـ/ 2002م.

محمد بن يزيد الربعي:

104 - سنن ابن ماجه، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط 1، 1416هـ / 1996م، دار المعرفة، بيروت.

المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري:

105 - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1406 هـ/ 1985م.

106 - كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة وتعليق ج. س. كولان وليفي بروفنسال وإحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1967م.

المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري:

107 - الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، السفر الثامن، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م.

المراكشي، عبدالواحد بن علي:

108 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ/ 1994م.

المعسكري، محمد بن الناصر:

109 - الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بنعمر، ط 1، دار صنين للطباعة والنشر.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد:

110 - أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي وسعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت وعبدالسلام هراس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/ 1939م.

111 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

المقريـزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م):

112 - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1997م.

113 - كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1991م.

ابن مماتي، أسعد بن المهذب بن أبي مليح:

114 - لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة، تحقيق نسيم مجلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد:

115 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م.

النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي:

116 - تأريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، طبعه مصححه، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1400هـ/ 1980م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (677 – 733هـ):

117 - نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1980م – 1983م.

الوادي آشي، محمد بن جابر:

118 - برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، ط 1، دار الغرب الإسلامي، أثينا، اليونان، 1400هـ/ 1980م.

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر:

119 - تاريخ ابن الوردي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ / 1996م.

الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت 914هـ):

120 - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ/ 1981م.

المراجع العربية:

إبراهيم القادري بوشيش:

121 - المغرب والأندلس في عصر المرابطين ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، نيسان (إبريل) 1993م.

إبراهيم أنيس وآخرون:

122 - المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

إبراهيم زعرور وعلي أحمد:

123 - معجم أطباء المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى، مطابع الجمهورية، دمشق.

إحسان عباس:

124 - تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط 2، دار الشروق، عمان، 1997م.

أحمد الطاهري:

125 - الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز إسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2004م.

أحمد محمد الطوخي:

126 - العلاقات الأندلسية الحفصية، بحوث ندوة الأندلس «الدرس والتاريخ»، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ورابطة الجامعات الإسلامية، 2 – 4 ذو القعدة 1414هـ/ 13– 15 أبريل 1994م.

أحمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم:

127 - تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

أحمد مختار العبادي:

128 - صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط 1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.

129 - في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعارف.

130 - مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.

أمين توفيق الطيبي:

131 - دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس، 1984م.

تاج السر أحمد حران:

132 - العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، ط 2، مكتبة الرشد، 1426هـ.

جاسم محمد القاسمي:

133 - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية، 2000م.

جمعة شيخة:

134 - الفتن والحروب وأثارها في الشعر الأندلسي، ط 1، المطبعة المغاربية للنشر والإشهار، تونس 1414هـ/ 1994م.

حازم عبدالله خضر:

135 - النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1981م.

حسن إبراهيم حسن:

136 - تاريخ الإسلام، ط 13، دار الفكر، 1411هـ/ 1991م.

حسين مؤنس:

137 - تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط 2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة مدبولي، 1406هـ/ 1986م.

138 - فجر الأندلس، ط 1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م.

139 - معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط 3، دار الرشاد، القاهرة، 1420هـ / 1999م.

140 - موسوعة تاريخ الأندلس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ / 1996م.

خالد بن عبدالكريم بن حمود البكر:

141 - النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، ط 1، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1414هـ/ 1993م.

خليل إبراهيم السامرائي:

142 - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م.

143 - علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1985م.

خير الدين الزركلي:

144 - الأعلام، ط 8، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تموز (يوليو) 1989م.

رجب عبدالجواد إبراهيم:

145 - معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1424هـ/ 2004م.

رجب محمد عبد الحليم:

146 - العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

زرهوني نور الدين:

147 - الطب والخدمات الطبية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

السجل العلمي لندوة الأندلس:

148 - قرون من التقلبات والعطاءات، ط 1، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1417هـ/ 1996م.

سحر السيد عبدالعزيز سالم:

149 - أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م.

سحر عبد المجيد مناور المجالي:

150 - تطور الجيش العربي في الأندلس، ط 1، عمان، الأردن، 1417هـ / 1996م.

سعد بن عبدالله البشري:

151 - الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1414هـ/ 1993م.

152 - الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ، جامعة أم القرى ، 1417هـ / 1997م.

سلمى الخضراء الجيوسي:

153 - الحضا رة العربية الإسلامية في الأندلس، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، كانون الأول/ ديسمبر 1998م.

السيد عبدالعزيز سالم:

154 - بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1992م.

155 - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، 1962م.

156 - تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

سيمون الحايك:

157 - تعربت وتغربت أو نقل الحضارة العربية إلى الغرب، المطبعة البوليسية، جونية، لبنان.

شريفة محمد دحماني:

158 - العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري)، مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية، 2006م.

شكيب أرسلان:

159 - الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

شوقي أبو خليل:

160 - الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1415هـ/ 1994م.

عاطف منصور محمد رمضان:

161 - الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م.

عبادة عبدالرحمن رضا كحيلة:

162 - المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ط 1، 1418هـ/ 1997م.

عبدالآله بنمليح:

163 - الرق في بلاد الأندلس والمغرب، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004م.

عبدالرحمن علي الحجي:

164 - العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ/ 2004م.

165 - تاريخ الأندلس، ط 5، دار القلم، دمشق، 1418هـ/ 1997م.

عبدالعزيز الرفاعي:

166 - جبل طارق والعرب، ط 3، المكتبة الصغيرة، الرياض، 1393هـ/ 1973م.

عبدالله كنون:

167 - النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط 2، دار الثقافة.

عبدالمجيد تركي:

168 - قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي (نصوص ودراسات)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1988م.

عبدالمحسن طه رمضان:

169 - الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001م.

عبدالواحد ذنون طه:

170 - دراسات في التاريخ الأندلسي، نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة، ط 1، 1987م.

171 - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1982م.

عصمت عبداللطيف دندش:

172 - أضواء جديدة على المرابطين، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.

عيسى الناعوري:

173 - في ربوع الأندلس 1967م و 1974م ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

فراد محمد أزرقي:

174 - القوى المغربية في الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

كمال السيد أبو مصطفى:

175 - بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م.

176 - تاريخ الأندلس الاقتصادي «في عصر دولتي المرابطين والموحدين»، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية.

محمد أسعد طلس:

177 - عصر الاتساق «تاريخ بني أمية»، ط 1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1958م.

محمد العربي الخطابي:

178 - الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

محمد المنوني:

179 - التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1412هـ/ 1991م.

180 - العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط 2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م.

محمد بن إبراهيم أبا الخيل:

181 - الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ط 1، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1416هـ.

محمد حجي:

182 - تراث الأندلس، مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، جمادى الثانية 1414هـ/ نوفمبر 1993م.

محمد رزوق:

183 - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16– 17، ط 3، أفريقيا الشرق، 1998م.

محمد صبري محمد الطيب الرهبيني:

184 - الأندلس (أسبانيا) العلاقات بين المغرب والأندلس، ط 1، مطبعة المحمودية، المملكة العربية السعودية، 1415هـ/ 1994م.

محمد عبدالحميد عيسى:

185 - تاريخ التعليم في الأندلس ط 1، دار الفكر العربي، 1982م.

محمد عبدالله عنان:

186 - الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/ 1997م.

187 - دولة الإسلام في الأندلس، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ / 1997م.

محمد عبدالوهاب خلاف:

188 - تاريخ القضاء في الأندلس، ط 1، المؤسسة العربية الحديثة، مصر الجديدة، 1413هـ/ 1992م.

محمد كمال شبانة:

189 - يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1969م.

محمد لبيب البتنوني:

190 - رحلة الأندلس، ط 1، مطبعة الكشكول، 1927م.

محمد محمد مرسي الشيخ:

191 - دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية.

محمد نايف العمايرة:

192 - مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، ط 1، عمان، الأردن، 1420هـ/ 1999م.

منيرة بنت عبدالرحمن الشرقي:

193 - علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

مهجة أمين الباشا:

194 - سقوط الأندلس، ط 1، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.

ناصر الدين سعيدوني:

195 - من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

يوسف علي العريني:

196 - الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ط 1، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1416هـ/ 1995م.

يوسف عيد ويوسف فرحات:

197 - معجم الحضارة الأندلسية، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000م.

المراجع المترجمة:

أميركو كاسترو:

198 - أسبانيا في تاريخها، ترجمة علي إبراهيم منو في، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة،

القاهرة، 2003م.

آنخل جنثالث بالنثيا:

199 - تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

أوليفيا ريمي كونستبل:

200 - التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبدالله، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/ 2002م.

بيرو طافور:

201 - رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1423هـ/ 2002م.

ج. س. كولان:

202 - الأندلس، تعريب إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980م.

دايفد وينز:

203 - فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

رينهرت دوزي:

204 - تاريخ مسلمي أسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، المؤسسة المصري ة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

205 - المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

كارل بروكلمان:

206 - تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط 14، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني - يناير 2000م.

لويس سيكو دي لوثينا:

207 - الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، ترجمة عدنان محمد آل طعمة، ط 1، دار سعد الدين، دمشق، 1992م.

ليفي بروفنسال:

208 - حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

ليوبولدو توريس بالباس:

209 - المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمه من الأسبانية إليو دورو دي لابنيا، ط 1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1423هـ/ 2003م.

مانويل جوميث مورنيو:

210 - الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ولطفي عبدالبديع، مؤسسة شباب الجامعة.

هربرت جون فلير وَهارولد بيك:

211 - الأزمنة والأمكنة «الجزء العاشر من دهليز الزمان»، ترجمة محمد السيد غلاب، مؤسسة سجل العرب، 1962م.

يوسف أشباخ:

212 - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، ط 2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1377هـ/ 1958م.

الدوريات والحوليات:

أمين توفيق الطيبي:

213 - جبل طارق جبل الفتح معقل إسلامي عبر القرون الوسطى، تاريخ العرب

والعالم، ع 53، آذار 1983م.

التهامي الراجي الهاشمي:

214 - الأبواب في الأندلس، المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد الثالث عشر، السنة الخامسة، محرم 1399هـ / دجنبر 1978م، الرباط، المغرب.

حياة عبود العامودي:

215 - الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع 13، السنة السابعة، محرم 1427هـ/ يناير 2006م.

خليل إبراهيم الكبيسي:

216 - غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية، المؤرخ العربي، ع 40، السنة الرابعة عشرة، 1409هـ/ 1989م.

الدارة:

217 - جبل طارق في التاريخ، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الثانية عشر، محرم 1407هـ/ سبتمبر 1986م.

رابح عبدالله المغراوي:

218 - التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني «من خلال رسائل ابن الخطيب»، التاريخ العربي، ع 6، ربيع 1419هـ/ 1998م.

رشيد العفاقي:

219 - جبل طارق في العصر الإسلامي مقصد العلماء والأدباء، مجلة الفيصل، ع 314، شعبان 1423هـ/ أكتوبر – نوفمبر 2002م.

صالح محمد أبو دياك:

220 - فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، المؤرخ العربي، العدد 38، السنة الخامسة عشر، 1409هـ/ 1988م.

عبداللطيف الخطيب:

221 - نظرة تاريخية وجغرافية على بوغاز جبل طارق، دعوة الحق، ع 8 – 9، السنة السادسة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، ذو الحجة – محرم 1383هـ/ مايو – يونيه 1963م.

علي أحمد:

222 - ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها، مجلة التاريخ العربي، ع 21، 1422هـ / 2002م.

لويس سيكو دي لوثينا:

223 - الوثـائق العربية الغرناطية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 7 – 8، 1959م – 1960م، مدريد، أسبانيا.

مجلة النقل والمواصلات:

224 - مضيق جبل طارق .. ملتقى الحضارات، مجلة النقل والمواصلات، العدد الأول، السنة الأولى، جمادى الآخرة 1419هـ / أكتوبر 1998م.

محمد العربي الخطابي:

225 - معجم أندلسي من القرن السـادس الهجري محاولة علمية لتجنيس النبات، مجلة أكاديمية، العدد الخامس، ربيع الثاني 1409هـ / دجنبر 1988م،

المملكة المغربية.

محمد القاضي:

226 - جبل طارق لم يبق من عروبته غ ير اسمه، التاريخ العربي، العدد الخامس والعشرون، شتاء 1424هـ/ 2003م.

227 - جبل طارق لم يبق من عروبته غير اسمه، مجلة الدفاع، السنة 35، العدد 106، ذو القعدة 1417هـ/ مارس 1997م.

228 - مدن إسلامية الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم، التاريخ العربي، ع 18، ربيع 1422هـ/ 2001م.

محمد القبلي:

229 - المغرب والأندلس والمجال المتوسطي، دراسات، ع 7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، 1995م.

محمد باقر الحسيني:

230 - مدن الضرب على النقود الإسلامية، مجلة الم سكوكات، ع 5، 1974م، بغداد.

محمد بن شريفة:

231 - من منافرات العدوتين "نص جديد"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 1، ط 2، جامعة محمد الخامس، الرباط.

محمد عبدالله عنان:

232 - رواية مصرية عن المغرب والأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 15، 1970م، مدريد، أسبانيا.

محمود شيت خطاب:

233 - الأندلس وما جاورها، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني والثالث،

المجلد الثامن والثلاثون، بغداد، شوال 1407هـ/ 1987م.

محمود علي مكي:

234 - وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 7- 8، 1959م - 1960م، مدريد، أسبانيا.

مصطفى جاهين:

235 - لمحة تاريخية عن بلاد الأندلس، مجلة الدارة، العدد الرابع، رجب - شعبان - رمضان 1409 هـ.

نجاة المريني:

236 - العدوتان في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مجلة المناهل، السنة 26، ع 69/ 70، ذو القعدة 1424هـ/ يناير 2004م.

نورة محمد التويجري:

237 - جهود حكام بني أمية في الأندلس في مواجهة الغزو النورماندي للدولة الإسلامية في الأندلس وما أسفرت عنه تلك الجهود من نتائج، التاريخ العربي، ع 24، خريف 1423هـ/ 2002م.

238 - علاقة مملكة بني الأحمر بالدول النصرانية، مجلة دراسات أندلسية، ج 1، ع 28، رمضان 1423هـ/ نوفمبر 2002م.

الرسائل العلمية :

حسن بن يحيى حسن الشوكاني:

239 - تجارة الأندلس في العصر الأموي، رسالة علمية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1420هـ.

عبدالنبي بن محمد:

240 - مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1398هـ - 1399هـ/ 1978م - 1979م.

علي أحمد عبدالله القحطاني:

241 - الدولة العامرية في الأندلس، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1401هـ/ 1981م.

عياد المبروك عمار:

242 - البحرية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير، إشراف أمين توفيق الطيبي، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الفاتح، الجماهيرية العربية الليبية، 199[illegible]م.

غازي سعيد جرادة:

243 - الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المرابطي بالمغرب، رسالة دكتوراه، إشراف محمد حجي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991م/ 1992م.

ليلي أحمد نجار:

244 - العلاقات بين المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1402هـ/ 1982م.

245 - المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1409هـ/ 1989م.

المصادر والمراجع غير العربية:

244. Algeciras Andalusi: (siglos VIII – XIV) Catalogo de La Exposicion.
245. Anwar Cheine: Muslim Spain Its History and Culture، The University of Minnesota، 1974 .
246. Huge Seymour – Davies: Andalusia، Philips Travel Guides، Italy، 1990.
247. Maria J. Viguera: Los Caminos De Al – Andalus، En El Siglo XII، Madrid، 1989 .
248. Philip Dennis: Gibraltar، David & Charles، London.
249. Salma Khadra Jayyusi: The Legacy of Muslhm Spain، chief Manuela Marin، E.J.BRILL، Leiden، 1994 .
250. S.M.Imamuddin: A Political History of Muslim Spain، Najmah Sons، Pakistan.



فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضــــــــوع	الصفحة

